



الجامعة الإسلامية - غزة
عمادة الدراسات العليا
كلية أصول الدين
قسم التفسير وعلوم القرآن

منهج القرآن الكريم في التعامل مع جرائم اليهود (دراسة تطبيقية بين الماضي والحاضر)

إعداد الطالب

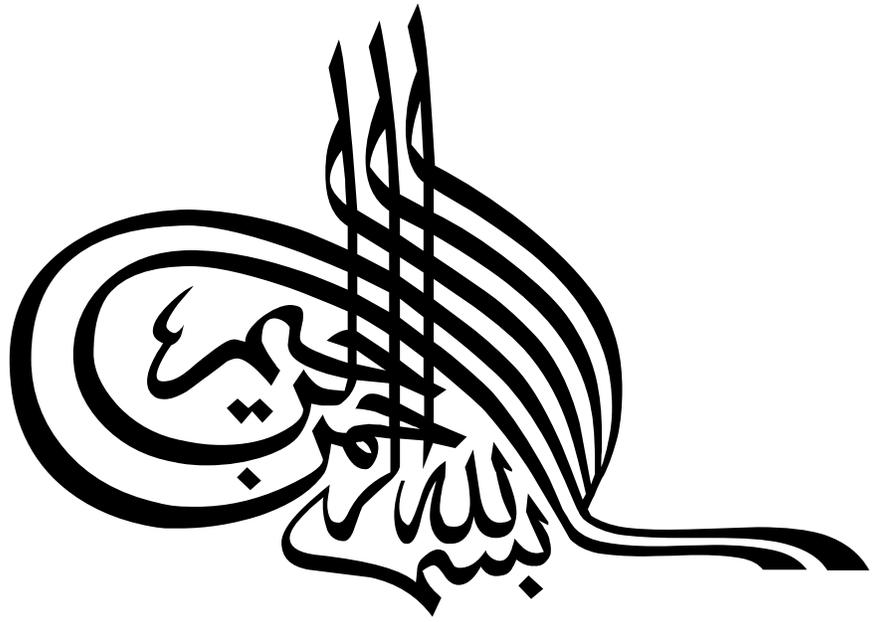
رمضان بن يوسف عبد الهادي الصيفي

إشراف الدكتور

زكريا بن إبراهيم الزميلي

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن

٢٠٠٩م - ١٤٣٠هـ



قال تعالى:

﴿ وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى
تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنْ هَدَى اللَّهُ فَمَا لَبَسَ
أَتَّبِعْتَهُ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ
مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ (البقرة/١٢٠).

﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ
أَوْ أَشَدَّ قَسْوَةً وَإِنْ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ
الْأَنْهَارُ وَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَشَقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنْ
مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا
تَعْمَلُونَ ﴾ (البقرة/٧٤).

﴿ إِنْ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ
بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ
النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (آل عمران/٢١).

الإهداء

إلى والديّ اللذين كانا سبب وجودي بعد الله مسلماً، وأخص بالذكر
والدتي رحمها الله.

إلى من بدمائهم بلغوا الرضا فنالوا المنى.
إلى من بكرسيه هز أركان اليهود وأهل الهوى.
إلى المجاهدين الصابرين السائرين على الخطى.
إلى شريكة العمر، ورفيقة الدرب التي شاركتني الحياة
بكدّها وعنائها، قبل سعادتها وهنائها، والتي كان لها فضل
كبير في هذا البحث، بعد الله بسبب صبرها وتشجيعها.
إلى أبنائي وإخواني، وأخص منهم بالذكر شهداء العائلة
(أخي الشهيد القائد نصر يوسف الصيفي) أبو الفدا رحمه الله.
وابن أخي (الشهيد أسامة أيوب الصيفي) أبو أنس رحمه الله.
وابن عمي (الشهيد القائد عادل مصلح الصيفي) أبو حمزة رحمه
الله، وجميع أبناء العائلة.

إلى كل من يحب العلم وسيلة لرقى العباد.
إلى الباحثين عن حقيقة اليهود، ويسعون لتحرير البلاد
إلى اللاهثين خلف سراب السلام الموعود
وتركوا فريضة الجهاد، ولم يعرفوا حقيقة اليهود.
إليهم جميعاً، وكل من كان عوناً لي بعد الله، في إتمام
رسالتي، بفكرة أو جهد أو دعاء، أهدى هذا العمل، سائلاً
المولى عزوجل أن يتقبله مني، وينفعني به يوم الحساب،
وينفع به الإسلام والمسلمين، اللهم آمين.

شكر وتقدير وعرقان

انطلاقاً من قول الله عز وجل: ﴿ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾ (النمل/ ٤٠) فإنني أقدم في بداية بحثي باسم آيات الشكر والعرفان بعد الله عز وجل معترفاً لأهل الفضل على فضلهم لأستاذي ومشر في فضيلة الدكتور / زكريا بن إبراهيم الزميل، الذي عاش معي هذا البحث كلمة كلمة، وبذل في موقته الخاص وذلّل لي الكثير من الصعاب وما اتصلت به مرة إلا وعمرني بنصائحه وتوجيهاته .
كما وأتقدم بالشكر والعرفان لأستاذي الفاضلين :

حفظه الله

فضيلة الدكتور / صالح الرقب

حفظه الله

فضيلة الدكتور / جمال الهوبي

الذين منحاني شرف الموافقة على مناقشة هذا البحث لإثرائه والوقوف على ما فيه من محاسن وتدارك ما فيه من عيوب ومثالب، بما أنعم الله عليهما من خبرة طويلة، وتجربة خلاقة في ميدان البحث العلمي حتى تخرج هذه الرسالة في ثوب بحثي علمي قشيب فجزاهم الله غني كل خير .

وأشكر كل من وقف معي وساندني ودعمني حتى رأيت هذا الجهد المتواضع النور، سواء بالكلمة، أو النصيحة أو الملاحظة وكل الشكر لبيتي الثاني، الصرح العلمي الشامخ، رائد العلم والعلماء ومخرج المجاهدين والشهداء وقبلة كل الباحثين، الجامعة الإسلامية، رئاسة وعمداء وأكاديميين وإداريين، وكل الشكر لعامة الدراسات العليا ممثلة بعميدها وإداريتها التي سمحت لطلبة العلم بإكمال الدراسات العليا، والشكر موصول لكليتي الحبيبة، كلية أصول الدين بعميدها وجميع الموظفين فيها أكاديميين وإداريين، وأخص بالذكر منهم، الأستاذ عبد الله أبو موسى الذي أشرف على تنسيق هذا البحث، ولا أنسى تقديم شكري وامتناني إلى المكتبة المركزية ممثلة بعميدها وموظفيها في كل الأقسام فرداً فرداً، ولا أنسى من الشكر دائرة الخدمات العين الساهرة على أمن الجامعة. وأقدم شكري وتقديري لكل من الدكتور منير محمد العشي حفظه الله ورعا، والأستاذ محمد العبادلة رئيس دار الندوة الإسلامية الذي زودني بالعديد من المصادر من مكتبة الخاصة.

وأخيراً أقدم بالشكر للدكتور كمال مرتجي الذي ترجم ملخص الرسالة للغة الإنجليزية

الباحث

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين والمبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد ﷺ، وعلى آله وصحابه الغر الميامين، إلى يوم الدين أما بعد: فقد تعرضت الأمة الإسلامية في كل عصر ومصر، للعديد من الابتلاءات والمؤامرات من داخلها وخارجها، بسبب بعدها عن منهج ربها، لكنها بفضل الله ومنته، كانت سرعان ما تعود إليه، وتخرج من كل محنة بمنحة، وتستفيد من أخطائها، واليهود من أخطر الأعداء الذين كادوا وحاربوا الإسلام والمسلمين قديماً وحديثاً، فهم الذين جادلوا أنبياءهم، ولما فشلوا في دحض نبوتهم قتلوهم.

لذلك إن الذي يستعرض كتاب الله تبارك وتعالى، يجد أنه أسهب واستفاض في الحديث عن اليهود، في أطول سورتين في القرآن الكريم، هما البقرة وآل عمران، واللذان اشتملتا على معظم صفاتهم وجرائمهم، إضافة إلى بعض السور الأخرى، من أجل أن يتعرف المسلمون عليهم، ويحذروا شرهم وكيدهم، وشراسة المعركة التي تنتظرهم، فيعدوا لها العدة، ويسخروا كل طاقاتهم للتصدي لمخططات اليهود.

وفي عهد النبي محمد ﷺ عرفوه بصفاته الموجودة لديهم في التوراة، وبدلاً من أن يؤمنوا به، حاولوا قتله أكثر من مرة كعادتهم، حسداً من عند أنفسهم، إلا أن الله تبارك وتعالى عصمه منهم، ومع ذلك لم يكفوا عن كيدهم ومكرهم ضد الإسلام والمسلمين، إلى أن قتل النبي بعضهم وأجلى الآخرين إلى بلاد الشام.

واليهود هم الذين تأمروا على قتل الخليفين عمر وعثمان بن عفان رضي الله عنهما، وبرز منهم عبد الله بن سبأ اليهودي، الذي كان له دور كبير وعصابته في الفتنة التي حدثت بين علي ومعاوية، رضي الله عنهما وعن الصحابة أجمعين.

إن تاريخهم حافل بصور الكفر والخداع والمكر، والخيانة والغدر وسفك الدم، بحيث لم تبق جريمة إلا ارتكبوها، ولم يذهبوا لمكان إلا وأجرموا فيه، بدءاً من تكذيب موسى ﷺ والسعي بالإفساد في الأرض، مروراً بإيذاء الأنبياء، وانتهاءً بجرأتهم على الله، مع أنهم أكثر الناس أنبياءً ومعجزات، ومع ذلك بقيت قلوبهم قاسية لا تعرف معروفاً ولا تتكر منكرًا، أشد من الحجارة التي تفجر منها الماء، وخشعت من خشية الله.

ولما ذهبوا مع موسى ﷺ واختاروا سبعين رجلاً من خيرتهم ليتوبوا إلي الله من ذنوبهم، ارتكبوا جرماً أكبر من السابق، فقالوا لموسى أرنا الله جهرة، فانتقم الله منهم،

وعاقبهم بصاعقة أخذتهم وهم ينظرون، وأما عندما رفع الله الجبل فوق رؤوسهم وأمرهم أن يسمعوا ويطيعوا ويأخذوا ما آتاهم الله بقوة، قالوا سمعنا وعصينا، ولما اضطروا للسجود سجدوا على شق، وعينهم الأخرى تنظر إلى الجبل عنادًا وخبثًا، فهذه نفوسهم، وتلك صفاتهم.

وفي العصر الحديث تأمروا على إسقاط الخلافة الإسلامية، بعدما فشلوا في إغراء السلطان عبد الحميد عليه السلام، واستمرت جرائمهم منذ تأسيس دولتهم المزعومة، والمسماة إسرائيل، بدءاً بتهجير الشعب الفلسطيني والجرائم التي ارتكبوها في حقه، من قتل ومصادرة للأراضي، وهدم للبيوت، وإتلاف للمزروعات، وتهويد للقدس وطمس لمعالمها، وصولاً إلي محاولاتهم هدم المسجد الأقصى المبارك، مستغلين بذلك حالة الضعف والفرقة والتبعية، التي تعيشها الأمة العربية والإسلامية.

لذا فإن الحديث عن اليهود ومواقفهم، حديث مثير للجدل، لأنه يتناول شخصية في غاية التعقيد والتناقض، فبينما معجزات الله تنزل عليهم، يشاهدونها بأعينهم، وهي تلامس كياناتهم وأحاسيسهم، إلا أنهم قابلوها بالعناد والجدل، حتى إنهم تجرؤوا على الله فاتهموه بما لا يرضوه لأنفسهم!

وعلى ضوء ذلك فإن الباحث في رسالته سوف يستعرض آيات القرآن الكريم التي تتحدث عن اليهود والابتلاءات التي تعرضوا لها، ونعم الله الكثيرة عليهم، إضافة إلى صفاتهم، وجرائمهم، ويقوم بدراسة موضوعية، مع الربط بين هذه العناوين، وسنن الله في خلقه، وإسقاطها على الواقع الذي تحياه الأمة ليحقق الهدف من رسالته، مع اعترافه مسبقاً بتقصيره وضعف علمه أمام كتاب الله صلى الله عليه وسلم.

أولاً: أسباب اختيار الموضوع:

- 1- خدمة لكتاب الله صلى الله عليه وسلم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، والتبخر فيه لأن عجائبه لا تقضي ولا يخلق على كثرة الرد.
- 2- بيان الجرائم البشعة، والمجازر التي ارتكبتها ويرتكبها اليهود في حق الشعب الفلسطيني ومقدراته وأطفاله، وتخلي المسلمين عن نصرتهم.
- 3- حاجة الأمة الإسلامية لمنهج قرآني في هذا العصر، لمواجهة الهجمة الصهيونية الصليبية عليها، لا سيما بعد فشل المناهج الوضعية في تصديها للأعداء، مما تسبب في ضياع فلسطين وكثير من دول الإسلام، وصولاً إلى أفغانستان العراق.

٤- حالة الإحباط واليأس، وفقدان الثقة بالنفس، التي يحياها جزء لا بأس به من المسلمين، رسمياً وشعبياً، خصوصاً بعض من يدعون أنهم أصحاب فكر تقدمي، في ظل هيمنة ما يعرف بالعولمة.

ثانياً: أهمية الدراسة:

- ١- جاءت الدراسة إثراء للمكتبة الإسلامية، برسالة علمية محكمة، تبين كيف تعامل القرآن الكريم مع جرائم اليهود، وتضع منهجاً قرآنياً لاستئصالها من فلسطين.
- ٢- كشف اللثام عن الوجه الحقيقي، والصورة البشعة لليهود وجرائمهم، في ظل الخداع والتعتيم الإعلامي الذي يقلب الحقائق فيجعل الجلاذ هو الضحية، والضحية صاحب الحق مجرمًا إرهابياً، فيمنع من حقه في الدفاع عن نفسه، ويطارد في بلاد الإسلام، وربما يحكم بالإعدام.
- ٣- عقد مقارنة بين جرائم اليهود في الماضي والحاضر، وبيان أن ذلك منهجاً ثابتاً في حياتهم، وليس حالات عابرة لها تبريرها كما يدعون، أو دفاع عن النفس كما يزعمون.
- ٤- بيان أن اليهود هم اليهود، قديماً وحديثاً، تتغير صورهم وأشكالهم، ويبقى جوهرهم وإجرامهم، منهجهم في المكر والخداع والجريمة واحد، وإن تغيرت الأساليب والوسائل بتغير الزمان والمكان، فكلما عاهدوا عهداً نبذوه فريق منهم.
- ٥- بيان استحالة التعايش بين اليهود والمسلمين، في أي زمان ومكان، ما داموا على صفاتهم التي من أجلها ضربت عليهم الذلة وباؤوا بغضب من الله.
- ٦- بيان سر اهتمام القرآن باليهود، واشتغال أطول سورتين على معظم صفاتهم وجرائمهم.

ثالثاً: أهداف الدراسة:

- ١- التطبيق العملي للتفسير الموضوعي، وبيان حاجة الأمة له، لأنه التفسير العصري الذي يضع الحلول لمشاكل البشرية، إضافة إلى أنواع التفاسير الأخرى.
- ٢- استنباط منهج علمي محكم من القرآن الكريم، يبين للأمة كيفية التعامل مع جرائم اليهود، وكيفية استئصال إفسادهم من فلسطين.
- ٣- دعوة الأمة الإسلامية حكماً ومحكومين للالتزام بمنهج الإسلام، والعمل على تطبيقه، ففيه استعادة الحقوق، والخلص والنصر على الأعداء.

٤- بيان حقيقة اليهود، ونفوسهم الخبيثة، التي تتصف بأفبح الصفات، حتى تحذرهم الأمة الإسلامية.

٥- استنهاض طاقات الأمة وتحريضها على قتال اليهود، قتل الأنبياء والعلماء، والنساء والأطفال، والعمل مع المصلحين في العالم، لاجتثاثهم أو منع شرورهم وإفسادهم الذي هو جزء من شقاء البشرية اليوم.

رابعاً: الجهود السابقة:

إن العديد من العلماء والباحثين كتبوا عن اليهود، وأسهبوا في ذلك، لأنهم استشعروا خطرهم على العالم عامة، وعلى المسلمين بصفة خاصة، لذلك فإن المكتبة مملوءة بالدراسات والكتب التي تتحدث عنهم، أذكر منها على سبيل القصر لا الحصر.

١- عداة اليهود للحركة الإسلامية للأستاذ زياد محمود أبو غنيمه - عمان الأردن - دار الفرقان للنشر والتوزيع - ١٩٨٦م.

٢- موقف اليهود من الإسلام وفضل الجهاد في سبيل الله - للشيخ عبد العزيز بن باز. الرياض - السعودية - الندوة العالمية للشباب - ١٩٧٣م .

٣- يامسلمون اليهود قادمون - محمد عبد العزيز منصور القاهرة - مصر - دار الاعتصام.

٤- بنو اسرائيل في القرآن والسنة د. سيد طنطاوي - رسالة دكتوراة - د. سيد محمد طنطاوي، ط الثانية ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، دار الشروق ١٩٩٧.

٥- معركتنا مع اليهود - سيد قطب - ط ١٤ القاهرة - مصر - دار الشروق للنشر.

٦- اليهود أعداء الله وقتلة الأنبياء لجنة من شباب فلسطين - الرياض السعودية - الندوة العالمية للشباب الإسلامي.

٧- مكاييد اليهودية عبر التاريخ - عبد الرحمن بن حبنكة الميداني - دار القلم - دمشق بيروت - ط الرابعة ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

لكنني تناولت موضوع رسالتي بطريقة أخرى لم يسبق إليها أحد،

هي بيان منهج القرآن في التعامل مع جرائم اليهود - دراسة تطبيقية - بين الماضي والحاضر، إضافة إلى بيان منهج القرآن في استئصال إفساد اليهود من فلسطين.

خامساً : منهج الباحث:

- ١- اتبع الباحث منهج الاسترداد التاريخي، والمنهج الاستقرائي، والتحليلي، والوصفي، والنقدي أحياناً، إضافة إلى الإعجاز البياني الذي كان له الدور البارز في كشف العديد من خفايا اليهود.
 - ٢- جمع الآيات التي تتحدث عن اليهود بشكل عام، وتصنيفها حسب فصول ومباحث ومطالب الدراسة، مع وضع العناوين المناسبة، والمقدمة لكل فصل، وعناوين لكل من المباحث والمطالب، والعمل على دراستها، وبيان جرائم اليهود في القرآن، وأهمها جرائمهم (في حق الله وكتابه- في حق الأنبياء - في حق العلماء - في حق المسلمين - في حق البشرية - في حق أنفسهم).
 - ٣- الإطلاع على كتب التفسير المتنوعة لدى الباحث، للتعرف على الجريمة ودوافعها، وعقد مقارنة بين الجرائم التي ارتكبوها في الماضي والحاضر، والاستئناس بكتب الحديث والسيرة والتاريخ والموسوعات المتخصصة، من أجل الوصول للهدف.
 - ٤- الرجوع إلى كتب أسباب النزول وذكر الحادثة في الحاشية، ما دامت تخدم الموضوع.
 - ٥- التركيز على المناسبة بين الآيات التي تتحدث عن الجريمة وعقوبتها، والربط بينها ما أمكن.
 - ٦- الاستفادة من الفاصلة القرآنية، طالما أنها تثري البحث.
 - ٧- ذكر الفوائد واللطائف المستنبطة من الآيات، بعد الحديث عن كل مطلب، وربطها بواقع الأمة.
 - ٨- تفسير الكلمات الصعبة في الحاشية، وذكر اسم السورة ورقم الآية في المتن.
 - ٩- تخريج الأحاديث وعزوها لمطانيها.
 - ١٠- وضع التراجم للأعلام والبلدان المغمورة.
 - ١١- الرجوع إلى المصادر والمراجع وتوثيقها في الحاشية.
- وتحقيقاً للهدف الذي وضعه الباحث أمام عينيه، فقد اشتملت خطة الرسالة على مقدمة وخمسة فصول، وخاتمة.

الفصل التمهيدي مصطلحات أساسية

ويشتمل على:

أولاً: المنهج.

ثانياً: أهمية المنهج القرآني في حياة المسلمين.

ثالثاً: سمات المنهج القرآني.

رابعاً: الجريمة واشتقاقها في القرآن الكريم.

خامساً: بنو إسرائيل في القرآن.

سادساً: اليهود واشتقاقهم في القرآن الكريم.

سابعاً: الفرق بين بني إسرائيل واليهود.

الفصل الأول

اليهود بين الابتلاء والنعم

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: موقف اليهود من الابتلاء.

وفيه مدخل ومطلبان:

المدخل إلى الابتلاء.

المطلب الأول: الابتلاء بظلم آل فرعون.

المطلب الثاني: ابتلاء قدرتهم على الصبر والتحمل.

المبحث الثاني: موقف اليهود من نعم الله عليهم.

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: تفضيلهم على العالمين بالنبوة والإمامة.

المطلب الثاني: الأمن النفسي والغذائي.

المطلب الثالث: بعثهم بعد الصعق في الدنيا.

المطلب الرابع: رحمة الله وعفوه.

المطلب الخامس: هلاك فرعون ونجاة بني إسرائيل.

المطلب السادس: وعد الله بدخول الأرض المقدسة.

الفصل الثاني

صفات اليهود في القرآن الكريم

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: صفات الكافرين منهم.

وفيه تسعة مطالب:

المطلب الأول: حب الدنيا والخوف من الموت.

المطلب الثاني: الخداع والتحايل.

المطلب الثالث: الكذب وأكل الحرام.

المطلب الرابع: قسوة القلب.

المطلب الخامس: الخيانة والغدر ونقض العهد.

المطلب السادس: الجدل والكفر والتمرد على الأمر.

المطلب السابع: إشعال الحروب والإفساد في الأرض.

المطلب الثامن: الغلو في الدين وعداوة المؤمنين.

وفيه فرعان:

الفرع الأول: الغلو في الدين.

الفرع الثاني: عداوة المؤمنين.

المطلب التاسع: حب الذات وتبرير الجرائم.

وفيه فرعان:

الفرع الأول: حب الذات.

الفرع الثاني: تبرير الجرائم.

المبحث الثاني: صفات مؤمني اليهود قبل البعثة النبوية.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: عبادة الله.

المطلب الثاني: الأمانة في المعاملة.

المطلب الثالث: الصبر والعدل.

وفيه فرعان:

الفرع الأول: الصبر.

الفرع الثاني: العدل.

الفصل الثالث

جرائم اليهود كما يصورها القرآن الكريم

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: جرائم اليهود في حق الله وكتابه.

وفيه مدخل وثلاث مطالب:

المدخل، وفيه:

أولاً: العقاب لغةً.

ثانياً: العقاب اصطلاحاً.

المطلب الأول: عبادة العجل من دون الله.

المطلب الثاني: الكذب على الله وتحريف كتابه.

المطلب الثالث: جرأة اليهود على الله.

وفيه أربعة أفرع:

الفرع الأول: اتهام الله بالفقر.

الفرع الثاني: اتهام الله بالبخل.

الفرع الثالث: طلبهم رؤية الله كشرط للإيمان.

المطلب الرابع: التحايل على استحلال المحرمات.

المبحث الثاني: جرائم اليهود في حق الأنبياء

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: إيذاء الأنبياء.

وفيه فرعان:

الفرع الأول: إيذاء الرسول محمد.

الفرع الثاني: إيذاء موسى.

المطلب الثاني: تكذيب الأنبياء وقتلهم.

المبحث الثالث: جرائم اليهود في حق المؤمنين.

وفيه ثلاث مطالب:

المطلب الأول: حسد المؤمنين وكراهية الخير لهم.

المطلب الثاني: تشكيك المؤمنين في دينهم.
المطلب الثالث: العمل على ردة المؤمنين وإخراجهم من الدين.

المبحث الرابع: جرائم اليهود في حق البشرية.
وفيه مطلبان:

المطلب الأول: استغلال حاجة الناس وأكل أموالهم بالباطل.
المطلب الثاني: الإفساد في الأرض وإيقاد الحرب.

المبحث الخامس: جرائم اليهود في حق أنفسهم.
وفيه مطلبان:

المطلب الأول: قتل العامة وإخراجهم من الديار.
المطلب الثاني: قتل العلماء العاملين.

الفصل الرابع

منهج القرآن في استئصال جرائم اليهود من فلسطين

وفيه ثلاث مباحث:

المبحث الأول: سنن الله في العقاب.

وفيه مدخل وثلاثة مطالب:

المدخل وفيه:

أولاً: السنة لغة.

ثانياً: السنة اصطلاحاً.

ثالثاً: أقسام سنن العقاب.

رابعاً: سمات سنن العقاب.

المطلب الأول: سنة التسليط.

المطلب الثاني: سنة التغيير والاستبدال.

المطلب الثالث: سنة الإهلاك.

المطلب الرابع: سنة الاستئصال والدمار.

المبحث الثاني: اليهود وفلسطين.

المطلب الأول: علاقة اليهود بفلسطين وعودتهم إليها.

وفيه فرعان:

الفرع الأول: علاقة اليهود بفلسطين.

الفرع الثاني: عودة اليهود إلى فلسطين.

المبحث الثالث: نهاية اليهود في فلسطين.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: بيان إفساد اليهود في سورة بني إسرائيل.

وفيه فرعان:

الفرع الأول: الإفساد الأولي.

الفرع الثاني: المعركة الفاصلة في الإفساد الثانية.

المطلب الثاني: جرائم اليهود في فلسطين.

المطلب الثالث: تطبيق سنن العقاب على اليهود.

المطلب الرابع: منهج القرآن في استئصال جرائم اليهود من فلسطين.

الفصل التمهيدي

مصطلحات أساسية

أولاً: المنهج.

ثانياً: أهمية المنهج القرآني في حياة المسلمين.

ثالثاً: سمات المنهج القرآني.

رابعاً: الجريمة واشتقاقها في القرآن الكريم.

خامساً: بنو إسرائيل في القرآن الكريم.

سادساً: اليهود واشتقاقهم في القرآن الكريم.

سابعاً: الفرق بين بني إسرائيل واليهود.

الفصل التمهيدي مصطلحات أساسية

ويشتمل على:

أولاً: المنهج:

وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: المنهج لغة.

قبل الحديث عن معنى المنهج لغة، السؤال الذي يطرح نفسه أمام الباحث، هل هناك منهج واضح المعالم في القرآن الكريم للتعامل مع جرائم اليهود؟ يرى الباحث في قوله تبارك وتعالى: ﴿ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شُرْعَةً وَمِثَاجًا ﴾ (المائدة/٤٨) وقوله تعالى: (شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ (الشورى/١٧) دلالات وإشارات واضحة المعالم للإجابة عن السؤال.

قال الراغب رحمه الله: " نهج: النهج الطريق الواضح، ونهج الأمر وأنهج: وضح، ومنهج الطريق ومنهجه، ومنه قولهم: نهج الثوب وأنهج: بان فيه من أثر البلى" (١)، وأنهج الطريق: وضح واستبان وصار نهجاً واضحاً بيناً (٢). "نهج الطريق ينهجه نهجاً: سلكه، طريق ناهجة: أي واضحة، والمنهج والمنهج والمنهج: الطريق الواضحة" (٣).

نهج نهجاً: الأمر أبانه وأوضحه (٤)، النهج: الوجه الواضح الذي جرى عليه الاستعمال (٥)، والطريق المستقيم (٦)، وأنهج الطريق: وضح واستبان وصار نهجاً واضحاً بيناً (٧).

(١) المفردات للراغب الأصفهاني (ص ٥٠٩) تحقيق وضبط محمد سيد كيلاني، دار المعرفة - لبنان - بيروت.

(٢) لسان العرب مج (٢٢٧/٦) لابن منظور - دار الجبل - بيروت - أعاد بناءه على الحرف الأول من الكلمة يوسف خياط، قدم له العلامة الشيخ عبد الله العلي - حقوق الطبع محفوظة ١٤٠٨هـ - ١٩٩٨م.

(٣) الوافي معجم وسيط للغة العربية الشيخ عبد الله البستاني (ص ٦٥٥)، مكتبة لبنان.

(٤) المرام في المعاني والكلام د. مؤنس رشاد الدين (ص ٨٦٤)، ط الأولى - بيروت ٢٠٠٠م - ١٤٢٠هـ.

(٥) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية (ص ٩١٣)، لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني

الكفوي، ط الأولى ١٠٩٤هـ - ١٦٨٣م، ط الثانية، ١٤٠٣هـ - ١٩٩٣م، مؤسسة الرسالة بيروت.

(٦) لسان العرب لابن منظور، مج (٧٢٧/٦).

(٧) لسان العرب مج (٢٢٧/٦) لابن منظور مرجع سابق.

يقول ابن فارس^(١): "نهج: النون والهاء والجيم أصلان متباينان: الأول: النهج، الطريق، والمنهَجُ الطريق أيضاً، والجميع المناهج، والآخِر: الإنقطاع، وأتانا فلان ينهج: إذا أتى مبهوراً، منقطع النفس، وضربت فلاناً حتى أنهج: أي سقط"^(٢) "ونهج الطريق، ينهجه نهجاً: سلكه"^(٣)، والنهج: الطريق الواضح كالمنهج والمنهاج^(٤).

وعلى ضوء ما سبق يتضح للباحث من خلال تعريفات أهل اللغة أن:

- * المنهج والمنهاج والنهج بمعنى واحد.
- * المنهج لفظ مشتق من النهج، تدور معانيه اللغوية حول ثلاثة معاني: الوضوح، والبيان، والاستقامة في الطريق، والإنقطاع.

المسألة الثانية: المنهج اصطلاحاً.

اتفق العلماء في المعنى العام للمنهج، واختلفوا في التعبير بذلك. قال الإمام الطبري رحمه الله: أما المنهاج فإن أصله الطريق البين الواضح^(٥). قال ابن كثير رحمه الله: الطريق الواضح السهل^(٦). قال القرطبي رحمه الله: المنهاج: الطريق المستمر وهو النهج والمنهج^(٧). أما الألويسي رحمه الله فقال: المنهاج الطريق المستقيم^(٨). قال د. وهبة الزحيلي: منهاجاً: طريقاً واضحاً مستمراً يسير عليه الناس في الدين^(٩). أما هيئة مجمع اللغة فقالوا: "الطريق الواضح البين، والمنهاج في الدين: الطريق البين لا لبس فيه، ولا إبهام ويستمر عليه الناس ويسيروا"^(١٠).

-
- (١) ابن فارس (٣٢٩-٣٩٥) (٩٤١-١٠٠٤) هو أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد القزويني، أصله من قزوين كان رأساً في الأدب واللغة بصيراً بفقهاء مالك، مناظراً متكلماً، وهو من مدرسة نحاة الكوفيين. سير أعلام النبلاء (ج١٧/١٠٣) الذهبي..
- (٢) معجم المقاييس في اللغة (ص١٠٠٠)، حققه شهاب الدين أبو عمرو - ط لوانان - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - ط الثانية ١٤١٨ هـ ت ١٩٩٨ م.
- (٣) الوافي (٦٥٥) مرجع سابق.
- (٤) المرجع السابق (ص٢٦٦).
- (٥) جامع البيان في تأويل آي القرآن، مج (٤/٦،٩)، دار الكتاب العلمية - بيروت - لبنان - ط الثالثة، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- (٦) تفسير القرآن العظيم، مج (٢٦/٢)، دار المعرفة-بيروت - ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م.
- (٧) الجامع لأحكام القرآن، مج (٣/٥٦١)، راجعه وعلق عليه د. محمد إبراهيم الحفناوي، وخرج أحاديثه د. محمد حامد عثمان، دار الحديث القاهرة - ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
- (٨) روح المعاني، مج (٣/١٥٣)، دار الفكر دار، جميع الحقوق محفوظة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.
- (٩) التفسير المنير، مج (٥-٦/٢١٤)، ط - الأولى ١٤٨١هـ - ١٩٩٨م - دار الفكر المعاصر بيروت.
- (١٠) معجم ألفاظ القرآن الكريم مج (٢/٥٧٣) مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب - مجمع اللغة العربية، وانظر المفردات (ص٥٠٦).

وبعد استعراض أقوال العديد من العلماء يتضح للباحث أن المنهج: هو الطريق المستقيم
الواضح المعالم، القائم على قواعد علمية صحيحة، الموصل للحقيقة.

والمقصود بالمنهج في التعامل مع جرائم اليهود هو: الخطوات العملية، والأساليب
المتنوعة التي اتبعتها القرآن الكريم في معاملته مع اليهود خلال فترة ارتكاب جرائمهم.

ثانياً: أهمية المنهج القرآني في حياة المسلمين.

تختلف أهمية المناهج في حياة الأمم، باختلاف العلوم والمواضيع التي تتناولها، ولكن
المنهج القرآني يتميز عن المناهج الأخرى بالنقاط التالية:

1. المنهج له الدور الأكبر في صناعة مستقبل الأمة المسلمة، إذ لولاه لما تقدمت على جميع
الأصعدة.

2. المنهج يعمل على توحيد الأمة الإسلامية، وتماسكها في وجه أعدائها، لذا فإننا نجد أن مناهج
المسلمين مستهدفة من قبل أعدائهم، فيعملون على إلغائها أو تعديلها، متذرعين بتطويرها
لمواكبة العصر الحديث.

3. المنهج يقود الأمة إلى أقرب طريق في تحقيق أهدافها.

4. المنهج يعمل على تنظيم حياة الأمة، ويجنبها العفوية في اتخاذ القرارات.

5. المنهج يضع الضوابط السليمة لكل الاجتهادات العقلية، في شتى المجالات، ويحفظ الأمة
المسلمة من الانزلاق الفكري، الذي يؤدي إلى الانحراف والضياح.

ثالثاً: سمات المنهج القرآني:

1. منهج متكامل مرّن، صالح لكل زمان ومكان.

2. منهج رباني المنبع، ليس لأحد فيه دور إلا التطبيق فقط.

3. منهج متدرج الخطوات، هدفه إصلاح النفوس، واستقامتها، وليس الإنتقام وتعذيبها.

4. منهج عادل، لا يظلم أحداً، ولا يحاييه.

5. منهج متنوع الأساليب والوسائل، وذلك حسب نوع الجريمة، والجرم الذي تم ارتكابه.

رابعاً: الجريمة واشتقاقها في القرآن الكريم:

وفيه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: الجريمة لغة.

جَرَمَ، يُجْرِمُ جريمة: ارتكب ذنباً^(١)، والجُرْمُ والجريمة: الذنب، نقول: منه جَرَمَ و جَرَمَ
واجْتَرَمَ أيضاً كسب قال تعالى: ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ ﴾ (المائدة/٢) " أي لا يحملنكم

(١) الرائد، جبران مسعود مج (١/٥١٠) ط الثانية ١٩٧٨ بيروت _ لبنان.

"ويقال: لا يكسبنكم، وتجرم عليه: أي ادعى عليه الجرم وإن لم يجرم^(١)، أجرم على قومه، وإليهم وعلى نفسه أيضاً، جني جناية^(٢).

والجرم: القطع جرمه، يجرمه، جرمًا: قطعه، وشجرة جرمه: مقطوعة، وجرم النخل والتمر يجرمه جرمًا وجرامًا، واجترمه: صرّمه^(٣).

والجرم: التعدي، والجرم الذنب، والجمع أجرام وجروم، وهو الجريمة، وهو جرم، يجرم جرمًا، واجترم، وأجرم فهو مجرم وجريم، عن عامر بن سعد عن أبيه قال: (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِنَّ أَعْظَمَ الْمُسْلِمِينَ جُرْمًا مَنْ سَأَلَ عَنْ شَيْءٍ لَمْ يُحَرِّمْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ فَحُرِّمَ عَلَيْهِمْ مِنْ أَجْلِ مَسْأَلَتِهِ)^(٤).

ويتضح للباحث مما سبق أن اشتقاقات الجريمة في اللغة لها عدة معاني:

المعنى الأول: الكسب وارتكاب الجريمة في حق الآخرين سواء بالقول أو الفعل.

الثاني: قطع الشيء وعزله عن غيره، قال الراغب رحمه الله: وأصل الجرم قطع الثمرة عن الشجرة^(٥).

الثالث: الشيء الكبير والعظيم الحجم، قال ابن منظور: وجرم: إذا عظم جرمه، أي أذنب^(٦).

المسألة الثانية: العلاقة بين الجريمة ومعانيها.

المعنى الأول: الكسب وارتكاب الذنب، والتعبير بلفظ الكسب من باب السخرية والاستهزاء بالمجرم الذي استهان بحقوق الآخرين، فاعتدى عليهم وأذاهم وخسر علاقته وحمل من سيئاتهم كما ورد في الحديث عن أبي هريرة قال: (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : أَتَدْرُونَ مَنْ الْمُفْلِسُ؟ قَالُوا الْمُفْلِسُ فَيُنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ لَهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : الْمُفْلِسُ مَنْ أَمَّتِي مَنْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاتِهِ وَصِيَامِهِ وَزَكَاتِهِ وَقَدْ شَتَمَ هَذَا وَأَكَلَ مَالَ هَذَا وَسَفَكَ دَمَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا فَيَقْعُدُ فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ فَإِنْ فَنَيْتَ حَسَنَاتَهُ قَبْلَ أَنْ يُعْطِيَ مَا عَلَيْهِ أَخَذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ)^(٧)، قال الراغب كسب لنفسه النار^(٨).

(١) لسان العرب، مج (٤٤٥/١) مرجع سابق.

(٢) المرام في المعاني والكلام، (ص ٩٨) د. مؤنس رشاد الدين، ط الأولى بيروت.

(٣) لسان العرب مج (٤٤٥/١) مرجع سابق.

(٤) لسان العرب مج (٤٤٥/١)، وانظر الجمع بين الصحيحين (ج ١/٩٩) البخاري ومسلم، تأليف محمد بن الفتوح الحميدي، دار النشر - دار بن حزم - لبنان - بيروت - ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م - ط الثانية - تحقيق د. علي حسين البواب.

(٥) المفردات، (٩٢).

(٦) لسان العرب مج (٤٥٥/١) مرجع سابق.

(٧) صحيح ابن حبان مج (١٠/ص ٢٥٩).

(٨) المفردات، (ص ٩٢).

المعنى الثاني: القطع والعزل، لأن المعتدي على حقوق الآخرين قطع روابط المحبة بينه وبين الذين اعتدى عليهم، قال الشعراوي رحمه الله: "قطع نفسه بالجريمة عن مجتمعه الذي يعيش فيه، فهو يعزل نفسه لا لمصلحة أحد إلا لمصلحته، فبسبب جريمته كأنه قام بعملية انعزال اجتماعي، لذلك فالإجرام هو عملية الإقدام على القبائح إقداماً يجعل الإنسان عازلاً نفسه عن خير مجتمعه لأنه يريد كل شيء لنفسه"^(١).

المعنى الثالث: كبير الحجم، ويأتي بمعنى الضرر الكبير الذي تتركه آثار الجريمة على الفرد والمجتمع، مهما كانت صغيرة أو كبيرة.

المسألة الثالثة: الجريمة اصطلاحاً.

ورد العديد من التعريفات للجريمة وهي على النحو التالي:
يقول الماوردي رحمه الله^(٢): إنها محظورات شرعية، زجر الله عنها بحد أو تعزير، ولها عند التهمة حال استبراء تقاضيه السياسة الدينية، ولها عند ثبوتها وصحتها حال استيفاء توجيه الأحكام الشرعية، وهي في مفهوم الناس سلوك شاذ يحظره قانون الدولة، ويرتب له جزاء^(٣).

قال د. وهبة الزحيلي: "الجريمة ظاهرة اجتماعية قديمة مستمرة ومتطورة، ولها تأثيرات ضارة ومؤذية، وعند العامة: هي سلوك شاذ يحظره قانون الدولة ويرتب له جزاء، أو هي الخروج على أوامر قانون العقوبات ونواهيه"^(٤).

قال الشهيد عبد القادر عودة رحمه الله: "هي إتيان فعل محرم، معاقب على فعله، أو ترك فعل محرم الترك، معاقب على تركه، أو هي فعل أو ترك نصت الشريعة على تحريمه والعقاب عليه"^(٥).

(١) تفسير الشعراوي مج (٧/٣٩١٥)، أخبار اليوم بدون طبعة.

(٢) الماوردي: أفضى قضاة عصره من العلماء الباحثين أصحاب التصانيف الكثيرة، ولد في البصرة وانتقل إلى بغداد وولي القضاء في بلدان كثيرة وكانت له مكانة رفيعة عند الخلفاء، له العديد من المؤلفات أشهرها: النكت والعيون في التفسير، والأحكام السلطانية. الأعلام للزركلي مج(٤/٣٢٧) بتصرف.

(٣) الأحكام السلطانية (ص ٢٣٩) للماوردي (ت ٤٥٠) تحقيق سمير مصطفى رباب - المكتبة العصرية - صيدا - بيروت ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، وانظر الجريمة والعقوبة في الفقه الإسلامي، (ص ٧) لأبي زهرة، دار الفكر، دار النهضة العربية ٢٠٠٦ - ٢٠٠٧م.

(٤) الفقه الإسلامي وأدلته، مج (٧/٥٢٨٨) بتصرف، دار الفكر - دمشق - سوريا - ط الرابعة - ١٤١١هـ - ١٩٩٧م.

(٥) التشريع الجنائي مج (١/٦٧) بتصرف، دار الكتاب العربي - بيروت - ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، جميع الحقوق محفوظة.

٢. الجريمة في القانون، يقول الأستاذ الدكتور حسن علي الشاذلي: "هي الواقعة التي ورد بتجريمها نص جنائي، إذا أحدثها في غير حالات الإباحة المقررة قانوناً، شخص مسئول جنائياً" (١).

المعنى الخاص: فعل مضر، وهو مقصود يرتكب على نية الإضرار (٢).
وبعد استعراض أقوال العديد من العلماء يرى الباحث أن الجريمة هي: كل قول أو فعل، يقصد به الاعتداء عمداً على الحقوق، دون وجه حق، وترتب عليه عقوبة في الشرع من حد أو تعزير.

شرح التعريف:

١. كل قول أو فعل: قيد خرج منه الهم والخطر والتفكير، فلا يعتبران جريمة لعدم إيقاع الضرر والاعتداء على الآخرين.
٢. يقصد به الاعتداء عمداً: لأن الأقوال والأفعال التي تكون دون قصد أو عمد لا تنطبق عليها الجريمة، بل هي من المعفي عنه، قال تعالى: ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ (البقرة/٢٨٦)، (ولقوله ﷺ: (إِنْ اللّٰهَ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَا وَالنَّسْيَانَ وَمَا اسْتَكْرَهُوا عَلَيْهِ) (٣).
٣. دون وجه حق: لان الاعتداء أحياناً يكون بحق كالواجب، في حال الدفاع عن الحقوق لاستردادها، قال تعالى: ﴿ فَمَنْ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾ (البقرة/١٩٤)، وقال تعالى: ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللّٰهِ الَّذِينَ يُفَاتِنُوكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللّٰهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ (البقرة/١٩٠).

المسألة الرابعة: اشتقاق الجريمة في القرآن:

لم يرد في القرآن الكريم مصطلح الجريمة بصورة مباشرة، وإنما ورد في العديد من الآيات، بعدة صيغ واشتقاقات جاءت على النحو التالي:

(١) الجريمة حقيقتها – أسسها، (ص ١٤) الأستاذ الدكتور حسن علي الشاذلي أستاذ الفقه بجامعة الأزهر، وجامعة الكويت، وعضو هيئة الإفتاء، والموسوعة الفقهية بوزارة الأوقاف بالكويت حالياً، دار الكتاب الجامعي بدون طبعة.

(٢) الجريمة حقيقتها – أسسها، (ص ٦١٥).

(٣) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان مج (١٦/٢٠٢/رقم ٢٧١٩) صحيح على شرط البخاري.

أولاً: التعبير القرآني للفعل الماضي (جَرَمَ - أَجْرَمُوا - أَجْرَمْنَا).

قال تعالى: ﴿ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ ﴾ (هود/٢٢)، وقال تعالى: ﴿ لَا جَرَمَ أَنْ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُّفْرَطُونَ ﴾ (النحل/٦٢)، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ﴾ (المطففين/٢٩) وقال تعالى: ﴿ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴾ (الأنعام/١٢٤).

١. الملاحظ على استخدام الفعل الماضي:

- أ. ورد اللفظ في معرض الحديث عن جرائم الكافرين التي ارتكبوها في حق المؤمنين من سخرية واستهزاء ومكر، وهذا يدل على أنهم وقعوا في فعلتهم المنكرة، " ولا يستخدم فعل جرم إلا في اكتساب المكروه" (١) .
- ب. هذه الجرائم التي ارتكبوها، ترتب عليها جزاء، تمثل في التنديد والتوبيخ والتهديد بالعذاب الشديد والخسران الأكيد.
- ت. استخدام الفعل الماضي يدل على حدوث الإجراء وثبوته.

٢. جدول يبين استخدام الفعل الماضي

المصطلح	السورة	مكان نزولها	الآية	
(جَرَمَ)	هود	مكة	٣٥،٢٢	
	النحل		١٠٩،٦٢	
	غافر		٤٣	
أَجْرَمْنَا	سبأ			٢٥
أَجْرَمُوا	الأنعام			١٢٤
	الروم			٤٧
	المطففين			٢٩

٣. ملاحظات على جدول الفعل الماضي:

- أ. الفعل الماضي ورد بصيغتين: جَرَمَ وأَجْرَمَ في سبع سور تسع مرات.
- ب. السور التي ورد فيها الفعل الماضي كلها مكة، وهذا يتناسب مع العهد المكي حيث مرحلة الاستضعاف التي عاشها المسلمون في مكة، يقابلها قوة الكافرين، وذلك لثلاثة أسباب:

(١) معجم ألفاظ القرآن الكريم (ص ١٨٨) مرجع سابق، بدون طبعة.

* الهجوم والإجرام الممنهج الذي قام به المشركون في مكة ضد المسلمين بسبب ضعفهم.

* أمر الله للمسلمين بالصبر وتحمل الأذى مهما كلف الثمن، وذلك لمصلحة الدعوة.

* لم يؤذن للمسلمين بالقتال والدفاع عن النفس، قال الله لهم ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾ (النساء/ ٧٧) وهذا أغرى المشركين بارتكاب المزيد من الجرائم.

ج. ورود الفعل الماضي بعدة صيغ يدل على تكرار الجرائم، التي تعرض لها المؤمنون في مكة، وتكرار المصطلح الواحد أكثر من مرة يدل على تكرار الجريمة الواحدة، سواء في حق النبي ﷺ أو في حق الصحابة رضي الله عنهم بشكل عام.

د. كثرة المصطلحات وتنوعها في القرآن المكي، يدل على زيادة عدد الجرائم وتنوعها، وعدد مرتكبيها لأن الكافرين، ينشرونها ويحمونها ويدافعون عنها وعن مرتكبيها.

ثانياً: التعبير القرآني للفعل المضارع (يَجْرِمَنَّكُمْ).

قال تعالى: ﴿ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ أَنْ صَدَّوْكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (١)
(المائدة/ ٢)، وقال تعالى: ﴿ وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمٌ لَوْطٍ مِنْكُمْ بَعِيدٍ ﴾ (هود/ ٨٩).

١. الملاحظ على استخدام الفعل المضارع

أ. جاء في معرض نهي المؤمنين وتحذيرهم من الوقوع في الظلم ولو في حق الكافرين.
ب. الغرض من النهي في الآيات تحذير المؤمنين من ردود الأفعال الناتجة عن ظلم الكافرين لهم سابقاً، حتى لا يدفعهم ذلك للانتقام فيقعوا في ظلم الكافرين.

(١) عن زيد ابن أسلم قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحديبية وأصحابه حين صدهم المشركون عن البيت، وقد اشتد ذلك عليهم، فمر بهم أناس من المشركين يريدون العمرة، فقال أصحاب النبي، نصد هؤلاء كما صدنا أصحابهم فأنزل الله هذه الآيات. أسباب النزول للواحد (١٠٢) دار الفكر - ط الأولى - ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

ج. بيان أن المؤمنين لو وقعوا في ظلم الكافرين، فإنهم يرتكبون مخالفة شرعية يستحقون عليها العقاب الشديد حتى لو كانوا صحابة، قال الطبري: "ولا يحملنكم بغض قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أيها المؤمنون أن تعتدوا حكم الله فيهم، فتجاوزوه إلى ما نهاكم عنه، ولكن الزموا طاعة الله فيما أحببتم وكرهتم" ^(١)، وأضاف قائلاً: "هذا وعيد من الله جل ثناؤه، وتهديد لمن اعتدى حكمه وتجاوز أمره" ^(٢)، وقال صاحب الظلال: "لقد نهى الله الذين آمنوا من قبل أن يحملهم الشنآن لمن صدوهم عن المسجد الحرام على الاعتداء وكانت هذه قمة في ضبط النفس والسماحة، يرفعهم الله إليها بمنهجه التربوي الرباني القويم، فها هم أولاء يnehون أن يحملهم الشنآن على أن يميلوا عن العدل" ^(٣).

٢ . الفاصلة، أهميتها، جمالها، أهدافها.

أ. الفاصلة: ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (المائدة/٢).

ب. أهميتها: جاءت أهميتها كأسلوب تربوي للصحابة رضوان الله عليهم، في لحظة رداد الفعل التي حدثت منهم لأنهم اتخذوا قراراً يوقعهم في الظلم، فجاءت تحذيراً لهم وتهديداً، من مغبة الإقدام عليه، وهذا ما أشار إليه الإمام الطبري رحمه الله.

ج. جمالها: جاء الجمال في الفاصلة متناسباً ومتناسقاً مع السياق القرآني، والمعنى الإجمالي للآية، في النقاط التالية:

* فعل الأمر – وَاتَّقُوا اللَّهَ – الذي يدل على معنى عميق له تأثيره في القلوب، "فيعمل على تصفية النفوس وتطهيرها وإعادها عن كل ما نهى الله عنه" ^(٤) ولا يحتمل إلا معنى واحد واضح هو التنفيذ المباشر دون تردد، ولا يملكون إلا أن يقولوا ﴿ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ (البقرة/ ٢٨٥).

* حرف التوكيد إن الذي يؤكد ما بعده.

* تكرار لفظ الجلالة مرتين فيها يلقي الرهبة والمهابة والرقابة في القلوب، فيجعلها تخشع وتتقاد لأمر الله، قال سيد طنطاوي: إشعار المؤمنين برقابة الله التامة عليهم، وإطلاعهم على أحوالهم المختلفة، وأعمالهم المتنوعة، سواء كانت خفية أو علانية ^(٥).

(١) جامع البيان في تأويل آي القرآن، مج (٤/٤٠٥) دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط الثالثة ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

(٢) المرجع السابق مج (٤/٤٠٦).

(٣) الظلال مج (٢/٨٥٢) دار الشروق ط – الشرعية – الثالثة والثلاثون ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م.

(٤) التفسير الوسيط مج (٤ ص ٤٠) حقوق الطبع محفوظة للمؤلف.

(٥) التفسير الوسيط (ص ٩٣) بتصرف.

* مجيء الجملة الاسمية - شديد العقاب - خبر إن، التي تدل على الثبوت وعدم التغيّر، واحتوائها على صفتي الشديد والعقاب، لبيان أن العقاب وشدته سنة إلهية ثابتة في حق كل من اعتدى على الغير، لا تبديل فيها، وكل ذلك كفيل على منع الصحابة من تنفيذ ما عزموا عليه.

د. أهدافها: جاءت الفاصلة في النص لتحقيق الأهداف التالية:

* نثي الصحابة ﷺ عن تنفيذ ما همّوا به من منع الكافرين دخول المسجد الحرام، لأن في ذلك ظلم لهم، واعتداء عليهم.

* إحداث التوازن النفسي مع الحالة التي يعيشها الصحابة ﷺ، بسبب الغضب والكره الشديد للكافرين، نتيجة الظلم الذي تعرضوا له منهم، كي تهدأ نفوسهم وتعود إلى سمتها الرباني، الذي أوشكوا على الخروج منه، ليكونوا دعاة وليسوا أسرى لردود الأفعال، قال سيد قطب رحمه الله: "إنها قمة في ضبط النفس، وفي سماحة القلب يرفعهم الله إليها بمنهجه التربوي القويم، ولكنها هي القمة التي لا بد أن ترقى إليها الأمة المكلفة من ربها أن تقوم على البشرية لتهدئها وترتفع بها إلى هذا الأفق الكريم الوضيء، فها هم أولاء ينهون أن يحملهم الشنآن على أن يميلوا عن العدل^(١).

* إشعار المؤمنين برقابته الله التامة، وإطلاعه على أحوالهم المختلفة، وأعمالهم المتنوعة، سواء كانت خفية أو علانية^(٢).

٣. جدول يبين استخدام الفعل المضارع

المصطلح	السورة	مكان نزولها	رقم الآية
تُجْرِمُونَ	هود	مكية	٣٥
يَجْرِمَنَّكُمْ	هود	مكية	٨٩
يَجْرِمَنَّكُمْ	المائدة	مدينة	٨٢

٤. الملاحظات على جدول الفعل المضارع

أ - ورد الفعل المضارع ثلاث مرات بصيغتين:

- - تُجْرِمُونَ - (هود / ٣٥) ورددت في حق الكافرين الذين مارسوا الإجرام.

(١) الظلال مج (٨٥٢/٢) مرجع سابق.

(٢) التفسير الوسيط مج (٩٣/٤) بتصرف.

- - **يَجْرِمَنَّكُمْ** - (المائدة / ٨) تكررت مرتين، مرة في حق المؤمنين، بصيغة النهي عن الفعل والتحذير من الوقوع فيه، ومرة في خطاب الكافرين بصيغة النهي عن الفعل والتحذير من الوقوع فيه، وفي ذلك حكمتان:

الحكمة الأولى: تحقيق العدل الإلهي المطلق في النهي عن فعل الجريمة في حق المؤمنين وغيرهم.

الحكمة الثانية: بيان أن المؤمنين وغيرهم أمام الجريمة سواء، ولا مجاملة لأحد أمام شرع الله.
ب- قلة عدد السور التي ورد فيها المصطلح مقارنة مع الفعل الماضي وهذا له العديد من الدلالات:

- قلة عدد الجرائم لأن المخاطب في سورة هود هم المؤمنون، لأن المؤمن لديه الوازع الديني الذي يمنعه من الوقوع في الجريمة.
- الآية التي خاطبت المؤمنين بالنهي مدنية، وهي الوحيدة في القرآن التي احتوت على أحد اشتقاقات الجريمة - الفعل المضارع - وهذا يعني قلة عدد الجرائم وعدد مرتكبيها في الدولة الإسلامية، لأن من أهدافها محاربة الجريمة والمجرمين، وبالتالي قلة عدد الجرائم وعدد مرتكبيها، إضافة إلى وجود الوازع الديني لدى المؤمنين مما يحول دون وقوع الجريمة.

ت- ورد مصطلح الجريمة في القرآن المدني رغم وجود قوة إسلامية رادعة للجريمة والمجرمين يدلل على طبيعة الضعف البشري، لذا فلو حدثت بعض الجرائم في الدولة الإسلامية فهذا أمر طبيعي، لا يقدح فيها ولا في مصداقيتها ومنهجها الإسلامي القويم.

ث- الملاحظ أن مادة جرم لم ترد بصيغة الأمر ولا المبالغة ولا المدح ولا التناء، وفي ذلك حكمة ربانية، وإعجاز بياني، لأن الله لا يأمر بالظلم والإجرام ولا يمدحه، لأنه سبحانه حرمه على نفسه، وجعله بين عباده محرماً^(١).

ثالثاً: التعبير القرآني للاسم بعدة صيغ:

قال تعالى: ﴿ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴾ (الأنفال/ ٨) ﴿ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (الأنعام/ ٥٥) ﴿ وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُهَا وَلَمْ

(١) عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ فيما يروي عن الله تبارك وتعالى أنه قال: (يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا) جزء من حديث قدسي، الإحسان في تقريب صحيح بن حبان مج (٢/ص ٣٨٥، رقم ٦١٩) إسناده صحيح على شرط مسلم.

يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿ (الكهف/٥٣)، ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿ (الأنعام/١٢٣)، ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَأَنْظَرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿ (الأعراف/٨٤).

١. الملاحظات على استخدام الاسم:

أ. تحدثت الآيات عن الكافرين الذين مارسوا الإجرام أكثر من مرة، من أجل ذلك وصفوا بهذه الصفة القبيحة التي أصبحت ملاصقة لهم، وفضحهم الله بقوله: ﴿ وَلَيْسَتَيْنِ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ ﴿ (الأنعام/٥٥)، ليحذر المؤمنون شرهم وإجرامهم ولا يسلكوا طريقهم، فيعاقبوا مثلهم.

ب. أكدت الآيات استحقاق المجرمين لعذاب الله الأليم، بسبب إجرامهم ليعتبر من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، ﴿ فَأَنْظَرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿ (الأعراف/٨٤) وهذه سنة الله في خلقه أن يعاقب أحياناً في الدنيا قبل الآخرة .

ج. بيان طبيعة المجرمين الخبيثة المنطوية على الفساد والإجرام، من خلال السعي في الأرض فساداً وإجراماً، لذلك لا بد من العمل على تخليص البلاد والعباد منهم، حتى لا يحملوا الناس على الجريمة، ويصبحوا طوعاً وأدوات بأيديهم، قال ابن عجيبة^(١): لأنهم أكابر تصعب مخالفتهم فيحملونهم على الكفر والعصيان ويخذلونهم عن الإسلام والإيمان^(٢)، وأكد صاحب الظلال على ضرورة تخليص الناس منهم قائلاً: "ذلك أن دين الله يبدأ من نقطة تجريد هؤلاء الأكابر من السلطان الذي يستطيعون به على الناس"^(٣).

٢. جداول تبين استخدام الاسم في القرآن المكي و المدني

أ. القرآن المكي

المصطلح	اسم السورة	مكان نزولها	رقم الآية
إِجْرَامِي	هود	مكية	٣٥
الْمُجْرِمُ	المعارج	مكية	١١

(١) ابن عجيبة: ١١٦٠هـ - ١٢٢م، هو أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري، مفسر صوفي، دفن ببلدة أنجرة، بين طنجة وتطوان، له كتب كثيرة، منها البحر المديد في تفسير القرآن المجيد وله العديد من المؤلفات منها: أزهار البستان. الأعلام للزركلي (ج ١/٣٤٥).

(٢) البحر المديد لابن عجيبة، مج (٢/٤٢٢).

(٣) الظلال مج (٣/١٢٠٢).

٧٤	مكية	طه	مُجْرِمًا
٢٣	مكية	الدخان	مُجْرِمُونَ
٤٦	مكية	المرسلات	مُجْرِمُونَ
٨	مكية	الأنفال	الْمُجْرِمُونَ
٨٢،٥٠،١٧	مكية	يونس	الْمُجْرِمُونَ
٥٣	مكية	الكهف	الْمُجْرِمُونَ
٩٩	مكية	الشعراء	الْمُجْرِمُونَ
٧٨	مكية	القصص	الْمُجْرِمُونَ
٥٥،١٢	مكية	الروم	الْمُجْرِمُونَ
١٢	مكية	السجدة	الْمُجْرِمُونَ
٥٩	مكية	يس	الْمُجْرِمُونَ
٤٣،٤١	مكية	الرحمن	الْمُجْرِمُونَ
١٦٣	مكية	الأعراف	مُجْرِمِينَ
٧٥	مكية	يونس	مُجْرِمِينَ
١١٦،٥٥	مكية	هود	مُجْرِمِينَ
٥٨	مكية	الحجر	مُجْرِمِينَ
٣٢	مكية	سبأ	مُجْرِمِينَ
٣٧	مكية	الدخان	مُجْرِمِينَ
٣١	مكية	الجاثية	مُجْرِمِينَ
٧٢	مكية	الذاريات	مُجْرِمِينَ
١٤٧،٥٥	مكية	الأنعام	الْمُجْرِمِينَ
٨٤،٤٠	مكية	الأعراف	الْمُجْرِمِينَ
١٣	مكية	يونس	الْمُجْرِمِينَ
١١٠	مكية	يوسف	الْمُجْرِمِينَ
٤٥	مكية	إبراهيم	الْمُجْرِمِينَ
١٢	مكية	الحجر	الْمُجْرِمِينَ

٤٩	مكية	الكهف	المُجْرِمِينَ
٨٦	مكية	مريم	المُجْرِمِينَ
١٠٢	مكية	طه	المُجْرِمِينَ
٣١	مكية	الفرقان	المُجْرِمِينَ
٢٠٠	مكية	الشعراء	المُجْرِمِينَ
٦٩	مكية	النمل	المُجْرِمِينَ
٢٢	مكية	السجدة	المُجْرِمِينَ
٧٢	مكية	الزخرف	المُجْرِمِينَ
٢٥	مكية	الأحقاف	المُجْرِمِينَ
٤٧	مكية	القمر	المُجْرِمِينَ
٤١	مكية	المدثر	المُجْرِمِينَ

ب. القرآن المدني

رقم الآية	مكان نزولها	السورة	الكلمة
٨،١٧،٥٠	مدنية	الأنفال	المُجْرِمُونَ
٦٦	مدنية	التوبة	المُجْرِمُونَ

٣. الملاحظات على الجدولين:

أ. وجود العدد الكبير لتتوع الصيغ في السور المكية يدل على كثرة الجرائم ومرتكبيها في العهد المكي، بسبب قوة الكافرين وضعف المسلمين، إضافة إلى عدم وجود الرادع الإيماني والقانوني لمنع الجريمة.

ب. ورود المصطلح بعدة صيغ منها النكرة والمعرفة والمضافة، يدل على تتوع حال المجرمين، فمنهم صاحب الجريمة المجرم بها الذي يتباهى بجرائمه، ومنهم الذي يقوم بها في الخفاء وكل منهم له دوره، وله الأسباب التي تدفعه لارتكاب جرائمه.

والدوافع لذلك، فالمجاهر قد يكون هو السلطان وصاحب القوة، وقد يكون السبب وراء الجريمة غياب المحاسبة والقانون.

ت. في القرآن المدني وردت صيغة المجرمين مرتين في حق الكافرين، وهذا يعني قلة الجرائم وعدد مرتكبيها، بسبب دور الدولة الإسلامية بقيادة الرسول ومحاربتها للجريمة، إضافة إلى وجود الوازع الديني الذي يحول دون ارتكابها، وتطبيق الحدود، وإقامة العدل، عن عُرْوَةَ عن عائشة قالت: (سَرَقَتْ امْرَأَةٌ مِنْ قُرَيْشٍ مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ فَأَتَى بِهَا النَّبِيُّ ﷺ فَقَالُوا: مَنْ يُكَلِّمُهُ فِيهَا قَالُوا: أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ فَأَتَاهُ فَكَلَّمَهُ فزَبَرَهُ^(١)) وقال إن بني إسرائيل كانوا إذا سرقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكَوهُ وَإِذَا سَرَقَ الْوَضِيعُ قَطَعُوهُ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ وَإِيمٌ^(٢) وَاللَّهُ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ ابْنَةَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا^(٣).

٤. الخلاصة:

وعلى ضوء ما سبق من استخدام اشتقاقات الجريمة في القرآن الكريم تبين للباحث النقاط التالية:

أ- إن استخدام الفعل الماضي والاسم، جاء في حق الكافرين الذين مارسوا الإجرام، وأصبحوا مجرمين بسبب كثرة إجرامهم، لأن فعل جرم لا يكون إلا في اكتساب المكروه.

ب- استخدام الفعل المضارع يجرمكم مرتين، مرة في حق المؤمنين لتحذيرهم ونهيهم عن الوقوع في الظلم، ولو كان في حق الكافرين، ومرة في حق الكافرين لنهيهم أيضاً عن إيقاع الأذى بالمؤمنين، وتحذيرهم من مغبة ذلك، قال تعالى: ﴿وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلَ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ﴾ (هود/٨٩).

ج- تبين للباحث أن الجرائم بأنواعها والمجرمين باختلاف دوافعهم وجرائمهم إنما ينتشرون وتكثر جرائمهم في المجتمعات الكافرة، لغياب الوازع الديني أصلاً والرقابة الإلهية، رغم وجود العديد من القوانين الوضعية التي تحاول الحد من الجريمة إلا أنه من الممكن التحايل

(١) زجره وأغلظ له في القول. النهاية في غريب الحديث مج (٢٩٣/٢) ٢٩٣ مجد الدين أبو السعدي المبارك الجزري ابن الأثير، تحقيق طاهر الزاوي محمود الطناحي - المكتبة العلمية بيروت ١٩٧٩م - ط الخامسة ١٤٢٠هـ.

(٢) من ألفاظ القسم كقولك لعمر الله وعهد الله، وأهل الكوفة من النحاة يزعمون أنها جمع يمين، النهاية في غريب الحديث مج (٨٦/١).

(٣) خ- ك - أحاديث الأنبياء - ب - الغار - (ص ٧٣٧ - رقم ٣٤٧٥)، الجامع المسند الصحيح رقم كتبه وأبوابه محمد نزار تميم، هيثم تميم، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت - لبنان - بدون طبعة.

عليها بسهولة، أو تجاوزها بأكثر من وسيلة حتى من الذين وضعوها فربما يكونون أول الناس خرقاً لها، لأنهم الأكثر معرفة بمدخلها.

د. المجتمعات الإسلامية ذات الرقابة الإلهية والوازع الديني قلما تحدث فيها الجرائم، أو يظهر فيها المجرمون، لأنها تحارب الجريمة قبل وقوعها حكومة وشعباً، وذلك بسبب الوازع الديني الذي يحول دون وقوع الجريمة إضافة إلى وجود الحدود الرادعة للمجرمين.

خامساً: بنو إسرائيل في القرآن.

وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: إسرائيل في القرآن الكريم:

ورد هذا المصطلح مجرداً في القرآن مرتين، مرة اسم يدل على نبي الله يعقوب عليه السلام، لأنه جاء بين كوكبة من الأنبياء، والآخرة اسم يدل على قوم، قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ (مريم/ ٥٨) ومرة بصيغة الخبر عن الطعام الذي أباحه الله ليعقوب عليه السلام قال تعالى: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنزَلَ التَّوْرَةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (آل عمران / ٩٣) .

هذا وقد ذهب أكثر المفسرين ^(١) إلى أن المقصودة به هو نبي الله يعقوب عليه السلام، ويؤكد ما ذهب إليه المفسرون نقاط عدة:

١. ذكر كلمة إسرائيل بين كوكبة من الأنبياء بأسمائهم إنما يدل على أنه نبي.
٢. عندما ذكر اسم إسرائيل مع الأنبياء ذكر في معرض المدح، قال تعالى: (أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا) [مريم / ٥٨].
٣. ذكر الأنبياء بأسمائهم مرتين حسب إرسالهم، ولم يذكر اسم يعقوب عليه السلام بينهم، وذكر اسم إسرائيل إنما يشير إلى ما ذهب إليه معظم المفسرين ^(٢).

(١) انظر جامع البيان مج (٣٤٩/١) دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط الثالثة - ١٤٢٠هـ - ١٩٩٥م، المحرر الوجيز مج (٤٧٢/١)، فتح القدير مج (٤٦٥/١)، إرشاد العقل السليم مج (٣٨٥).
(٢) انظر روح المعاني مج (١٥٧/٩)، التفسير المنير، مج (١٢٦/١٥)، دار الفكر - دمشق - بيروت - ط - إعادة - ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، الأساس، لسعيد حوى مج (٣٢٨١/٦)، دار السلام للطباعة والنشر - ط الثالثة - ١٤١٢هـ - ١٩٩١م، وغيرهم.

ويضيف الدكتور محمد سيد طنطاوي قائلاً: " وإسرائيل كلمة عبرانية مركبة من — إسرا — بمعنى: عبد أو صفوة، ومن — إيل — وهو الله فيكون معنى الكلمة: عبد الله ، أو صفوة الله^(١)، وإسرائيل في سياق التاريخ هي إحدى مملكتين لبني إسرائيل، وذلك عندما توفي سيدنا سليمان عليه السلام انقسمت مملكته إلى مملكتين، هما يهوذا وإسرائيل، " وأما المصادر العربية، فلفظ إسرائيل في الكلام تعنى عبد الله، أو صفوة الله"^(٢).

المسألة الثانية: من هم بنو إسرائيل؟

عرفنا فيما سبق أن إسرائيل هو يعقوب عليه السلام ، لذلك فيكون بنو إسرائيل هم ذرية يعقوب الذين ورد ذكرهم في القرآن في أكثر من آية، قال تعالى: ﴿ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِنَّا وَنَاثِمٌ مُّسْلِمُونَ ﴾ (البقرة/١٣٢).

قال سيد طنطاوي: " ويعقوب كذلك أوصى بنيه باتباعها، فقال كل منهما لأبنائه: يا بني إن الله اصطفى لكم دين الإسلام الذي لا يقبل الله ديناً سواه"^(٣)، وقال عطاء: "إن الله لم يقبض نبياً حتى يخيره بين الموت والحياة، فلما خير يعقوب قال انظرني حتى أسأل ولدي وأوصيهم، ففعل الله ذلك به، فجمع ولده وولد ولده وقال لهم: قد حضر أجلي فما تعبدون من بعدي؟؟ ﴿ قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ (البقرة/١٣٣) وقد أجابوا بما يدل على رسوخ إيمانهم"^(٤).

وفي قوله تعالى: — يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ — (البقرة/٤٠) قال ابن عاشور^(٥): خطاب لذرية يعقوب^(٦) (يوسف/٤).

يرى بعض من العلماء أن بني إسرائيل هم أولاد يعقوب الإثنا عشر نسباً، الوارد ذكرهم في قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾ ، وعلاقة النسب هذه، فقط لكونهم بني إسرائيل، و ليس لها عمق عقائدي إيماني، من

(١) بنو إسرائيل في القرآن والسنة، (ص ١٢) د. سيد محمد طنطاوي، ط الثانية ١٤٢٠هـ — ٢٠٠م، دار الشرق ١٩٩٧.

(٢) انظر موقع الدكتور صالح الرقب من مقال له بعنوان " لا يجوز إطلاق اسم إسرائيل على الكيان المصطنع استعمارياً فوق أرض فلسطين المسلمة ".

(٣) التفسير الوسيط .

(٤) معالم التنزيل في التفسير والتأويل مج (١ / ٩٩)، بنو إسرائيل في القرآن والسنة، (ص ١٢) مرجع سابق.

(٥) ابن عاشور: هو محمد الطاهر بن عاشور مفتي المالكية بتونس وشيخ جامع الزيتونية وفروعه، له العديد من المصنفات أهمها تفسيره المعروف بالتحريير والتوير ومقاصد الشريعة الإسلامية، توفي ١٣٩٣ هـ ، الأعلام للزركلي. مج (٦ / ١٧٤).

(٦) التحريير والتوير مج (١ / ٢٥٠)، دار سحنون للنشر والتوزيع — تونس — جميع الحقوق محفوظة، لا يوجد طبعة.

هؤلاء العلماء الأستاذ أسعد السحمراني الذي يقول: "إن بني إسرائيل والإسرائيلية ليست انتماءً دينياً عقدياً، وإنما هي انتماء لنسب من جهة يعقوب عليه السلام، وإسرائيل هو الاسم الثاني ليعقوب الذي أعطى له على شكل مباركة من الرب كما ورد في سفر التكوين من العهد القديم ^(١)، يرى الباحث أن ما ورد في سفر التكوين كفر بواح، وافتراء على الله وكذب وبهتان، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، وأما البعض الآخر من الكتاب ^(٢) يرى أن للاسم عمق إيماني لأن إسرائيل قبل موته وصى أبناءه قائلاً: ﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ (البقرة/١٣٣).

والبعض منهم يرى أنهم فقدوا الانتماء نسباً إلى يعقوب بعد دخولهم مصر، فيقول هشام محمد أبو حاكمة: "وأما انتسابهم إلى يعقوب فإنهم بعدما رحلوا معه من جنوب فلسطين إلى مصر هناك اندمج بنو إسرائيل مع المصريين وذابوا في البيئة المصرية كلياً ولم يعد التمييز بينهم وبين غيرهم سهلاً، فتاريخياً إذن لم يعد هناك جماعة تسمى ببني إسرائيل حتى في مصر، كما لم يكونوا شعباً أو قوماً من قبل" ^(٣). ويؤكد الأستاذ هشام أبو حاكمة انخراطهم وذوبانهم في المجتمع المصري قائلاً: "وبالتأكيد فلأن ذلك شمل بني إسرائيل وغيرهم ممن تزوج منهم أو تزوجوا منه، أو شايعهم واتبعهم، فالجميع بعد ذلك قوم موسى" ^(٤) ولهذا فإننا عندما نقول بني إسرائيل لا نقصد بها قوماً معيناً أو شعباً محدوداً بل هي كلمة عامة تضم عدداً كبيراً من الأجناس والأقوام، وليسوا بالضرورة أن يكونوا من ذوى أصل واحد ^(٥)، بدليل أن يوسف عليه السلام تزوج من المصريين ^(٦)، وليس المقصود ببني إسرائيل أنهم أحفاد إسرائيل - يعقوب - وحدهم بل المقصود به كل من تبعهم وآمن بما كانوا يؤمنون به، حتى المصريين منهم ^(٧).

الجمع بين الرأيين: يرى الباحث أن مصطلح بني إسرائيل يحمل كلا المعنيين السابقين فبنو إسرائيل قديماً من حيث النسب هم ذرية يعقوب عليه السلام، ومن الناحية الإيمانية منهم من آمن برسالة يعقوب عليه السلام بالرغم مما حدث منهم من تأمر على سيدنا يوسف عليه السلام وبقي هذا المعنى

(١) الأديان في مقارنة الأديان (ص ٢٠) أسعد السحمراني - دار النفائس - ط الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
(٢) أنظر كتاب الفساد والمفسدون (ص ١٥٩)، أ نشوة العلواني .

(٣) أو هام اليهود في الوطن الموعود، (ص ٤٦) هشام محمد أبو حاكمه دار الإسراء عمان - الأردن.

(٤) المرجع السابق (ص ٤٦).

(٥) المرجع السابق (ص ٤٩) مرجع سابق.

(٦) المرجع السابق (ص ٤٦).

(٧) المرجع السابق (ص ٤٥، ٤٩).

ملازما لبني إسرائيل ومصاحباً لهم ولذريتهم من بعدهم حتى زمن سيدنا عيسى عليه السلام ، وهذا ما صرح به القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ ﴾ (الصف/٦) وقوله عن أتباع عيسى عليه السلام ، ﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمْ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّ مُسْلِمُونَ ﴾ (آل عمران /٥٢).

وأما هجرتهم إلى مصر مع يعقوب فقد ذكرها القرآن قائلًا: [وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ أَوَى إِلَيْهِ أَبُوئِهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ رَفَعَ أَبُوئِهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلْنَا رَبِّيَ حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ] (يوسف/٩٩، ١٠٠).

وعلى ضوء ما سبق فبنو إسرائيل قديماً لا يمكن تجريدهم من المعنيين القومي والديني. أما حديثاً: فمعظم الموجودين اليوم أصلهم من يهود الخزر^(١)، وأكثر من ٩٠% منهم لا يمتنون بصلة إلى يعقوب وذريته، " لأن الحقائق التاريخية التي لا تقبل الجدل ولا الإعتراض، بل تزودنا ببرهان لا شك فيه على صحة الحقيقة التاريخية، بأن من يزعمون أنفسهم يهوداً أصلهم من أوروبا الشرقية في كل مكان من عالم اليوم " ^(٢) لذا فإن مصطلح اليهود اليوم أصبح فارغاً من المعنى الديني، إلا القليل منهم، بعدما ارتكب بنو إسرائيل من الجرائم التي تؤدي إلى الكفر، وتحول اسمهم بعد ذلك لليهود كمصطلح يدل على كفرهم وإجرامهم وعنصريتهم، وكذلك دولتهم المسماة اليوم زوراً وبهتاناً إسرائيل، فالذين يقطنون فيها هم من أعراق شتى، ومن أصول وأنساب متعددة فمنهم الشرقي والغربي والأبيض والأسود، حتى سكنها أخيراً يهود الفلاشا ^(٣) وغيرهم.

(١) شعب تركي الأصل، تمتزج حياته وتاريخه بالبداية الأولى لتاريخ يهود روسيا، أكرهته القبائل البدوية في السهول من جهه، ودفعه توفقه إلى السلب والانتقام من جهة أخرى على توطيد أسس مملكة الخزر في معظم أجزاء روسيا الجنوبية، قبل قيام الفرنجة سنة ٨٥٥م بتأسيس الملكية الروسية، في هذا الوقت كانت مملكة الخزر في أوج قوتها، تخوض غمار حروب دائمة، وعند نهاية القرن الثامن تحول ملك الخزر ونبلؤه وعدد كبير من شعبه الوثني إلى الديانة اليهودية، كتاب يهود اليوم ليسو يهود (ص ١٧) بنيامين فريدمان، إعداده زهدي الفاتح، دار التفابير للطباعة والنشر - ط الثالثة ١٤٥٨هـ - ١٩٨٨م .

(٢) المرجع السابق(ص١٢).

(٣) قبيلة من أصل حام تنتمي إلى جلا الذي اعتنق الدين اليهودي، وهي قبيلة من الحبشة، يعيشون في قرى خاصة بهم، فإذا وجدوا في مدينة إسلامية أو مسيحية انزلوا في حي بمفردهم، ويدعون أن ملوكهم انحدروا من سلالة داوود عليه السلام، الموسوعة العربية الميسرة (ص ١٣٠٧) بإشراف محمد شفيق غربال - دار الشعب ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، حقوق الطبع محفوظة.

سادساً: اليهود واشتقاقهم في القرآن الكريم:

وفيه أربع مسائل:

المسألة الأولى: اليهود لغة.

١. قال الراغب: هَوْدٌ، الهَوْدُ: الرجوع برفق، ومنه التهود، وهو مشي كالدبيب، وصار الهَوْدُ في التعارف التوبة، قال تعالى: ﴿ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ ﴾ (الأعراف / من الآية ١٥٦)، أي تبنا، وكان اسم مدح ثم صار بعد نسخ شريعتهم لازماً لهم، وإن لم يكن فيه معنى المدح^(١) هَوْدٌ: التهود: المشي الرويد، وهَوْدُ الرجل: إذا نام، وهَوْدُ ابنه: جعله يهودياً^(٢)، ويقال هاد فلان: إذا تحري طريقة اليهود في الدين، قال تعالى: (إِنِّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا ﴾ (البقرة/٦٢)، وتهود في مشيه إذا مشى مشياً رقيقاً، تشبيهاً باليهود في حركتهم عند القراءة، وكذا هَوْدُ الرائض الدابة: سيرها برفق، وهود في الأصل: جمع هائد: أي تائب وهود اسم نبي الله هود عليه السلام^(٣).

وبناءً على ما سبق من تعريفات أهل اللغة فإن مصطلح يهود له عدة معاني:

- ١- التوبة والرجوع إلى الله، قال تعالى: ﴿ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ ﴾ (سورة الأعراف/ من الآية ١٥٦)، وهذا المعنى ينطبق على الذين تابوا عن عبادة العجل.
 - ٢- المشي الهين والبطيء، ومنه هَوْدُ الرجل إذا نام، أي أنامه بهدوء، فإنهم كذلك عندما يريدون أن ينفذوا مخططاتهم ويسعون لتحقيق مصالحهم يتحركون بهدوء دون أن يشعر بهم أحد وهذا واقعهم قديماً وحديثاً.
 - ٣- التحريك والتمايل والتصالح والمهادنة، وهكذا يفعلون عندما يصلحون ويواعدون المسلمين فإنهم يتقربون إليهم فإذا ما حققوا مصالحهم فإنهم سرعان ما ينقضون عهودهم ومواثيقهم وهذا هو حالهم في الماضي والحاضر.
 - ٤- الصوت الضعيف اللين الفاتر، وهذه صورتهم عندما يكونون ضعفاء أمام أعدائهم فإنهم يتوددون إليهم ويتقربون منهم خوفاً على أنفسهم، أو أن ينكشفوا على حقيقتهم، لكنهم عندما يكونون أقوياء يختلف الأمر عندهم.
- قال الطبري: "الذين هادوا هم اليهود ومعنى هادوا تابوا سموا بذلك لأنهم قالوا إنا هدنا إليك"^(٤)، وقال البغوي: "إن الذين آمنوا والذين هادوا يعني اليهود وسموا به لقولهم إنا هدنا إليك:

(١) المفردات في غريب القرآن (ص ٥٤٦) مرجع سابق.

(٢) مجمل اللغة مج ٣ - ٤/٨٧٤) مرجع سابق.

(٣) المفردات (ص ٥٤٦).

(٤) جامع البيان مج (١/٣٥٨، ٣٥٩) دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط الثالثة ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

إي ملنا إليك، وقيل لأنهم تابوا من عبادة العجل" (١) "وقيل: نسبة إلى يهوذا السبط الرابع ليعقوب من زوجته لائقة" (٢).

أما الأستاذ صلاح عبد الفتاح الخالدي يرى أن كلمة يهود أعجمية وليست مشتقة من مادة، " هَوَدَ " العربية وأن أصلها يهوذا لكنها عربت وأطلقت على بني إسرائيل وأصبحت علماً^(٣)، لذا فهو يفضل أن يطلق عليهم اللفظ نكرة غير معرف كما استخدمه وذلك تحقيراً لهم^(٤). وبناءً على ما سبق يرجح الباحث أن اليهود اسم مشتق من الفعل - هَادَ - إشارة إلى بعض الذين تابوا من ذنبهم وتركوا الضلال، ورجعوا إلى الله بعد عبادة العجل، مع الإشارة إلى وجود العديد من المسائل التي تحتاج إلى بحث ونقاش وتحليل^(٥).

المسألة الثانية: اشتقاقات اليهود في القرآن.

ورد المصطلح واشتقاقاته في القرآن الكريم عدة مرات منها^(٦):

- ١- هَادَ، هَادُوا : قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ (الرعد/٧) ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا ﴾ (البقرة/٦٢).
- ٢- يَهُودٌ: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (آل عمران/٦٧).
- ٣- هُودًا: ﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (البقرة/١٣٥).
- ٤- هَدَانَا: ﴿ وَكَتَبْنَا لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدُّنَا إِلَيْكَ ﴾ (الأعراف/١٥٦).
- ٥- الْيَهُودُ: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ ﴾ (البقرة/١١٣).

مصطلح اليهود واشتقاقه كما ورد في القرآن الكريم.

المصطلح	اسم السورة	عدد المرات	مكان النزول	الآيات
اليهود	البقرة	٢	مدنية	١١٣، ٢٠ مكررة

- (١) معالم التنزيل في التفسير والتأويل مج (٥٧/١)، دار الفكر - ط - الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
- (٢) جذور الفكر اليهودي (ص ١٨) بتصرف، داوود عبد العفو سنقرط الثانية ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م - دار الفرقان للنشر والتوزيع - عمان - الأردن .
- (٣) الشخصية اليهودية (ص ٢٨) مرجع سابق.
- (٤) المرجع السابق (ص ٢٨).
- (٥) انظر الرسالة ص ٢٥ وما بعدها.
- (٦) انظر الجدول (ص ٢٣).

اليهود	المائدة	٤	مدنية	٩٤، ٨٢، ٥١، ١٨
يهود	آل عمران	١	مدنية	٦٧
هودا	البقرة	٣	مدنية	١١١، ١٣٥، ١٤٠
هود	هود	٢	مكية	٥٠، ٥٨
هدنا	الأعراف	١	مكية	١٥٦

أولاً: الملاحظ على الجدول:

- ١- ورد المصطلح واشتقاقاته ثلاثة عشر مرة، منها عشر مرات في القرآن المدني وثلاثة في المكي.
- ٢- إن مصطلح - اليهود - ورد في سياق الذم والنعي، وبيان مزاعمهم الكافرة وجرأتهم على الله، فهو مصطلح يدل على الكفر والذم.
- ٣- مصطلح - يهود - ورد في سياق نفي ادعائهم يهودية إبراهيم، فالمصطلح مذموم.
- ٤- مصطلح - هوداً - ورد في سياق نفي مزاعمهم عندما قالوا كونوا هوداً أو نصارى فرد الله عليهم قل بل ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين، فهو في سياق الذم.
- ٥- مصطلح - هدنا - ورد مرة واحدة في سورة الأعراف المكية، في سياق الإقرار والرجوع والتوبة إلى الله، وهي من ضمن الاشتقاق التي لم ترد في سياق الذم، ولعل في ذلك إشارة إلى القلة المؤمنة منهم.
- ٦- مصطلح - هود - ليس له علاقة ببني إسرائيل ولا باليهود كبشر بل هو اسم نبي الله هود عليه السلام، لذلك ورد في سورة مكية.
- ٧- إن المصطلحات التي لها علاقة باليهود وأقوالهم وأفعالهم، وردت في السور المدنية لوجودهم في المدينة، وقد جاءت في سياق الذم، ودحض ادعاءات اليهود وافترائاتهم.
- ٨- إن المصطلحات التي وردت في السور المكية ليس لها علاقة باليهود، لأن المجتمع المكي لم يكن فيه أحد منهم، وإنما تحدثت عن أحوال بني إسرائيل زمن موسى عليه السلام، وفي ذلك لطيفة جميلة تدل على دقة استخدام المصطلحات القرآنية، وانسجامها مع معانيها ومكان نزولها، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿الر كِتَابٌ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ (هود/١) .

ثانياً: جدول يبين استخدام القرآن للمصطلح هادوا

المصطلح	السورة	عدد المرات	مكان النزول	رقم الآية
هادوا	البقرة	١	مدنية	٦٢
	النساء	٢	مدنية	١٦٠، ٤٦
	المائدة	٣	مدنية	٦٩، ٤٤، ٤١
	الأنعام	١	مكية	١٤٦
	النحل	١	مدنية	١١٨
	الحج	١	مدنية	١٧
	الجمعة	١	مدنية	٦

ثالثاً: الملاحظ على الجدول:

هو أكثر الاشتقاقات وروداً في القرآن الكريم، ورد في ستة سور مدنية، ومرة واحدة في سورة مكية في معرض العقاب بتحريم العديد من المطعومات على الذين هادوا قال تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَمًا عَلَيْهِمْ شَحُومُهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوْ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزِيَائُهُمْ بِبِعْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ (الأنعام ١٤٦).

رابعاً: الخلاصة التي توصل لها الباحث:

- ١- تبين للباحث أن الاشتقاقات التي لها علاقة باليهود وردت في سياق الذم والنعي عليهم والرد على أكاذيبهم وفضح ممارساتهم، وهي آيات مدنية حيث تواجد اليهود، وأما آية سورة الأنعام المكية جاءت في سياق العقاب من خلال تحريم بعض المطعومات عليهم.
- ٢- هناك بعض الاشتقاقات التي وردت في القرآن المكي في سورة هود - هود - ليس لها علاقة باليهود، لأنها تحدثت عن نبي الله هود عليه السلام، وليس له علاقة بهم.
- ٣- ورد مصطلح هداً بمعنى تبنا في القرآن المكي لأنه يتحدث عن القلة المؤمنة زمن سيدنا موسى عليه السلام، واستمرت هذه القلة حتى زمن سيدنا عيسى عليه السلام وسيدنا محمد ﷺ.
- ٤- ورود مصطلح هادوا في سورة الأنعام المكية في سياق المدح محصور فقط في القلة المؤمنة من اليهود، أما وجوده في سورة البقرة المدنية فالمراد منه تحريك الإيمان في قلوب يهود المدينة وتذكيرهم بأسلافهم المؤمنين، ويمكن أن يكون مدحاً لمن آمن منهم

كعبد الله بن سلام وغيره، وأما وجوده في سورة النساء والمائدة المدنيتين فجاء في سياق الذم.

المسألة الثالثة: توبة اليهود قديماً وحديثاً:

١- هل تاب اليهود ورجعوا إلى الله حقاً؟

٢- وهل ينطبق هذا المعنى على اليهود قديماً وحديثاً؟

١- يرى الباحث أن هناك رأيان:

الأول: أنهم لم يتوبوا، "يقول صاحب الظلال وهو يبين أن قوله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَا إِلَيْكَ﴾ لموسى وليس لليهود، "وهكذا قدم موسى ﷺ لطلب المغفرة والرحمة، بالتسليم لله والاعتراف بحكمة ابتلائه، وختمه بإعلان الرجعة إلى الله، والالتجاء إلى رحابه، فكان دعاؤه نموذجاً لأدب العبد الصالح في حق ربه الكريم" (١)، لهذا فالكلمات التي نطق بها موسى ﷺ فوق أخلاق وصفات يهود الذين تجرعوا على الله وعلى نبيهم، ومع ذلك قال السبعون الذين رشحهم موسى ﷺ للتوبة "اطلب لنا نسمع كلام ربنا" (٢)، ثم بعد ذلك قالوا لموسى: ﴿إِن نُّؤْمِنُ لَكَ حَتَّى تَرَى اللَّهُ جَهْرَةً فَأَخَذْتُمُ الصَّاعِقَةَ وَأَنْتُمْ تُنظَرُونَ﴾ (البقرة/٥٥)، فأين توبتهم إذن، وهم الذين اختارهم موسى ليكونوا نقيباً قومهم.

الثاني: إن بعضهم تاب عن عبادة العجل، لأن الآيات لا تمنع من وجود قلة منهم آمنوا وهادوا إلى الله، بدليل قوله تعالى: ﴿عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَنْفُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ (الأعراف/١٥٦) جاءت هذه الكلمات مباشرة بعد قوله تعالى: - إنا هدنا إليك -.

والذي يميل إليه الباحث، وينسجم مع نصوص القرآن أن بعضاً من اليهود تابوا عن عبادة العجل عندما قالوا: ﴿إِنَّا هَدَيْنَا إِلَيْكَ﴾ بدليل قوله تعالى: ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (البقرة/٥٤) وقد مدحهم القرآن وأثنى عليهم بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا (٣) وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة/٦٢)، قال ابن عاشور: "معنى هادوا كانوا يهوداً أو دانوا بدين

(١) الظلال مج (٣/٢٩٩).

(٢) تفسير القرآن العظيم مج (٢/٢٤٩) مرجع سابق.

(٣) أكثر من عشرة من كتب التفسير يرون أنها بمعنى تابوا وتهودوا، وسموا بذلك لأنهم قالوا إنا هدنا إليك منهم جامع البيان مج (١/٣٥٨، ٣٥٩) مرجع سابق، معالم التنزيل مج (١/٥٧)، روح المعاني مج (١/٢٧٨) إرشاد العقل السليم مج (١/١٣١)، المحرر الوجيز مج (١/١٥٧) الملل والنحل (ص ٢١١) للشهرستاني، دار الفكر - لبنان - بيروت - بدون طبعة، الظلال مج (١/٤٧) مرجع سابق.

اليهود^(١) وفي المقابل فإن السواد الأعظم منهم بقي مصرًا على كفره ولم يتب عندما دعاه الله للتوبة قائلاً: ﴿ وَقُولُوا حِطَّةً^(٢) نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رَجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ (البقرة/ ٥٨، ٥٩).

المسألة الرابعة المعنى اللغوي وتطابقه على اليهود قديماً وحديثاً ؟ أولاً: اليهود قديماً.

لقد ذكر أهل اللغة العديد من معاني اليهود واشتقاقاتها، منها اللين والسهولة والهوادة والصلح، والميل والسير الرفيق، إضافة إلى معنى التوبة والرجوع لله^(٣)، ولو طبقنا هذه المعاني على حقيقة يهود صفاتهم وأفعالهم قديماً، فإنها لا تنطبق، إلا على قلة منهم، أما الأكثرية فقد استغلوا لتنفيذ مخططاتهم وجرائمهم، وأما إذا أخذنا معنى التوبة فهذا يجعلنا نبحث عن الأسباب وراء ذلك.

١. إما أن المعنى ينطبق على قلة منهم وهم المؤمنون الذين آمنوا ورجعوا إلى الله واستمروا على ذلك، حتى عهد النبي ﷺ وآمنوا به، وقد مدحهم القرآن قائلاً: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (البقرة ٦٢).

٢. أو أن مصطلح يهود جامد ليس له اشتقاق، فهي كلمة معرّبة وأصلها يهوذا وهو السبب الرابع ليعقوب، وهو الذي أشار على إخوته قائلاً في حق يوسف عليه السلام ﴿ ائْتُوا يَوْسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴾ (يوسف/ ٩) وعندئذ يكونون قد حنّوا لأصلهم في المكر والخداع والقتل.

٣. ويمكن أن يكون قولهم: هدنا إليك، قول البعض بألسنتهم فقط دون قلوبهم، من باب الخداع والكذب والتحايل، وهذا ليس بعيداً عن طباع اليهود وصفاتهم، مع الإشارة إلى أن كل الاحتمالات واردة في ذلك.

ثانياً: اليهود حديثاً:

لا يستطيع أحد أن يعرف اليهود أو اليهودية في هذه الأيام إلا "أنهم أتباع التوراة المحرفة والتلمود، سواء كانوا من بقايا العبرانيين، أم من بني إسرائيل، أم من غيرهم من الأمم الأخرى الذين اعتنقوا الديانة اليهودية، قديماً وحديثاً وهؤلاء هم غالبية اليهود العظمى"^(٤) لذلك فلفظ يهود

(١) التحرير والتنوير مج (مرجع سابق .

(٢) حطة: حط عنا ذنوبنا، تفسير القرآن العظيم، مج (١/٩٩)، دار المعرفة - بيروت لبنان - ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

(٣) لسان العرب مج (٣/٤٤٠) بتصرف.

(٤) جذور الفكر اليهودي (ص ١٨)، بتصرف، داوود عبد العفو سنقرط الثانية ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م - دار الفرقان للنشر والتوزيع - عمان - الأردن .

يطلق عليهم الآن مجرد من كل معانيه اللغوية، وظلاله الإيمانية – الرجوع والتوبة إلى الله – (١)، "هذا يتضح من خلال البحث، أما اليهود أنفسهم لا زالوا حائرين في تعريف من هو اليهودي؟ كذلك فإن البعض من الكتاب يعتبر هذا السؤال معضلة لا حل لها وسؤالاً لا جواب له" (٢)، ولقد تساءل صاحب الموسوعة اليهودية عبد الوهاب المسيري من هو اليهودي؟ لأن هذا الموضوع يشغل الأوساط المسئولة داخل الكيان الصهيوني فقال: "سؤال يثار من أونة إلى أخرى داخل الكيان الصهيوني، ويعبر هذا السؤال عن فشل الإسرائيلية في تعريف الشخصية اليهودية أو الهوية اليهودية" (٣) ويضيف قائلاً: كلمة يهودي هي من أكثر التداول إشكالية، رغم بساطتها، فيمكن أن تستخدم في حق العبرانيين القدامى، باعتبارهم جماعة عرقية، أو استخدم لليهود الحاخاميين والقرائين (٤)، والسامريين ويهود الصين وأثيوبيا" (٥).

وبناءً على ما سبق فلا يمكن تحديد تعريف واضح لليهود في ظل الواقع، أما المحتلون اليوم لفلسطين، ومن يطلق عليهم يهود، ليس لهم علاقة بالمعنى الإيماني لليهود أو اليهودية، لأن الحقائق التاريخية تثبت بما لا يدع مجالاً للشك أنهم من بقايا شعوب مختلفة، من جميع بقاع الأرض التي قطعهم الله كما قال: ﴿ وَقَطَعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَّمًا مِّنْهُمْ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ (الأعراف/ ١٦٨) حتى الأصليين منهم لم يعد لهم وجود اليوم، تقول الأستاذة: نشوة العلواني: "إن اليهود الأصليين إذا كان هناك يهود لم يعودوا موجودين، واستبدلوا بالمتهودين، لذا يجب أن يطلق على كل من آمن بالتوراة كلمة (متهود) وليس يهودي، لأن اليهودية انقرضت وانحلت وأطلق عليها تسميات لا ترتبط ببعضها بأي صلة" (٦).

ثالثاً: التحقيق:

يرى الباحث أن مصطلح اليهود بمعنى التوبة إنما ينطبق على قلة منهم قديماً، عندما كان اسمهم بني إسرائيل، وهم الذين تابوا ورجعوا إلى الله مع موسى ﷺ، والبعض منهم دافع عن دعوته، ولهم مواقف إيمانية وجهادية سطرها القرآن في أروع صورة، قال تعالى: ﴿ قَالَ

(١) الشخصية اليهودية (ص ٣٩).

(٢) راجع مجلة الدراسات الفلسطينية (العدد ١٣ - ١٨٩).

(٣) الموسوعة اليهودية والصهيونية مج (٢/١٦٥)، دار الشروق - ط الأولى ١٩٩٩ م.

(٤) أتباع القرائية، المذهب اليهودي الذي نشأ في بغداد وفارس ٨ ق.م بزعامة عنان بن داود، رفض العمل بالتلمود، والاكتفاء بنص التوراة، ومن ثم وصفوا بالنصيين، أو السلفيين. امبراطورية الخزر وميراثها (ص ٢١) آرثر كولستر، ترجمه حمدي متولى مصطفى صالح، دار الجليل للطباعة والنشر - ط الثانية - دمشق ١٩٨٥ م.

(٥) الموسوعة اليهودية والصهيونية مج (٢/٢٠١).

(٦) الفساد والمفسدون في الأرض (ص ١٥١)، دار البشائر الإسلامية - ط الأولى ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.

رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَابْنِمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (المائدة/٢٣) (قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ كَمْ مِنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٌ غَلَبَتْ فِتْنَةٌ كَثِيرَةٌ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿ البقرة/٢٤٩ ﴾ ﴿ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أقدامَنَا وَأَنْصِرْنَا عَلَى قَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ (البقرة/٢٥٠).

ولقد ظلت بقية منهم على الإيمان حتى زمن النبي ﷺ ، ولما بعث آمنوا به، وحسن إسلامهم، منهم عبد الله بن سلام (١)، وكعب الأحبار (٢)، ووهب بن منبه (٣)، وغيرهم، قال تعالى: ﴿ مِنْهُمْ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَّوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ (الأعراف ١٦٨) والمراد من آمن بمحمد ﷺ (٤).

قال محمود شاكر: "واليهودية دين انتسب به بعض بني إسرائيل إلى موسى ﷺ ، كما يقول الشهرستاني: هاد الرجل أي رجع وتاب وإنما لزمهم هذا الإسم، جاء لقول موسى ﷺ إنا هدنا إليك، أي رجعنا وتضرعنا" (٥) وينقل عن الدكتور أحمد سوسة قوله: "إن تسمية يهود الشائعة في شكل واسع، حيث أطلقت على بقايا جماعة يهودا، فقد درج أكثر الكتاب والباحثين على الأخذ بالرأي القائل بأن تسمية يهود منسوب إلى يهودا السبط الرابع من أبناء يعقوب، فإن هذا يخالف الواقع، لأن اليهود لم يكونوا موجودين في عهد يعقوب وابنه يهودا، قبل تسمية إسرائيل، وإنما كانت تطلق على إحدى المناطق الكنعانية في فلسطين، منذ العهد الكنعاني القديم، جرياً على العادة المتبعة في تسمية المدن الفلسطينية" (٦).

(١) عبد الله بن سلام (٤٣هـ - ٦٦٣م) عبد الله بن سلام الحارث الإسرائيلي، أبو أيوب، صحابي، قيل إنه من نسل يوسف بن يعقوب أسلم عند قدوم النبي المدينة، وكان اسمه الحصين فسماه الرسول عبد الله، وفيه نزلت الآية [شَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ] (الأحقاف/١٠) شهد مع عمر فتح بيت المقدس، ولما كانت الفتنة بين علي ومعاوية، اتخذ سيفاً من خشب واعتزلها وأقام بالمدينة إلى أن مات. الأعلام للزركلي مج (٩٠/٤) مرجع سابق.

(٢) كعب بن ماتع بن ذي هجن الحميري، (٣٢ هـ ت ٦٥٢م) أبو اسحق تابعي، كان في الجاهلية من كبار علماء اليهود في اليمن، وأسلم في زمن أبي بكر، وقدم المينة في دولة عمر، فأخذ عنه الصحابة وغيرهم، كثيراً من أخبار الأمم الغابرة، وأخذ هو من الكتاب والسنة، عن الصحابة، وخرج إلى الشام، فسكن حمص وتوفي فيها عن مئة وأربع سنين. الأعلام للزركلي مج (٢٢٨/٥) مرجع سابق.

(٣) وهب بن منبه، الأبنوي الصنعاني الذماري (٣٤ - ١١٤ هـ - ٦٥٤ - ٧٣٢م) أبو عبد الله، مؤرخ كثير الإخبار عن الكتب القديمة عالن بأساطير الأولين، ولا سيما الإسرائيليات، يعد في التابعين أصله فارسي من الذين بعثهم الفرس إلى اليمن، أمه من حمير ولد ومات بصنعاء، بعد أن ولّاه عمر بن عبد العزيز قضاءها، صحب بن عباس ولازمه ثلاثة عشر سنة. الأعلام للزركلي (١٢٦/٨) مرجع سابق.

(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، مج (٢٦٧/٤).

(٥) موسوعة تاريخ اليهود (ص ١١) محمود شاكر - دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن عمان - ط الأولى ٢٠٠٢م .

(٦) موسوعة تاريخ اليهود (ص ١١) مرجع سابق.

أما يهود هذا العصر فليس لهم من معنى هذا المصطلح نصيب سوى الاسم، من حيث معناه اللغوي، لأنهم تجردوا منه، ومن كل ما يمت له بصلة، إضافة إلى أنهم من أعراق شتى، لغاتهم الأصلية مختلفة، وأنسابهم كذلك، وديانتهم أكثر اختلافاً، ولا يوجد ما يجتمعون عليه سوى وجودهم في أرض فلسطين، إضافة إلى أهدافهم العنصرية النابعة من بروتوكولات حكماء صهيون أو التلمود المحرف، قال الدكتور صلاح الخالدي: فاليهود اليوم ليسوا على عقيدة ربانية ولا دين مقبول، ولا طريق مستقيم، ولم يعد لهم رسالة ولا غاية، إلا الكفر والشر والإفساد، وأصدق وصف لما هم عليه في ضلالهم ما وصفهم الله به عندما قال: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسُنَّمُ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴾ (سورة المائدة/ من الآية ٦٨)^(١)، وأضاف قائلاً: لستم على شئ شعار نرفعه في مواجهة اليهود ويقين نعتقده ونوقنه عنهم، ومنظار قرآني صادق لحقيقة ما هم عليه، فننظر من خلاله لليهود أينما كانوا، وما أصدق انطباعها على واقع الأمة المسلمة في مواجهة اليهود"^(٢)، وإذا أردنا أن نسميهم باسم ينطبق عليهم فهم إما المتهودون، أو المغتصبون أو المستوطنون، أو يهود - نكرة - وذلك تحقيراً لهم وتبكيئاً.

سابعاً: الفرق بين بني إسرائيل وبين اليهود في القرآن الكريم.

طالما أن القرآن الكريم تحدث عنهم وذكر المصطلحين، فلا بد من وجود فوارق بينهما، وأن هناك حكمة في استخدام تلك المصطلحات، وحتى نستطيع أن نفرق بينهما فإننا ننطلق من خلال الأسس التالية :

الأساس الأول: القرآن المكي والمدني.

الأساس الثاني: المواضيع التي تناولتها الآيات التي ذكر فيها المصطلح.

الأساس الثالث: النتائج التي توصل إليها الباحث بعد تعريف كلا المصطلحين.

الأساس الأول: القرآن المكي والمدني.

رأي الأستاذ صلاح الخالدي ويلخصه الباحث في الآتي:

١. أن مصطلح بني إسرائيل ورد في القرآن الكريم في السور المكية والمدنية ٤١ مرة، فالسور المكية التي ورد فيها ٢٥ مرة، وهي الأعراف، يونس، الإسراء، طه، الشعراء، النمل، السجدة، غافر، الزخرف، الدخان، الجاثية، الأحقاف، وفي السور المدنية ١٦ مرة، وهي البقرة، وآل عمران، والمائدة، والصف^(٣)

(١) الشخصية اليهودية (ص ١٥٥) بتصرف.

(٢) المرجع السابق (ص ١٥٧) مرجع سابق.

(٣) الشخصية اليهودية (ص ٣٣) بتصرف.

جدول يبين مصطلح بني إسرائيل في القرآن المكي

عدد المرات	رقم الآية	السورة	المصطلح
أربع مرات	١٣٨، ١٣٧، ١٣٤، ١٠٥	الأعراف	بنو إسرائيل
ثلاث مرات	٩٠ مكررة، ٩٣	يونس	
أربع مرات	١٠٤، ١٠١، ٤٤، ٢	الإسراء	
ثلاث مرات	٩٤، ٨٠، ٤٧	طه	
أربع مرات	١٩٧، ٥٩، ٢٢، ١٧	الشعراء	
مرة واحدة	٧٦	النمل	
مرة واحدة	٢٣	السجدة	
مرة واحدة	١٥٣	غافر	
مرة واحدة	٥٣	الزخرف	
مرة واحدة	٣٠	الدخان	
مرة واحدة	١٦	الجاثية	
مرة واحدة	١٠١	الأحقاف	
خمس وعشرون مرة		المجموع	

وأما السور المدنية ورد فيها مصطلح بني إسرائيل ١٦ مرة، فهي البقرة، آل عمران، المائدة، الصف.

جدول يبين مصطلح بني إسرائيل في القرآن المدني

رقم الآية	عدد المرات	اسم السورة	المصطلح
ستة مرات	٢٤٦، ٢١١، ١٢٢، ٨٣، ٤٧، ٤٠	البقرة	بنو إسرائيل
مرتان	٩٣، ٤٩	آل عمران	
ستة مرات	١١٠، ٧٨، ٧٢، ٧٠، ٣٢، ١٢	المائدة	
مرتان	١٤، ١٦	الصف	
ستة عشر مرة		المجموع	

مصطلح اليهود ورد في ثلاث سور:

أ. البقرة في الآيات ١١٣ مكرر ، ١٢٠ عدد ٣ مرات في موضعين.

ب. المائدة في الآيات ١٨ ، ٥١ ، ٦٤ ، ٨٢ عدد ٤ مرات.

ج. التوبة في الآية ٣٠ مرة واحدة.

جدول يبين مصطلح اليهود في القرآن المدني

المصطلح	اسم السورة	عدد المرات	رقم الآية
اليهود	البقرة	ثلاث مرات	١١٣، ٢٠، ١٢٠ مكرر
	المائدة	أربع مرات	١٨، ٥١، ٦٤، ٨٢
	التوبة	مرة واحدة	٣٠
المجموع		ثمانى مرات	

مصطلح يهود مرة واحدة في سياق النفي الذي زعمه اليهود والنصارى، قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (آل عمران/٦٧)، وهذا يعني أنها كمصطلحات مضمومة لأن الله نفاها عن إبراهيم عليه السلام.

ملاحظات:

- لم يرد مصطلح اليهود في القرآن المكي، لأن اليهود لم يكن لهم وجود في مكة وعليه فلا يوجد أي عداة منهم، إلا ما ندر، لأن المسلمين كانوا مستضعفين ولم يشكوا خطراً على تواجدهم في المدينة.
- ذكر اليهود هكذا معرفاً، ليتعرف المؤمنون عليهم وليحذروا عداوتهم، وليبين القرآن أن اليهود ليس في قلوبهم إلا العداة والمكر بالدعوة الإسلامية، وهذا ما حدث منهم في المدينة.

الأساس الثاني: المواضيع التي تناولتها الآيات.

١. رأي الأستاذ الخالدي في النقاط التالية:

- أ- إن القرآن عندما كان يتحدث عن تاريخهم في الماضي قبل بعثة النبي ﷺ، أو يشير إلى بعض ما وقع لهم وعليهم قبل البعثة سمّاهم بنو إسرائيل.
- ب- عندما تحدث عنهم وهم يواجهون الدعوة الإسلامية في المدينة بعد الهجرة، ويكشف عن نفسياتهم ويفند شبهاتهم وأقوالهم سمّاهم اليهود .
- ت- إن بني إسرائيل منذ يوسف عليه السلام وانتهاء ببعثة الرسول اسمهم بنو إسرائيل لكنه بعد البعثة أخذ اسماً جديداً - اليهود - ^(١).

(١) الشخصية اليهودية من خلال القرآن (ص ٣٨) .

الرد على الأستاذ الفاضل صلاح الخالدي:

لقد جانب الأستاذ صلاح الخالدي الصواب عندما قال: إن مصطلح بني إسرائيل ورد في القرآن المكي والمدني، وقال " وهذا الشعب نفسه بعد البعثة النبوية فقد هذا الاسم وأخذ اسماً جديداً وهو اليهود^(١)، وأضاف قائلاً: إن هذا الشعب المعروف في التاريخ باسم بنو إسرائيل في حياته السابقة منذ يوسف وانهاء بعثة محمد ﷺ ، وبعد الهجرة اسمه يهود، وهذا الاسم الثاني يجب أن يبقى علماً عليهم حتى قيام الساعة^(٢) مجرداً من معانيه مع العلم أنه قال: " إن مصطلح بني إسرائيل يمنحهم صلةً ونسباً بإسرائيل يعقوب عليه السلام ويضفي عليهم ظلالاً دينياً وإيمانياً، وهو نوع من التكريم لهم^(٣).

تبين للباحث: أن مصطلح بني إسرائيل ورد في القرآن المدني ستة عشر مرة، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿ (الصَّف / ٦) ، وقوله تعالى: ﴿ سَلِّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ ﴾ (البقرة / ٢١١) والله في ذلك حكمة، وهذا يعني أنه بقي مصاحباً لهم حتى في المدينة، وليس كما قال أستاذنا الخالدي.

٢ . الحكمة من ورود مصطلح بني إسرائيل في القرآن المدني:

أ- تذكير اليهود الذين وقفوا في وجه الرسول ودعوته بأبيهم إسرائيل عليه السلام ، وهم يعادون رسول الله، وكأنه يقول لهم يا من تنتسبون لإسرائيل كيف تنتسبون إليه وتعادون أخاه في النبوة وكلهم أنبياء، أصحاب دعوة واحدة يدعون لرسالة التوحيد.

ب- ناداهم القرآن ببني إسرائيل لترقيق قلوبهم من جانب، وحتى يكفوا عن عداوة المسلمين في المدينة، ويعودون لأصلهم من جانب آخر، فيؤمنوا بالرسول ودعوته.

ت- ومن الحكم أيضاً أن القرآن أراد تشجيع البعض منهم على الإيمان واستجاشة عاطفتهم الإيمانية، لأن منهم من يعلم ببعثة النبي ﷺ حيث كانوا يقولون للعرب هذا أوان بعثة نبي لئن جاء لنقتلنكم قتل عاد وإرم، قال تعالى: ﴿ سَلِّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ ﴾ (البقرة / ٢١١) وقال تعالى: ﴿ أَوْلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ (الشعراء / ١٩٧).

(١) المرجع السابق (ص ٣٣).

(٢) المرجع السابق (ص ٤١).

(٣) المرجع السابق (ص ٣٩).

٣. المقارنة بين بني إسرائيل واليهود:

رأى الباحث: من خلال جمع الآيات واستقرائها، وبعد عقد مقارنة بين المصطلحين توصل الباحث إلى التالي:

أولاً: بنو إسرائيل وتميز بالنقاط التالية:

١- تذكيرهم بالعديد من النعم التي أنعم الله بها عليهم، وذلك لتحريك الإيمان في قلوبهم قال تعالى: ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾

(البقرة/١٢٢).

٢- تذكيرهم بمرحلة الاستضعاف التي كانوا يعيشونها زمن فرعون، وكيف نجاهم الله منها، قال تعالى على لسان موسى: ﴿ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى ﴾ (طه/٤٧).

٣- ترغيبهم بالآخرة، ووعدهم بمعية الله، ودخول الجنة المشروط بطاعة الله والإيمان بالرسول، قال تعالى: (وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ) (المائدة/١٢).

٤- ورد مصطلح بني إسرائيل في سياق تكليفهم بمجموعة من الفرائض الإلهية، وتحذيرهم من عدم الالتزام بها، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ ﴾ (البقرة/٨٣).

٥- الحديث عن ممارساتهم القبيحة والتي وصلت إلى حد الكفر أحياناً بعدة أساليب:
أ. اللوم والعتاب قال تعالى: (وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ) (البقرة/٦٥).
ب. العقاب قال تعالى: (فُؤَلْنَا لَهُمْ كُوفُوا قِرْدَةً خَاسِئِينَ) (البقرة/٦٥).

ج. الذم قال تعالى: (يَسْمَا يَا مُرْكُم بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) (البقرة/٩٣).

٦- الحديث عن الابتلاءات التي تعرضوا لها، كغيرهم من الأمم السابقة قال تعالى: (وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ) (الأعراف/١٦٣).

٧- ذكر بعض الصفات الإيمانية، وأبقى باب التوبة مفتوحاً لمن أجرم منهم قال تعالى: ﴿ وَقَطَعْنَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَّمًا مِنْهُمْ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ (الأعراف/١٦٨)، وقال تعالى: (وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ) (الأعراف/١٧٠).

٨- تحدث عن كفر البعض منهم، وعاقبهم بأن يقتل بعضهم بعضاً، إن أرادوا التوبة، قال تعالى: (وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ) (البقرة/٩٢)، وقال: [وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَرَانِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَرَانِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ] (البقرة/٥٤).

٩- وصولهم إلى مرحلة اللعن والطرده من رحمة، قال تعالى: (لَعْنَةُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ) (المائدة/٧٨).

١٠- الحديث عن فسادهم بشكل عام لتحذير أمة محمد منهم، وليبيان سنة الله في كل المفسدين في كل زمان ومكان، مع بقاء الانتساب لهم من جهة النسب فقط قال تعالى: (وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا إِسْرَائِيلُ إِنِّي قَدْ جَاءَ لَكُمْ هَذِهِ الْحَقُّ فَأَنِيعُوا لِأَوَّلِ الْحِقِّ الْإِسْرَاءِ) (الإسراء/٤٨).

١١- واستمر اسم بني إسرائيل مصاحباً لهم في زمن عيسى عليه السلام، قال تعالى [وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ] (الصف/٦).

والخلاصة التي يراها الباحث:

١. إن مصطلح بني إسرائيل بقي مصاحباً لهم حتى في زمن عيسى عليه السلام قال تعالى: (وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ) (الصف/٦) بل امتد زمن العهد المدني بدليل وجوده في القرآن المدني.

٢. إن مصطلح بني إسرائيل شمل معظم حياتهم، لتنوع الموضوعات التي ورد في سياقها سواء التذكير بنعم الله، أو ذكر صفاتهم الإيمانية، مروراً بمرحلة التكليف الشرعية وصولاً إلى العقوبات التي تعرضوا لها.

ثانياً : مصطلح اليهود واختص بالتالي:

الآيات التي تتحدث عنهم قليلة نسبياً، إذا ما قيست بالآيات التي تتحدث عن بني إسرائيل، ولكن من خلال التدقيق في الآيات التي ورد فيها المصطلح، فإنه يأتي بعد تسميتهم ببني إسرائيل وخروجهم من دائرة الإيمان والانتساب الديني لأبيهم إسرائيل ودخولهم في مرحلة الكفر والطرده من رحمة الله، وجاءت الآيات تشتمل على النقاط التالية :

١- الكفر الواضح، والتجرؤ الصريح على الله ﷻ قال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَغُلُّوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾ (المائدة/٦٤).

- ٢- بيان نفوسهم الخبيثة وطباعهم الخداعة والماكرة، التي تدلل على حقدهم وكراهييتهم وشدة عداوتهم للمؤمنين، قال تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ (المائدة/٨٢).
- ٣- تحذير المؤمنين من موالاتهم لكفرهم، وشدة غدرهم وخداعهم، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (المائدة/٥١).
- ٤- بيان كذبهم وافتراءهم الذي وصل إلى حد التأله قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ﴾ (المائدة/١٨).
- ٥- ويمكن القول أن مجمل الآيات التي وردت بصيغة اليهود شديدة الإيقاع قوية التأثير في سامعيها، تؤثر في أصحاب القلوب السليمة، وترتجف عند تلاوتها لأنها تتحدث عن كفر بواح، وتكشف حقيقة قوم لا خير ولا فائدة ترتجى منهم، خصوصاً بعدما استحقوا اللعن والطرده من رحمة الله، بسبب جرائمهم واعتدائهم على الله، ودينه وأنبيائه، ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (سورة البقرة/ ٧٥).

الأساس الثالث: النتائج التي توصل إليها الباحث

١- نقاط اتفاق بين المصطلحين:

إن كلا المصطلحين في أصله يشتمل على معنى إيماني له أهميته في التأثير على النفس البشرية، ومع ذلك قست قلوبهم ولم تتأثر بأي منها فإسرائيل يعني عبد الله أو صفوة الله كما سبق، واليهود تعني العودة والتوبة إلى الله والإقلاع عن المعصية، لكنهم لم يلتزموا ولم يثبتوا على أي من المعنيين ولم يتأثروا بهما، والذين تأثروا والتزموا بتلك المعاني، قلة قليلة، منهم من ثبت وبقى حتى بعثة الرسول ﷺ، وبعد ذلك أسلم وحسن إسلامه، ومنهم من تكص على عقبيه ولم يثبت، وعاد لخبثه وانقلب على عقبيه، خسر الدنيا والآخرة، وإلى هذا المعنى أشار الدكتور سعد الدين صالح بقوله: "إن لفظ اليهود هو اسم خاص بالمنحرفين من بني إسرائيل، بينما لفظ الإسرائيليين خاص بالمعتدلين منهم الذين ما زالوا على نهج يعقوب عليه السلام"^(١).

(١) العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية، (ص ٤٢)، مكتبة الصحابة - الإمارات - الشارقة - ط الثالثة

٢- نقاط اختلاف بين المصطلحين.

يمكن القول إن مصطلح بني إسرائيل أطلق عليهم زمن أنبيائهم، وحتى زمن عيسى عليه السلام كما سبق بيانه، وأما مصطلح اليهود فقد أطلق على الذين هادوا عن عبادة العجل زمن موسى عليه السلام كما قال معظم المفسرين، وأما وروده في القرآن في سياق الذم، لأنهم ارتكبوا الكفر والجرائم، فوصفهم الله بذلك، حتى ولو كانوا أصحاب ديانة، أما الآن فإن وصفهم باليهود اسم علم لا زال يدل على إجرامهم وكفرهم، لكثرة ما قاموا به من جرائم.

٦- لماذا يصر اليهود بعد كل ما سبق على التمسك بإسم إسرائيل؟

لما كان من المعلوم أن إسرائيل هو يعقوب عليه السلام، وأنه كان نبياً، لذا فاليهود حتى يبرروا جرائمهم، ويظهروا أنفسهم بمظهر حسن جميل، فلا بد أن يستندوا إلى معنى ديني، لأن الانتماء للدين أمر فطري، من أجل أن يكسبوا عطف وتأييد كل من ينتمي أو يحب الدين، وحتى يحققوا ذلك لابد لهم من تسمية أنفسهم في العصر الحديث بأسماء كلها دينية، فاخترت الدولتهم المزعومة اسم إسرائيل، ليمارسوا خداع العالم عامة، وخداع يهود بصفة خاصة باسم الدين، "ليظهروا للناس ارتباطهم بإسرائيل وتنفيذهم لتعاليمه وتحقيقهم لنبوءاته، كذلك جعلوا من أنفسهم شعب الله المختار، الذين اختارهم الله على غيرهم وأعطاهم أرض الميعاد، كذلك ليبرروا جريمة اغتصابهم أرض فلسطين، وأن ذلك إنما جاء تنفيذاً لتعاليم الرب حسب زعمهم والأرض التي اغتصبوها من المسلمين أطلقوا عليها أسماءً دينيةً مثل يهودا والسامرة وأورشليم وخليج إيلات وخليج سليمان"^(١).

نتائج الفصل التمهيدي

- ١- كثرة انتشار الجرائم ومرتكبيها في المجتمعات الكافرة، أو التي لا تحكم بالإسلام، لعدم وجود الوازع الديني، الذي يغرس الرقابة الإلهية في القلوب، وعدم وجود القانون الرادع لها، وإن وجد فأول من يتحايل عليه، أو يخرقه من وضعوه.
- ٢- ندرة الجرائم في المجتمعات الإسلامية، بسبب وجود الوازع الديني، ووجود الرادع للمجرمين من خلال تطبيق الأحكام الشرعية، وندرتها طبيعة بشرية بسبب حالة الضعف التي تنتاب الإنسان أحياناً، وهذا واضح من خلال قلة اشتقاقات الجريمة في القرآن المدني.

(١) الشخصية اليهودية (ص ٤٣) بتصرف، مرجع سابق.

- ٣- استخدام القرآن الكريم للعديد من اشتقاقات الجريمة من الأفعال والأسماء، لكنه لم يستخدم فعل الأمر، لأن الله لا ينهى عن أشياء ويأمر بها.
- ٤- إن تعدد اشتقاقات الجريمة في القرآن، يدل على تعدد الجرائم، وإن تعدد المصطلح الواحد يدل على تعدد الجريمة الواحدة، وهذا واضح من خلال كثرة الإشتقاقات، وتعدد المصطلح الواحد للجريمة.
- ٥- هناك فرق بين مصطلح بني إسرائيل، الذي صاحبهم زمن أنبيائهم، وبين يهود أو اليهود في القرآن، الذي لزمهم بعد عصور أنبيائهم.
- ٦- معظم اليهود الموجودين في العصر الحديث لا يمتون بصلة إلى الديانة اليهودية، ولا إلى يعقوب عليه السلام وأولاده، لا بصلة عرقية ولا دينية، وإنما هم من أجناس وأعراق شتى، ومجتمعات متنوعة من أصقاع الأرض، هاجروا إلى فلسطين واغتصبوها وطرّدوا أهلها لذا فإن الباحث يسميهم قتلّة، أو مجرمين أو منهودين أو مختصبين أو مستوطنين.
- ٧- انقسم اليهود قديماً إلى مؤمنين وكافرين، أما المؤمنون فهم الذين آمنوا بدعوة موسى وعيسى عليهما السلام، وهم قلة بينما الكثرة كانوا كافرين، وهم الذين قاموا بالجرائم الشاملة في حق الله ورسوله والجنس البشري بشكل عام حيث سيقوم الباحث بدراستها وبيان منهج القرآن الكريم في التعامل معها.
- ٨- إن استخدام اليهود اليوم العديد من المصطلحات الدينية، رغم تنكرهم لتعاليمها، مثل تسمية دولتهم المزعومة إسرائيل، أو يهودا والسامرة، أو خليج سليمان، ليس حباً أو انتماءً للدين، وإنما من أجل أن يوهموا العالم أنهم أصحاب ديانة سماوية، وتاريخ وحضارة وليبرروا جرائمهم التي يرتكبونها ضد المسلمين في فلسطين والبشرية كلها.

الفصل الأول

اليهود بين الابتلاء والنعمة

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: موقف اليهود من الابتلاء.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الابتلاء بظلم آل فرعون.

المطلب الثاني: ابتلاء قدرتهم على الصبر والتحمل.

المبحث الثاني: موقف اليهود من نعم الله.

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: التفضيل على العالمين بالنبوة والإمامة.

المطلب الثاني: الأمن النفسي والغذائي.

المطلب الثالث: بعثهم بعد الصعق في الدنيا.

المطلب الرابع: رحمة الله وعفوه.

المطلب الخامس: هلاك فرعون ونجاة بني إسرائيل.

المطلب السادس: وعد الله بدخول الأرض المقدسة.

الفصل الأول
اليهود بين الابتلاء والنعمة

المبحث الأول: موقف اليهود من الابتلاء.

وفيه مدخل ومطلبان:

المدخل إلى المبحث:

وفيه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: الابتلاء لغة.

قال ابن منظور: "بلوت الرجل بلوًا، وبلاءً، وابتليته: اخترته، وبلاه يبلوه بلوًا، إذا جربه واختبره، والاسم: البلوى، والبلوة والبليّة، البلية والبلاء، وبلّي بالشيء، بلاءً وابتلي، والبلاء يكون في الخير والشر، ويقال ابتليته بلاءً حسنًا، وبلاءً سيئًا" (١)، "وبلّاه: جرّبهُ واختَبَرهُ" (٢)، وابتلاه الله: امتحنه واختبره" (٣) والبلاء أصله الاختبار قال تعالى: ﴿ **وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ** ﴾ (البقرة/٤٩)، أي محنه إن أشير إلى صنيعهم، و نعمة إن أشير إلى الإنجاء (٤)، ويكون الابتلاء في الخير والشر، واستخدامها واحد، قال تعالى: ﴿ **وَتَبَلُّوْكُمْ بِالْشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ** ﴾ (الأنبياء/٣٥)، قال ابن فارس: "البلاء والاختبار يكون بالخير والشر أبلاه الله بلاء حسنًا (٥)، وقال ابن عاشور: فالأول: اختبار لمقابلة النعمة بالشكر أو غيره، والثاني: اختبار لمقدار الصبر (٦)، وقال الشنقيطي: نختبركم بما يجب فيه الصبر من البلياء، وبما يجب فيه الشكر من النعم وإلينا مرجعكم فنجازيكم على حسب ما يوجد منكم من الصبر أو الشكر (٧).

(١) لسان العرب مج (٢٦٤/١) مرجع سابق.

(٢) مختار الصحاح مج (٢٦/١) مرجع سابق .

(٣) لسان العرب لابن منظور مج (١٠٣/١٤) مرجع سابق.

(٤) الكليات، لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكوفي (ص ٢٥٠)، مؤسسة الرسالة - بيروت - ط الثانية.

(٥) معجم اللغة مج (١٣٣/١)، مؤسسة الرسالة - ط الثانية - ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م - ط الأولى ١٩٩٣ - لبنان.

(٦) التحرير والتنوير، مج (٣٠٦/١٢) دار سحنون للنشر والتوزيع - تونس، جميع الحقوق محفوظة - بدون طبع.

(٧) أضواء البيان، مج (٦٢١/٤)، مكتبة ابن تيمية - القاهرة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م حقوق الطبع محفوظة.

ولقد فرّق أبو هلال العسكري^(١) بين الابتلاء والاختبار قائلاً: "والابتلاء: لا يكون إلا بتحمل المكاره والمشاق، والاختبار يكون بذلك وبفعل المحبوب، ألا ترى انه يقال اختبره بالإنعام عليه، ولا يقال ابتلاه بذلك، ولا هو مبتلى بالنعمة كما قد يقال إنه مختبر بها، ويجوز أن يقال إن الابتلاء يقتضي استخراج ما عند المبتلى من الطاعة والمعصية، والاختبار يقتضي وقوع الخبر بحاله في ذلك، والخبر العلم الذي يقع بكنه الشئ وحقيقته فالفرق بينهما بين^(٢)، وعلى ضوء ما سبق يتضح أن الابتلاء يكون في الخير والشر، للمؤمنين وغيرهم.

الخلاصة: أن الابتلاء يكون في الخير والشر، قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴾ (الفجر/١٥)، ويمكن تقسيم الابتلاء إلى ثلاثة أقسام من الناس:

- ١- في حق المؤمنين، قال تعالى: ﴿ وَتَبَلَّوْا نَفْسَكُمْ حَتَّىٰ تَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ ﴾ (محمد/٣١).
- ٢- في حق الفاسقين، قال تعالى: ﴿ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ (الأعراف/١٦٣).
- ٣- وأما بلاء الناس مع بعضهم قال تعالى: ﴿ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ ﴾ (محمد/٤).

المسألة الثانية: الابتلاء اصطلاحاً:

"هو استخراج ما عند المبتلى، وتعرف حاله في الطاعة والمعصية بتحميله المشقة"^(٣). وبعد استعراض المعاني اللغوية للبلاء، وما ذكره أبو هلال العسكري يتبين للباحث أن البلاء هو: الامتحان والاختبار في الشر أو الخير، أو كلاهما، سواء كان في حق المؤمنين أو غيرهم. أما في حق المؤمنين فهو للاختبار والتهديب وليس وسيلة تعذيب، وأما في حق الكافرين فهو للاستدراج والإمهال.

المسألة الثالثة: الحكمة من الابتلاء:

على ضوء ما سبق يتبين للباحث أن الابتلاء سنة الله في خلقه، للمؤمنين والكافرين قال تعالى: ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ (الإنسان/٢)، لذا فمن أهم حكم الابتلاء:

(١) أبو هلال العسكري: (٢٩٣-٣٨٢) هو الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران اللغوي الأديب أبو هلال العسكري تلميذ أبو احمد العسكري توافقا بالاسم، واسم الأب والنسب كان موصوفاً بالفقه والعلم والغالب عليه الأدب والشعر. طبقات المفسرين (١/١٣٤) مكتبة وهبة - ط الثانية ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م.

(٢) الفروق اللغوية (ص ٢١١)، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، مكتبة لبنان - بيروت، ط الرابعة ١٤٠٠ - ١٩٨٠ م. تحتاج إلى مراجعة التوثيق.

(٣) المرجع السابق (ص ٢١١) مرجع سابق.

١. الامتحان والاختبار بشكل عام، أما المؤمن لتمييز القوي من الضعيف، والمخلص من المنافق، وأصحاب المنفعة الشخصية من المخلصين لله رب العالمين.

٢. لتكفير الذنوب والخطايا، (عَنْ أَبِي سَعِيدٍ وَأَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُمَا سَمِعَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: (مَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ مِنْ وَصَبٍ وَلَا نَصَبٍ وَلَا سَقَمٍ وَلَا حَزَنٍ حَتَّىٰ الَّهُمَّ يَهْمُهُ إِلَّا كَفَّرَ بِهِ مِنْ سَيِّئَاتِهِ) وعنه قال: (ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله حتى يلقى الله وما عليه خطيئة) (١).

٣. الابتلاء للتمكين وتطبيق شرع الله، ولا يتحقق النصر إلا بعد التمحيص، لذلك كان الابتلاء طريقاً له.

٤. تنقية الصف المؤمن من المنافقين وأصحاب الأهواء، لأن الجماعة المسلمة، عندما تتعرض للابتلاء لا يثبت فيها إلا المؤمنين والصادقين، والباقيون في ميدان البلاء يتساقطون.

قال تعالى: ﴿الْمَ أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ لَقَدْ فْتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ (العنكبوت / ٣٠١).

٥. التنافس والتمايز بين المؤمنين، قال تعالى: (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ) (محمد/ ٣١) فالابتلاء يظهر الفروق بين المؤمنين، فالمؤمن القوى ثابت مهما تعرض للابتلاءات، لأنها لا تزيده إلا إيماناً وثباتاً على الحق، كذلك تفتح ميدان التنافس في الصبر وتحمل الأذى، وإظهار روح التحدي للأعداء، إذا كانوا خلف الابتلاء (٢) وهذا ما حدث مع بلال بن رباح، وغيره من الصحابة والمجاهدين في كل مكان.

٦. البلاء يرفع الدرجات، من خلال صبر المؤمنين عليه، ورضاهم بقدر الله وقضائه، عَنْ يَحْيَىٰ ابْنِ يَعْمَرَ أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَخْبَرَتْهُ أَنَّهَا سَأَلَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ الطَّاعُونَ فَقَالَ: (كَانَ عَذَابًا يَبْعَثُهُ اللَّهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ فَجَعَلَهُ اللَّهُ رَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ مَا مِنْ عَبْدٍ يُكُونُ فِي بَلَدٍ يُكُونُ فِيهِ وَيَمُكْتُ فِيهِ لَا يَخْرُجُ مِنَ الْبَلَدِ صَابِرًا مُحْسِنًا يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يُصِيبُهُ إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ إِلَّا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ شَهِيدٍ) (٣).

(١) م - ك - البر والصلة والآداب - ب - ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن (رقم ٢٣٢٣)، وانظر جامع الأحاديث ب - حرف الميم مج (٣٣٢/١٩) مرجع سابق.

(٢) الابتلاءات أساليب الكفرة في محاربة الدعوة : حمود بن عبد الله المطر تقديم الشيخ عبد الله الجبرين (ص ١٠) دار طويق للنشر ط الأولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

(٣) خ - ك - القدر - ب - لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا (ص ١١٠٩ - رقم ٥٦٤٢، ٥٦٤١) مرجع سابق.

هذه الحكم وغيرها، لم يحظ اليهود بشيء منها، وحرموا أنفسهم من خير كثير لأن الابتلاءات التي مروا بها فشلوا فيها، ويبدأ الباحث في استعراض بعض الابتلاءات التي تعرضوا لها.

المطلب الأول: الابتلاء بظلم آل فرعون:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاهُ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ (البقرة/٤٩)، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقْتُلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ (الأعراف/١٤١).

أولاً: التفسير الإجمالي :

لقد امتنَّ الله على بني إسرائيل بأن نجاهم، من فرعون وخلصهم من العذاب الذي نغص معيشتهم، فقتل الأبناء، وأبقى النساء في عيشة نكدة، الموت أفضل منها، فلا بقي لهن أبناء تقر بها العيون، ولا كبير الأطفال وأصبحوا رجالاً ليتخذوهم أزواجاً، وبنو إسرائيل تعرضوا للنوعين من الابتلاء في الشر عندما سلط الله عليهم فرعون وجنوده، أما الابتلاء في الخير عندما نجاهم الله منه، قال سيد طنطاوي: "الذكروا يا بني إسرائيل وقت أن نجيناكم من آل فرعون، الذين كانوا يعذبونكم أشدَّ العذاب وأصعبه، ويغيغون استئصالاً لأعقابكم، وامتهاناً لكم امتكم، حيث كانوا يزهقون أرواح نكوركهم ويستبقون نفوس نسانكم"^(١)، قال الألوسي: في قوله تعالى: — سوء العذاب — كأنه قال ما الذي ساموهم إياه؟ فقال: يدبِّحون أبناءكم ويستحيون نساءكم"^(٢).

ثانياً: الإعجاز البياني.

وفيه أربعة مسائل:

المسألة الأولى: الفرق في التعبير بين (نَجَّيْنَاهُ) — (أَنْجَاكُمْ).

﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاهُ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ (البقرة/٤٩)، ﴿إِذْ أَنْجَاكُمْ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ (إبراهيم/٦).

(١) التفسير الوسيط سيد طنطاوي مج (١/١٥٣) بتصرف، مطبعة السعادة.

(٢) روح المعاني للألوسي مج (١/٢٥٤) دار الفكر، جميع الحقوق محفوظة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.

قال الشعراوي: "جَبَّناكم الكلام هنا من الله، وأنجاكم الكلام فيها من موسى ﷺ، والفرق بينهما، إنَّ الله سبحانه وتعالى حين يمتن على عباده يمتن عليهم بقمم النعم، ولا يمتن بالنعم الصغيرة، وأن كلمة نَجَّى تكون وقت نزول العذاب لتخليصهم منه، وكلمة أنجى بمنع العذاب عنهم، وإبعاد عذاب فرعون نهائياً^(١). والفائدة من الاستخدامين تنوع الأسلوب وبيان أن الله تبارك وتعالى أنجاهم مرتين، مرة بمنع العذاب أثناء وقوعه على يد فرعون، ومرة ثانية أبعد عنهم العذاب نهائياً وذلك عندما أهلك فرعون وجنوده^(٢).

المسألة الثانية: دلالة التعبير بقول الله (يسومونكم).

أ- **المسومة:** "هي التي عليها السِّمَّ والسُّومة وهي العلامة"^(٣)، وهذا يعني أن العذاب الذي أصاب بني إسرائيل كان شديداً جداً، بسبب شدة العذاب الذي تعرضوا له، بحيث أصبح علامة على وجوههم، وترك آثاره على مجريات حياتهم، وأصبحوا يعرفوا به من خلال وجوههم، في ذلك الزمان، وكأنه علامة وسَموا بها، قال الراغب: "والسِّماء العلامة وقد سومتها أي أعلمته، ومسومين: معلمين"^(٤).

ب- **يسومونكم:** قال الراغب: "سام: السوم أصله الذهاب في ابتغاء الشيء، فهو لفظ لمعنى مركب من الذهاب والابتغاء، وأجرى مجرى الذهاب في قولهم: سامت الإبل، فهي سائمة، ومجري الابتغاء في قولهم، سمت كذا، قال تعالى: ﴿يَسُومُونَكُم سُوءَ الْعَذَابِ﴾ (البقرة/من الآية ٤٩)^(٥).

ت- **الجمال في التعبير:** التعبير يصور لنا مشاهد عميقة مؤثرة، فيها العديد من اللقطات المفزعة والمخيفة التي تعبر عن استنفار فرعون وجنوده، وهو يستعد لمطاردة بني إسرائيل، وفي المقابل يصور لنا مشاهد متعددة لهم، وهم يرتجفون خوفاً ورعباً، لأنهم يعلمون إصرار فرعون على ملاحقتهم أينما ذهبوا، فأين سيذهبون وهو الملك الذي يحكم البلاد؟، وجنوده ينتظرون في الطرقات يتخطفون العباد، عيونهم ترصد بني إسرائيل، وأيديهم على سيوفهم، وإذا حاول أحدهم الهرب تسابقوا لذبحه، أو تسليمه لفرعون، فأى حياة هذه التي عاشوها طيلة فترة السوم؟، وأي مستقبل ينتظرهم في ظلها؟، أليس الموت للأحرار أرحم منها؟، ولكنهم ليسوا كذلك لأنهم أحرص الناس على حياة، ولسانه حال الواحد منهم يقول:

(١) الشعراوي مج (١/٣٢٤، ٣٢٥)، بتصريف مرجع سابق.

(٢) المرجع السابق مج (١/٣٢٥) بتصريف .

(٣) لسان العرب مج (١٢/٣٦٣).

(٤) المفردات (٢٥١) مرجع سابق.

(٥) المرجع السابق (٢٥٠) .

نفسى.... نفسى، وهو يتخيل نفسه وقد ألقى القبض عليه، فأبي مصير ينتظره؟.. وماذا سيفعل به فرعون؟، كل ذلك وغيره من المشاهد واللقطات عبر عنه القرآن الكريم في كلمة واحدة - يسومونكم - فسبحان من أنزل القرآن معجزاً في بيانه وألفاظه وتعبيراته وإيحائه!!!، قال الشعراوي رحمه الله: "والعلامة التي ظهرت على وجوههم لا بد وأنها ناتجة عن أسباب قد تكون مادية ومؤذية للجسم كله، لأن السوم هو المشتمل على أنواع وألوان عديدة من العذاب كالجلد والسخرة والعمل بالأشغال الشاقة وغير ذلك"^(١)!!.

ث- آثار العذاب اقتضى إفناء الرجال، وانقطاع النسل بالكلية، وهلاك الرجل يقتضي معيشة النساء حتى يتمنين الموت من النكد والضّر، وقتل الولد عقيب الحمل والكذب، والرجاء القوي في الانتفاع بالمولود من أعظم العذاب، لأن الأبناء أحب إليه من البنات^(٢).
ج- إن ما أصاب بني إسرائيل من ظلم على يد فرعون، يقتضي من يهود اليوم الذين يزعمون زوراً وبهتاناً أنهم امتداداً لبني إسرائيل، ألا يقعوا فيه، لأنهم رأوا آثاره عليهم، لكنهم يمارسونه اليوم ضد أبناء الشعب الفلسطيني، وهذا يدل على بيان تركيبية هذه النفوس العنصرية والدموية التي تسعى لاستعباد غيرها.

ح- استهداف الذكور دون الإناث، إن ذبح الذكور دون الإناث يمثل إزهاقاً للجنس الإسرائيلي بأسره، بل هو حرب إبادة، بكل ما تحتمله هذه الكلمة من معنى، لأن الذكر هو الأصل والأساس في بذرة هذا النسل، فلولا له لما كان حياة، وليس هذا في الجنس البشري وحده بل في كل المخلوقات التي تدب فيها الحياة، لذلك أراد فرعون من جريمته هذه القضاء على بني إسرائيل، ولقد ذكر الإمام الرازي رحمه الله، أضرار ذبح الذكور دون الإناث،
يلخصها الباحث في النقاط التالية:

- إن ذبح الأبناء يترتب عليه فناء النسل البشري كله، لأنّ النساء عندما يكبرن، لا قيمة لهن بدون الرجال ، وبالتالي تنقطع الذرية من أصلها.
- إن من أخطر الأضرار التي تتبع ذبح الأطفال، التدمير النفسي للمرأة التي مكثت شهوراً وهي تعاني آلام الحمل ومعاناته، تترجو أن تقر عينها بغلام، وفجأة في لحظة تفقده وقد مكثت ربما سنوات تنتظر قدومه، فأبي عذاب أكثر من ذلك، وصدق الله عندما قال: (وَفِي نَلْمِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ (البقرة/٤٩).
- إن ذبح الأطفال، يعني أن تبقى النساء محل طمع الأعداء، ودون حماية، وبالتالي يتم استباحة أعراضهم وكشف أستارهن واسترقاقهن^(٣).

(١) تفسير الشعراوي مج (١/٣٢٥) مرجع سابق.

(٢) غرائب القرآن و رغائب الفرقان، النيسابوري مج (١/٤٨)، دار الصفة ط الأولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

(٣) التفسير الكبير، مج (٣/٦٨) بتصرف دار الكتب العلمية - طهران - ط الثانية.

- ويرى الباحث أن في غياب الذكور من خلال ذبح الأطفال، فتح الباب على مصراعيه أمام الفساد والإباحية، وانتشار الجرائم الجنسية، وخصوصاً السحاق، لأن الجنس أمر فطري تحتاج إليه النفس البشرية، ليتحقق لها الأمن والسكينة، قال تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الروم/ ٢١).

المسألة الثالثة: الفرق في التعبير بين: (يذبحون – يذبحون).

- ١_ قوة التعبير في صيغة المبالغة: – يذبحون – بالتشديد تدل على كثرة الذبح الذي تعرض له بنو إسرائيل وبيان شدته إضافة إلى الفترة الزمنية التي عاشوها في تلك الحالة، حتى أوشك نسلهم على الفناء.
- ٢_ الفرق بين آيتين، (وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ) (البقرة / ٤٩).
- (وَيُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ) (إبراهيم / ٦).

قال الرازي: "إن الآية يذبحون، بدون واو جملة تفسيرية، ليسومونكم سوء العذاب، فلا تحتاج إلى الواو، أما إذا كان المقصود بقوله يسومونكم سوء العذاب، كل التكاليف الشاقة التي تعرضوا لها من فرعون سوى الذبح، فإن قوله ويذبحون في سورة إبراهيم غير ذلك" (١) "وهذا يعني أن سوم العذاب غير التذبيح، والواو للمغايرة، كأنه قال يعذبونكم بالذبح، وبغيره وذلك لبيان بشاعة المجرم والجريمة" (٢).

ويرى الباحث: أن الواو أضافت معنى جديداً، وهو إبراز جريمة ذبح الأطفال الذين لا حول لهم ولا قوة، وذلك لبيان بشاعة الجريمة ومرتكبيها، وبيان أثر الذبح على المجتمع عامة وعلى الآباء والأمهات بصفة خاصة، وأن الجملة الفعلية في قوله تعالى: (يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ) (البقرة / ٤٩) جملة حالية وتفسيرية لقوله: – سوء العذاب – وذلك لبيان واستمرار حالة الذبح المتواصلة والبشعة التي تعرض لها بنو إسرائيل، وبيان أثرها على مجريات حياتهم.

(١) التفسير الكبير مج (٦٨/٣) بتصرف – دار الكتب العلمية – طهران – ط الثانية.
(٢) بلاغة الكلمة والجملة والجمل، (١٩٦) بتصرف، د. منير سلطان أستاذ النقد والبلاغة، منشأه الناشر المعارف بالإسكندرية – ط الثالثة ١٩٩٦ م.

ثالثاً: اللطائف

- ١- الابتلاء في الخير لبيان ثناء الشاكرين، والابتلاء في الشر لبيان رضى وتحمل الصابرين.
- ٢- بيان شدة الآثار النفسية على الآباء والأمهات، إذا تعرض أبنائهم للأسباب بسبب شدة تعلق القلوب بهم.
- ٣- بيان قسوة قلب فرعون وجنده، ومن سار على شاكلتهم، ونهج نهجهم بسبب ذبح الأطفال.
- ٤- استهداف فرعون للذكور دون النساء، لأنه أراد بذلك القضاء على نسل بني إسرائيل إلى الأبد، حتى لو بقيت إناثهم وتزوجن، فإن أبناءهن ينسبون إلى الآباء.

المطلب الثاني: ابتلاء قدرتهم على الصبر والتحمل.

قال تعالى: (فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِِ الْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلاً مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهَ كَمِ مَن فِتْنَةٍ قَلِيلَةً غَلَبَتْ فِتْنَةٌ كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ] وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبَّتْ أقدامنا وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ) (البقرة / ٢٤٩ ، ٢٥١).

أولاً: التفسير الإجمالي:

هذا نوع آخر من الابتلاءات التي تعرض لها بنو إسرائيل، وهو أقل تأثيراً على النفس من سابقه، لكنه في موضع له أهميته وخطورته، وهو ميدان المعركة مع النفس البشرية، التي تهيأ الإنسان للمعركة في الميدان ضد الأعداء، فعندما خرج طالوت ومن معه من بني إسرائيل خارج حدودهم، حيث كانوا ذاهبين إلى أرض فلسطين لدخولها، أراد قائدهم أن يهيئ نفوسهم لأمر جليل، فأخبرهم أن الله مبتليهم بنهر ليختبر صبرهم وطاعتهم لربهم، ثم لملكهم وقائدهم الذي سيقودهم في المعركة، فلما وصلوا للنهر قال لهم لا تشربوا منه، إلا حاجتكم الضرورية التي تعينكم على أداء مهمتكم، ومن خالف هذا الأمر الإلهي فلا يتبعني، لكنهم عندما بدأوا بعبور النهر لم يحتملوا شدة العطش، التي حلت بهم نتيجة السفر والسير في الصحراء، فانقضوا ينهمون من النهر نهم البهائم، إلا قليلاً منهم ثبت وصبر، وهو بعد ذلك الذي واصل مع طالوت وانتصر.

قال الألوسي في قوله : **- مبتليكم -** أي معاملكم معاملة من يريد أن يختبركم، ليظهر للعيان الصادق منكم والكاذب **- كلام على حذف مضاف -** أي من شرب من ماءه مطلقاً فليس مني أي من أشياعي^(١)، وإلى مثل هذا القول أشار البغوي^(٢)، وقال أبو الحسن النيسابوري في تفسيره: " قال لهم طالوت من شرب من النهر وأكثر فقد خالف الله، وخالف أمر قائده وتعرض لعقابه، ومن اغترف غرفة أقنعته فقد سلم، فهجموا على النهر بعد عطش شديد أضر بهم، فوقع أكثرهم في النهر وأكثروا الشراب، وأطاع قوم عددهم قليل، لم يزيدوا على الاعتراف، أما من اغترف قوي قلبه وصح إيمانه، وعبر النهر سالمًا، والذين شربوا وخالفوا أمر الله بقوا على شط النهر، وجبنوا عن لقاء العدو ولم يشهدوا الفتح^(٣)."

قال السعدي: " فلما ترأسهم طالوت وجندهم ورتبهم وفصل بهم إلى قتال عدوهم، وكان قد رأى منهم من ضعف العزائم والهمم، ما يحتاج إلى تمييز الصابر من الناكل، فقال **- إن الله مبتليكم بنهر -** تمرن عليه وقت حاجة الماء، **- فمن شرب منه فليس مني -** أي لا يتبعني لأن ذلك برهان على قلة صبره، وشدة جزعه، ومن لم يطعمه فإنه مني لصدقه وصبره، إلا من اغترف غرفة بيده فإنه مسامح فيها^(٤)."

لقد علم قائدهم أنهم سيتعرضون لامتحان، لذلك ما إن فصل عن الحدود صارحهم قائلاً: " أنتم مقبلون على مهمّة في سبيل الله، وهو سبحانه سيجري عليكم الاختبار ولست أنا، لأن الاختبار يكون على قدر المهمة، وأنا مشرف فقط على تنفيذ الأمر، والله مبتليكم بنهر، من يشرب منه فليس مني، إلا من اغترف غرفة بيده، وعلل الابتلاء، بعدم شرب الماء قائلاً: " إنهم عطشى، ولو لم يكونوا عطشى لما كان النهر ابتلاء، وساعة يرون الماء فسيقبلون عليه بنهم شرباً ورياً، ومع ذلك يختبر الحق صلابتهم فيطالبهم بأن يمتنعوا عن الشرب منه، فجاء الاختبار في منعهم عمّن تصبوا إليهم نفوسهم، لأنهم ساعة يرون ما يحبونه ويشتهونه، فسيندفعون إليه وينسون أمر الله، ومن

(١) روح المعاني للألوسي مج (١/١٦٩) دار الفكر - ط ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م .

(٢) انظر معالم التنزيل والتفسير والتأويل مج (١/٢١٥) للإمام أبي محمد الحسين البغوي دار الكتب العلمية - ط الأولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

(٣) الوسيط في تفسير القرآن المجيد أبو الحسن النيسابوري مج (١/٣٥٩، ٣٦٠) بتصرف، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.

(٤) تيسير الكريم الرحمن (ص ٩٠)، بتصرف مؤسسة الرسالة ط الأولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

ينسى أمر الله ويفضل نفسه فهو غير مأمون أن يكون في جند الله^(١)، وأما من يطيع الله وينفذ أوامره ولو على حساب نفسه فهو الأجدر أن يحظى بشرف الانتماء لجنده، لكن الذي يرى الماء ويمتنع عنه وهو في حاجة إليه فهو صابر قادر على نفسه وسيكون من جند الله، لأنه آثر أمر الله على رغبة نفسه^(٢) لأنهم يقاتلون لتكون كلمة الله هي العليا.

ثانياً: الإعجاز البياني:

وفيه اثنا عشر مسألة:

المسألة الأولى: دلالة التعبير بـ (فصل)^(٣).

وبناءً على المعنى اللغوي لكلمة فصل، يعني أن طالوت خرج خارج حدود مصر ودخل حدود فلسطين، وأصبح بينه وبينها مسافة تفصل بينهما، وليس باستطاعته العودة إليها، وهذا يعني أن جميع الإمدادات قد انقطعت عنهم، بسبب بعدهم عن موطنهم قال القرطبي: "عن قتادة، النهر الذي ابتلاههم الله به بين الأردن وفلسطين^(٤)، وأضاف الشعراوي: "فصلهم عن بقية غير المقاتلين وقسمهم إلى جماعات مرتبة، وكل جماعة لها مهمة^(٥)."

المسألة الثانية: دلالة التعبير بـ (الجنود)^(٦):

هم العسكر الشداد غلاظ القلوب والطباع، وهذا هو الأصل في الجندي داخل الميدان خصوصاً إذا رأى الأشلاء تقطع، والرؤوس تتطاير، والدماء بلونها الأحمر القاني تسيل، فلا يسمح للعاطفة أن تتسرب إلى قلبه فتضعفه أو توهنه، أو تمنعه عن أداء واجبه، كما يفهم من معنى الجنود الثبات في الميدان والصلابة عند احتدام المعارك، وحمل الأعداء وتكرار كرههم واشتداد باسهم، والصلابة عن الحنين للزوجة والأبناء والعشيرة والمال.... إلخ، قال الشعراوي

(١) تفسير الشعراوي (١٠٥٣/٢) بتصرف.

(٢) المرجع السابق (١٠٥٣/٢، ١٠٥٤) بتصرف.

(٣) قال ابن سيده: الفصل الحاجز بين الشيين، فصل بينهما يفصل فصلاً فانفصل، وفصلت الشيء فانفصل: قطعه فانقطع لسان العرب مج (١١٠٥/٥)، مرجع سابق، قال الراغب: فصل: الفصل إبانة أحد الشيين من الآخر، حتى يكون بينهما فرجة، وفصلت الشاة: قطعت مفاصلها، وفصل القوم عن مكان كذا وانفصلوا: فارقوه، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا فَصَلَ الْعَيْرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفْسِدُونَ﴾ (سورة يوسف/٩٤)، المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني، (ص ٣٨١) مرجع سابق.

(٤) الجامع لأحكام القرآن مج (٢١٣/٢) بتصرف.

(٥) الشعراوي مج (١٠٥٣/٢) مرجع سابق.

(٦) قال الراغب: يقال للعسكر الجند، اعتباراً بالغلظة، والفظاظة التي لا تعرف الرحمة، المفردات (ص ١٠٠) مرجع سابق.

رحمه الله:" وأصل الكلمة من جَنَدٌ، وهي الأرض الغليظة الصلبة القوية، ونظرًا لأن الجنود مفروض فيهم الغلظة والقوة فقد أطلق عليهم لفظ - جند - (١).

المسألة الثالثة : دلالة التعبير بـ (مبتليكم).

ليختبر طاعتهم له، وصبرهم وصلابتهم، وقوة شكيمتهم، قال السمرقندي: " وإنما كان الابتلاء ليظهر عند طالوت من كان مخلصا في نيته من غيره، ومن يريد القتال ومن لا يريد القتال، إذا خالط العسكر يدخل الضعف والوهن فيه، لأنه إذا انهزم وهرب ضعف الباؤون (٢).

المسألة الرابعة: أهمية التدريب قبل المعارك.

قال الشعراوي: " إن العملية الحربية التي سيدخلونها، سيقابلون فيها الويل وربما يتعرضون لنفاذ الزاد، ويحاصرون بعد ذلك، والمقاتل في مثل هذه الظروف مطلوب منه أن يقوى على شهواته دائماً، حتى لا يضعف أمامها، ويعود نفسه على القليل من الطعام والشراب لاستبقاء الحياة، ولتقوى على الجهاد في سبيل الله، وهذا ما أراده طالوت عندما قال: إنا من اغترف غرفة بيده (٣)، ويرى الباحث أن القليل من الطعام للجنود يقوى الجانب الروحي لديهم فيقوى اتصاله بالله عز وجل، وهذا من أهم أسباب النصر في المعارك، قال السعدي رحمه الله : " إن عدم صبرهم على الماء ساعة واحدة، أكبر دليل على عدم صبرهم على القتال في الميدان الذي ربما يطول ساعات وساعات، بل وأيام وأكثر من ذلك، وتحصل فيه مشقة أكثر بكثير من مشقة امتناعهم عن الماء (٤).

المسألة الخامسة: لا مكان للمتمردين بين المجاهدين (فليس منى).

إنها البراءة البائنة، من الجنود المتمردين، على أوامر القيادة العسكرية، إذا فلا مكان للمتمردين بين صفوف المجاهدين، فنفي طالوت لمن خالف أمره اتباعه، يمكن اعتبار ذلك طرد له دون رجعة، ورفضه أن يكون قائده لأنه يدرك الضرر الذي يلحق بالجيش، من وجود المخالفين للأوامر، قال القرطبي: " ليس من أصحابي في هذه الحرب (٥)، ولا يصلح أن يكون من جنودي، لأنه لا نصر في المعارك إذا لم يسمع الجند فيها، وأضاف أبو السعود: " ليس بمتصل

(١) تفسير الشعراوي مج (٢/١٠٥٣) مرجع سابق.

(٢) بحر العلوم مج (١/٢١٩) مرجع سابق.

(٣) الشعراوي مج (٢/١٠٥٤) مرجع سابق .

(٤) تيسير الكريم الرحمن مج (١/١٠٨) مرجع سابق

(٥) الجامع لأحكام القرآن مج (٢/٢١٤) مرجع سابق.

بى و متحد معي، وكأنه بعضه لشدة اختلاط الجند بالقائد^(١)، لأن مصيرهم في المعركة واحد فوحدة الصف من وحدة القيادة، والقتال في صف واحد من أوجب الواجبات ويكون مدعاة لنيل محبة الله، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُمْ بُنْيَانٌ مَرصُوصٌ﴾ (سورة الصف/٤)، ووحدة الهدف والغاية، من وحدة القلوب، ووحدة القلوب من وحدة العقيدة وسلامتها، وتحقيق الغايات يحتاج إلى الأسس التالية:

أ- الجماعة: لأنه لا عمل ناجح وتحقيق للهدف دون جماعة، لأنها رحمة، عَنِ النَّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ... الْجَمَاعَةُ رَحْمَةٌ وَالْفُرْقَةُ عَذَابٌ (٢).

ب- وحدة القيادة: لأنه لا جماعة ووحدة صف دون وحدة القيادة، عَنِ أَبِي سَعِيدٍ الْخَدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِذَا بُويعَ لِخَلِيفَتَيْنِ فَأَقْتُلُوا الْآخَرَ مِنْهُمَا^(٣).

ج- أهمية السمع والطاعة: لأنه لا نجاح في الميدان دون سمع وطاعة، ولا قيمة للقيادة دون طاعة، ولا ينتزل النصر على العصاة، قال تعالى: ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَتَابَكُمْ عَمَّا بَعَّمْ لِكَيْلًا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (آل عمران/١٥٣).

د- ثمرة السمع والطاعة: السمع والطاعة قوة وانتصار، وحياء عزة وإياء، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ (الأنفال/٢٤).

هـ- أهمية المنهج: لأنه لا تنفيذ للأوامر دون منهج سليم للجنود، قال تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ (المائدة/٤٨)، فبهذه القواعد تنتصر الأمة على أعدائها، وتعود لتصنع تاريخها من جديد.

المسألة السادسة: قليل نافع خير من كثير مضر: (غرفة بيده).

والغرفة^(٤) بناء على المعنى اللغوي تبين أن الغرفة هي: كل ما يغترف باليد فهو غرفة، والمعنى، أنه سمح لهم بأخذ غرفة واحدة فقط، كي يسدوا رمقهم وهم عطشى، لتقوى أبدانهم،

(١) إرشاد العقل السليم مج (٢٨٢/١) بتصرف.

(٢) حم - ك ثامن مسند الكوفيين (رقم ٩٣٥٠ ص ١٣٩٨) حكم على الأحاديث الشيخ الألباني والشيخ شعيب الأرنؤوط - بيت الأفكار الدولية حقوق الطبع محفوظة.

(٣) م - ك الأمانة - ب - إذا بويع لخليفتين، الجمع على الصحيحين (ج ٢/ ص ٧٥٣).

(٤) قال الراغب: الغرف: رفع الشئ وتناوله، يقال غرفت الماء والمرق والغرفة: ما يغترف، والغرفة للمرء، والمغرفة لما يتناول به قال تعالى: (إِلَّا مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ) (سورة البقرة: من الآية ٢٤٩)، المفردات (ص ٣٦٠).

قال القرطبي رحمه الله: " رخص للمطيعين في الغرفة ليرتفع عنهم أذى العطش بعض الارتفاع، وليكسروا نزاع النفس في هذه الحال" (١)، حتى لا تمتلئ بطونهم وهم عطشى بسبب طول السفر، فتثقل أجسادهم عن الحركة في الميدان أثناء القتال، ويصابوا بالتعب بعد كثرة الشرب فيقعوا ضحية شهواتهم بين أسير وجريح وقتيل، وما وقع معظم الذين سقطوا في يدي أعداء الإسلام، سواء على صعيد القيادات أو الأفراد، حتى الدول، إلا بسبب ضعفهم أمام شهواتهم.

المسألة السابعة: معنى الظن في القرآن الكريم:

ورد الظن في القرآن الكريم على معنيين:

أ. جاء بمعنى اليقين، قال تعالى: ﴿ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَّةً ﴾ (الحاقة/٢٠) وقال تعالى: ﴿ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ﴾ (القيامة/٢٨) وقال: ﴿ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ (البقرة/ من الآية ٢٤٩) وقال: ﴿ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ ﴾ (الحشر/ من الآية ٢) أي اعتقدوا اعتقادًا كانوا فيه في حكم المتيقنين (٢)، قال البيضاوي: " قال الخالص منهم الذين تيقنوا لقاء الله، وتوقعوا ثوابه وعلوموا أنهم يستشهدون عما قريب فيلقون الله تعالى" (٣).

ب. جاء بمعنى الشك، " والظن هو الذي يحصل عن امارة، ومتى قويت ادت إلى العلم ومتى ضعفت جدا لم يتجاوز حد التوهم" (٤)، قال تعالى: ﴿ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةٌ السَّوْءِ ﴾ (الفتح/ من الآية ٦) وقوله تعالى: ﴿ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ (يونس/ ٣٦) وقوله: ﴿ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ ﴾ (آل عمران/ من الآية ١٥٤).

المسألة الثامنة: قلة تنتصر وكثرة تنهزم (كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة).

قال أبو السعود : أفادت التكثر (٥)، لبيان أن القلة المؤمنة في كل زمان ومكان هي المنتصرة على الكثرة الكافرة ، والتاريخ شاهد لأنها سنة من سنن الله في خلقه، قال تعالى: ﴿ سُنَّةَ

(١) الجامع لأحكام القرآن مج (٢/٢١٣) مرجع سابق.

(٢) المفردات للراغب (ص٣١٧).

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل مج (١/١٣٢)، وانظر الجامع لأحكام القرآن مج (٢/٢١٦)، وانظر المحرر الوجيز مج (١/٣٣٦).

(٤) المفردات للراغب (ص٣١٧) مرجع سابق.

(٥) إرشاد العقل السليم مج (١/٢٨٣) مرجع سابق.

اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿ (الأحزاب/ ٦٢)، وقال: ﴿ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ (الفتح/ ٢٣).

المسألة التاسعة: أهمية سلاح التوكل في الميدان:

هذه الفئة التي بقيت من الألوف الذين خرجوا من ديارهم، قال تعالى عنها: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ ﴾ (البقرة/ من الآية ٢٤٣)، وهذه القلة هي التي تحقق النصر على يديها، بعدما تم تصفيتها من القلة المؤمنة التي لم تشرب من النهر، وفيما يلي يوضح الباحث المراحل التي مر بها بنو إسرائيل منذ أن كانوا ألوف.

المرحلة الأولى زمن موسى ﷺ: قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ ﴾ (البقرة/ من الآية ٢٤٣).

المرحلة الثانية: عندما جاء يوشع بن نون إلى فلسطين، ودخل من أريحا وحبست الشمس كرامة له، قال رسول الله ﷺ: (ما حبست الشمس على بشر قط إلا على يوشع بن نون ليالي سار إلى بيت المقدس) (١).

المرحلة الثالثة: بعد موت موسى طلبوا القتال، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَهُمْ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أَخْرَجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَاؤَنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ (البقرة/ ٢٤٦).

موقفهم: تولوا عن القتال إلا قلة منهم، ﴿ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ (البقرة/ من الآية ٢٤٦).

المرحلة الرابعة: القلة القليلة التي لم تثبت في الابتلاء، ﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرَبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ﴾ (البقرة/ من الآية ٢٤٩).

موقفهم: رفضوا الأمر وضعفوا أمام شهوة البطن، فأدى ذلك إلى الفشل، قال تعالى: ﴿ فَشَرَبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ﴾

(البقرة/ من الآية ٢٤٩).

(١) (الخطيب ، عن أبي هريرة) (ج ٩٩/٩) ، وابن عساكر (ج ٢٢٩/٢١) .

المرحلة الخامسة: القلة المصطفاة من القلة الأولى - القلة من القلة ﴿ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ ﴾ (البقرة/ من الآية ٢٤٩) .

موقفهم: الجبن وتثبيط الجيش من لقاء الأعداء قال تعالى: ﴿ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ﴾ (البقرة/ من الآية ٢٤٩)، هذا قسم خاف من قوة جالوت وجنوده، لأنه قاس نتائج المعركة بالقوة والعدة والعتاد، قائلاً: ﴿ لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ﴾ هكذا بكثرة الجنود والحشود^(١).

المرحلة السادسة: الصفوة المختارة، وهي التي ثبتت من الألوف وعددها كعدد أصحاب بدر، عن البراء بن عزاب قال: كنا نتحدث أن أصحاب محمد الذين كانوا يوم بدر ثلاث مائة وبضعة عشر على عدة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر، وما جازه إلا مؤمن^(٢)، وهذا يعنى أن التصفية النهائية للألوف أقل من هذا العدد، لأن الذين تجاوزوا النهر كعدة بدر، قال الشعراوي: " وهكذا تتم التصفية ففي البداية سبق لهم أن تولوا وأعرضوا عن القتال إلا قليلاً، وهنا امتنع عن الشرب قليل من القليل، وهذه مصافي الاختبار فقد يقوى واحد على نصف المشقة، ويقوى آخر على ثلث المشقة، ويقوى ثالث على ربعها، لذلك فقد بقي منهم القليل، لكنه هو الذي يصلح للمهمة، لأنه كان واثقاً بالله وتحقق النصر على يديه^(٣).

موقفهم: حسن الظن بالله ومن ثم الثقة بنصره، فطلبوا المدد الإلهي - الصبر والثبات - فتحقق النصر على أيديهم قال تعالى: ﴿ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ (البقرة/ من الآية ٢٤٩)، قال الشعراوي: " لكن القسم الآخر الذي امتاز عن إخوانه بثقته بربه، جعلت هذه الألوف المؤلفة من جيش جالوت لا وزن لها ولا قيمة، لأن حسن الظن بالله أقوى العدة والعتاد في ميدان المعارك العسكرية وغيرها، لأنهم وثقوا بربهم فاستهانوا بعدوهم، والألوف التي أمامهم تفرقت في قلوبهم لأنها امتلأت ثقة بالله، وهكذا تكون جند الله في الميدان،^(٤) في كل زمان ومكان.

المسألة العاشرة: دلالة التعبير بـ (برزوا).

قال الراغب: البراز الفضاء، وبرز حصل في فضاء، وذلك إما أن يظهر بذاته نحو ﴿ وَتَرَى النَّارَ بَارِزَةً ﴾ (الكهف/ من الآية ٤٧) ومنه المبارزة للقتال، وهي الظهور من الصف،

(١) تفسير الشعراوي مج (٢/ ١٠٥٤) مرجع سابق.

(٢) خ - ك - المغازي - دعاء النبي (ص) ٧٥٣ - رقم ٣٩٥٩.

(٣) تفسير الشعراوي مج (٢/ ١٠٥٤) مرجع سابق.

(٤) المرجع السابق مج (٢/ ١٠٥٤) مرجع سابق.

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾^(١) (البقرة/ من الآية ٢٥٠)، والمعنى أن بنى إسرائيل وجيش جالوت التقيا في مكان واسع مكنت كل فريق منهم رؤية الآخر على هيئة للمبارزة الفردية أو الجماعية، ومثله قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَآءَى الْجَمْعَانَ﴾ (الشعراء/ من الآية ٦١)، وقوله: ﴿يَوْمَ التَّقَى الْجَمْعَانَ﴾ (الأفال/ من الآية ٤١).

قال الرازي: "المبارزة في الحرب، هي أن يبرز كل واحد منهم لصاحبه وقت القتال"^(٢)، فيكون المعنى أن البروز هو الظهور والتراي، بحيث يرى كل منهما الآخر.

المسألة الحادية عشرة: دعاء المؤمنين في الحرب:

١- أفرغ: قال الراغب: أفرغت الدلو: صببت ما فيه قال تعالى: ﴿أَفْرَغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾^(٣)

(البقرة/ من الآية ٢٥٠) والمعنى اصعب الصبر لان قلوبنا فارغة قال الرازي رحمه الله: "وأصله من الفراغ، والإفراغ من الصب، يقال فلان فارغ، معناه أنه خال مما يشغله، والإفراغ: إخلاء الإناء مما فيه"^(٤)، والمعنى اصعب علينا أتم صب وأبلغه، وكأنهم قالوا يا ربى قلوبنا فارغة من كل شئ، إلبا منك وهى مفتوحة لرحمتك، فأفرغ فيها الرحمة، واملأها صبرا وثباتا لنقوى على قتال عدونا، فإن ذلك أفضل لنا من أي مدد بشرى، وأضاف الرازي: " وهذا يدل على المبالغة في طلب الصبر من وجهين:

أ- أنه إذا صب الشئ في الشئ، فقد أثبت فيه بحيث لا يزول عنه، وهذا يدل على التأكيد.
ب- إن إفراغ الإناء هو إخلاءه، وذلك يكون بصب كل ما فيه، فمعنى أفرغ علينا صبرا أي اصعب علينا أتم صبر وأبلغه^(٥)، بحيث لا يبقى متسع في القلب لغيره، من خوف وضعف وكل ما من شأنه أن يتنافى مع الصبر والثبات.

٢- ترتيب الدعاء في الحرب: ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَبَّتْ أقدامنا وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ

الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة/ من الآية ٢٥٠) .

أولا: الصبر، عند اللقاء ورؤية الأعداء، والبروز للقتال وجها لوجه، وجاءت صبرا نكرة للتكثير لأن الموقف يتطلب منهم ذلك وللحاجة الملحة التي يعيشونها، قال أبو السعود: "وتنكير الصبر المفصح عن التفخيم من الجزالة ما لا يخفي وهي للتكثير"^(٦)، لذلك طلبوا أبلغ أنواع

(١) المفردات في غريب القرآن (ص٤٣) بتصريف .

(٢) التفسير الكبير مج (٥-٦ / ج٢/ ١٩٥) .

(٣) المفردات في غريب القرآن (ص٣٧٧) .

(٤) التفسير الكبير مج (٥-٦ / ج٢/ ١٨٦) .

(٥) المرجع السابق مج (٥-٦ / ج٢/ ١٨٦) .

(٦) إرشاد العقل السليم مج (١/ ٢٨٤) مرجع سابق).

الصبر استعدادا لما سيلاقونه من تبعات المعركة مع الجبارين وتوطيئاً لأنفسهم على الصبر في الميدان عند اللقاء، وثبات الأقدام عند اشتداد الوطيس.

ثانياً: الثبات^(١)، وهو الطلب الثاني الذي يأتي بعد الصبر، وقد عرفه أبو السعود فقال: "عبارة عن كمال القوة، والرسوخ عند المقارعة وعدم التزلزل عند المقارعة، ولقد راعوا في الدعاء ترتيباً بديعاً حيث قدموا سؤال إفراغ الصبر الذي هو ملاك الأمر، ثم سؤال تثبيت القدم المتفرع عليه، ثم سؤال النصر الذي هو الغاية القصوى"^(٢)، وقال الطبري: "قوّ قلوبنا على جهادهم، لتثبت أقدامنا فلا تنهزم عنهم"^(٣)، فثبات القدم عبارة عن كمال القوة والرسوخ عند المقارعة وعدم التزلزل وقت المقاومة^(٤)، والثبات عند رؤية العدو وعدده وعتاده، والثبات عند بداية المعركة واشتدادها، حيث التعرض للخوف والزلزلة، والثبات إذا بلغت القلوب الحناجر، والثبات عند رؤية الجرحى والقتلى بارزين في ساحة الميدان، والثبات إذا تأخر النصر خشية اليأس من رحمة الله، والثبات إذا تنزل خشية الغرور والعجب، والثبات عند رؤية الغنائم وهزيمة الأعداء والثبات بعد المعركة ونتائجها، سواء كانت سلبية فتحدث الانتكاسة أو الردة، أو ايجابية فيحصل العجب والغرور.

ثالثاً: النصر، وهو النتيجة الحتمية للقلّة المؤمنة الواثقة بالله ونصره قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (الأنفال / ٤٥) وقوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (آل عمران / ٢٠٠).

٣- معادلة عسكرية للمؤمنين، سلاح الاستطاعة مع الصبر أفضل من سلاح كثير دون صبر في الميدان، سلاح الاستطاعة مع الثبات أفضل من سلاح كثير دون ثبات في الميدان.

النتيجة: سلاح الاستطاعة مع الصبر والثبات في الميدان يؤدي إلى النصر والتمكين والفرحة للمؤمنين، قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَئِذٍ يَقَرِّحُ الْمُؤْمِنُونَ يُنْصِرُ اللَّهُ يُنْصِرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ (الروم / من الآية ٤).

سلاح كثير دون صبر وثبات في الميدان يؤدي إلى التولي يوم الزحف والهزيمة وغضب الله قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يُؤْمِرْ يَوْمَئِذٍ دُبْرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ (الأنفال / ١٦).

(١) قال الراغب: الثبات ضد الزوال، وهو هنا بمعنى القوة يقال: ثَبَّتَهُ: قَوَّيْتَهُ، قال تعالى: وَلَوْ لَا أَنْ تَبْتَئَاكَ، وقال: فَثَبَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا. المفردات (ص ٧٨) مرجع سابق.

(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم مج (٢٨٤/١) مرجع سابق.

(٣) جامع البيان مج (٦٣٨/٢) مرجع سابق.

(٤) إرشاد العقل السليم مج (٢٨٤/١) بتصريف، مرجع سابق.

رابعاً: **تقديم الصبر على الثبات**، وتقدم الصبر على الثبات لأنه الأصل في المعارك وهو القاعدة الصلبة التي يقف عليه المقاتل في الميدان، والصبر هو الذي يحدد مصير المعارك، فكم من المعارك التي حسمت قبل بدايتها لأن الجند فيها لم يصبروا في الساعات الأولى، قال أبو السعود: " ولقد راعوا في الدعاء ترتيباً بديعاً، قدموا سؤال إفراغ الصبر الذي هو ملاك الأمر^(١) .

خامساً: لماذا هذا الدعاء تحديداً؟ لما التقى الجمعان وبرز كل منهما للآخر، وتبين لطلوت وجنده أن جيش جالوت هو الأكثر عدداً وعدة، خشيت القلة المؤمنة دخول الوهن إلى قلوبها، ومن ثم الإنهيار النفسي للجيش لأنهم فصلوا عن بلادهم، وليس هناك مجال للمدد البشري، فطلبوا المدد الإلهي المتمثل في الصبر والثبات، لأنهما الأفضل في الميدان من طلب العدة والعدد، لأنهم يعلمون القاعدة العسكرية الإيمانية التي تقول: ﴿ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ (البقرة/ من الآية ٢٤٩)، قال الشعراوي رحمه الله: "إنهم طلبوا أن يملأ الله قلوبهم بالصبر، ويكون أثر الصبر تثبيت الأقدام، حتى يواجهوا العدو بإيمان صادق، وعزيمة قوية، وعند نهاية الصبر وتثبيت الأقدام، يأتي نصر الله للمؤمنين على القوم الكافرين، وتأتي النتيجة للعزم الإيماني في قوله فهزموهم بإذن الله^(٢) .

المسألة الثانية عشرة: دلالة التعبير بـ (فهزموهم).

الفاء عاطفة على جملة محذوفة، يقتضيها سياق الكلام — فنشبت المعركة والتحم الجيشان — فهزموهم، وجاءت فصيحة، أي إذا شئت أن تعرف ماذا أسفرت عنه المعركة؟ فقد هزموهم^(٣) قال الرازي: وأصل الهزم في اللغة الكسر، يقال سقاء منهزم إذا تشقق مع جفاف، وهزمت العظم أو القصبة هزماً، والهزيمة نقرة في الجبل أو الصخر^(٤)، الفاء أفادت التعقيب والترتيب وكأنهم بمجرد أن انتهوا من الدعاء الصادق لله ألقى الله الوهن في قلب جيش جالوت فكانت الهزيمة، وإن تأخرت حتى قتل داود جالوت، قال البيضاوي: "فكسروهم بنصره، أو مصاحبين لنصره إياهم إجابة لدعائهم"^(٥)، وقد ورد في الحديث: أنها هزمت جبريل

(١) إرشاد العقل السليم مج (١/٢٨٤).

(٢) تفسير الشعراوي مج (٢/١٠٥٦) بتصرف، مرجع سابق.

(٣) إعراب القرآن وبيانه مج (١/٣٧٣، ٣٧٤)، بتصرف أ. محي الدين الدرويش — دار الإرشاد للشئون الجامعية — ط — الرابعة، ١٤١٥هـ — ١٩٩٤م.

(٤) التفسير الكبير مج (٥-٦ / ج ٢/١٨٧).

(٥) أنوار التنزيل وأسرار التأويل مج (١/١٣٢)، مرجع سابق.

العلية^(١)، أو ضرب برجله فانخفض المكان فنبع الماء، وقيل معناه هزم الأرض: كسر وجهها عن عينها حتى فاضت بالماء، وبئر هزيمة إذا خسفت، وكسر جبلها ففاض الماء الرواء^(٢).

وقد تبين من خلال المعاني السابقة لهزموهم أن لها عدة معاني، منها الكسر، والخسف، والانخفاض، وهذا الذي حدث مع جالوت وجنده في تلك المعركة، لذلك قال فهزموهم، ولم يقل فانتصروا عليهم، لبيان قوة الضربة المصحوبة بسلاح الثقة بالله، التي كسرت شوكة جالوت، وخسفت جنده، وخفضت كبريائه وأنفه، ولو أسند النصر لطلوت لما ظهرت نتيجة المعركة للقارئ بهذا الوضوح، وفي ذلك بيان لقوة التعبير القرآني، فكما أن النصر من عند الله، كذلك هزيمة الأعداء بفضل الله ومنتنة.

ثالثاً: الفاصلة: أهميتها ، جمالها:

أ. الفاصلة: قال تعالى: ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ (البقرة/ من الآية ٢٥١).

ب. أهميتها: قال الرازي: لما بين أن الفساد الواقع من جالوت وجنوده، زال بما كان من طلوت وجنوده، عندما قتل داود جالوت، بين بعد ذلك أن الذي حصل إنما حصل بالدفع، لكي لا تفسد الأرض، وإن هذا الدفع في صالح الناس جميعاً^(٣)، وأضاف الشعراوي، لولا وجود قوة أمام قوة الباطل لفسد العالم، فلو سيطرت قوة واحدة في الكون لفسد، فالدفع هو الرد على المراد الفاسد، فإذا كان المراد للناس أن يوجدوا الشر، فإن الله يدفعه بأيدي المؤمنين ولولا أن الله دفع بالقلّة المؤمنة الكثيرة الكافرة من عدوهم لفسدت الأرض، فالدفع هو الرد على المراد، والله يدفع ولكن بأيدي خلقه^(٤)، قال تعالى: ﴿ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ﴾ (التوبة/١٤).

ج. جمالها : وجاء الجمال في الفاصلة على النحو التالي:

• لولا: حرف امتناع لوجود وأصلها – لو ولا النافية – والمعنى لولا وجود الدفع لفسدت الأرض، وهذا يعنى أن الجهاد في سبيل الله يشكل سياج الأمن والأمان للناس جميعاً، لأن الفساد في الأرض إذا جوبه بفريضة الجهاد في سبيل الله لن يكون موجوداً "، قال تعالى: ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو

(١) إزالة الدهش والولد عن التحير في صحة حديث ماء زمزم لما شرب له (ج/١٩٨) محمد بم إدريس القادري، تحقيق زهير الشاويش، خرج الأحاديث الإمام الألباني رحمه الله، المكتب الإسلامي بيروت.

(٢) التفسير الكبير مج (٥-٦/ج٢/١٨٧).

(٣) التفسير الكبير مج (٥-٦/١٩٠).

(٤) تفسير الشعراوي مج (٢/١٠٨٥-١٠٥٩)، بتصرف.

فَضْلٌ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿ (سورة البقرة/ من الآية ٢٥١)، والمعنى في الآية لولا حماية الله ومعيته للمؤمنين وإمداده لهم بالنصر لفسدت الأرض" (١).

• **لفظ الجلالة:** وأسند الدفع إلى الله لبيان فضل الله عليهم، لأن القوم كانوا قلةً وعدوهم كثيرة وذكر لفظ الجلالة لبيان أن الفضل في رد الباطل عن باطله ليس للمؤمنين الذين قاتلوا وضحوا وقدموا أنفسهم وأموالهم وأولادهم، لكنه لله تبارك وتعالى، وذلك حتى يبقى المؤمنون يستشعرون معية الله وفضله عليهم، قال سيد قطب رحمه الله: "وهنا تتوارى الأشخاص والأحداث لتبرز من خلال النص القصير، حكمة الله العليا في الأرض، من تصارع القوى في تدافع وتسابق وزحام إلى الغايات، ومن ورائها جميعاً تلك اليد الحكيمة المدبرة، تمسك بالخيوط جميعاً وتقود الموكب المتزاحم المتصارع إلى الخير والصلاح" (٢)، وقال ابن عاشور: "لأن الله هو الذي قدر النصر وأسبابه، وأضاف، وأصل معنى الدفع الضرب باليد للإقصاء عن المرام" (٣)، ومعنى الآية لولا وقوع دفع بعض الناس لبعض بتقدير الله وإيداعه قوة الدفع وبواعثه لفسدت الأرض، أي من على الأرض واختل نظام ما عليها (٤)، وأضاف الشعراوي، "إن هناك أناساً ألفوا الفساد ويقابلهم أناس خرجوا على من ألفوا الفساد، ليردوهم إلى الصلاح" (٥).

• **ذو فضل على العالمين:** الفضل هو المنة لإزالة الفساد من خلال فريضة الدفع التي أوجبها عليكم، وهي فريضة الجهاد في سبيل الله، ووجوب الدفع الذي يحصل به الفضل، ولولاه لما كان دفع وصد الفساد، ففوة جالوت وجنده وكفره وفساده ما تم إنهاؤها إلا بقوة الدفع التي أزالها عنهم، قال سعيد حوى: (٦) "ولولا أن الله تعالى يدفع بعض الناس ببعض، فيدفع الكافرين بالمؤمنين، وينصر المؤمنين على الكافرين، فيكف بذلك فسادهم، لغلّب المفسدون، وفسدت الأرض، وقتل الأبرار وخربت البلاد وعذب العباد، وهذا يدل على أن الإسلام كله لا يقوم إلا بالقتال" (٧).

(١) المفردات في غريب القرآن (٧٠) مرجع سابق.

(٢) الظلال مج (٢٧٠/١) بتصرف.

(٣) التحرير والتنوير مج (٢/٢) ج (٥٠٠).

(٤) المرجع السابق (٥٠٠، ٥٠١) بتصرف.

(٥) تفسير الشعراوي مج (٢/١٠٦٠).

(٦) الأستاذ سعيد حوى، هو سعيد بن محمد ديب حوى، ولد بمدينة حماة في سوريا، لحق بركب الإخوان ١٩٥٢م، درب على يد مصطفى السباعي وغيره له العديد من الكتب والمؤلفات أشهرها الأساس في التفسير ألفه في سجنه وتوفي في الأردن عام ١٩٨٩م، انظر كتاب من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية المعاصرة (ص ٤٤٧، ٤٥٥)، عبد الله المقبل مختصراً، دار النشر والتوزيع الإسلامي القاهرة، ط الأولى ٢٠٠٢م.

(٧) الأساس في التفسير مج (١/٥٧٩) دار السلام للطباعة والنشر - ط الثالثة ١٤١٢هـ - ١٩٩٠م، بتصرف.

رابعاً: اللطائف:

- ١- أهمية ضرب الأمثال، قال ابن عطية: "وفي هذه القصة بجملتها مثال عظيم للمؤمن ومعتبر، وقد كان أصحاب محمد مستعدين لحرب الكفار فلهم في هذه النازلة معتبر يقتضى تقوية النفوس، والثقة بالله وغير ذلك من وجوه العبر" (١).
- ٢- ضرورة وجود الوائقين بنصر الله بين الجند في المعارك، لرفع معنوياتهم، وتقوية عزيمتهم، مع وجوب ثقة الجيش بنصر الله، قال السعدي: "قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله وهم أهل الإيمان الثابت، واليقين الراسخ، مثبتين الباقين ومطمئنين لخواطرهم، وأميرين لهم بالصبر، كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين" (٢).
- ٣- الاستعانة بالله والصبر والالتجاء إليه سبب النصر والاتكال على النفس سبب الفشل والخذلان.
- ٤- ضرورة استعداد المؤمنين لمواجهة أهل الباطل، وإلّا فسدت الأرض وأهلك الحرث والنسل.
- ٥- ضرورة انتقاء المجاهدين كي يكون الصف من المخلصين الصادقين عند اللقاء، الصابرين في الحرب.
- ٦- بيان فضيلة الجهاد في سبيل الله، وفوائده وثماره وأهمها حفظ الدين والأوطان والأموال (٣).
- ٧- ضرورة قيام قائد الجند بتفقد أحوالهم العسكرية والنفسية، والتربوية فيمنع من لا يصلح للقتال لسبب أو لآخر، خوفاً من الضرر والهزيمة.
- ٨- كثرة الدعاء بالصبر والثبات والتوفيق أثناء المعارك.
- ٩- بيان قوة وأثر الضربة المصحوبة بأسلحة الإيمان، وأهمها الثقة بالله، وترديد قول الله ﷻ، ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَبًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (الأنفال/١٧).
- ١٠- يدعوا الباحث الأمة الإسلامية والعربية، وكل من يكره الفساد والمفسدين في الأرض لتشكيل قوة رادعة للفساد تسمى قوة الدفع العالمية، كي تقف في وجه المفسدين، إذا أراد العالم أن يعيش في أمن وأمان.
- ١١- إن العلاقة بين المعركة مع شهوات نفس الإنسان، وبين المعركة مع الأعداء في الميدان واضحة وجليّة، فمن انتصر في الأولى فهو مؤهل للثانية، ومن هزم في الأولى يجب أن يصلح نفسه ويعود لربه، وإلّا فليس أهلاً لدخول المعركة، لأن وجوده سبب للهزيمة.

(١) المحرر الوجيز مج (١/٣٣٨).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص ٩٠) بتصرف.

(٣) المرجع السابق (ص ٩٠).

- ١٢- تتجلى طاعة الله عز وجل من عباده في قوله - مبتليكم - لأن الابتلاء من الله ليس تعذيباً للنفس وحرمانها من احتياجاتها الضرورية ، وإنما هو نوع من التربية الجهادية.
- ١٣- طاعة الله عز وجل أول الطريق إلى النصر والتمكين.
- ١٤- السمع والطاعة للقيادة ضد رغبات النفس، مقدمة للسمع والطاعة في ميدان المعركة وأوامرها، وتكتيكاتها.
- وعلى ضوء ما سبق تبين أن بني إسرائيل بالجملة قد فشلوا في الابتلاءات التي تعرضوا لها، والقلة التي نجحت في الابتلاء كان لها بعد ذلك شأن عظيم.

المبحث الثاني

مواقف بني إسرائيل من نعم الله عليهم

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول : تفضيلهم على العالمين بالنبوة والملك والإمامة:

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ أذكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴾ (المائدة/ ٢٠)، وقال: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ (الجاثية/ ١٦) وقال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ (السجدة/ ١٧).

أولاً: التفسير الإجمالي:

وفيه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: نعم الله على بني إسرائيل:

لقد أنعم الله على بني إسرائيل نعماً كثيرة، فليس في تاريخ البشرية قوم من الله عليهم بنعم مثلهم، لا من حيث الكم ولا النوع، والباحث في دراسته ليس بصدد حصرها، بقدر ما هو حريص على بيانها، وإبراز موقفهم منها لبيّن طبيعتهم التي تنتكر لمن يحسن إليهم ولو كان ربه!!، الذي خلقهم وأراهم الآيات والعديد من المعجزات.

لقد ذكرت هذه الآيات العديد من النعم المادية والمعنوية، الدنيوية والأخروية التي منحها الله لبني إسرائيل، فمن أعظم هذه النعم أن جعل منهم الأنبياء والملوك والأئمة التي تقودهم إلى طاعة الله، وهذه النعم فضلهم الله بها على غيرهم من الأمم، فليس في تاريخ البشرية أمة أكرمها الله بهذه النعم مجتمعة، إضافة إلى الرزق الدائم النازل من السماء دون جهد أو تعب، قال الشيخ مصطفى الحصن المنصوري رحمه الله^(١): " يا أولاد النبي الصالح يعقوب عليه السلام اذكروا فضلي وإنعامي عليكم بصنوف النعم، حيث نجيت آباءكم من طغيان فرعون وجبروته، وفضلتهم على العالمين في زمانهم، وفي تفضيل الآباء شرف للأبناء، وهذا التفضيل لمؤمنهم الصالحين،

(١) الشيخ مصطفى الحصن المنصوري، هو الأستاذ الشيخ مصطفى بن ميمش بن الحسين في مدينة حصن المنصور ولد عام ١٣٠٧هـ ودرس العلوم الابتدائية، وكان والده طبياً وحرصاً أن يكون ابنه من أهل العلم تعلم اللغة العربية، وبرع فيها على يد شيوخه عبد الله خواجه، وبرع في العلوم، ألف كتابه المقتطف في الفقه ١٩٩٢م، وكتاب الله المقتطف في عيون التفسير، توفي رحمه الله عام ١٣٩٠هـ ودفن في اسطنبول عن عمر يناهز اثنين وثمانين عاماً، المقتطف من عيون التفسير مج(١/٨٠٧)..

مأ العصاة والفجرة فقد مسخوا قرده وخنازير.^(١)

ولقد قسم كل من الإمام الرازي و سيد طنطاوي نعم بني إسرائيل إلى ثلاثة أنواع

يلخصها الباحث كالتالي:

الأولى: جعل كثير من الأنبياء فيهم كموسى وهارون وإسحق ويعقوب ويوسف عليهم السلام " ثم أضاف سيد طنطاوي: "والتنكير في قوله تعالى " أنبياء للتكثير والتعظيم، أي تذكروا يا بني إسرائيل نعم الله عليكم، وأحسنوا شكرها، حيث جعل فيكم أنبياء كثيرين".

الثانية: جعلهم ملوكاً أي جعلكم أحراراً تملكون أمر أنفسكم، بعد أن كنتم مملوكين لفرعون وقومه، ونعمة الحرية بعد الذل، والسعة بعد الضيق من النعم العظمى التي لا يقدرها ولا يحافظ عليها إلا أصحاب النفوس الكبيرة، التي تعاني الظلم وتأبى الضيم.

الثالثة: آتاهم من ألوان الإكرام والمنن ما لم يؤت أحداً من العالمين في زمانهم^(٢).

ويتضح مما سبق أن الله تبارك وتعالى أنعم على بني إسرائيل من النعم الكثيرة والمتنوعة من حيث الكم والنوع وعلى رأسها كثرة الأنبياء فيهم ، وكثرة الملوك ورؤية المعجزات ، بحيث لم تحظ أمة من الأمم برعاية من الله مثلهم .

المسألة الثانية: التفضيل على العالمين:

١. **التفضيل:** هو الزيادة في الخير^(٣) وهو من باب عطف العام على الخاص وهذا يعني أن

هناك شيئاً ممتاز به بنو إسرائيل عن عالمي زمانهم ، قال تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ**

الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ (الجنات/١٦).

٢. **أقوال العلماء في تفضيل بني إسرائيل:**

يقول أبو الطيب صديق خان القنوجي^(٤) الهندي : يعني على عالمي زمانكم فلا يتناول من

مضى ولا من يوجد بعدهم^(٥)، وذهب الشوكاني إلى أن التفضيل من أهل زمانهم حيث آتاهم

(١) المقطف من عين التفاسير مج (١/٧٩، ٨٠)، دار السلام للطباعة والنشر.

(٢) راجع التفسير الكبير مج (١٢/١٩٣) دار الكتب العلمية — طهران — الطبعة الثانية، والتفسير الوسيط

(٤/١٣٦) بتصرف، مطبعة السعادة ط الثانية — ١٤٠٧هـ — ١٩٨٦م.

(٣) الدر المصون مج (١/٣٣٤) دار القلم — دمشق ط الأولى ١٤٠٦هـ — ١٩٨٦م .

(٤) القنوجي: (١٢٤٨هـ — ١٣٠٧هـ) هو محمد صديق حسن خان القنوجي، نسبه إلى قنوج وهي من بلاد

الهند ولد ١٢٤٨ هـ في بيت صالح رحل في طلب العلم وتلمذ على أيدي كبار علماء الهند، وله مؤلفات

كثيرة منها : فتح البيان في مقاصد القرآن ، ونيل المرام من تفسير آيات الأحكام ، توفي رحمه الله

١٣٠٧هـ. الزركلي مج(٦/١٦٧) بتصرف، قنوج أفخر بلاد الهند اسماً وشأناً وأعظمها وأقدمها بنياناً، فتح

البيان في مقاصد القرآن، مج (١/١٦١).

(٥) فتح البيان في مقاصد القرآن (١/١٦١) دار إحياء التراث الإسلامي ١٤١٠هـ — ١٩٨٩م .

ما لم يؤت من عاداتهم من فلق البحر ونحوه^(١)، وقال البغوي: نقلاً عن ابن عباس: "لم يكن أحد من العالمين في زمانهم أكرم على الله ولا أحب إليه منهم"^(٢)، وقال سيد طنطاوي: "وهذا التفضيل نعمة خاصة، فعطفه على نعمتي من باب عطف الخاص على العام، للعناية به، والتفضيل مبدأ تفضيل النعم وتعدادها"^(٣)، وهذا يعني أن هناك نعم عامة على بني إسرائيل، وجاء التفضيل زيادة عليها لبيان عناية الله لهم، قال أبو هلال العسكري: "و التفضيل التخصص بالنفع الذي يوليه القادر عليه وهو الزيادة في الشيء"^(٤).

المسألة الثالثة: المقارنة بين أفضلية بني إسرائيل وخيرية أمة محمد ﷺ :

١. أفضلية بني إسرائيل:

يتلخص قول الإمام الرازي في: أن أفضلية بني إسرائيل محصورة في عالم زمانهم، لأن أمة محمد لم تكن موجودة، وجاءت بعدهم فهي خارج عالمهم^(٥) وإلى مثل ذلك ذهب سيد طنطاوي حيث قال: لأن التفضيل الوارد في بني إسرائيل، ذكر فيهم حال عدم وجود أمة محمد، والمعدوم في حالة عدمه، ليس بشيء حتى يفضل على غيره، أو يفضل غيره عليه^(٦).

٢. خيرية أمة محمد، قال تعالى: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ (آل عمران / ١١٠) .

يرى الإمام محمد المختار الأمين الشنقيطي^(٧) أن لفظة — خير أمة — صيغة تفضيل، لذلك فالخيرية ثابتة لأمة محمد بصريح القرآن الكريم،^(٨) فثبت أن كل ما جاء في القرآن من تفضيل بني إسرائيل، إنما يراد من ذكر أحوال سابقة^(٩).

٣. رأى الباحث: إن أفضلية بني إسرائيل التي حظوا بها، كانت زيادة في التكريم الإلهي لهم، ليس لأنهم يستحقونها، وإنما تكراً وتفضلاً من الله ﷻ، وإن كان فيهم بقية من خير، كذلك لأنه لم يكن في زمانهم من يوحد الله غيرهم، بينما خيرية أمة محمد ﷺ استحققتها بجدارة

(١) فتح القدير مج (١٠/٥) دار الحديث — القاهرة ط الثالثة ١٤١٨ هـ — ١٩٩٧ م.

(٢) معالم التنزيل والتفسير والتأويل مج (١٢٤/٥)، دار الفكر للطباعة والنشر ١٤١٢ هـ — ١٩٩٤ م .

(٣) الوسيط في التفسير مج (١٤٥/١) بتصرف.

(٤) الفروق اللغوية أبو هلال العسكري (ص ١٨٩)، بتصرف.

(٥) التفسير الكبير مج (٣—٥٢/٤) مرجع سابق.

(٦) الوسيط في التفسير مج (١٩٤/١٣) مرجع سابق.

(٧) نسبة إلى مدينة شنقيط في موريتانيا.

(٨) أضواء البيان مج (٣٥١/٧) بتصرف، مكتبة ابن تيمية- القاهرة — جميع الحقوق محفوظة—

١٤٠٨ هـ — ١٩٨٨ م.

(٩) المرجع السابق مج (٣٥٢/٧) بتصرف .

وجهد بعد كرم الله ﷺ ، قال تعالى: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ (آل عمران/١١٠) فتحققت الخيرية لأمة محمد ﷺ بسبب ثلاث أركان أساسية:

الأول: الأمر بالمعروف.

الثاني: النهي عن المنكر.

الثالث: الإيمان بالله .

أما بنو إسرائيل فعلى النقيض من ذلك تماماً.

أما الركن الأول والثاني: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقد قال الله في حقهم، ﴿ لَعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرِ فَعْلُوهُ لِبَنَسٍ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ (المائدة/٧٩،٧٨)، أي لا ينهى بعضهم بعضاً عن ترك المنكر^(١).

أما الركن الثالث: فمعظمهم لم يحقق الإيمان، بل كفروا بالله وتجرءوا عليه، واتهموه بالبخل والفقر، فقالوا: — يد الله مغلولة — وقالوا: — إن الله فقير ونحن أغنياء [كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنَّ يَقُولُونَ إِذَا كَذَبُوا] (الكهف/٥).

٤. الخلاصة:

أ. إن بني إسرائيل لهم الأفضلية على أهل زمانهم فقط، وأما أمة محمد فلها الخيرية على كل الأمم.

ب. إن أفضلية بني إسرائيل كانت في نفر قليل منهم، وهم القلة المؤمنة التي آمنت بموسى، وفي فترة محدودة، بينما خيرية أمة محمد فيها كلها، وهي باقية فيها ما بقيت السموات والأرض إلى ما قبل قيام الساعة حيث لا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق.

ج. إن بني إسرائيل لم يأمرُوا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر فاستحقوا اللعن وأمة محمد ﷺ قامت بواجبها وأدت الحق الذي عليها فيه فاستحققت الخيرية.

د. ليس لبني إسرائيل إلا إيتباع أمة محمد ﷺ (عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، أَنَّ عَمَرَ أَتَاهُ فَقَالَ: إِنَّا نَسْمَعُ أَحَادِيثَ مِنَ الْيَهُودِ تُعْجِبُنَا أَفْتَرَى أَنْ نَكْتُبَ بَعْضَهَا؟ فَقَالَ: " أَمْتَهُوْكُمْ^(٢) أَنْتُمْ كَمَا تَهَوَّكْتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى ؟ لَقَدْ جُنْتُكُمْ بِهَا بِيُضَاءِ نَفِيَّةٍ، وَلَوْ كَانَ

(١) أيسر التفاسير مج (١/٥٢١) أبو بكر الجزائري — مكتبة العلوم والحكم ط الخامسة ١٤٢٤هـ — ٢٠٠٣م.

(٢) التهوك هو الوقوع في الأمر بغير روية، جامع الأحاديث ك — ب — حرف اللام (ج/١٧/٣٣٢).

مُوسَى حَيًّا مَا وَسِعَهُ إِلَّا اتَّبَاعِي) ^(١)، فإذا كان موسى ﷺ ليس أمامه إلا أن يكون واحداً من أمة محمد، فكيف ببني إسرائيل، فهل بعد ذلك هناك منهم من يدعي أنه من شعب الله المختار.

٥. إن خيرية أمة محمد ﷺ استحققتها بفضل الله أولاً ثم بسبب إيمانها بالله ﷻ، وهو الذي دفعها لتؤدي واجبها اتجاه دينها من خلال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بينما أفضلية بني إسرائيل ليست بسبب خير فيهم، وإنما هي تفضيل وكرم من الله ﷻ.

ثانياً: الإعجاز البياني:

وفيه مسألة واحدة: إسناد التفضيل لله ﷻ.

استخدام الفعل فضلتكم مسند إلى الله ﷻ تصريحاً، وإنما مفهومة ضمناً، وهذا يدل على أن التفضيل مرتبط برضا الله عنهم، فإذا ما أغضبوه، منعوا من التفضيل، وهذا الذي حدث معهم، عندما عصوا الله، وارتكبوا الجرائم ضربت عليهم الذلة والمسكنة، وحل بهم غضب الله.

ثالثاً: اللطائف البيانية:

١. التفضيل وهو الزيادة في النعم، وذلك لترقيق قلوبهم، واستجاشة عاطفتهم الإيمانية، لعلمهم يتوبون إلى الله ﷻ، ويكفوا عن عداوتهم للرسول ﷺ.

٢. كثرة النعم على بني إسرائيل ليس لفضلهم، وإنما ليقابلوها بالشكر، ولتذكيرهم بها في المدينة المنورة ليذكروا الله عليها، ومن مقتضيات شكره الإيمان برسوله محمد ﷺ لكنهم قابلوا التذكير بالجحود والعداوة والتأمر على الرسول وأمه، وحاولوا قتله أكثر من مرة.

٣. التلطف الجميل والأدب الرفيع في خطاب سيدنا موسى ﷺ لقومه قائلاً: — يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم — والتلطف يفيد الإشفاق.

٤. أسلوب الذم الذي وصف الله به أعمالهم القبيحة، بقوله — لبئس ما كانوا يفعلون — يفيد التفسير من هذه الأعمال وفاعلها، ويدعوا إلى مقتهم واستباحهم.

٥. إن أمة محمد خير وأفضل من بني إسرائيل بدليل قوله تعالى: — كنتم خير أمة — وبنو إسرائيل أمة من الأمم.

(١) شعب الإيمان ب ذكر حديث جمع القرآن (ج ١/٣٤٧). مرجع سابق.

المطلب الثاني: الأمن النفسي والغذائي:

قال تعالى: ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوى كُلُوا مِنَ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [البقرة/٥٧]، وقال: ﴿ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأً (١) صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ (يونس / ٩٣)، وقال: [يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَوَعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ (٢) وَالسَّلْوى (٣) كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى ﴾ (طه/٨٠، ٨١).

أولاً: التفسير الإجمالي:

لقد امتن الله على بني إسرائيل بنعم كثيرة، منها المسكن الوافر، والظل السماوي، إضافة للغذاء الرباني.

وهذه نعم جديدة من نوع آخر، تجمع بين أهم حاجتين للجنس البشري، الأمن النفسي، والأمن الغذائي، فلا يمكن أن تكون هناك حياة لها طعم بدونهما، لا قديماً ولا حديثاً، فإبراهيم منذ آلاف السنين دعا ربه قائلاً: ﴿ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ (البقرة/١٢٦) فالمسكن الآمن الذي يتبوأه الإنسان ويأوي إليه يحقق له قسطاً كبيراً من الأمن فكيف إذا كان هذا المسكن من الله، مضاف إليه الغمام الذي كان يظلل بني إسرائيل، في مدة تيههم بين مصر والشام، من الهجرة في الصحراء القاحلة، حيث لا زرع ولا نبات ولا ماء، ومع ذلك ووسط هذا الجو الذي تفوح منه شدة الحرارة، التي تكاد تفتح الوجوه وتجفف الشفاه فالظل لا يكفي، فلا بد من توفير الأمن الغذائي لهم، فلا حياة ولا طعم بدون ذلك، فأنزل الله المن والسلوى، ليوفر لهم أشهى الطعام وأبرد الشراب، قال الشعراوي: " يريد الله تبارك وتعالى أن يمتن على

(١) مبوأ صدق: أي أنزلناهم منزلاً صالحاً طيباً مرضياً، أيسر التفاسير: أبو بكر الجزائري ٣٩٢/٢ مرجع سابق.

(٢) المن: قال ابن سيده: هو ظل ينزل من السماء، وقيل هو شبه العسل كان ينزل على بني إسرائيل، وقال الليث: المن كان يسقط على بني إسرائيل من السماء إذا هم في التيه، وكان كالعسل حلوة، وقال الزجاج: جملة المن في اللغة بما يمن الله عزوجل به مما لا تعب فيه ولا نصب، لسان العرب مج/٥٣٦/٥ مرجع سابق، والذي يراه الباحث أن شراباً لذيذاً أنزله الله من السماء منةً منه وتكرماً، اسمه المن كان يكفي لسد حاجة بني إسرائيل في تيههم.

(٣) السلوى: هو السماني، وهو طير يضرب إلى الحمرة وقال البعض كان يأتيهم مشوباً، تفسير السمرقندي مج (١٢٠/١) دار الكتب العلمية - بيروت لبنان - ط الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م .

بني إسرائيل بنعمه ويرينا أنه رغم كل هذه النعم عاشوا في عنادهم وتعنتهم، وقال اذكروا إذ كنتم في الصحراء وليس فيها ظل تحتمون به من حرارة الشمس القاسية ، ليس فيها مكان تستظلون فيه لأنه لا ماء ولا نبات في الصحراء، فظلَّ الله سبحانه وتعالى عليكم الغمام رحمة منه ، ورزقهم بما يعطيهم وقوداً للحركة، منّا وسلوى غذاء رباني، كل هذا دونما تعب منهم^(١) ، قال سيد طنطاوي: وتظليلهم بالغمام وإنزال المن والسلوى عليهم كان في مدة تيههم بين مصر والشام المشار إليه بقوله تعالى: ﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ (المائدة/٢٦)^(٢).

ثانياً: الإعجاز البياني

وفيه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: الفرق في التعبير بين (أنزلنا - ونزلنا).

في قوله تعالى: ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ (البقرة/٥٧).
وقوله تعالى: ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَىٰ ﴾ (سورة طه/٨٠).

أنزل: يستخدم في إنزال الشيء دفعة واحدة، قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ (القدر/١).

نزلنا: بالتشديد صيغة مبالغة من الفعل نزل يدل على تكرار الفعل مرات متعددة وفي أوقات متفاوتة، قال تعالى: ﴿ وَنُزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الإسراء/٨٢).

قال الأستاذ الدكتور فاضل السمراي "إن استعمال نزل قد يكون للتدرج والتكثير، وقد يكون للاهتمام والمبالغة، فالتنزيل قد يستعمل فيما هو أهم وأبلغ من الإنزال، وأكثر تأثيراً ولدواعي الحاجة وطول الزمن^(٣).

(١) الشعراوي مج (١/٣٥٠) بتصرف، أخبار اليوم _ قطاع غزة.

(٢) بنو إسرائيل في القرآن والسنة (ص٣٦٨) مرجع سابق.

(٣) بلاغة الكلمة في التعبير القرآني (ص٦٤) دار عمار - عمان الأردن.

قال الراغب: والفرق بين الإنزال والتنزيل، أن التنزيل يختص بالموضع الذي يشير إليه إنزاله مفرداً ومرة بعد أخرى، والإنزال عام، فقد ذكر في التنزيل قوله: ﴿ تَزَلَّ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴾ (الشعراء/١٩٣)، وقال تعالى: ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأُولَى لَهُمْ ﴾ (محمد/٢٠)، فإنما ذكر في الأول نزل وفي الثاني أنزل تنبيهاً أن المنافقين يقترحون أن ينزل شيء فشيء من الحث على القتال ليتولّوه، وإذا أمروا بذلك مرّة واحدة تحاشوا منه فلم يفعلوه، فهم يقترحون الكثير ولا يفون منه بالقليل، وقال تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ (القدر/١)، وإنما خص لفظ الإنزال دون التنزيل لأن القرآن نزل دفعة واحدة إلى السماء الدنيا ثم نزل منجماً^(١).

٢- **الجمع بين الفعلين:** عندما مكث بنو إسرائيل في الصحراء تحت حرارة الشمس فترة احتاجوا إلى الطعام والشراب فأنزل الله لهم كل احتياجاتهم دفعة واحدة _ لكنه سبحانه بعد ذلك كان ينزل عليهم الطعام والشراب كلما جاعوا، وهذا يدل على أنه كان ينزل حسب حاجتهم.

المسألة الثانية: الجمع بين الفعلين (الماضي ظلمونا، والمضارع يظلمون).

قال أبو السعود: للدلالة على تماديهم في الظلم واستمرارهم على الكفر^(٢)، وقال سيد طنطاوي: والتعبير عن ظلمهم لأنفسهم بالفعل — كانوا — والفعل المضارع — يظلمون — يدل على أن ظلمهم لأنفسهم كان يتكرر منهم لأنك لا تقول في ذم إنسان كان يسيء إلى الناس إلا إذا كانت الإساءة تصدر منه المرّة تلو الأخرى^(٣).

المسألة الثالثة: موقفهم من النعمة:

لقد كان موقفهم من هذه النعم هو التكرار والاستمرار في الكفر والعناد بدليل قوله تعالى: ﴿ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ (البقرة/٥٧).

ثالثاً: الفواصل: أهميتها، جمالها.

١. الفاصلة الأولى: ﴿ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ (البقرة/٥٧).

(١) المفردات (ص ٤٨٩)، مرجع سابق.

(٢) إرشاد العقل السليم (١/٢٧) دار الفكر للطباعة والنشر.

(٣) بنو إسرائيل في القرآن والسنة (ص ٣٦٩) مرجع سابق، التفسير الوسيط مج (١/١٧٦) مرجع سابق.

٢. أهميتها، جاءت أهمية الفاصلة بعد تنكر اليهود للعديد من النعم التي أنعم الله بها عليهم، لبيان أن هذا التنكر إنما عاد جرمه عليهم وهذه سنة الله في خلقه، ﴿ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾ (النمل/ من الآية ٤٠) وقال: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ (إبراهيم/ ٧) وللفت أنظار يهود المدينة وتحذيرهم من سيرة أسلافهم.

٣. جمالها، وجاء الجمال في الفاصلة الأولى في النقاط التالية:

أ. قوله تعالى: ﴿ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ (البقرة/٥٧) بهذا التهديد والوعيد الشديدين، بعد نعم الله على بني إسرائيل لنقول إن لم تشكروا نعم الله عليكم وتوبوا من جرائمكم وتسخرُوا هذه النعم لطاعة الله، فانتظروا غضبه الساحق وانتقامه الماحق.

ب. جاءت جملة - يظلمون - حالية لبيان استمرارهم في تنكرهم لنعم الله عليهم، وهذا يمثل قمة الظلم لأنفسهم، ولعلها جاءت لبيان حال يهود المدينة، لأنهم استمروا على نهج سلفهم، بدليل ما لحق بهم بعد ذلك من عقاب على أيدي الرسول ﷺ والصحابة ؓ .

١. الفاصلة الثانية: ﴿ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحِلِّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى ﴾ (طه/٨١).

٢. أهميتها: جاءت أهمية الفاصلة لبيان موقف بني إسرائيل من نعم الله عليهم، كما في الفاصلة السابقة لأنهما تتحدثان عن موضوع واحد.

٣. جمالها: وجاء الجمال في الفاصلة في لفظة - هوى^(١) - لما لها العديد من الإيقاعات المؤثرة في النفس:

أ. تدل على الهبوط المعنوي السريع المنحدر من أعلى إلى عمق سحيق، إشارة إلى سرعة ذهاب تلك النعم السابقة منهم، وذهاب الملك والنبوة ونزولهم من علو التفضيل، إلى حضيض اللعنة والطرده من رحمة الله .

ب. بيان سرعة نسيان حالة التنعم والهيمنة التي عاشها فرعون ومن معه، بسبب قوة السقوط التي أنستهم ذلك.

(١) هوى يهوي هويًا من المهوأة موضع من الهوا مشرف، وانهوى الشيء: سقط، والهواية: كل مهوأة لا يدرك قعرها، والهوة: كل وهدة عميقة، والهواية: اسم من أسماء جهنم، وهوى فلان: إذا مات. المحيط في اللغة مج (٤/٩٣، ٩٤) كاف الكفاة الصحاح إسماعيل ابن عبّاد عالم الكتب ط ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م.

ت. فيها تهديد ووعد لبني إسرائيل في المدينة، ولغيرهم بسرعة زوال الملك لمن أغضب الله.

رابعاً: العلاقة بين الفاصلتين:

أ- تأتي الفاصلتان بعد الحديث عن كفران اليهود لنعم الله في سياق التهديد والوعد لأنهما تحدثتا عن موضوع واحد .

ب- الآيتان تتحدثان عن نعم واحدة، ظل الغمام، وإنزال المن والسلوى .

ت- الفاصلة في سورة البقرة، تهديد ووعد دون تحديد العقاب ونوعية العذاب، وهذا يجعلهم في حيرة وقلق واضطراب نفسي، وذلك بعد أن تحقق لهم الأمن النفسي والغذائي .

ث- العلاقة بين الفاصلتين تفسيرية، فالفاصلة في سورة طه تنفيذ وتفسير للتهديد والوعد الذي أوعدهم الله به في سورة البقرة، وهذا يعني أن تهديد الفاصلة في سورة البقرة لم يؤثر فيهم، مما استدعى، تنفيذه في سورة طه بتعبير أقوى وأبلغ وهو أن يحل عليهم غضب من الله، فسبحان من أنزل القرآن من لدن حكيم خبير.

خامساً: العلاقة بين الأمن النفسي والأمن الغذائي:

يرى الباحث أن العلاقة بينهما تكاملية، فلا يمكن لأي حياة مهما كانت و توفر فيها أحدهما، أن تحقق الراحة والسكينة لصاحبها دون الآخر، وإذا كان الأمن النفسي يوفر الهدوء والراحة والطمأنينة للإنسان من الناحية المعنوية، فإن الجسم ينقصه الجانب المادي ، وهو الأمن الغذائي.

وإذا كان الأمن الغذائي يوفر الجوانب المادية للإنسان، دون الأمن النفسي فلا يطيب له طعام ولا شراب إلا به، وبدونه يبقى قلقاً... خائفاً... حائراً، يبحث عن الكثير، لأن الأمن الغذائي ضرورة ماسة، وحاجة ملحة لكل المخلوقات، لذا فإن الله تبارك وتعالى عندما أراد أن يعاقب قرية بعذاب شديد حرّمها هذه النعم قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً (١) كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ {النحل/١١٢} ، فهذه قرية كانت آمنة مطمئنة، تحقق لأهلها الأمن النفسي والغذائي، فلما كفرت و أراد الله عقابها، أذاقها لباس الخوف والجوع، وهما على نقيض مع الأمن الغذائي والنفسي، فأذاقها الله لباس الخوف والجوع، ويعلق صاحب الظلال قائلاً: "ويجسم التعبير الجوع والخوف فيجعله لباساً، ويجعلهم يذوقون هذا اللباس ذوقاً، لأن الذوق أعمق أثراً في الحس من مساس اللباس للجلد، وتتداخل في التعبير استجابات الحواس، فتضاعف مس الجوع والخوف لهم، ولذعة

(١) نقل الطبري عن ابن عباس ومجاهد أنها مكة مج (٦٥٥/٧) مرجع سابق .

تأثيره وتغلغله في النفوس^(١) حتى يصل إلى كل خلية في الجسم ويؤثر فيها كما يصل الطعام والشراب إليها، فإذا كان الخوف والجوع له هذا التأثير والألم النفسي، فإن الأمن والرزق يذيق الإنسان لباس الراحة والطمأنينة ويتغلغل في كيانه النفسي والمادي حتى يصل إلى كل خلية من جسمه، فتظهر السعادة والأمن على قسماوات وجهه، ويستقر قلبه، ويتفرغ من كل شيء إلا تعلقه بخالقه قال تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَأَمَّنَّهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ (قريش/٤،٣) وهكذا يجمع القرآن مرة أخرى بين الأمن النفسي والغذائي، اللذان تحققا لبني إسرائيل، ومع ذلك لم يعبدوا الله عز وجل، بل لم يشكروه ولو مجرد الشكر.

سادساً: الإعجاز البياني:

وفيه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: قوة التعبير في (أذاقها).

قال الشعراوي: "ذاق وتذوق الطعام إذا وضعه على لسانه وتذوقه،^(٢) الذوق: وجود الطعام بالفم، وأصله أن يكون بطرف اللسان فيما قل من مأكول أو مشروب، فإذا كثرت فهو أكل أو شرب وليس ذوقاً^(٣)، والتذوق هنا مجازي وليس حقيقي، والغرض البلاغي من اللفظ بيان شدة الألم الذي تعرضوا له، لأن الذوق أكثر الحواس في الجسم يستطيع الشعور بالأشياء المتذوقة، ولأن العرب كانت إذا أرادت أن تتذوق الشيء استخدمت حاسة التذوق.

المسألة الثانية: قوة التعبير في لباسها:

استخدم هذا اللفظ لبيان "أن الجوع والخوف قد أحاط بالقريّة كإحاطة اللباس بالجسم"^(٤)، والتصق بها كذلك ولم يعد يفارقها وأصبح جزءاً من حياتها.

وتساءل الشعراوي رحمه الله: "كيف يتحول الجوع والخوف إلى لباس؟ فأجاب قائلاً: الجوع يظهر أولاً كإحساس في البطن فإذا لم يجد طعاماً عوض من المخزون في الجسم من شحوم فإذا ما انتهت الشحوم فتغذى الجسم على اللحم ثم بدأ ينحت العظام، ومن شدة الجوع نلاحظ على البشرة شحوباً، وعلى الجسم نحولاً وذبولاً، ثم ينكمش ويجف وبذلك يتحول الجوع إلى شكل خارجي على الجلد وكأنه لباس يرتديه الجائع، لذلك يمكن التعرف عليه من مظهره،

(١) الظلال (٢١٩٩/٤) مرجع سابق .

(٢) تفسير الشعراوي مج (٢٥٣،٢٥٢/١٣) مرجع سابق.

(٣) الشعراوي مج (١٣ / ٨٢٥٣) وانظر خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية (ج/٢/٤٠٣) رسالة دكتوراة، د. عبد العظيم إبراهيم المطغي - مكتبة وهبة - ط الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

(٤) خصائص التعبير القرآني (٤٠٤) مرجع سابق.

قال تعالى: ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾ (١) (البقرة/٢٧٣)

المسألة الثالثة: علاقة التذوق باللباس:

تبين أن الجوع والخوف أحاطا بالقرية والتصقا بها كما يلتصق اللباس بالجسد، وعبر بالتذوق عن ذلك وهو أكثر الحواس شعوراً بالمتذوق، لبيان أن جميع الجسم تذوق الخوف والجوع، وكأن الله يريد أن يقول للعرب والمشركين إذا كنتم عندما تريدون أن تتذوقوا طعاماً حلواً أو مرراً تتذوقوه بلسانكم فإن تلك القرية تذوقت الخوف والجوع بكل جسمها، وهذا يعني أن كل خلية في الجسم تأثرت وتأثر الجسم بالجوع والخوف، "وفي تشبيه الجوع والخوف باللباس ما يوحي بشمولهما الجسم كله، كما يلفه اللباس"^(٢)، "وفي هذا معنى التهكم حيث جعل طعامهم ولباسهم جوعاً وخوفاً، وأوقع عليهم الإذاقة"^(٣).

المطلب الثالث: بعثهم بعد الصعق في الدنيا:

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (البقرة/٥٥-٥٦).

أولاً: التفسير الإجمالي:

يذكر الله بني إسرائيل بإحدى النعم العظيمة التي أنعم بها عليهم، بعدما طلبوا من موسى عليه السلام أن يروا الله جهرة، وذلك استمراراً لعنادهم وجرأتهم في طلب رؤية الله، وقلّة أدبهم في مخاطبة نبيهم ﷺ، فغضب الله عليهم وأنزل صاعقة ماحقة من السماء فماتوا، لكن الله تبارك وتعالى أحياهم لطلب موسى وهم ينظرون إلى قدرة الله في إحيائهم، ومع ذلك لم يشكروا.

قال ابن كثير: اذكروا نعمتي عليكم في بعثي لكم بعد الصعق، إذا سألتكم رؤيتي جهرة عياناً مما لا يستطيع لكم ولا لأمثالكم^(٤)، وطلب الرؤيا ليس لذاته ولم يكونوا صادقين فيه، وإنما هو من باب العناد الجدل والتجراً على الله عز وجل، قال أبو السعود: تشكرون نعمة البعث^(٥)،

(١) راجع الشعراوي مج (٢/٨٢٥٣) بتصرف.

(٢) المرجع السابق مج (١٣/٨٢٥٣، ٨٢٥٤) بتصرف، مرجع سابق.

(٣) خصائص التعبير القرآني ج (٢/٤٠٤) مرجع سابق.

(٤) تفسير القرآن العظيم مج (١/٩٣) دار المعرفة - بيروت - لبنان.

(٥) إرشاد العقل السليم مج (١/١٢٦) مرجع سابق ط ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠ م.

ونقل القرطبي في تفسيره أن قتادة قال: ماتوا وذهبت أرواحهم ثم ردوا لاستيفاء آجالهم^(١)، وقال السدي: **— فأخذتكم الساعة —** ماتوا فقام موسى يبكي ويدعو الله، ويقول: ربّ ماذا أقول لبني إسرائيل إذا أتيتهم وقد أهلكت خيارهم ﴿ **لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلِ وَآيَايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا** ﴾ (الأعراف/١٥٥)، فأوحى الله إلى موسى أن هؤلاء السبعين ممن اتخذوا العجل ثم إن الله أحياهم فقاموا وعاشوا رجل رجل ينظر بعضهم إلى بعض^(٢).

ثانياً: الإعجاز البياني

وفيه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: دلالة التعبير بـ (أخذ).

﴿ **فَأَخَذْتُمُ السَّاعَةَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ** ﴾ (البقرة/٥٥)، حرف الفاء أفاد التعقيب والترتيب، وهذا يدل على أن الصعق كان بعد طلب الرؤيا مباشرة، لذا فهو عقوبة لهم "والجملة الفعلية تنظرون تفيد أن العقوبة نزلت عليهم وهم يشاهدونها، وفي مشاهدتها رعب وخوف أخذ بمجامع قلوبهم قبل أن يأخذ العذاب أجسادهم^(٣).

المسألة الثانية: دلالة التعبير بالجملة الفعلية (تنظرون).

هذه من أكثر وأطول المشاهد واللقطات التي يمكن أن يكون لها تأثيراً على بني إسرائيل، وتغير من سلوكهم، لأنهم عندما بعثهم الله كانوا ينظرون بعيونهم إلى القدرة الإلهية التي تجلت لهم، إما وهم يصعقون، وإما وهم يبعثون، وإما إلى الحالتين، فعملية الصعق التي أزهدت أرواحهم، وجعلت أجسادهم جثثاً لا حراك فيها، وينتظر كل واحد منهم أن يأتي الدور عليه، كل ذلك وغيره له تأثير على النفس، كذلك بعثهم بعد موتهم، ينظر من أحياء الله أولاً، إلى من حوله وهو ملقى على الأرض، والناس مصعوقة مبعثرة هنا وهناك، وفجأة تدب الحياة فيها، فتتحرك رويداً رويداً، وتدب الحياة في أجسامهم فيعتدلون قائمين وهم قبل قليل كانوا مصعوقين، كل ذلك وهم ينظرون، وتستمر الحالة هذه حتى يحييهم الله جميعاً، ورغم كل هذا لعلمكم تشكرون فما شكروا وما تابوا، وهذا يذكرنا بقوله تعالى: ﴿ **وَأَنْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ (البقرة/٢٥٩) فعزير نظر واعتبر واتعظ واطمئن قلبه، واليهود نظروا وعصوا ولم تؤمن قلوبهم، واستمروا في كفرهم وعنادهم.

(١) الجامع لأحكام القرآن مج (٢٧٥/١) ط الأولى ١٤٠٨هـ — ١٩٨٨م دار الكتب العلمية — بيروت — لبنان .

(٢) تفسير السدي (ج ٢٩٠/١) دراسة وتحقيق، رسالة دكتوراه غير منشورة، د. زكريا الزميلي إشراف أ.د. الحبر يوسف نور الدايم — جامعة الخرطوم، ١٤١٧هـ — ١٩٩٦م.

(٣) بنو إسرائيل في القرآن والسنة (ص ٣٦٧)، التفسير الوسيط مج (١/١٧٤).

المسألة الثالثة : دلالة التعبير بحرف العطف (ثم).

ثم بعثناكم، حرف يفيد التعقيب والتراخي، هذا يدل على أنهم مكثوا فترة قبل أن يبعثوا من موتهم، " كما دل العطف بثم أن بين أخذ الصعقة والبعث زماناً تتصور فيه المهلة والتأخير"^(١)، ولو قال فبعثناكم لظن ظان أنهم لم يموتوا وإنما ناموا من شدة التعب والإعياء أو غابوا عن الوعي، لكنه التعبير القرآني الدقيق، الذي له مدلوله العميق.

ثالثاً: الفاصلة، أهميتها، جمالها:

١. الفاصلة: ﴿ تَمَّ عَقْوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (البقرة / ٥٢).

٢. أهميتها: وجاءت أهمية الفاصلة في السياق: لبيان فضل الله عليهم في نعمة بعثهم بعد موتهم كي يشكروا، وبيان موقفهم الجاحد من نعم الله عموماً، والبعث خصوصاً.

٣. جمالها: ويأتي الجمال فيها، من خلال استخدام الحرف لعل، والذي يفيد التعليل بمعنى - كي - كما قال الطبري^(٢)، وليس للترجي كما هو المعهود، واستدل على هذا المعنى بقوله تعالى: ﴿ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (الأنعام/ من الآية ١٥٥)، ويكون المعنى ثم بعثناكم من بعد موتكم وشاهدتم قدرته وهو يحييكم بعد موتكم كي تشكروا، فبينت الفاصلة شدة جود بني إسرائيل لنعم الله عز وجل، ولتحرك العاطفة الإيمانية في قلوبهم، كي يشكروا نعمة البعث بعد إحيائهم، لأنهم شاهدوا بعيون رؤوسهم قدرة الله وهو يحييهم الواحد تلو الآخر، وهم ينظرون، لكنهم كفروا وما شكروا.

٤. تشكرون: جاءت الجملة الفعلية حالية تطالب بني إسرائيل الشكر ليس فقط على هذه النعمة، وإنما على العديد من النعم التي أنعم الله بها عليهم، لعلهم يتداركوا ما فاتهم من شكر عليها، ولعلهم يتوبوا، عن كفرانهم لها، إضافة إلى تذكير يهود المدينة بشكر الله على نعمه السابقة في حق أسلافهم، بدليل وجود ميم الجماعة الذي يدل على ضمير المخاطب في قوله: - بعثناكم، لعلكم -.

(١) بنو إسرائيل في القرآن والسنة (٣٦٧) مرجع سابق، التفسير الوسيط مج (١/١٧٥) مرجع سابق.
(٢) جامع البيان مج (١/٣٢٣)، وانظر الأدوات النحوية في كتب التفسير (ص ٤٩٩) د. محمود أحمد الصغير، مرجع سابق.

رابعاً: اللطائف البيانية:

١. نقل القرطبي، عن النحاس قوله: وهذا احتجاج على من لم يؤمن بالبعث من قريش واحتجاج على أهل الكتاب إذ خيروا بهذا^(١).
٢. الغريب في هؤلاء اليهود أن الذين طلبوا الرؤيا هم السبعون المختارون للتوبة من عبادة العجل، وذلك لما اسمعهم كلام الله قالوا أرنا الله جهرة^(٢) وقال بهذا القول ابن كثير^(٣) وقال سيد قطب رحمه الله: "والذي طلب هذا هم السبعون المختارون منهم الذين اختارهم موسى لميقات ربه"^(٤)، فإذا كان هؤلاء الصفوة منهم فكيف حال العامة الكفرة!؟.

المطلب الرابع: رحمة الله وعفوه:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ وَاَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (البقرة/٥١، ٥٢)، وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (البقرة/٦٤).

أولاً: التفسير الإجمالي:

وهكذا تستمر نعم الله تنزل على اليهود، ويقابلونها بالكفر والجحود، رغم كل ما شاهدوه من الآيات المعجزات وهذه الآيات تتحدث عن عبادتهم للعجل، مستغلين ذهاب موسى لميقات ربه، ظالمين أنفسهم ومن معهم، ومع ذلك يمن الله عليهم بالعفو والرحمة مع أنهم تولوا، إلا أن رحمته سبحانه تنزلت عليهم لتحميهم من الخسران الأكيد، ﴿فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِّنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (البقرة/٦٤).

قال القرطبي: "عفو الله ﷻ عن خلقه قد يكون بعد العقوبة وقبلها، بخلاف الغفران فإنه لا يكون معه عقوبة البتة، وكل من استحق عقوبة فترك له، فقد عفي عنه، ثم عرف العفو قائلًا: العفو: محو الذنب، بعد عبادتكم العجل^(٥)، قال أبو السعود: عفونا عنكم حين تبتم، والعفو محو الجريمة^(٦)، وقال الطبري: "تركنا معاجلتكم بالعقوبة من بعد اتخاذاكم العجل إليها^(٧)، وسواء كان العفو بعقوبة، أو بدون عقوبة المهم أن اليهود ارتكبوا جريمة شنيعة في حق الله باتخاذهم العجل

(١) الجامع لأحكام القرآن مج (١/٣٦٨) مرجع سابق.

(٢) المرجع السابق (ص ٣٦٨) بتصرف.

(٣) تفسير القرآن العظيم مج (١/٩٤).

(٤) الظلال مج (٣/١٣٧٦) بتصرف. دار الشروق — ط الثالثة والثلاثون ١٤٢٥هـ — ٢٠٠٤م.

(٥) الجامع لأحكام القرآن الكريم مج (١/٢٧٠).

(٦) إرشاد العقل السليم مج (١/١٢٤).

(٧) جامع البيان مج (١/٣٢٣) ط الثالثة ١٤٢٠هـ — ١٩٩٩م دار الكتب العلمية — بيروت — لبنان .

إلهاً في حق الله، ومع ذلك فقد امتن الله عليهم فعفي عنهم وغفر لهم، وطالما أنه عفا عنهم، فلا عقوبة عليهم يوم القيامة بسبب ذلك، وهذا كان في بداية عبادة العجل، وعفا عنهم كي يشكروا العفو لأن العفو يقتضي الشكر من المعفي عنه، قال الطبري: " ثم عفونا عنكم من بعد اتخاذكم العجل إلهاً لتشكروني على عفوي عنكم، إذ كان العفو يوجب الشكر على أهل اللب والعقل^(١) .

ثانياً: الإعجاز البياني:

وفيه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: الفرق بين (الغفران والعفو).

أ. الغفران: يقتضي إسقاط العقاب، وإسقاط العقاب يقتضي وجوب الشكر، ولا يستحق الغفران إلا المؤمن، ولا يستعمل إلا في الله، فيقال غفر الله له، ولا يقال غفر زيد لك.
ب. العفو: قال الرازي: " واعلم أن العفو أبلغ من المغفرة، لأن الغفران يشعر بالستر والعفو يشعر بالمحو، والمحو أبلغ من الستر^(٢) .
قلت: ويقال في حق الله عفي، قال تعالى — ثم عفونا عنكم — لذلك فالعفو والغفران في حق الله.

وعلى ضوء ما سبق يرى الباحث أن هناك فرق بين الغفران والعفو:

أ. المغفرة تكون بعد التوبة النصوح التي استوفت شروطها الأربعة:

- الندم على ما فات.
- والإقلاع عن السيئات.
- وعمل الصالحات.
- ورد حقوق الناس لأصحابها.

قال تعالى: ﴿ وَإِنِّي لَعَفَّارٌ لِمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى ﴾ (طه/٨٢) ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَنْتُم لَنَا نُورٌ وَاعْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (التحريم/٨).
ب. العفو: يكون ابتداءً ونكرماً ومنة من الله على العبد، دونما توبة منه، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (البقرة/٥٢) لذلك فقد علمنا الرسول أن نقول ليلة القدر،

(١) جامع البيان مج (٣٢٣/١) مرجع سابق.

(٢) شرح أسماء الله الحسنى للرازي (ص ٣٤٠) قدم له وعلق عليه طه عبد الرؤوف سعد — دار الكتاب العربي — بيروت — ط الأولى — ١٤٠٤هـ — ١٩٨٤م .

ليلة الكرم والشرف العظيم" اللهم إنك عفو كريم تحب العفو فاعفُ عنا،^(١) لأن عفو الله وكرمه فيها هو الغالب.

ج. المغفرة تطلب من الله ولا تطلب من العبد ، لأن الله هو الغفار والغفور، وهي خاصة بالمؤمنين دون الكافرين ،قال تعالى: ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ ﴾ (طه / ٨٢)، وقال: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا) (الأحزاب / ٧١، ٧٠).

المسألة الثانية: الحكمة من العفو عن بني إسرائيل.

قال الشعراوي: "يمنّ الله على بني إسرائيل مرة أخرى مع أنهم ارتكبوا ذنباً من ذنوب القمة، ومع ذلك عفا الله عنهم، لأنه يريد أن يستبقي عنصر الخير فيهم، ليعلم خلقه أنه ربّ رحيم، يفتح أبواب التوبة للناس جميعاً ولو كانوا كافرين، لتمحي خلايا الشر في نفوسهم، لأن الإنسان حين يذنب ذنباً يضعف إيمانه ويتأثر قلبه، ولو لم تشرع التوبة والعفو من الله لزداد الناس في معاصيهم وغرقوا فيها، وأصيبوا بالإحباط والقنوط واليأس"^(٢).

وما ذكره الإمام الشعراوي ينطبق على النفس البشرية المذنبة، سواء كانت بقصد أو بدونه، لكن اليهود تختلف طباعهم عن كل بشر، فبينما تنزل عليهم النعم يتكبرون لمنزلها، وتفتح لهم باب التوبة فيرفضونها، ويقال لهم قولوا حطة نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين، يلوون ألسنتهم وتأبى قلوبهم وأكثرهم فاسقون، ولقد رأوا المعجزات الكثيرة شهادة عين ومع ذلك كأن شيئاً لم يكن، ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة / ٧٥).

المسألة الثالثة: فضل الله ورحمته.

عفو وفضل ورحمة، أي كرم هذا، الذي يتحدث عنه القرآن الكريم وما أعظم هذا الإله وأوسع رحمته التي وسعت كل شيء، يمنحها للعصاة والمجرمين ، كل ذلك لعلمهم يتوبون وعن جرائمهم يقلعون، فكيف رحمته بالمؤمنين، قال سيد طنطاوي: "تصريح بما حباهم به سبحانه من رافة بهم وقبول لتوبتهم وعفو عن خطيئتهم، فكأنه سبحانه يقول لهم إنكم بإعراضكم عن طاعتي ونقضكم لعهدي وإهمالكم العمل بكتابي، وعدم تأثركم بآياتي ونذري قد استحققتم غضبي وعذابي، ولكن حال دون حلولهما بكم، فضلى الذي تدارككم، ورحمتي التي وسعتكم، ولطفي وإمهالي لكم، ولولا ذلك لكنتم من الخاسرين"^(٣) " فلو وضعت كل جرائم بني إسرائيل في كفة

(١) الترمذي ك الدعوات – ب منه – (ج ٥ / ٤٩٠ رقم ٣٥١٣).

(٢) الشعراوي مج (١/٣٣٦)، بتصريف مرجع سابق.

(٣) بنو إسرائيل في القرآن والسنة (ص ٣٨٠) مرجع سابق.

وفضل الله ورحمته في كفة لرجحت ومالت كفة الرحمة، بل إن معاصي البشرية كلها لا قيمة لها أمام رحمة الله ﷻ، ومع ذلك لم يغيّر اليهود من طباعهم شيئاً، بل انتقلوا من جريمة إلى جريمة أشد وكفر وعناد وجدل، طيلة مسيرتهم مع موسى ﷺ .

ثالثاً: اللطائف البيانية:

١. ندعو الله بالعفو عنا، كما علمنا الرسول ﷺ ، (عن عائشة قالت: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ إِنْ عَلِمْتُ أَيُّ لَيْلَةٍ لَيْلَةُ الْقَدْرِ مَا أَقُولُ فِيهَا قَالَ قَوْلِي اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ كَرِيمٌ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي)^(١) لأن هناك فرق بين العفو والمغفرة ، فالعفو يكون ابتداءً من الله تفضلاً وتكرماً بتوبة أو بدون توبة والمغفرة لا تكون إلا بسبب التوبة.

٢. بيان كرم الله وسعة رحمته بالعصاة والمذنبين، حتى الكفرة منهم، وذلك بإبقاء باب التوبة مفتوحاً لهم حتى تصل الروح للحلوقم، وحتى تطلع الشمس من مغربها.

٣. بيان حاجة الإنسان لفضل الله ورحمته في كل أحواله [ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ] {البقرة ٦٤} .

٤. في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ وَاَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (البقرة ٥١-٥٢) قال سيد طنطاوي: "وقد تضمنت الآيتان الكريمتان، ما يدل على عناد بني إسرائيل وقصر نظرهم، لأنهم اتخذوا العجل إلهاً بعد أن شاهدوا البراهين على صدق نبيهم، كما تضمنتا تسليية للرسول ﷺ عما كان يشاهده من اليهود المعاصرين للدعوة الإسلامية"^(٢).

المطلب الخامس : هلاك فرعون ونجاة بني إسرائيل:

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَنْجَيْنَاكَ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكَ سُوءَ الْعَذَابِ يُقْتَلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾ (الأعراف/١٤١)، وقال: ﴿ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَعَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرُشُونَ ﴾ (الأعراف/١٣٧)، وقال: ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاَعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَىٰ (طه/٨٠)، وقال: ﴿ وَتُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾ (القصص/٦).

(١) سبق تخريجه (ص ٧٦).

(٢) بنو إسرائيل في القرآن والسنة (ص ٣٥٨) مرجع سابق.

أولاً: التفسير الإجمالي:

هذه نعمة أخرى من أجل النعم التي أنعم الله بها على بني إسرائيل، لأنها الأكثر تأثيراً وأحداثاً ومشاهداً من غيرها، في كل لحظة صورة، وفي كل صورة العديد من الحركات المؤثرة واللقطات المعبرة، فخرج موسى ومن معه من بني إسرائيل، وهروبهم من بطش فرعون بجميع أنواعه، وتركهم لأوطانهم خفية وسيرهم على الأقدام ثم علم فرعون بذلك ولحوقه بهم، ومشهد تراء الجمعان لتبدأ مشاهد جديدة من المطاردة الساخنة، والحالة النفسية التي صاحبت ذلك، ثم وقفهم أمام البحر عندما قالوا لموسى **إِنَّا لَمَدْرُكُونَ**^(١)، وزجر موسى لهم وهو يجيبهم بثبات وثقة ويقين ﴿ **قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ** ﴾ (الشعراء/٦٢)، وضرب البحر بالعصا ورؤيته فجأة وهو ينفلق، فكان كل فرق كالجبل العظيم، حيث تيبس المادة السائلة وكأنها جبل، أو كأن بين الفرقين برزخ لا يبغيان، ودخول موسى وبنو إسرائيل إلى البحر وهم ينظرون إلى الماء من حولهم، عن اليمين ماء وعن الشمال، ماء ومن فوقهم ماء كالجبال، حتى وصولهم إلى شاطئ الأمان، والشعور بنوع من الأمان والأمان ولو قليلاً، ثم التفاتهم للخلف ليظمنوا على البقية الباقية منهم، ورؤيتهم لفرعون وجنوده من خلفهم كادوا يحجبون نور الشمس من كثرتهم، وهم يدخلون البحر جماعات جماعات، وسيوفهم مشرعة، وعيونهم تميّز من الغيظ حقناً على موسى ومن معه، وأمام كل هذه المشاهد والحركات المثيرة تقفز العديد من الأسئلة في أذهانهم، ماذا سيحدث لهم؟؟ هل سيلحق فرعون بهم؟؟ هل سينجون منه؟ وإذا لحق بهم إلى أين سيذهبون؟ وإلى من سيلجئون، وبمن سيحتمون؟ كل ذلك وغيره من التساؤلات تلقي نفسها أمام الباحث وهو يسطر هذه الكلمات ويستحضر تلك المشاهد.

ومع ذلك وفجأة، وبينما هم غارقون في تساؤلاتهم، وخيالهم يصول ويجول بهم، لا يجدون ولو جواباً واحداً على أسئلتهم، مع أن موسى طمأنهم عند دخول البحر عندما قالوا له **إِنَّا لَمَدْرُكُونَ**، فقال لهم وهو يزجرهم ويهزهم هزاً عنيفاً ﴿ **قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ** ﴾^(٢) (الشعراء ٦٢) ولكنهم قوم لا يعقلون .

أقول وبينما هم غارقون، قلقون على مصيرهم، ومصير أبناءهم وذرياتهم، يعود البحر سيرته الأولى، فيلتهم فرعون وجنوده، وكأنه أرض انشقت فابتلعتهم، وبدأ مشهد آخر أكثر إثارة

(١) أصل الإدراك: بلوغ الشيء وتماحه ومنه أدرك التمرة وإدراك الفلاح، وإدراكك من تطلب يرجع إلى هذا لأنه مبلغ مرادك والدرك: الحبل يقرن بحبل آخر ليلبغ ما يحتاج إلى بلوغه والدرك المنزلة لأنها مبلغ من تجعل له، الفروق في اللغة (ص ٨٣) مرجع سابق.

(٢) واختار موسى الهداية لأنها تمثل منهجاً واضح المعالم والخطوات الثابتة تحت رعاية الله وفي كنفه، لأنه يسير واثق الخطى ومتأكد من نجاته وانتصاره، انظر معنى الهداية (ص ١٨٦) .

وتأثيراً، من كل المشاهد الماضية يشاهدونه بأعينهم وصدق الله وهو يقول: (وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَاَنْجَيْنَاكُمْ وَأَعْرَفْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ) ﴿البقرة/ ٥٠﴾ نعم، هكذا تنتظرون بعيون الحقيقة لتعلموا علم اليقين، أن الله حق، ولأن المشاهد والأحداث كلها حقيقة وليست خيالاً .

أقول كأن معركة بحرية تحدث في عمق البحر، وأخرى بين أمواجه وعلى سطحه، إنه مشهد لا يكاد يصدقه إلا من يقرأ القرآن، فسبحان الله أين فرعون الذي كان يقول: ﴿ أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى ﴾ (الأعلى/ ٢٤) ؟ ﴿ يَا أَيُّهَا الْمَلَأَ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي ﴾ (المائدة/ ٣٨) أين هامان أين جنودهما، بل أين القوة التي لطالما استخدمها في تدعيم أركان مملكته حتى استخف قومه فأطاعه، ومع ذلك ها هم بنو إسرائيل ينظرون بعيونهم وربما استمعوا بأذانهم إلى الصراخ والعيول، وها هو الذي أدعى الإلهية نادى بأعلى صوته مستغيثاً: ﴿ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (سورة يونس/ من الآية ٩٠) فيُرد عليه بسخرية واستهزاء ﴿ ءالآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (يونس/ ٩١)، وهكذا لا بد للباحث من أن يتوقف، ويصل إلى النهاية، بنهاية هذا الظالم الذي تأله في الأرض، وسام أهلها سوء العذاب، فانه سبحانه وتعالى يذكر بني إسرائيل بكل ما مضى من النعم، حين نجاهم من فرعون وآله، بعد أن عذبوهم أشد العذاب بقتل ذكورهم وإبقاء النساء أحياء لاستزقاقهن وهدر كرامتهن واستباحة أعراضهن، قال سيد طنطاوي: "الذكروا يا بني إسرائيل من جملة نعمنا عليكم، نعمة فرق البحر لكم، وانفصاله بعد اتصاله، حين ضربه موسى فأصبحت فيه طريق يابسة، فولجتموها وسرتم فيها هرباً من فرعون وجنده، بذلك تمت لكم النجاة وحصل الغرق لأعدائكم^(١) .

ثانياً: الإعجاز البياني

وفيه أربع مسائل:

المسألة الأولى: دلالة التعبير بالجملة الفعلية (تنتظرون).

تنتظرون مع أن المشاهد التي مروا بها قبل هلاك فرعون قد انتهت لكنه استعمل الفعل المضارع الذي يفيد الحاضر والمستقبل لما في ذلك من دلالات منها:
أ. لأنهم استمروا فترة طويلة وهم ينظرون بسبب كثرة المشاهد التي تقتضي النظر والاعتبار من فرق البحر وغرق فرعون وجنوده، ورؤية البحر وهو يبتلع جيشهم. رؤيتهم وهم يطفون على سطح الماء بعد موتهم، رؤية بعضهم لبعض بعد نجاتهم وأكثر من ذلك.

(١) التفسير الوسيط مج (١٥٧/١) مرجع سابق.

ب. استخدام الفعل المضارع الذي يدل على الاستمرار، لبيان أن الرؤيا بصرية بالعين المجردة، وحتى لا يشك واحد منهم في ذلك، ولكي تبقى حياة وحاضرة في ذاكرتهم، كلما نسوها أو تناسوها لقلّة اعتبارهم بما يشاهدون.

ج. تذكير الذين يعادون الدعوة الإسلامية في المدينة من اليهود، بنعمة الله على أسلافهم حتى يعتبروا، وتبقى تلك النعم حاضرة في ذاكرتهم، لعلهم يكفون عن عداوتهم، فيحرك وازع الإيمان في قلوبهم، وكأنه يقول لهم انظروا ماذا حل بفرعون عندما عادوا موسى عليه السلام، ومن معه من المؤمنين، فإن استمرت عداوتكم للرسول ﷺ فسوف يحل بكم ما حل بفرعون من هلاك، لأن فرعون رمز الطواغيت، وكل الفراعة التي ستظهر بعده مصيرهم الدمار، وهذا ما حدث لهم بعد ذلك عندما دمرّ الرسول حصونهم وأجلاهم عن المدينة.

د. أن بني إسرائيل طلبوا من موسى أن يريهم الله جهرة، فأخذتهم الصاعقة، لأنه غير جائز شرعاً أن يرى الله في الدنيا، فأراهم الله قدرته، وكأنه يقول لهم إذا كنتم طلبتم الرؤيا للإيمان حقاً، فهذا أنتم تتظرون إلى آثار قدرة الله، فأمنوا بي إن كنتم صادقين.

المسألة الثانية: دلالة التعبير بـ (دمرنا) .

قوله تعالى: - دمرنا - كلمة تحمل معنيين في نعمة واحدة.

المعنى الأول: الانتقام وشدة الدمار لفرعون وجنوده.

المعنى الثاني: الإنعام بالتمكين والاستقرار لموسى وقومه، ذلك أن بني إسرائيل بعد هلاك فرعون وانتهاء العذاب، تنهياً لهم الظروف والأسباب ليتمكن لهم في الأرض.

المسألة الثالثة: دلالة التعبير بـ آل فرعون .

قوله تعالى: " نجيناكم من آل فرعون، ولم يقل فرعون مع أن الأمر بكل ما حل بهم هو فرعون، لبيان أن حاشيته وبطانته وآله، كانوا جميعاً عوناً له وأدوات تنفيذ لمخططاته، ولم يكونوا مجبرين مكرهين على أفعالهم" ^(١) وكذلك لولا آل فرعون لما أصيب بالغرور وكان له مكانة وقوة، ومن المعلوم أن الآل والحاشية هي التي تنفخ الظلم والغرور في الفرعة في كل زمان ومكان، وهو بدونهم يقل تأثيره.

المسألة الرابعة : العلاقة بين آيتين: ﴿ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ ﴾ (البقرة/٤٩).

﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ ﴾ (البقرة/٤٠).

العلاقة تفسيرية، من باب بيان المفضل وتفسيره، فالنعم مجملة والنجاة واحدة منها.

(١) بنو إسرائيل في القرآن والسنة (ص ٣٥١) مرجع سابق.

الفائدة من ذلك: لتكون أبلغ في التنكير وأعظم في الحجة فكأنه قال اذكروا نعمتي، واذكروا حين نجيناكم وحين فرقنا بكم البحر وحين أهلكنا فرعون^(١).

ويرى الباحث أن انتقال حياة بني إسرائيل من مرحلة الخوف والرعب والقلق، إلى مرحلة الأمن والاطمئنان والتمكين بعد هلاك آل فرعون، هي أيضاً من وجوه آثار هلاك فرعون وجنوده.

وركز المفسرون على مشهد فلق البحر دون غيره من المشاهد، منهم الإمام الرازي لأهميته ولكونه خارق العادة وهو مدعاة للوقوف أمام عظمة الخالق سبحانه وتعالى، فقال: "اعلم أن هذه الواقعة تضمنت نعماً كثيرة على بني إسرائيل في الدين والدنيا"^(٢).

أما نعم الدنيا فمن وجوه:

أولها: أنهم لما اقتربوا من البحر أصبحوا في موقف حرج، لأن فرعون وجنوده من ورائهم والبحر من أمامهم، فإن هم توقفوا أدركهم عدوهم وأهلكهم، وإن هم تقدموا غرقوا، فحصل خوف عظيم جاءهم بعده الفرج بانفلاق البحر وهلاك عدوهم.

ثانياً: أن الله تبارك وتعالى خصهم بهذه النعمة العظيمة والمعجزة الباهرة، وذلك سبب لظهور كرامتهم^(٣)، على الله تعالى.

ثالثاً: أنهم بإغراق فرعون وآله تخلصوا من العذاب، وتم لهم الأمن والاطمئنان وذلك نعمة عظيمة لأنهم لو نجوا دون هلاك فرعون لبقى خوفهم على حاله، فقد يعود لتعذيبهم مستقبلاً، لأنهم لا يأمنون شره، فلما تم الغرق، تم الاطمئنان والأمان لبني إسرائيل .

وأما نعم الدين فمن وجوه:

أولها: أن قوم موسى لما شاهدوا، تلك المعجزة الباهرة زالت عن قلوبهم الشكوك والشبهات، لأن دلالة مثل هذا المعجز على وجود الصانع^(٤) الحكيم وعلى صدق موسى تقترب من العلم الضروري، ويرى الباحث أن زوال الشكوك التي أشار إليها الإمام الرازي رحمه الله كان لفترة

(١) الفخر الرازي مج (٣/٧٠، ٦٩) بتصرف.

(٢) التفسير الكبير مج (٣/٧١، ٧٢) بتصرف.

(٣) يرى الباحث أن الكرامة لا تكون للكافرين وإنما للمؤمنين الصالحين، وأما نعم بني إسرائيل فهي منة وتفضل من الله، وليس بسبب صلاحهم، أو هي استدرج لهم.

(٤) الصانع ليس من أسماء الله الحسنى، والرازي رحمه الله استخدم هذا اللفظ لكونه كان من علماء الكلام، وكان الأولى به أن يختار اسماً يتناسب مع الحدث كالقادر أو الخالق مثلاً.

محدودة لا تكاد تذكر بديل أنهم بعد خروجهم من البحر ونجاتهم أتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم ولما شاهدوهم قالوا لموسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة، قال تعالى: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ (الأعراف/ ١٣٨).

ثانياً: أنهم لما شاهدوا ذلك صار داعياً لهم على الثبات والانقياد لأوامر نبيهم .

ثالثاً: أنهم عرفوا أن الأمور كلها بيد الله، فإنه لا عز في الدنيا أكمل مما كان لفرعون، ولا ذل أشد مما كان لبني إسرائيل، وفجأة انقلب العزيمز ذليلاً ضعيفاً، والدليل عزيز قوي وذلك يستوجب، انقطاع القلب عن علائق الدنيا والإقبال بالكلية على الله ﷻ^(١).

ثالثاً: اللطائف البيانية:

ونكر الإمام الرازي رحمه الله، العديد من الفوائد عند ذكر هذه النعمة يلخصها الباحث

في النقاط التالية :

١. أن الصور والمشاهد وصنوف العذاب التي تعرض لها بنو إسرائيل كانت من أشد العذاب وأصعبه، وهي من أعظم ما يمتحن به الناس من ملوكهم الظالمين، لذلك فنجاتهم من ذلك تعتبر من أجل النعم.

٢. لقد عاش بنو إسرائيل حياتهم في ذل وهوان، وعاش عدوهم في عز وتجبر، ومع ذلك هم كانوا على حق وعدوهم على باطل، فلما انتقلوا من الذل إلى العز، ومن الاستعباد إلى الملك ومن الاستضعاف إلى القوة، فكأنه تبارك وتعالى يقول لهم : لا تغتروا بكثرة أموالكم ولا بقوة مركزكم، ولا تستهينوا بضعف المسلمين لقلّة ما في أيديهم فإن الله معهم لأنهم على الإيمان والتقوى والعاقبة للمتقين .

٣. أن الله تبارك وتعالى يبين أن الملك بيده، لا بيد غيره، فالقوى لا يغتر بقوته وملكه، والضعيف بالصبر والإيمان يصبح قوياً وعزيراً، قال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ نُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ نَشَاءُ وَنَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ نَشَاءُ وَنُعِزُّ مَنْ نَشَاءُ وَنُذِلُّ مَنْ نَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (آل عمران / ٢٦).

٤. تعرض بنو إسرائيل لصنوف عديدة من العذاب قابلها أنواع عديدة من النعم وفي ذلك حكمة ربانية حتى يخفف عنهم الآلام، ويشعرهم بمعيته لعلهم يشكرون^(٢).

(١) التفسير الكبير مج (٣/ ٧١، ٧٢).

(٢) التفسير الكبير مج (٣/ ٧١، ٧٢).

٥. تعرض للعديد من مشاهد العذاب قابلة عدة مشاهد من هلاك فرعون لتحقيق الغرض السابق.
٦. معظم النعم والمعجزات في حقهم كانت حسية، لأنهم لا يؤمنون إلا بالماديات ولأن النعم الحسية أكثر تأثر على النفس والقلب، لكن قست قلوبهم فهي كالحجارة أو أشد قسوة .
٧. شدة اليقين الذي أبداه موسى في أحلك الظروف وأخطرها، عندما وقف فوجد البحر أمامه وفرعون من خلفه، وقد أدرك قومه الهلاك فقال: **— كلاً إن معي ربي سيهدين —** وكأنه يسير على منهج واضح المعالم، هداه الله إليه، ونهايته معلومة لموسى هي النصر والتمكين، ولو كان في أشد الظروف وأحلكها.
٨. الكفر والتكبر والظلم، كل منهم نهايته الهلاك والدمار، تحقيقاً لسنن الله في خلقه، فكيف إذا اجتمعت كلها في شخص أو قوم كفرعون وغيره، مع بيان أن فرعون ما هو إلا رمز للفراغة في كل عصر ومصر.
٩. الصبر في مواجهة الظالمين نهايته النصر، **قال تعالى: ﴿ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَعَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴾ (الأعراف/١٣٧).**

المطلب السادس: وعد الله بدخول الأرض المقدسة:

[يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَ نَدْخُلُهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ قَالَ رَبِّ جَلَّانٍ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنَ نَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ (المائدة/ ٢٦، ٢١).

أولاً: التفسير الإجمالي:

وفيه خمس مسائل:

المسألة الأولى: الأرض المقدسة:

تتحدث الآيات أن موسى ﷺ أمر بني إسرائيل أن يدخلوا أرض فلسطين التي وعدهم الله أو أمرهم بدخولها، وتذكر كيف رفض بنو إسرائيل هذا الأمر الإلهي، بسبب جبنهم وضعفهم، فقالوا لموسى إن فيها قوماً أقوياء، ولا نستطيع مواجهتهم، فتقدم اثنان مؤمنان أنعم الله عليهما بالإيمان والنقطة به، وقالوا لهم ادخلوا وقاتلوا، واحتملوا في سبيل فإن الله معكم، عندئذ

أساءوا الأدب مع نبيهم، وقالوا اذهب أنت وربك فقاتلا، إنا هاهنا قاعدون، ولم يدخل أحد منهم الأرض المقدسة، لأنهم رفضوا وعد الله لهم، فحرمها عليهم وعاقبهم بأربعين سنة تاهوا في الصحراء، وهذا الوعد لبني إسرائيل يعني انتقال دعوة موسى ﷺ من مرحلة إلى أخرى، واتساع ملكهم خارج حدود مصر، لأن الله يريد أن يمن عليهم بملك جديد وفضل عظيم، بعدما من عليهم ومكن لهم ونصرهم على فرعون، وهذا المطلب فيه العديد من المسائل والتحقيقات الهامة التي تحتاج إلى بحث ودراسة وتحقيق مع الترجيح فيها.

إذا فهي ليست أي أرض يأمرهم الله بدخولها، فهي حقاً ظاهرة، غالبية تستحق التضحية من أجلها، والتشرف بالسكن والحياة والموت فيها، ولقد اتفق معظم المفسرين على أن الأرض المقدسة هي بيت المقدس وما حولها^(١).

والطبري رحمه الله: "بعد أن استعرض العديد من أقوال العلماء رجح القول بأنها الأرض المقدسة كما قال نبي الله موسى ﷺ لأن القول في ذلك بأنها أرض دون أرض لا تدرك حقيقة صحته إلا بالخبر، ولا خبر بذلك يجوز قطع الشهادة به^(٢)، ويرجح الباحث أنها أرض فلسطين، فيها بيت المقدس، مسكن العديد من الأنبياء يحيى وعيسى وزكريا ومهجر إبراهيم أبي الأنبياء، وموطن يعقوب ﷺ، ولأنهم دخلوها مع طالوت ومعهم نبي الله داود ﷺ وذلك تحقيقاً لقول الله لهم على لسان موسى: ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ﴾ (المائدة/ من الآية ٢١)، حيث أقام داود فيها أول دولة اسلامية لبني إسرائيل، قامت على الحق، قال تعالى: ﴿وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (البقرة/٢٥١).

المسألة الثانية: معنى كتب الله لكم:

اختلف العلماء في ذلك، هل هي كتابة كونية أم كتابة شرعية، وطرحوا العديد من المسائل، فيما لو كانت كونية أو شرعية، ويستعرض الباحث أقوال العلماء في ذلك ثم يدلي بما هداه الله إليه ويراه الأرجح.

(١) تفسير القرآن العظيم مج (٣٧/٢) مرجع سابق، روح المعاني عن ابن عباس مج (١٠٦/٢) مرجع سابق، التحرير والتنوير مج (١٦٢/٥)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور مج (٤٢٥/٢) دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط الأولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٥، النهر المارد من البحر المحيط مج (٥٦٧/١)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير المنان (ص ١٩٠)، الكشاف للزمخشري مج (٣٣٠/١) دار المعرفة - بيروت - لبنان.

(٢) جامع البيان مج (٥١٣/٤ - ٥١٤) مرجع سابق.

قال الطبري: "الله فرض عليكم دخولها فقال امضوا أيها القوم لأمر الله الذي أمركم به من دخول الأرض المقدسة" (١) ثم قال متسائلاً: فإن قال قائل، فكيف قال الله: التي كتب الله لكم " وقد علمت أنهم لم يدخلوها بقوله فإنها محرمة عليهم؟ فكيف يكون مثبتاً في اللوح المحفوظ أنها مسكن لهم، ومحرم عليهم سكنها (٢) ثم يجيب قائلًا: فإنها كتبت لبني إسرائيل داراً ومساكناً، وقد سكنوها ونزلوها وصارت لهم كما قال الله ﷻ ولكن ليس لمن أمرهم بدخولها ورفضوا الأمر، وإنما لغيرهم ولو قال: قائل قد كانت مكتوبة لبعضهم وللخاصة منهم، فأخرج الكلام على العموم والمراد منه الخاص، كان أيضاً وجهاً صحيحاً (٣).

قال البغدادي: وفيه ثلاثة أقوال:

١. أنه بمعنى أمركم وفرض عليكم دخولها.
٢. وهبها الله لكم، جعلها لكم.
٣. كتب في اللوح المحفوظ أنها مساكنكم.

ثم تساءل، كيف قال فإنها محرمة عليهم وقد كتبها لهم وفيها جوابان:

الأول: أنه إنما جعلها لهم بشرط الطاعة، فلما عصوا حرّمها عليهم.

الثاني: أنه كتبها لبني إسرائيل، وإليهم صارت، ولم يعن موسى، أن الله كتبها للذين أمروا بدخولها بأعينهم (٤).

ابن كثير: يرى أن المقصود هو وعد الله لبني إسرائيل، وذلك على لسان أبيهم يعقوب (٥).

الشوكاتي: قسمها وقدرها لهم في سابق علمه وجعلها سكناً لكم (٦).

القرطبي: فرض دخولها عليكم، ووعدهم دخولها وسكنها لكم (٧).

أما سيد طنطاوي فله في ذلك وجهان:

الأول: قدر لكم سكنها ووعدهم إياها متى آمنتم به وأطعتم أنبياءه، وهذا يعني أن الوعد في نظره مشروط بالإيمان بالله وطاعة موسى.

(١) جامع البيان مج (٤/٥١٤).

(٢) المرجع السابق مج (٤/٥١٤، ٥١٣) مرجع سابق.

(٣) المرجع السابق مج (٤/٥١٤) بتصرف.

(٤) زاد المسير في علم التفسير مج (٢/٢٥٩)، دار بن حزم ط الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

(٥) تفسير القرآن العظيم مج (٢/٣٧) دار المعرفة للطباعة والنشر بتصرف.

(٦) فتح القدير مج (١/٣٦) مرجع سابق.

(٧) الجامع لأحكام القرآن مج (٥/١٢١) دار الكتاب العربي ط - الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

الثاني: فرض عليكم دخولها وأمركم به كما أمركم بأداء الصلاة، ومفعول كتب محذوف وتقديره كتب لكم أن تدخلوها، وفرض عليكم دخولها لإنقاذكم من الأهوال التي نزلت بكم من فرعون^(١)، ويرى الباحث أن أمر الله بدخول الأرض المقدسة لبني إسرائيل كان بعد نجاتهم من فرعون وتمكين الله لهم، وليس من أجل إنقاذهم من أهوال فرعون كما قال سيد طنطاوي، وإلا كيف يفرض عليهم معركة مع الجبارين وهم تحت حكم فرعون وأهواله، ويسامون سوء العذاب؟.

الألوسي: قدرها وقسمها لكم، أو كتب في اللوح المحفوظ أنها تكون مسكناً لكم.

بمعنى فرضها، مستدلاً بقول الله في فريضة الصيام، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾^(٢) (البقرة/١٨٣).

الشيخ الشعراوي: أجرى تحقيقاً في هذه المسألة فيما إذا كانت الكتابة التي كتبها الله لبني إسرائيل بدخول الأرض المقدسة، كتابة كونية أم كتابة شرعية.

وخلاصة قوله "لو كانت الكتابة كونية، لكان من اللازم أن يدخلوها لكنه قال، إنها محرمة عليهم، ثم قال: "إذا هي إرادة شرعية وليست كونية، فإن أطاعوا الله وتشجعوا ودخلوا الأرض المقدسة فإنهم يأخذونها وإن لم يطيعوا فهي محرمة عليهم، فلا تناقض بين أن يقول سبحانه أنه كتبها لهم، ثم بعد ذلك يقول فإنها محرمة عليهم، إذن فلا تناقض بين أنه كتبها كتابة شرعية، فإن دخلوها بشجاعة ولم يخافوا ممن فيها، واستبسلوا ووتقوا أن وراءهم إلهاً قوياً سيساندهم فإنهم سيدخلونها، أما إن لم يفعلوا ذلك فهي محرمة عليهم^(٣)."

المسألة الثالثة: التحقيق في الكتابة:

سواء كانت الكتابة بمعنى الوعد، أو أن الله قدر في اللوح المحفوظ دخولها، وسواء كان الدخول مشروطاً أو غير مشروط، أو هو فرض فرضه الله كما فرض الصيام، فالكتابة محققة وواجب تنفيذها وتكون الكتابة حينئذ شرعية مشروطة بطاعة الله تبارك وتعالى، فإن أطاعوه ودخلوا عليهم الباب فإنهم غالبون، وتحقق المراد من الكتابة، وفازوا بشرف الجهاد النصر والتمكين وتنفيذ أمر الله وطاعة رسوله ﷺ .

وإذا اعتبرنا أن الكتابة كونية وليست شرعية، فقد تحققت ولكن ليس لمن عصى وخالف أمر الله، وذلك زمن طالوت عندما فصل بالجنود وخاضوا معركة مع الجبارين، وانتصروا فيها ويمكن الله لهم، وتحقق وعد الله الذي لا يخلف الميعاد، ولا تناقض بين قوله - كتب الله لكم - وقوله - فإنها محرمة عليهم - لأن التحريم على من عصى والدخول لمن أطاع، فتكون الكتابة

(١) التفسير الوسيط مج (٤/١٣٨) مرجع سابق .

(٢) روح المعاني مج (٢/١٠٦) مرجع سابق.

(٣) الشعراوي مج (٥/٣٠٥١) مرجع سابق.

بالدخول لفظ عام لبني إسرائيل، وأريد به الخصوص، وهم الذين تنطبق عليهم شروط الطاعة والاستعداد لدفع ثمن التمكين وتحقيق وعد الله بالكتابة، والدخول في قوله تعالى: ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ (المائدة/ ٢١).

المسألة الرابعة: الجمع بين الكتابة الكونية والشرعية:

سواء كانت الكتابة كونية أو شرعية فقد تحقق دخول الأرض المقدسة، وتحقق النصر والتمكين لمن أطاع الله عز وجل، وفي المقابل الذين عصوا أمر الله وخالفوا أمر نبيهم ﷺ هم الذين حرمت عليهم الأرض وتاهوا في الصحراء أربعين سنة، وانقلبوا خاسرين لم ينالوا خيراً، لذا فبين الكتابتين عموم وخصوص، لأن الكتابة الكونية أعم من الكتابة الشرعية، فكل كتابة شرعية كونية، وليس كل كتابة كونية شرعية. وعلى ضوء الجمع بين الآراء في مسألة الكتابة، فقد تمكن الباحث من الإجابة على التساؤلات التي أثارها بعض المفسرين وطرحوها للبحث والنقاش.

المسألة الخامسة: موقف بني إسرائيل من هذه النعمة.

لقد بين الباحث فيما سبق بالأدلة أن اليهود كغيرهم تعرضوا للابتلاءات، من أجل الامتحان والاختبار، والابتلاءات تكون في الخير والشر، أما في الخير لبيان الشاكر لأنعم ربه من الجاحد لها، وأما في الشر لبيان الصابر الراضي بقضاء الله وقدره، من الجازع المعترض عليه، وبنو إسرائيل عندما تعرضوا للابتلاءات ما صبروا للشر وما شكروا للخير، عندما من الله عليهم به، بل تمادوا في طغيانهم وكفروهم حتى عاقبهم الله تعالى.

ثانياً: الإعجاز البياني

وفيه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: الغرض من تكرار النداء مرتين في قول الله: ﴿يَا قَوْمِ ادْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ (المائدة/ ٢٠) وقوله تعالى: (يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ) (المائدة/ ٢١).

والغرض منه، قال ابن عاشور: "الغرض من الخطاب فهو كالمقصد بعد المقدمة ولذلك كرر اللفظ الذي ابتدأ به مقالته وهو النداء - بياقوم - لزيادة استحضر أذهانهم" (١).

ويرى الباحث أن تكرار النداء فيه تذكير بنعم الله التي شاهدها وعايشوها، وأمرهم بتحمل تكاليف شاقة على النفس، لا يقوى ولا يقدر عليها إلا أصحاب العزائم، وهم ليسوا كذلك

(١) التحرير والتنوير مج (٤/ ج ١/ ص ١٦٢).

لأن موسى له تجربة معهم، فتطلب المقام ندائهم وتذكيرهم مرتين، بمعنى نداء بالتذكير بالنعمة، ونداء بالأمر بدخول الأرض المقدسة.

المسألة الثانية: تल्प وأدب وإشفاق في قوله تعالى: (يا قوم).

يتساءل صاحب الظلال رحمه الله، " لماذا هذا الأسلوب الرقيق المشفق من موسى مع أن الموقف الذي يدعوهم إليه يحتاج إلى رفع المعنويات، لأنهم مقبلون على معركة مع الجبارين، ثم يجيب رحمه الله، هي إشفاقاً من تردد القوم ونكوصهم على الأعقاب لأنه جربهم في مواطن كثيرة، في خط سير الرحلة الطويل فما استجابوا وما ثبتوا إلا القليل منهم، وها هم أمام الأرض المقدسة التي وعدهم الله بدخولها، وليكونوا فيها ملوكاً، ويبعث من بينهم الأنبياء، ليظلوا في رعاية الله وقيادته، ولقد جربهم موسى فحق له أن يشفق عليه وهو يدعوهم دعوته الأخيرة فيحشد فيها ألمع الذكريات وأكبر البشريات وأضخم المشجعات وأشد التحذيرات" (١).

المسألة الثالثة: إشفاق يقابله غلظة، ووقاحة وقلة أدب.

إن فيها قوماً جبارين دلالة على جنهم وتخذيهم لغيرهم بعدم الدخول للأرض المقدسة ﴿ قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنُ نَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَادْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾ (المائدة / ٢٤) إن استخدامهم فعل الأمر يدل على قلة أدبهم، من هم حتى يأمرؤا نبياً، ويخاطبوه بهذا الأسلوب، ثم بكل تكبر و صلف يقولون، اذهب أنت وربك فكلن الله ليس ربهم، ولم يمن عليهم قبل ذلك بالعديد من النعم التي شاهدوها بأعينهم، ولكنها حقيقة بني إسرائيل، بدلاً من أن يعترفوا بجنهم وقلة حيلتهم وعجزهم عن المواجهة، ودفع الثمن والنهوض بواجب القتال، فإنهم يتواقحون ويسئون الأدب مع الله ويتكبرون لكل ما سبق من النعم التي شاهدوها بعيونهم.

ولقد جمع سيد قطب بين صفتي الجبن والوقاحة، التي اتصف بها بنو إسرائيل فقال: "هكذا يجرح الجبناء فيتوقحون ويفزعون من الخطر الذي أمامهم، فيرفصون بأرجلهم كالحمير ولا يقدمون، ويضيف قائلاً: والجبن والتوقح ليسا متناقضين ولا متباعيين، بل إنهما لسنوان في كثير من الأحيان، يُدفع الجبان إلى الواجب فيجبن فيخرج بأنه ناكل عن الواجب، فبسبب هذا الواجب يتوقح على دعوته التي تكلفه بما لا يريد، وهذا ما قاله بنو إسرائيل عندما كلفوا بدخول الأرض المقدسة قالوا: ﴿ يَا مُوسَى إِنَّا لَنُ نَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَادْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾ (المائدة / ٢٤) هكذا في وقاحة العاجز، الذي لا يكلفه وقاحة اللسان إلا مد

(١) الظلال مج (٢/٨٦٩) مرجع سابق بتصرف.

اللسان، أما النهوض بالواجب فيكلفه وخز السنان" (١) إنا ها هنا قاعدون، ننتظر أن نقاتل مع ربك وتأتينا بالنصر على طبق من ذهب، ولو أدى ذلك إلى قتلك يا موسى، ونحن بانتظار الغنيمة، أما إذا كان ثمن النصر مواجهة الأعداء، فلا نريد ملكاً ولا أرضاً للميعاد.

إذا فهم مستعدون للدخول ولكن بدون ثمن، وبشرط خروج الجبارين منها، وكانهم يريدونها تخلية من الجبارين قبل حلول العاجزين المنهزمين.

المسألة الرابعة: العلاقة بين الآيتين.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ (المائدة/٢٠)، وقوله تعالى: ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتُدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ (المائدة/٢١).

الآية الأولى تذكر بالعديد من النعم الهامة في تاريخ بني إسرائيل، لأنها نقلتهم من مقام العبودية والعذاب الشديد، إلى مقام السيادة والملك، فعندما أهلك عدوهم واستخلفهم مكانهم، ذكر لموسى هذه النعم لتهيئة نفوسهم وتشجيعهم على القتال والمواجه المطلوبة في الآية الثانية، ودخول الأرض المقدسة تنفيذاً لأمر الله، حيث وعدهم بدخولها وإهلاك الجبارين فيها كما أهلك فرعون وجنوده.

المسألة الخامسة: العلاقة بين بداية الآية ونهايتها:

قوله تعالى: ﴿ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (المائدة/٢٣) إن دخول الباب على الأعداء يحتاج إلى جرأة في ساحات الجهاد، ويأتي التوكل والإيمان ليكونا زاد المجاهد في الميدان، وخصوصاً عند مواطن الشدة بصفة عامة ومواطن التقاء الجمعان، وجهاً لوجه بالسيف بصفة خاصة، فإذا كان الأعداء يعتمدون على قوتهم وكثرتهم فالمؤمنون يعتمدون على ربهم وسلاحهم إيمانهم، وإذا كان الأعداء يقاتلون لتحقيق مصالح شخصية فالمؤمنون يقاتلون لغاية ربانية.

المسألة السادسة: آيتان متشابهتان والفرق بينهما:

١- الآيتان: في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنُدْخِلُهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾ (المائدة/٢٢).

(١) الظلال مج (٢/٨٧٠) مرجع سابق.

وقوله: ﴿ قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنُ دَخَلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَادْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾ (المائدة/ ٢٤) .

الآية الأولى: نفت الدخول الذي اشتمل على تأكيدين وشرط.
المؤكد الأول: ضمير الجماعة المؤكد بنون التوكيد الثقيلة.
المؤكد الثاني: لن النافية للحاضر والمستقبل، والتي تؤكد أن الذين رفضوا الدخول تاهوا وماتوا قبل دخول طالوت وجالوت صدقوا في قولهم وهم كاذبون.

الشرط: خروج الجبارين من الأرض المقدسة ﴿ فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴾
(المائدة /من الآية ٢٢).

الآية الثانية: اشتملت على ثلاث مؤكدات وشرط، وقلّة أدب و تبجح، وكفر بواح، وأنانية مؤكدة.

المؤكد الأول: أنّ المؤكدة الداخلة على ضمير المتكلمين الذي يبين أن موقفهم كان جماعياً.

المؤكد الثاني: لن النافية للحاضر والمستقبل.

المؤكد الثالث: أبداً التي تفيد التأكيد على النفي المشروط، وهذا دليل آخر أن الذين قالوا هذا الكلام ماتوا ولم يدخلوا الأرض المقدسة، قال الشعراوي: كل الذين قالوا لن ندخلها أبداً ما داموا فيها، لم يعيش منهم أحد ليدخل هذه الأرض^(١).

الشرط: ما داموا فيها، وأشار ابن عاشور إلى هذه المؤكدات بقوله: "وأكدوا الامتناع الثاني من الدخول بعد المحاورة أشدّ توكيد دلّ على شدّته في العربية بثلاث مؤكدات، إنّما المضاف إليها ضمير الجماعة الذي يدلل على رغبتهم جميعاً، و لن وكلمة أبداً^(٢)."

٢- الفرق بين الآيتين:

الآية الثانية أكثر تأكيداً وتصميماً على عدم الدخول، إلا بالشرط الذي اشترطه على نبيهم، وهذه قلة الأدب والتبجح، والأنانية المؤكدة، وكذلك اشتملت على أحد الأسس العسكرية لليهود، وبيان حقيقة نفوسهم الجبانة، والضعيفة عند المواجهة والنزال، لأنهم اعتبروا دوام البقاء في الأرض هو السبب في عدم استعدادهم دخول الأرض المقدسة، إضافة إلى حياة الانتكال على الغير بقولهم ﴿ فَادْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾ (المائدة/ ٢٤)، وصدق الله فإن الحروب التي خاضها يهود في العصر الحديث، وانتصروا فيها ودخلوا بلاد المسلمين، لو أن فيها يقظة من ولاة الأمر ودوام للرباط على الثغور، ما دخلوها أبداً، كما سجل القرآن

(١) تفسير الشعراوي مج (٣٠٦٤/٥) بتصرف.

(٢) التحرير والتنوير مج (١٦٦ /٤) بتصرف مرجع سابق.

ما قالوه: — لن ندخلها أبداً ما داموا فيها — وخير دليل على ذلك ما يجري في قطاع غزة من الرباط والجهاد، حيث حاول اليهود مراراً وتكراراً اقتحام القطاع وكسر شوكة المقاومة، من أكثر من جهة رغم امتلاكهم لأحدث الوسائل القتالية، والمقاومة لا تمتلك إلا الوسائل البدائية، ومع ذلك فشلوا، وتحقق قوله تعالى: ﴿ إِنَّا لَن نَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا ﴾ !!.

ثالثاً: الفاصلة، أهميتها، جمالها:

- ١- الفاصلة: ﴿ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴾ (المائدة /٢١).
 - ٢- أهميتها: جاءت الفاصلة في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴾ (المائدة /٢١) بعد أن ذكرهم الله بنعمة الملك عليهم، وأمرهم بدخول الأرض المقدسة تنفيذاً لأمر الله وحذرهم من عدم التنفيذ لأن مخالفة أوامر الله نهايته الخسران الأكيد، وتقول لهم إن النصر والتمكين لن يكون إلا للطائعين، وأما العصاة والكافرون مصيرهم الخسران، والارتداد ليس المقصود منه الهروب من الميدان أو الجبن عن لقاء الجبارين، وكل ذلك ملامون ومعاقبون عليه، لكنها المعصية والاستكفاف عن تنفيذ أمر الله ورسوله.
 - ٣- جمالها: ويأتي الجمال في الفاصلة من عدة وجوه:
 - أ- فيها تحذير مما يوجب الانهزام، لأن ارتداد الجيش على الأعقاب من أكبر أسباب الانخزال والهزائم، والارتداد افتعال من الردة، يقال: رده فارتد، والرد: إرجاع السائر عن الإمضاء في سيره وإعادته إلى المكان الذي سار منه.
 - ب- والأدبار: جمع دبر وهو كناية عن الظهر، " والارتداد: الرجوع إلى الوراء، لأنهم يريدون المكان الذي يمشي عليه الماشي وهو قد كان من جهة ظهره، والانقلاب: الرجوع، وأصله الرجوع إلى المنزل" (١).
- والمعنى، إن ارتداد الجيش على الأعقاب وعودته من حيث أتوا إلى منازلهم تحطيم نفسي لمعنوياتهم، وقضاء على روح الجهاد والتحدي، وهذا يتطلب إحداث تغيير شامل لكل الجيش أو إعادة تأهيل كاملة وشاملة له، إذا أرادوا العودة للقتال، وهذا الذي حدث مع بني إسرائيل فقد تم تغيير كل الذين ارتدوا على أديبارهم، بقوم مؤهلين لدخول الأرض المقدسة.
- ت- مجيء حرف الفاء الذي يفيد التعقيب والترتيب لبيان أن العقاب جاء مسرعاً بعد التولي دون تأخير.
- ث- تنقلبوا بمعنى قلب الشيء عن وجهه وهذا يعني أن حياتهم سوف تتحول من انتصار على فرعون، إلى هزيمة و خسران، أو أن نفوسهم الفرحة السعيدة بهلاك فرعون ستقلب إلى

(١) التحرير والتنوير مج (٤/ج١/١٦٣، ١٦٢) مرجع سابق.

شقاء وتعاسة، كمن يحول رأسه من أعلى إلى أسفل، وهذا ما حدث معهم عندما تاهوا في الصحراء أربعين عاماً فقد انقلبت حياتهم رأساً على عقب.

ج- خاسرين، والخسران هو النقص والهلاك قال تعالى: [وَالْعَصْرُ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ] (العصر/٢٠١) أي في خسارة وهلاك^(١)، وهذا يعني أنهم خسروا ما وعدهم الله به من العزة والمكانة التي سيحظون بها لو أنهم أطاعوه، وخسروا دينهم وثقتهم بأنفسهم، وسوف يهلكون طالما أنهم تولوا، وهذا ما حدث معهم فقد تاهوا في صحراء سيناء بعدما خسروا وماتوا جميعاً.

قال الطبري: إن الله عز ذكره كان أمرهم بقتال من فيها من أهل الكفر وفرض عليهم دخولها فاستوجب القوم الخسارة بتركها، ثم أضاف قائلاً: فرض الله عليهم من وجهين أحدهما: تضييع فرض الجهاد الذي فرضه الله عليهم.

الثاني: خلافهم أمر الله في تركهم دخول الأرض وقولهم لنبيهم موسى عندما قال لهم: [يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَمَّا تَرْتُدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ] {المائدة: ٢١}، فقالوا له: [إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ] (المائدة / ٢٢) ^(٢).

رابعاً: اللطائف البيانية:

١. قاعدة عسكرية في الحروب: - أدخلوا عليهم الباب - هذه إحدى القواعد في علم الحروب، بمعنى أقدموا واقتحموا واصبروا فمتى دخلتم الباب على القوم في عقر دارهم انكسرت قلوبهم، وتحطمت معنوياتهم، وبقدر ما تقوى قلوبكم على الاقتحام تنتصرون على عدوكم، ويهزمون نفسياً وروحياً، وكتب الله لكم الغلبة عليهم^(٣)، لأن دخول الباب تحطيم لكل المعنويات في الميدان وعلى جميع المستويات قيادة وأفراداً وشعباً، نفسياً وعسكرياً واجتماعياً، وبعدها يكون الانهيار لكل شيء، ودخول الباب يعني تحطيم الحصون والجدر، واستسلام الخصم، ودخول الباب يعني اقتحام القلوب، واقتحام القلوب يعني فتح الأبواب على مصراعها أمام المقتحمين، وهذا ما كان يحدث مع المجاهدين عند اقتحام المستوطنات قديماً وحديثاً في فلسطين، تصاحبهم صيحات التكبير وخصوصاً في انتفاضة الأقصى المباركة.

(١) تفسير القرآن العظيم مج (٤/٥٤٧) مرجع سابق.

(٢) جامع البيان مج (٤/٥١٤) مرجع سابق.

(٣) المرجع سابق ٨٧٠/٢ بتصرف.

٢. كثرة تنهزم، وقلة تنتصر.

في قوله تعالى: ﴿ قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنُ دَخَلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَادْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فُقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾ (المائدة/٢٤)، هذا موقف الكثرة من بني إسرائيل، قبل دخول المعركة وبعد استعدادهم لها، بوعد الله لهم دخولها، لكن الموقف المشرف الذي يفخر به المسلمون منذ أكثر من ألف وأربعمائة عام وعلى مدار التاريخ موقف القلة المؤمنة من الصحابة في غزوة بدر، وذلك عندما شاورهم الرسول صلى الله عليه وسلم في أمر القتال قبيل غزوة بدر الكبرى، فنذكروا موقف بني إسرائيل مع نبيهم، وسجلوا موقفهم الإيماني الرائع الذي سطره التاريخ بماء الذهب على صفحات من نور، وقد أشار السعدي في تفسيره لهذه المقارنة في المواقف بين القلة المؤمنة وبين الكثرة الكافرة فقال عن موقف بني إسرائيل: "ما أشنع هذا الكلام منهم، ومواجهتهم لنبيهم في هذا المقام الحرج الضيق الذي دعت إليه الحاجة والضرورة إلى نصره نبيهم، وإعزاز أنفسهم، وبهذا وأمثاله يظهر التفاوت بين سائر الأمم، وأمة محمد، حيث قال الصحابة لرسول الله ﷺ: حين شاورهم بالقتال يوم بدر يا رسول الله، والله لو خضت بنا هذا البحر لخصناه معك، ولو بلغت بنا برك الغماد ما تخلف عنك أحد، ولا نقول كما قال قوم موسى لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، ومن بين يديك ومن خلفك وعن يمينك وعن يسارك"^(١)، فهذا موقف أمة محمد ﷺ، وذلك موقف بني إسرائيل.

(١) تفسير الكريم الرحمن (ص ٩٠).

نتائج الفصل الأول

- ١- فشل اليهود في كل الابتلاءات التي تعرضوا لها، فما صبروا على ابتلاءات الشر، وما شكروا على ابتلاءات النعم.
- ٢- إن نعم الله الكثيرة التي تنزلت عليهم، ليس لصلاحهم، وإنما هي من باب الاستدراج تارة، ومنة من الله تارة أخرى، وذلك لأنه لم يكن في زمانهم من يوحد الله غير القليل منهم.
- ٣- إن استهداف فرعون ذكور بني إسرائيل بالتقتيل والتذبيح، كان هدفة القضاء على نسلهم، وذلك خوفاً من زوال ملكه.
- ٤- إن قضاء الله وقدره، نافذ لا رادّ له، ولن تستطيع قوة الوقوف أمامه، أو إيقافه.
- ٥- ضرورة وضع المناهج التربوية للمجاهدين في سبيل الله، حتى يكونوا على قدر المسؤولية وتحمل تبعات فريضة الجهاد في سبيل الله، وإعادة مجد الأمة الضائع.
- ٦- لن تتحقق أهداف المسلمين إلّا من خلال الجماعة المسلمة، والقيادة الربانية، وذلك من خلال المنهج الربّاني.
- ٧- أهمية الاستعانة بالله، والأثر الذي يترتب على نفسية المجاهدين في الميدان خاصة، وعلى الأمة عامّة.
- ٨- ضرورة اصطفاء المجاهدين من بين المسلمين، من خلال الدورات التدريبية العسكرية والروحية، التي تؤهلهم لمواجهة الأعداء.
- ٩- إن أفضلية بني إسرائيل كانت محصورة أفراداً وزماناً، بينما أمّة محمد شملتها الخيرية كلها، ولا زالت حتى قيام الساعة.
- ١٠- أهمية العلاقة الوطيدة والمتكاملة بين الأمن النفسي والغذائي، فلا قيمة للحياة إلّا بهما متكاملين في حياة الناس، ولا يوجدان معاً إلّا في المنهج الإسلامي.

الفصل الثاني

صفات اليهود في القرآن الكريم

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: صفات الكافرين من اليهود:

و فيه تسعة مطالب:

المطلب الأول: حب الدنيا وكراهية الموت.

المطلب الثاني: الخداع والتحايل.

المطلب الثالث: الكذب وأكل الحرام.

المطلب الرابع: قسوة القلب.

المطلب الخامس: الخيانة والغدر ونقض العهد.

المطلب السادس: الجدل والكفر والتمرد على الأمر.

المطلب السابع: إشعال الحروب والإفساد في الأرض.

المطلب الثامن: الغلو في الدين وعداوة المؤمنين.

المطلب التاسع: حب الذات وتبرير الجرائم.

المبحث الثاني: صفات المؤمنين منهم قبل بعثة الرسول:

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: عبادة الله.

المطلب الثاني: الأمانة في المعاملة.

المطلب الثالث: الصبر والعدل.

الفصل الثاني

صفات اليهود في القرآن الكريم

إن الحديث عن صفات اليهود له نمط خاص لأننا نتحدث عن قوم لم تبق صفة قبيحة إلا ووسموا بها، وكانوا أئمة فيها يعلمون غيرهم فنونها،" خصوصاً إن هذه الصفات التي سطرها القرآن وصورها في أبشع صورة من خلال اللقطات البشعة لحياة اليهود في شتى المجالات، هذه الصفات لا زالت كما هي قديماً وتكرر حديثاً، "لا بل لقد ازدادت بشاعة لتطور وسائل الإفساد والإجرام في هذا العصر، لأن الاتجاهات النفسية الجامدة التي عرفت عن اليهود والتي تعتبر محددات موجهة ضابطة لسلوكهم الاجتماعي تنطق بالخسة والتدني، لأن شعوب العالم يعتبرون شخصية اليهودي معوجة ملتوية، ونفوسهم مليئة بالحقد والغرور وأنهم أحط البشر وأرذل الخلق"^(١) لأن تاريخهم حافل بالإجرام وفنونه، والباحث ليس بصدد استعراض كل صفات اليهود، وإنما سيذكر أهمها وأشدّها تأثيراً وخطراً، فالأستاذ طلال خلف ذكر تسعة وتسعين صفة لهم، صنّفها إلى ثلاثة أقسام وأطلق عليها مصطلح القيم، فجمع القيم العفائية حيث بلغت خمسون قيمة، والقيم الأخلاقية بلغت أربعة وعشرين قيمة، والقيم الاجتماعية بلغت خمسة وعشرين قيمة^(٢).

ويرى الباحث أنه بالغ في ذلك، من خلال إسقاط بعض آيات المنافقين على صفات اليهود التي ليس لها علاقة بهم، سوى أنها تتحدث عن صفة النفاق فقط، ومثال ذلك قوله تعالى: [وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ] (البقرة/ ٨) [يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ] (البقرة/ ٩) وكذلك أسقط بعض الآيات التي تحدثت عن مكر المشركين كما في قوله تعالى: [وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ] (الأنفال/ ٣٠) ، ومن الملاحظ عليه تكرار بعض الصفات للآية الواحدة^(٣)، وأبدأ في بيان أهم صفات اليهود.

(١) ملامح الشخصية اليهودية وطباعها (١٢١) بتصرف، سناء عبد اللطيف صبري — دار القلم — دمشق — ط الأولى ١٤٢٠هـ — ١٩٩٩م.

(٢) راجع قيم اليهود في القصص القرآني ودورها في توجيه فكرهم التربوي المعاصر (ص ٤١) — رسالة ماجستير — طلال خلف، ١٤٢هـ — ١٩٩٩م.

(٣) المرجع السابق (ص ٤٢، ٤٣).

المبحث الأول صفات الكافرين من اليهود

وفيه تسعة مطالب:

المطلب الأول: حب الدنيا، وكراهية الموت:

قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾، وقال: [وَلَنْ يَتَمَنَّوهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ] وقال: [وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُرْضِيهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ] (البقرة ٩٤٠، ٩٦١)، وقال: [قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ] وقال: [وَلَا يَتَمَنَّوهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ] (الجمعة ٦، ٧).

أولاً: التفسير الإجمالي:

وفيه مسألة واحدة: حب الدنيا وملاحح الخوف لدى اليهود.

١- حب الدنيا :

قال سبحانه: ﴿ قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ وَلَنْ يَتَمَنَّوهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ وقال: ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُرْضِيهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ (البقرة ٩٤٠، ٩٦١) [قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ] وقوله ، [وَلَا يَتَمَنَّوهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ] (الجمعة ٦، ٧)، وحققيقة الأمر أنهم لن يتمنوه أبداً، خوفاً من أن يحل بهم عقاب الله بما كسبت أيديهم من الذنوب، لأنهم يعلمون أنهم كاذبون، ولو كانوا صادقين لتمنوا الموت ورجبوا في التعجيل إلى كرامة الله، لكنهم أشد فرارا من الموت، قال الطبري: ولا يتمنى اليهود الموت أبداً، بما اكتسبوا في هذه الدنيا من الآثام، واجترحوا من السيئات^(١)، لأنهم أحرص الناس على أي حياة مهما كانت ذليلة، من شدة حبهم للدنيا وتعلقهم بها، فإن أحدهم لا يريد مغادرتها ويتمنى أن يعمر فيها مئات السنين، وذلك خوفاً من سوء المصير الذي ينتظره، قال صاحب الظلال

(١) جامع البيان مج (٩٣/١٢)، مرجع سابق.

"وقد لا تكون هذه مباهلة^(١)، ولكن مجرد تحدّ لهم بما أنهم يزعمون أنهم أولياء الله من دون الناس، فما الذي يخيفهم إذاً من الموت، ويجعلهم أجبن خلق الله وهم حينما يموتون ينالون ما عند الله مما يلقاه الأولياء والمقربون؟، ثم أجاب عن سبب ذلك قائلاً: إنهم يعرفون أنهم لم يقدّموا بين أيديهم ما يطمئنون إليه وما يرجون الثواب والقربى عليه، إنما قدّموا المعصية التي تخيفهم من الموت وما وراءه، والذي لم يقدّم الزاد يجفل من ارتياد الطريق"^(٢).

٢- ملامح الخوف من القتال.

قال تعالى: ﴿ قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَ نَدْخُلُهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴾ (المائدة/ ٢٢)، ﴿ قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنَ نَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾ (المائدة/ ٢٢، ٢٤) ﴿ لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ (الحشر/ ١٤).

- ١- الآيتان من سورة المائدة سبق الحديث عنهما في الفصل الأول^(٣)، ولكن يبرز فيها من الملامح رفضهم المطلق الخوض في مواجهة الأعداء عسكرياً.
- ٢- الرهبة التي ألقاها الله في قلوب اليهود والمنافقين عند مواجهة المؤمنين.
- ٣- عدم استعدادهم للمواجهة لأنه لا يثق بعضهم ببعض، وليس لديهم ما يجتمعون عليه ويعملون من أجله.
- ٤- من شدة خوفهم وجبنهم، فإنهم لا يقاتلون إلا متحصنين في حصونهم أو من وراء الجدر، لذا يمكن اعتبار ذلك عقيدة عسكرية عندهم ثابتة.
- ٥- شدتهم على أنفسهم وهذا يضعفهم، لأن قلوبهم مختلفة، ونواياهم متباينة، وأهدافهم لا تلتقي، فكل منهم يعمل على شاكلته، قال أبو السعود: لا يقدر على قتالكم جميعاً أي مجتمعين، متفقين في موطن من المواطن إلا في قرى محصنة، بالدروب والخنادق، أو من وراء جدر دون أن يظهروا لكم ويبارزوكم لشدة رهبتكم^(٤)، بأسهم بينهم شديد، استئناف سيق لبيان أن ما ذكر من رهبتهم ليس لضعفهم وجبنهم في أنفسهم، فإن بأسهم بالنسبة لأقرانهم شديد إنما لضعفهم وجبنهم بالنسبة إليكم، بما قذف الله تعالى في قلوبهم من الرعب، تحسبهم جميعاً،

(١) إشارة لما ذهب إليه بعض المفسرين أن الرسول دعاهم للمباهلة فرفضوا انظر جامع البيان مج (١/ ٥٦٧، ٥٦٨) مرجع سابق.

(٢) الظلال مج ٣٥٦٨/٦ مرجع سابق.

(٣) انظر المطلب السادس من الفصل الأول (ص ٨٤) وما بعدها.

(٤) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم مج (٥/ ٧٠٨، ٧٠٧) بتصرف، مرجع سابق.

مجتمعين متفقين، وقلوبهم شتى متفرقة، لا ألفة بينها" (١)، "لافتراق عقائدهم واختلاف مقاصدهم ، ذلك بأنهم قوم لا يعقلون شيئاً، حتى يعرفوا الحق ويتبعوه وتتحد كلمتهم، وهذا تشجيع للمؤمنين على قتالهم" (٢).

ثالثاً: الإعجاز البياني:

وفيه أربع مسائل:

المسألة الأولى: دلالة التعبير في قول الله (حياة).

جاءت نكرة للتحقير لأن الحياة لا تعنيهم أن تكون بعزة أو كرامة، أو العيش بتمكين أو أن يكونوا عبيداً، المهم أن يعيشوا فيها، وهذا عكس المؤمنين الذين يحرصون على الحياة الكريمة العزيزة ولو أدى ذلك لدفع ثمنها من النفس والمال والأبناء، قال الزمخشري: " لأنه أراد حياة مخصوصة، وهي الحياة المتطاولة" (٣) والنكرة لها غرضان إمّا للتكثير وإمّا للتحقير والمقصود هنا الثاني.

المسألة الثانية: الفرق في اللغة بين ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ﴾ (البقرة/٩٥) ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ﴾ (الجمعة/٧).

١. كلّ منهما يفيد النفي.
٢. أداة النفي لن أبلغ في نفي الاستقبال، وكانت دعواهم هناك قاطعة بالغة أعظم من دعواهم في سورة الجمعة، وهي كون الجنة لهم بصفة الخصوص، فخص الأبلغ بتلك السورة (٤)، بمعنى أنهم في سورة البقرة زعموا أن الجنة وكأنها لم تخلق إلا لهم، دون غيرهم، فافتضى المقام أن يكون نفي الزعم أقوى وأبلغ في سورة البقرة، فاستخدم الأداة لن لأنها في النفي أقوى من لا، ليتناسب النفي مع دعواهم الباطلة.

قال الزمخشري رحمه الله: "لا فرق بين لا ولن، في أن كل واحد منها نفي للمستقبل، إلا أن في لن تأكيد وتشديد ليس في لا، فأتى مرة بلفظ التأكيد لن يتمنوه ومرة بغير لفظة ولا يتمنونه، ثم قيل لهم إنّ الموت الذي تفرون منه لا تجرؤون أن تتمنوه، خيفة أن تؤخذوا بوبال كفركم" (٥).

(١) المقتطف من عيون التفاسير مج (٢٢٤/٩) دار السلام للطباعة والنشر ط الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
(٢) البحر المحيط مج (٤٧٩/١) مرجع سابق.
(٣) الكشاف مج (٨٣ /١).
(٤) البحر المحيط مج (٤٧٩/١) مرجع سابق.
(٥) الكشاف مج (١٠٣/٤) مرجع سابق .

المسألة الثالثة: تجارة اليهود خاسرة:

١. الفرق في استعمال بين (اشترى- شرى).

٢. الاستعمال: يستعمل الفعل ومعه تاء الافتعال، وبدونها.

اشترى: بمعنى الشراء، بتاء الافتعال التي تفيد رغبة المشتري في الشيء، وسعيه للحصول عليه قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ (البقرة/٨٦) لذلك "إن الشيء المشتري ملازم لمن اشتراه" (١).

فاليهود كأنهم كانوا يمتلكون الآخرة أو الإيمان في أيديهم، ولما عرضت عليهم الدنيا دفعوها ثمناً لها، واشتروها، قال سيد طنطاوي: "ولا شك أن أولئك اليهود الذين نقضوا عهودهم وقطعوا ما أمر الله به أن يوصل قد باعوا دينهم بدنياهم فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون، هذا الوعيد الشديد بين علته فقال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ (البقرة/٨٦)، والمعنى: أولئك اليهود الذين فرقوا أحكام الله، وباعوا دينهم بدنياهم وآثروا متاع الدنيا على نعيم الآخرة، قد استحقوا غضب الله فلا يخفف عنهم العذاب يوم القيامة ولا يجدون من دون الله ولياً ولا نصيراً" (٢).

ويرى الباحث أن اليهود لو لم ينقضوا عهودهم وجرموا في حق الله ورسوله والمؤمنين، وأطاعوا ربهم فيما أمرهم لربحوا الآخرة، لكنهم بمعاصيهم وإجرامهم وحبهم للدنيا التي اختاروها على الآخرة خسروها، فكأنهم دفعوها ثمناً للدنيا.

شرى: بمعنى باع، بدون تاء الافتعال التي تفيد الرغبة في البيع بأي ثمن مهما كان قليلاً، قال تعالى: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾ (يوسف/٢٠)، لذلك ذم الله اليهود الذين باعوا أنفسهم للشياطين ليتعلموا السحر وهو ثمن رخيص، قال تعالى: ﴿وَلَيْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (البقرة/١٠٢) (٣).

ثالثاً: اللطائف:

١- بما قدمت أيديهم - لماذا اليد دون غيرها من الجوارح؟

(١) خصائص التعبير القرآني (٣٢٢) - د عبد العظيم إبراهيم محمد المطعمي رسالة دكتوراه مكتبة وهبة، ط ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

(٢) الوسيط في التفسير مج (٢٤٨/١) مرجع سابق.

(٣) انظر خصائص التعبير القرآني وسماته (ص ٣٢٥، ٣٢٣) بتصرف.

قال الطبري: "وإنما قيل ذلك بإضافته إلى اليد لأن عظم جنایات الناس بأيديهم فجرى الكلام باستعمال إضافة الجنایات التي يجنيها الناس إلى أيديهم، حتى أضيف كل ما عوقب عليها الإنسان مما جناه بسائر أعضاء جسده إلى أنها عقوبة على ما جنته يده" ^(١) إضافة إلى شهادة اليد والجوارح على الأفعال، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (النور/ ٢٤).

٢- أسلوب المجازاة لدحض حجة الخصم، وذلك في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (الجمعة/ ٦)، أسلوب من أساليب الدعوة القوي والبليغ في دحض حجة اليهود، الذين زعموا أنهم أولياء الله من دون الناس، ولما علم الله كذبهم وبطلان حجتهم أراد أن يفضحهم فعلم رسوله هذا الأسلوب قائلاً: "إن كنتم تزعمون أنكم على هدى وأن محمداً وأصحابه على ضلال فادعوا بالموت على الضال من الفئتين إن كنتم صادقين فيما تزعمونه" ^(٢)، وقال أبو السعود: "فتمنوا الموت لتصيروا إلى ما تصيرون إليه من الكرامة في زعمكم إن كنتم صادقين في هذا الزعم، فإن من علم أنه من أهل الجنة أحب الخلوص من هذه الدار، التي هي قرارة الأقدار" ^(٣).

٣- إن العلاقة بين اليهود والمنافقين قائمة على المنافع وتبادل المصالح، لذلك فهي هشّة وليست قوية ولا يأمن بعضهم بعضاً لأنهم يدركون ذلك، وكل منهم يكيد للآخر، ﴿بِأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (الحشر/ ١٤)، قال السدي: "اختلاف قلوبهم حتى لا يتفقوا على أمر واحد" ^(٤)، "وقال مجاهد: بأسهم بينهم شديد بالكلام والوعيد، ليفعلن كذا، والمعنى: أنهم إذا انفردوا نسبوا أنفسهم إلى الشدة والبأس، وإذا لاقوا عدوا ذلوا وخضعوا وانهزموا أو أنّ بأسهم بالنسبة لأقرانهم شديد وإنما ضعفهم بالنسبة إليكم لما قذف الله في قلوبهم من الرعب" ^(٥)، وبمعناه قال أبو السعود: "مضيفاً، تحسبهم جميعاً مجتمعين وقلوبهم متفرقة، لا ألفة بينها، لأنهم قوم لا يعقلون" ^(٦).

(١) جامع البيان في تأويل القرآن مج (٤٧٢/١) مرجع سابق.

(٢) تفسير القرآن العظيم مج (٣٦٤/٤) مرجع سابق.

(٣) إرشاد العقل السليم في تفسير القرآن العظيم مج (٧٢٣، ٧٢٢) مرجع سابق.

(٤) تفسير السدي جمع وتحقيق رسالة دكتوراه د. زكريا الزميلي (ص ٧٨٨) مرجع سابق.

(٥) فتح القدير مج (٢٤٩/٥) بتصرف مرجع سابق.

(٦) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم مج (٧٠٧/٥).

٤- ﴿ قُرَىٰ مُّحَصَّنَةٌ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ ﴾ (الحشر/١٤)، هذه عقيدة ثابتة ثابت لدى اليهود قديماً وحديثاً، يقول الدكتور صالح الرقب: "هذا الكلام الإلهي يدل على عقلية اليهودي التي لا تتغير مع الزمن منذ البدء واليوم وفي المستقبل"^(١)، والجدار يعتبر استجابة للشعور بالخوف ولحالة الإحساس والشعور بخطر المطاردة، وبسبب عقد كثيرة كان اليهود تاريخياً بحاجة لملجأ من هذا الإحساس، ولذلك فهم قبل أن يرسم اليهودي خريطة بناء منزله، يحرص على خريطة بناء السور والجدران حول المنزل^(٢).

٥- كلما شعروا بالخطر، اتخذوا الحصون والجدر:

أ- قديماً:

وينبع هذا الجدار أيضاً من فكرهم الديني القديم منذ البابليين والآشوريين والرومان، ويقول الكاتب اليساري اليهودي أوري أفنيري " إن فكرة الجدار محفورة عميقاً داخل الوعي الصهيوني وهي ترافق هذا الوعي منذ نشأة الصهيونية"^(٣).

ب- الجدر والحصون زمن الرسول:

" ومن الثابت أنه قبل بعثة النبي محمد ﷺ حرص المقيمون حول المدينة على إقامة الجدران حول قراهم لكي تصبح قلاعاً وقرى محصنة، مثل حصون خيبر التي انطلق الرسول إلى فتحها وكانت بلدة محصنة جداً، فقد كان لليهود فيها سبع حصون كلها بسرديب يخزّنون مؤنهم ويستطيعون قتال غيرهم وهم في حصونهم عاملاً كاملاً حتى ينصرف الخصم عنهم"^(٤).

ت- حصون وجدر تحت الأرض:

وفي العصر الحديث في دولة ما يسمى - إسرائيل - عندما شعر اليهود بالخطر يهدّد أفرادهم، لجئوا إلى بناء الملاجئ تحت الأرض المزوّدة بكل الاحتياجات البشرية، على أحدث ما توصل إليه العقل البشري من تكنولوجيا متطورة، تمكّن اليهودي من العيش تحت الأرض شهوراً طويلة، وربما سنوات عديدة لا يحتاجون إلى شيء من الخارج، وهذا كثيراً ما نسمعه في وسائل الإعلام عندما يعلنون حالة الطوارئ.

(١) الجدار اليهودية في الضفة الغربية (ص٤) محاضر بالجامعة الإسلامية- كلية أصول الدين - قسم العقيدة - ط الأولى ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٢م.

(٢) المرجع السابق (١٣).

(٣) المرجع السابق (ص ٥).

(٤) المرجع السابق (ص ٦).

ث- حصون وجدر شخصية.

هذا ما قام به اليهود قبل سنوات قليلة، في بداية الانتفاضة الأولى ١٩٨٧م، حيث لوحظ أن الجندي الإسرائيلي المدجج بالسلاح، والمزوّد بأحدث الخبرات العسكرية، لمّا بدأ يشعر بالخطر من الحجر، قامت قيادته بتزويد العربات العسكرية بالأسلاك ضد الحجارة لتحول دون إصابة جنودها ولو بجراح خفيفة، وهو ما يشبه الحصن، ولمّا تطورت الانتفاضة إلى الرصاص زوّدت هذه السيارات بالزجاج المصفح ضد الرصاص، وصدق الله العظيم: ﴿ لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعاً إِلَّا فِي قَرْيٍ مُحَصَّنَةٍ ﴾ (الحشر/١٤).

وعلى ضوء ما سبق فإن الباحث لا يستبعد، بل ويتوقع أن يكون لدى اليهود حصون وجدر ضد الأسلحة الكيماوية والجرثومية، مزوّدة بأحدث التجهيزات الإلكترونية المعقدة وذلك لشدة حرصهم على الحياة.

المطلب الثاني: الخداع والتحايل:

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ (١) فَاكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغْداً وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجّداً وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَيَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رَجْزاً مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ (البقرة/ ٥٨، ٥٩) وقال: ﴿ وَأَسْأَلُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِثَّائُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعاً وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ (الأعراف/ ١٦٣).

أولاً: التفسير الإجمالي:

"اذكروا يا بني إسرائيل لتتعظوا وتعتبروا، وقت أن أمرنا أسلافكم بدخول بيت المقدس بعد خروجهم من التيه، وأبحنا لهم أن يأكلوا من خيراتها أكلاً هنيئاً ذا سعة وقلنا لهم ادخلوا من بابها راكعين شكراً لله، على ما أنعم به عليكم من نعمة فتح الأرض المقدسة، متوسلين إليه أن يحط عنكم ذنوبكم، فإن فعلتم ذلك العمل اليسير وقلتم هذا القول القليل، غفرنا لكم ذنوبكم وكفرنا عنكم سيئاتكم، وزدنا المحسن فيكم إحساناً، ولكنهم جحدوا نعم الله وخالفوا أوامره، فبدّلوا القول الذي أمرهم الله به قولاً آخر، أتوا به من عند أنفسهم على وجه العناد والاستهزاء، فأنزّلنا على الذين ظلموا رجزاً من السماء بما كانوا يفسقون" (٢).

(١) اسم القرية أيله أو مدين أو أنها حاضرة البحر كما قال القرآن جامع البيان مج (١/ ٩٢) ، وقيل مدينة على

ساحل بحر القلزم مما يلي الشام، وقيل هي آخر الحجاز وأول الشام، الوسيط في تفسير القرآن المجيد

مج (٢/ ٤١٩) للنيسابوري.

(٢) التفسير الوسيط مج (١/ ١٧٨) مرجع سابق.

والباحث لا يعنيه كثيرا ماذا قالوا وبماذا استبدلوا كلام الله الذي أمرهم به، المهم أنهم خالفوا الأمر في القول والفعل، و بعد ذلك أمرهم نبيهم أن يطلبوا المغفرة، وأن يدخلوا الباب ساجدين ليدلّوا على تواضعهم وشكرهم واعترافهم بنعم الله عليهم، ولكن يهود يابون أن يفارقوا صفاتهم المماثلة والمجادلة حيث التلاعب في الألفاظ والتمرد على أوامر الله، ثم ها هو القرآن الكريم يصف لنا مشهداً آخرًا من حياتهم اللعوب المعتدية على حرّامات الله، كيف يحرمّ الله عليهم أشياء ويحاولون التحايل والتلاعب حتى يبرّروا لأنفسهم مخالفة أمر الله سبحانه وتعالى فقد أذن الله لهم أن يصطادوا من حيتان البحر طيلة أيام الأسبوع عدا يوم السبت ليتفرغوا فيه لطاعة الله وشكره، ثم اختبرهم فيه، فكانت الحيتان لا تظهر لهم إلا يوم السبت تغريهم بظهورها وباقي الأيام لا تظهر لهم على السطح، فكانوا يصطادونها يوم السبت ويبقونها في الماء محجوزة وبعد السبت يجمعونها.

قال الطبري: "سأل يا محمد هؤلاء اليهود وهم مجاوروك عن أمر القرية التي كانت بحضرة البحر قريبة من شاطئه، أهلها يعتدون أمر الله يوم السبت ويتجاوزونه إلى ما حرّمه عليهم باصطيادهم يوم السبت، لكنهم خالفوا أمره وكانوا يصطادون فيه السمك^(١)."

قال صاحب الظلال: فإذا جماعة منهم تهيج مطامعهم أمام هذا الإغراء، فنتهاوى عزائمهم وينسون عهدهم مع ربهم وميثاقه، فيحتالون الحيل على طريقة اليهود للصيد في يوم السبت وما أكثر الحيل عندما يلتوي القلب وتقل التقوى ويصبح التعامل مع مجرد النصوص ويراد التقلت من ظاهر النصوص^(٢)."

ثانياً: الإعجاز البياني:

وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: الهدف البلاغي من سؤال القرية.

أ- أجمع المفسرون على أن الهدف من هذا السؤال هو التقرير والتوبيخ والتقريع وأضاف النيسابوري قائلاً: "ولكن المراد تقرير ما كانوا قد أقدموا عليه من الاعتداء والفسق ليعلموا أن لهم سابقة في ذلك، وليس كفرهم بمحمد أول منكريهم"^(٣)، وليعلم الرسول والصحابة

(١) جامع البيان في تأويل القرآن مج (٦١،٦٢/٦) بتصرف.

(٢) الظلال مج (١٣٨٤/٣).

(٣) غرائب القرآن وورائب الفرقان على مصحف التهجد مج (١٤٧٦/٢) الإمام نظام الدين الحسن بن محمد القمي النيسابوري (ت٧٢٨هـ) ط - الأولى - ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

بعضاً من أساليب اليهود وألعايبهم في التخلص والتحرر من القيود، قال الماوردي: "وسؤالهم عن هذه القرية إنما هو سؤال توبيخ على ما كان منهم فيها من سالف الخطيئة وقبيح المعصية" (١).

ب- بيان أن هذه القصة ليست مجرد حدث موجود في نصوصهم، قال ابن عاشور: "فنعلم من ذلك أن لهذه القصة شأنًا غير شأن القصص الماضية، ولا أحسب ذلك إلا من أجل أن هذه القصة ليست مما كتب في توراة اليهود، ولا في كتب أنبيائهم، ولكنها مما يروي عن أحبارهم، ولذلك افتتحت بالأمر بسؤالهم، لإشعار يهود العصر النبوي بأن الله أطلع نبيه عليها وهم كانوا يكتُمونها" (٢).

المسألة الثانية: دلالة التعبير بالجملة الفعلية: (يعدون).

استخدم الفعل المضارع للدلالة على تكرار التحايل منهم كثيراً في كل سبت (٣)، والجملة الفعلية حالية لبيان استمرارهم على تلك الحالة التي كان عليها أسلافهم وقد انتقلت إلى يهود المدينة، حيث استمر حالهم مع الرسول والصحابة، ولا زالوا كذلك حتى يومنا هذا !! في قوله تعالى: - حيتانهم - إيماء إلى أنها مخلوقة لهم، فلو صبروا نالوها وهم مطيعون (٤).

ثالثاً: اللطائف البيانية:

- ١- إن من حاول الالتفاف على النصوص ظاناً أنه سينجو من العقاب، فقد أخطأ، قال الشعراوي: "ولكل منحرف نقول إياك أن تظن أنك بانحرافك عن منهج الله ستقوم بأشياء بعيداً عن عين الله، وتظن أن الله غير قادر أن يبتليك بعقاب يفوق ما أخذ آلاف المرات" (٥).
- ٢- بيان قدرة اليهود وخبثهم على استخدام أسلوب التحايل حتى مع ربهم الذي يعلم السر وأخفي، فما بالنا مع البشر !!!

(١) النكت والعيون مج (٢٧٢/٢) لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري (ت ٣٦٤ - ٤٥٠) راجعه وعلق عليه السيد عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتاب العلمية - بيروت - لبنان - ط الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

(٢) التحرير والتنوير مج (٥/٩/١٤٦) مرجع سابق.

(٣) المرجع السابق مج (٥/٩/١٤٨).

(٤) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور مج (٣/١٤٠) دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط الأولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

(٥) الشعراوي مج (٧/٤٤٠٨) مرجع سابق.

٣- تحذير المؤمنين في المدينة المنورة من ألعيب اليهود، وقدرتهم على التحايل.

المطلب الثالث: الكذب وأكل الحرام:

﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخِرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يَحْرُفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَطَهَّرَ قُلُوبَهُمْ هُتِمَ فِي الدُّنْيَا حَزِيٌّ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (المائدة/ ٤١) ﴿ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئاً وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ (المائدة/ ٤٢) ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيراً مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (التوبة/ ٣٤) ﴿ وَقَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارَ إِلَّا أَيَّاماً مَعْدُودَةً قُلْ اتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْداً فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة/ ٨٠) ﴿ بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (البقرة/ ٨١) ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارَ إِلَّا أَيَّاماً مَعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ (آل عمران/ ٢٤).

أولاً: أسباب النزول :

وردت أحاديث متعددة في سبب نزول الآيات (٤٢، ٤١ من سورة المائدة) تقتصر منها ما ورد في صحيح البخاري من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما (أَنَّ الْيَهُودَ جَاءُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَذَكَرُوا لَهُ أَنَّ رَجُلًا مِنْهُمْ وَأَمْرًا زَنِيًّا، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا تَجِدُونَ فِي النَّوْرَةِ فِي شَأْنِ الرَّجْمِ فَقَالُوا نَفَضَحُهُمْ وَيَجْلِدُونَ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ كَذَبْتُمْ إِنَّ فِيهَا الرَّجْمَ فَأَتَوْا بِالنَّوْرَةِ فَنَشَرُوهَا فَوَضَعَ أَحَدُهُمْ يَدَهُ عَلَى آيَةِ الرَّجْمِ فَقَرَأَ مَا قَبْلَهَا وَمَا بَعْدَهَا فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ ارْفَعْ يَدَكَ فَرَفَعَ يَدَهُ فَإِذَا فِيهَا آيَةُ الرَّجْمِ فَقَالُوا صَدَقَ يَا مُحَمَّدٌ فِيهَا آيَةُ الرَّجْمِ فَأَمَرَ بِهِمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرَجِمَا قَالَ عَبْدُ اللَّهِ فَرَأَيْتُ الرَّجُلَ يَجْتَأُ (يَحْنِي) عَلَى الْمَرْأَةِ يَفِيهَا الْحِجَارَةَ) (١).

ثانياً: التفسير الإجمالي:

هذه النصوص تحتوي على حوالي سبع صفات قبيحة لليهود:

١. المسارعة في الكفر، هي استعدادهم النفسي والعملي للسير في الكفر بسرعة، دون مراعاة لحرمة الدين، وهذا يترتب عليه عدم المبالاة في ارتكاب المعاصي والآثام في حق أي كان، مع عدم استعدادهم العودة عن ذلك.

(١) خ - ك - المناقب ب - قول الله تعالى يعرفونه كما يعرفون أبناءهم مح (٤/ص ٢٠٦ - رقم ٣٦٣٥).

٢. النفاق، وهو أن يظهر الإنسان خلاف ما يبطن، وهو نوعان:
- أ - عقائدي، وهو إظهار الإيمان وابطان الكفر، وهذا يخرج من الملة.
- ب - وسلوكي، لا يخرج من الملة، وقد ذكر صفاته الرسول ﷺ، من حديث أبي هريرة بقوله:
- (آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ وَإِذَا أُؤْتِمِنَ خَانَ) (١)
٣. حبهم سماع الكذب، لأنه تغلغل في أعماق قلوبهم وأشربوه، لذلك فهم يتلذذون ويطربون لسماعه أكثر من أي شيء، بل وسعون جاهدين للبحث عنه.
٤. التجسس على المؤمنين، من خلال عيونهم التي يبثونها لجمع المعلومات عن المؤمنين لإيقاع الأذى بهم، مستخدمين بذلك كل الوسائل القذرة والرخيصة لتحقيق ذلك.
٥. تبديل الأحكام، من خلال تحريفها وتأويلها تأويلاً يوافق أهواءهم، ويخدم مصالحهم، دون مراعات لما يترتب على ذلك من مخالفة لله.
٦. أكل الحرام، من خلال أي طريقة كانت دون مراعاة لحرمتها، أو ظلم للناس، وأكل لأموالهم بالباطل، مستخدمين بذلك كل الوسائل التي تحقق لهم ذلك الهدف.
٧. التحريض على رفض الأحكام الشرعية، من خلال التشكيك فيها، وفي صلاحيتها، وقدرتها على تحقيق السعادة والأمن والاستقرار للناس، ويستخدمون لتحقيق ذلك كل وسائل الخداع والتزييف، كالحرية والديمقراطية، والحفاظ على ما يسمّى بحقوق الإنسان، هدفهم بذلك التحريض على أحكام الله.

والمعنى أن الله تبارك وتعالى يواسي حبيبه ورسوله ﷺ قائلاً: لا تهتم ولا تبالي بمن يسارعون في الكفر من المنافقين واليهود، الذين آمنوا بألسنتهم ولم تؤمن قلوبهم، لأنها مملوءة بالكفر والنفاق، والحق على المؤمنين، فهم لا يستحقون الحزن عليهم، لأنهم كذّابون يحبون الكذب ويتلذذون عند الاستماع إليه، ويستمعون إليك ليكذبوا على لسانك ويحرفوا كلام الله وأحكامه، كي توافق أهوائهم، أو يسمعوا منك ليتجسسوا عليك لحساب غيرهم، ثم يأمره أن يحكم بينهم إن جاءوه، أو يعرض عنهم لأنهم ليسوا أهلاً لتطبيق أحكام الله.

قال النسفي: "ومعنى سماعون للكذب يسمعون منك ليكذبوا عليك بأن يمسخوا ما سمعوا منك، بالزيادة والنقصان والتبديل والتغيير، سماعون لقوم آخرين لم يأتوك، أي سماعون منك لأجل قوم آخرين من اليهود، وجّهوهم عيوناً ليلبغّوهم ما سمعوا منك، يحرفون الكلم من بعد مواضعه، أي يزيلونه ويميلونه عن مواضعه التي وضعه الله فيها، فيهملونه بغير مواضع بعد أن

(١) خ - ك الإيمان ب - علامة المنافق (ج ٣ ص ١٠١٠ رقم ٢٥٩٨) .

كان ذا موضع^(١)، قال سيد طنطاوي: "والمعنى أن هؤلاء المنافقين واليهود من صفاتهم أنهم كثيرو السماع للكذب، كثيرو الأكل للمال الحرام بجميع صوره وألوانه، ومن كان هذا شأنه فلا تنتظر منه خيراً، ولا تؤمل فيه رشداً^(٢)."

ومن كذبهم ادّعاؤهم أنهم أبناء الله وأحباؤه، وقولهم [وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ] (المائدة ١٨).

ثالثاً: الإعجاز البياني:

وفيه أربع مسائل:

المسألة الأولى: سر التعبير بحرف الظرفية – في – في قوله (يسارعون في الكفر).

١- ذم لهم، على انحدارهم في دركات الكفر بسرعة، من غير مواناة ولا تدبر ولا تفكر، فهم ينتقلون بحركات سريعة في ثنايا الكفر ومداخله، دون أن يزعمهم وازع من خلق أو دين. قال الزمخشري: " يسارعون في الكفر يقعون فيه سريعاً ويرغبون فيه أشد رغبة^(٣)."

٢- للدلالة على أنهم غارقون في الكفر، وداخلون فيه ابتداءً، يعني أنهم موجودون في الكفر وغارقون فيه، ومستقرون فيه لا يبرحونه، وإنما ينتقلون فيه بالمسارعة يستخدمون فنونه وأحكامه، ضد الآخرين، كإظهار موالاة المشركين، وإبراز آثار الكيد للإسلام ونحو ذلك^(٤)، قال الشعراوي: "علما أنهم يكونون في البداية في دائرة الكفر، ثم يسارعون وينتقلون إلى كفر أشد"^(٥).

٣- يعكس هذا التعبير في الذهن صورة قبيحة، ومصيراً سيئاً لليهود، لأن التعبير يوحي وكأنهم يعيشون من فوقهم كفر ومن تحتهم كفر، وعن أيمانهم وشمالهم كفر، فاستمرؤوا الكفر، لذلك فهم يسارعون فيه، يصعدون مسرعين إلى كفر أشد منه، وطالما يسيرون بهذه السرعة فلا مجال للعودة عنه لأنهم أصبحوا من دعائه، وهذا ما حدث معهم فقد قالوا:

﴿ إِن أوتيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا ﴾ (المائدة /٤١).

(١) تفسير النسفي مج (١/٤١٠) القاهرة – المطبعة الأميرية ١٩٣٦م.

(٢) التفسير الوسيط مج (٤/٢٠٨) مرجع سابق .

(٣) الكشف مج (١/٣٦٣) مرجع سابق .

(٤) روح المعاني مج (٣/١٣٥) مرجع سابق.

(٥) الشعراوي مج (٥/٣١٣٦) بتصرف مرجع سابق .

المسألة الثانية: السر البياني لصيغة المبالغة (سماعون - أكالون):

- ١- جاءت بصيغة المبالغة لبيان أنهم يحتون حنًا جمًا، لما يباه الدين والخلق الكريم فهم يستمرئون سماع الباطل من القول كما يستمرئون أكل أموال الناس بالباطل^(١).
- ٢- سماعون لقوم آخرين: هذا يدل على رخصهم وإهدار كرامتهم لأنهم رضوا أن يكونوا عيونًا لغيرهم ودُما في أيديهم، قال الشعراوي: "وأما أن يكونوا سماعون للكذب لصالحهم فمعقول، ولكن لصالح قوم آخرين، كأنهم يقومون بالتجسس والتجسس كما نعلم يكون بالعين أو الأذن، وتقدمت هذه الوسائل في زماننا حتى صار التجسس بالصوت والصورة، والقوم الآخرون الذين يسمعون لهم هم القوم الذين أصابهم الكبر والغرور واستكبروا أن يحضروا مجلس رسول الله وهم في الوقت نفسه لا يطيقون الانتظار ويريدون معرفة ماذا يقول رسول الله، لذلك يرسلون الجواسيس إلى مجلس الرسول لينقلوا الأخبار، وعندما ينقلون إلى كبارائهم من اليهود ما يسمعون يحاولون تصويره على الغرض الذي يريدون^(٢)، ولقد استخدم اليهود هذا الأسلوب وسيلة يحصلون عن طريقه على أسرار الدول والجماعات، ليستغلوا هذه الأسرار في خدمة مصالحهم، ومن ذلك تجسس اليهود على قادة المسيحية منذ عهدا المبكر، وكان من بين الحواريين من عمل جاسوساً لحساب اليهود^(٣)، وفي العصر الحالي لا تكاد تخلو دولة من دول العالم إلا ولليهود فيها عيون تنقل لهم الأخبار والأسرار، سواء كانت عسكرية أو غيرها، ومن أخطر الجواسيس التي استخدمها اليهود في العصر الحالي الجاسوس المصري اليهودي الأصلي ليفي شاؤول مزراحي من عام ١٩٦١م - ١٩٦٤م، والذي شغلت قصته الرأي العام العالمي مدة طويلة، وقد كتبت عنها مئات الصفحات في الصحف والمجلات، ونشر عنها العديد من الكتب في أوروبا بشكل خاص وبدعم من المخابرات الإسرائيلية وحتى في البلاد العربية، لأنه استطاع بخبثه ومكره أن يتخفي سنوات ويقنص العديد من الشخصيات بجنسيات متعددة، أهمها تعلمه الصلاة في أحد المساجد على يد أحد المشايخ^(٤)، وكذلك الجاسوس المخضرم إيلي كوهين الذي ارتقى في الوظائف الحكومية حتى وصل إلى أعلى مستوى عسكري، فاخترق رئيس الوزراء، ووصل إلى وزير الدفاع السوري، إلى أن تم اكتشافه وإعدامه.

(١) الوسيط في التفسير مج (٢٠٨/٤) مرجع سابق.

(٢) تفسير الشعراوي مج (٣١٣٩/٥) مرجع سابق.

(٣) اليهود في الظلام (ص ١٠) د. أحمد شلبي، أستاذ التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية - كلية إدارة العلوم - جامعة القاهرة، - الزهراء للإعلام العربي - حقوق الطبع محفوظة ١٤١٢هـ - ١٩٩٢، وانظر العديد من أمثلة التجسس في كندا والعديد من الدول العربية والإسلامية ٣٠.

(٤) انظر المخابرات والعالم مج (٤٧٢/٢) وما بعدها، سعيد الجزائري، منشورات مكتبة النووي - شارع سعد الله الجابري - حقوق الطبع محفوظة.

وبناء على ما سبق من تلك الصفة فإنه ينبغي على المسلمين أن يسعوا جاهدين لاستغلالها والعمل على خرق صف اليهود، خصوصاً المنظمات السرية لديهم كالموساد، وذلك للحصول على أسرارهم الخطيرة العسكرية منها، والتعرف على مخططاتهم التي يدبرونها ضد المسلمين.

المسألة الثالثة: سر تسمية المال الحرام سحتاً:

سمي بهذا الاسم لأنه يسحت الأشياء، أي يذهبها ويستأصلها من سحته، إذا استأصله لأنه مسحوت البركة، والمقصود به في الآية الرشوة التي كان يأخذها المحرِّقون عن تحريفهم وسائر أحكامهم الزائفة، قال الطبري: "وأصل السحت كلب الجوع: يقال منه فلان مسحوت المعدة: إذا كان أكلواً، لا يلقى أبداً إلا جائعاً، وقيل للرشوة السحت تشبيهاً بذلك، كأن بالمستشري من الشره إذا أخذ ما يعطاه من ذلك، مثل المسحوت المعدة من الشره إلى الطعام"^(١).

وقال الشوكاني: أصله الهلاك والشدة من سحته: إذا أهلكه، ويقال للحالق اسحت: أي استأصل، وسمي الحرام سحتاً لأنه يسحت الطاعات، يذهبها ويستأصلها"^(٢)، ونقل الألويسي عن الجبائي قوله: "لأنه لا بركة فيه لأهله، فيهلك هلاك الاستئصال غالباً، وقيل لأنه يسحت مروءة الإنسان"^(٣)، قال صاحب الضلال: "والسحت كل مال حرام، والربا والرشوة وثمان الكلمة والفتوى في مقدمة ما كانوا يأكلون وفي مقدمة ما تأكله المجتمعات التي تتحرف عن منهج الله في كل زمان، وسمي الحرام سحتاً لأنه يقطع البركة ويمحقها، وما أشد انقطاع البركة وزوالها من المجتمعات المنحرفة كما نرى ذلك بأعيننا في كل مجتمع شارد عن منهج الله"^(٤)، ويرى الباحث أنه سمى بذلك لأنه ينزع الخير والبركة من كل شيء في يد آكله حتى من عمره، ويؤدي إلى هلاكه في الدنيا قبل الآخرة، لأن اليهود قديماً وحديثاً لا يتلذذون إلا بالحرام، فمعظم حياتهم قائمة عليه، فالبنوك الربويّة والمؤسسات الربحية كالبورصة وغيرها، إضافة إلى تجارة الجنس والأفلام الإباحية في هوليوود وغيرها.

المسألة الرابعة: دلالة التعبير في قولهم: (لن تمسنا):

قال الشعراوي: "والمسّ يعني اللمس الخفيف، أو اقتراب شيء من شيء، ولكن لا يمس أحدهما بالآخر، إلا إحساساً خفيفاً لا يكاد يذكر، ثم واصل قوله: فإذا أتيت إلى إنسان ووضع

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن مج (٤/ ٥٨٢، ٥٨١)، بتصرف، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط الثالثة ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

(٢) فتح القدير مج (٥٥٩/٢) مرجع ساق.

(٣) روح المعاني مج (٣/٢٤٠) مرجع سابق.

(٤) الضلال مج (٢/٨٩٣) دار الشروق ط ٣٣ - ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

أناملك على يده يقال مسست، ولكنك لم تستطع بهذا المس أن تحس بحرارة يده، أو نعمة جلده، لكن اللمس يعطيك إحساسا بما تلمس" (١)، لذلك أرادوا بقولهم هذا أن يحققوا هدفين:

١- أنهم لن يصيبهم العذاب، أو أن ما يصيبهم منه قليل، فقالوا: [لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ] (آل عمران ٢٤)

٢- وأن ما يصيبهم من العذاب فترة قليلة بمعنى نفي الخلود في النار فقالوا: — أياما معدودات — لأن الشيء إذا قيل عنه معدود فهو قليل، وبه قال د. عبد الله شحاتة، " وأرادوا بقولهم تمسنا نفي العذاب عنهم، وإثبات اليسير منه، لإثبات أنهم أبناء الله وأحباؤه لذلك لن يعذبهم الله ولو ارتكبوا الكبائر لأن الله سيعاملهم كما يعامل الوالد ولده" (٢).
بلى: أداة نفي تفيد الإضراب ومعناها لا - بل، والمعنى لا ليس الأمر كما زعمتم أن النار لن تمسكم إلا أياما معدودة بل سيعذبكم الله في النار وتخلدون.
قال الزمخشري: "إثبات لما بعد النفي: أي بلى تمسكم أبدا بدليل قوله " هم فيها خالدون" (٣).

المسألة الخامسة: جمال المقابلة في الآيات.

١. أمانى كاذبة تقابلها حقائق دامغة :

ويرى الباحث إن إدعاء اليهود (٤) قابله نفي من الله وإثبات لعكسه، لأن اليهود بقولهم: ﴿ وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً ﴾ نفوا عن أنفسهم العذاب في النار والخلود فيها، فقابله إثبات الله، لا بل ستدخلونها وتعذبون فيها وتخلدون.

٢. جدول يبين هدف المقابلة

الغرض منها	المقابلة	الغرض من قولهم	ادعاء اليهود
إبطال دعواهم وإثبات دخول النار	فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ	نفي دخول النار ونفي العذاب	وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ
إبطال دعواهم وإثبات الخلود في النار	هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ	نفي الكفر عن أنفسهم والخلود في النار	أَيَّامًا مَعْدُودَةً

(١) الشعراوي مج (٤٢٣/١٠) مرجع سابق.

(٢) تفسير القرآن العظيم شحاتة مج (١٠٣/١) مرجع سابق .

(٣) الكشف مج (٢٩٢ /١) مرجع سابق .

(٤) للتعرف على المزيد من ادعاءات اليهود وكذبهم انظر كتاب بذل المجهود في إفحام اليهود (ص ١١٤،

١١٩، ١٧١) للحكيم السموءل المغربي - الدار الشامية - بيروت - ط الأولى ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م .

ثالثاً: اللطائف البيانية:

١- **نداء الرسول:** "وفي نداءه بعنوان الرسالة، تشريف له وتكريم وإشعار بأن وظيفته كرسول أن يبلغ رسالة الله دون أن يصرفه عن ذلك عناد المعاندين أو كفر الكافرين" فإن تكاليف الرسالة تحتم عليه الصبر على أذى أعدائه حتى يحكم الله بينه وبينهم وهو أعدل الحاكمين" (١).

٢- **لمسة حنان لإزالة الأحزان:** " وحين يخاطب الحق رسوله في ألا يحزن" علينا أن نعرف على ماذا يكون الحزن؟ فيوضح سبحانه وتعالى لرسوله إياك أن تحزن، لأنني معك فلن ينالك شر خصومك، ولا يمكن أن أختارك رسولاً وأخذلك، إنهم لن ينالوا منك شراً (٢)، ولا تحزن على عنادهم، وعدم استجابتهم لك، واصرف همك لمن اتبعك من المؤمنين، وانشغل بهم فهم أولى بالاهتمام من هؤلاء المعاندين المكذبين، ولا تحزن على عنادهم وعدم استجابتهم لك، واصرف همك لمن اتبعك من المؤمنين، وانشغل بهم لأنهم أولى من هؤلاء المعاندين المجادلين.

٣- **حب اليهود للكفر:** بيان حب اليهود للكفر وسرعة السير والانغماس فيه وتلذذهم به.

٤- **خطر المال الحرام:** بيان خطورة المال الحرام والأثر المهلك والمدمر على حياة أكلية.

٥- التحذير من العلماء اللذين يستغلون مركزهم الديني، لجمع المال الحرام من خلال الفتاوى المرضية للحكام.

٦- **تحريف كلام الله:** هذه من أخطر الصفات التي مارسها اليهود قديماً، عندما حرفوا التوراة، ولا زال اليهود يمارسونها، بتغيير نصوص البنود المتفق عليها وتحريفها لتوافق مصالحهم، "تارة تحريفاً لفظياً، وتارة تحريفاً معنوياً، وتارة بغير ذلك من وجوه التحريف والتبديل" (٣) وخير دليل على ذلك الاتفاقيات التي تم التوقيع عليها مع بعض الحكومات العربية، والسلطة الفلسطينية، بل وتحريفهم لنصوص القرارات الدولية، مثل الانسحاب من الأراضي أم من أرض وذلك حسب الترجمة الحرفية لبنود القرار ٢٤٢ الصادر عام ١٩٦٧ م .

٧- **الرد على ادعاء اليهود:** ﴿ بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ ﴾ (البقرة / ٨١) في الآية تحذير من ارتكاب السيئات وعدم التمادي فيها، فلا يبالي صاحبها بالكفر فعلى من

(١) التفسير الوسيط مج (٤/٢٠١) مرجع سابق.

(٢) تفسير الشعراوي مج (٥/٣١٣٤) مرجع سابق.

(٣) الوسيط في التفسير مج (٤/٢٠٥) مرجع سابق.

يرتكب سيئة أن يبادر بالتوبة منها فإن لم يبادر أحاطت به الخطيئة بقلبه فأصبح مظلماً لا ينفذ إليه النور فيكفر.

المطلب الرابع: قسوة القلوب:

قال تعالى: [ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ] (البقرة/ ٧٤) [وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ] (البقرة/ ٨٨)، (فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بَغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا] (النساء/ ١٥٥).

أولاً: علاقة الآيات بما قبلها:

لقد شاهد بنو إسرائيل العديد من الآيات والمعجزات الكافية بتحريك القلوب واندفاعها تجاه خالقها، ومنها إحياء قتيل لبني إسرائيل أمام أعينهم حتى نطق باسم الذي قتله، ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ (البقرة/ ٧٢)، إضافة للعديد من المعجزات والآيات، وهذه المعجزة لم تؤثر شيئاً في قلوبهم، بل على العكس عميت قلوبهم وغلقت منافذها فلم تتأثر بموعظة ولم تتفقد للخير، فجاءت هذه الآيات لتصفها بأبلغ وصف لأقبح صورة.

ثانياً: التفسير الإجمالي:

لقد وصف الله تبارك وتعالى اليهود بالقسوة وغلظة القلب، من بعد ما رأوا الآيات التي تنطق بالحق، فشاهدوا إحياء القتيل أمام أعينهم، ومع ذلك لم تتحرك قلوبهم ولو قليلاً، بل تبيست وقست، فهي كالحجارة في صلابتها وعدم ليونتها، لا بل قلوبهم أشد قسوة منها، فبعض الحجارة أنفع للحياة من بني إسرائيل، لأن منها يتفجر الأنهار ومنها له تقوب هي منبع الحياة، فيخرج منها الماء، ومنها أكثر خشية وإحساساً لمعاني الإيمان، فتخشع وتتواضع رغم شموخها من خشية الله، ثم بعد ذلك يهددهم القرآن قائلاً لهم: إن الله حافظ أعمالكم محصياً عليكم، وسوف يجازيكم عليها، واعلموا يا بني إسرائيل أنه يمهل ولا يهمل، ﴿ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (البقرة/ ٧٤)، قال سيد طنطاوي: " يبين القرآن الكريم بعد ذلك أن هذه المعجزات الباهرة، التي تزلزل المشاعر، وتهز القلوب، وتبعث في النفوس الإيمان، لم تؤثر في قلوب بني إسرائيل الصلدة، لأنه قد طرأ عليهم بعد رؤيتها ما أزال آثارها من قلوبهم، ومحا الاعتبار بها من عقولهم، فقال سبحانه ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ

قَسْوَةٌ ﴿ (البقرة / ٧٤) ثم صلبت قلوبكم يا بني إسرائيل وغلظت من بعد أن رأيت المعجزات منها: إحياء الموتى أمام أعينكم فهي كالحجارة في صلابتها وبيوستها، بل هي أشد صلابة منها لأن من الحجر ما فيه ثقوب متعددة، وخروق متسعة فيتدفق منه المياه والأنهار التي تعود بالمنافع على المخلوقات، وبعد ذلك لام عليه وهددهم قائلاً: ﴿ **وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ** ﴾ (١) (البقرة / ٧٤).

ثالثاً: الإعجاز البياني:

وفيه اثنا عشر مسألة:

المسألة الأولى: دلالة التعبير بـ (ثم):

١- أفادت التعقيب والتراخي، حيث شاهدوا العديد من المعجزات والآيات الكفيلة بإحداث انقلاب كلي في القلوب لكن بني إسرائيل رغم كل ما شاهدوا لم تتأثر قلوبهم، ولم تتحول عن كفرها وعنادها وقسوتها.

٢- التعبير بـ (ثم) أفادت استبعاد حدوث القسوة، لأن مشاهدة الآيات ترقق القلوب، وتجعلها تتعلق بخالقها، خصوصاً بعدما شاهدوا إحياء القتيل، الذي قتله ابن عمه، قال سيد طنطاوي: "بيان لما طرأ على قلوب بني إسرائيل، بعيداً عن الاعتبار وعدم التأثر بالعظات، وإعراضاً عن الإنابة والإذعان لآيات الله، وتحلل من الموائيق التي أقرروا بها على أنفسهم، وجئ بـ (ثم) التي تفيد التراخي لاستبعاد استيلاء الغلظة والقسوة على قلوبهم بعد أن رأوا الكثير من المعجزات، فكأنه سبحانه يقول لهم: بعد أن ساق قصة البقرة وما ترتب عليها من منافع وعبر، ومع ذلك كله لم تلتن قلوبكم يا بني إسرائيل، ولم تقدكم المعجزات فقسست قلوبكم وكان من المستبعد أن تقسو^(٢)!، فأى آية بعد ذلك تريدون حتى تتعظوا؟؟".

وقال د. وهبي الزحيلي: " والتعبير بـ (ثم) يدل على أن قسوة قلوب اليهود بلغت مرتبة بعيدة جدا عن الوضع السليم^(٣)، حتى تجاوزت الحد في القسوة ذاتها لأنها لم تقس قسوة الطبيعية.

المسألة الثانية: معنى القسوة ودلالة التعبير بها:

تقاربت أقوال العلماء في معنى القسوة، لكنهم أجمعوا على مضمونها ومدلولها، ما بين الجفوة والغلظة، والصلابة والشدة، وذهاب اللين والرحمة من القلوب، إضافة إلى عدم الخشوع

(١) التفسير الوسيط مج (١/ ٢٢٢) مرجع سابق .

(٢) المرجع السابق مج (١/ ٢٢٢) مرجع سابق.

(٣) التفسير المنير مج (١/ ١٩٣).

والتأثر بما تقول^(١) وانفقوا كذلك على أن نتيجة القسوة عدم التأثر والإذعان بما رأته، مع إعراضها عن التوبة والرجوع إلى الله ﷻ .

قال البغوي: يبست وجفت، جفاف القلب: خروج الرحمة واللين منه^(٢)، وقال ابن الجوزي: غلظت يبست وعست، قسوة القلب ذهاب اللين والرحمة والخشوع منه والقاسي: الشدّيد الصلابة^(٣).

المسألة الثالثة: دلالة التعبير بقست وليس صلبت والفرق بينهما.

الصلابة: النتمام الأجزاء بعضها إلى بعض من غير خلل مع بيوسة فيها.

الشدّة: التزاق الأجزاء بعضها ببعض^(٤).

القسوة: تستعمل فيما لا يقبل العلاج، ولهذا يوصف بها القلب وإن لم يكن صلباً^(٥).

الفرق بينهما: أن استعمال لفظ القسوة لعدم احتمال اللين مطلقاً، جاء التعبير بها لبيان استحالة ليونة قلوب بني إسرائيل، وانعدام الرأفة والرحمة فيها، فهذه حالهم منذ ذلك الحين، وحتى يومنا هذا، لذلك لا يرتجى منهم منفعة ولا رحمة، بل العكس لا زالت أفعالهم تدل على قسوة قلوبهم.

المسألة الرابعة : أسباب قسوة قلوب بني إسرائيل:

تبين للباحث من خلال أقوال العلماء في تفسير هذه الآية ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ ﴾ (البقرة / ٧٤) أن هناك ثلاثة أسباب رئيسية كانت وراء ذلك.

السبب الأول: رؤية الآيات والمعجزات التي شاهدها بنو إسرائيل، خلال مسيرتهم مع موسى، ومن أهمها الميت الذي قتله ابن عمه، ومع ذلك لم تتأثر قلوبهم.

السبب الثاني: طول الأمد، وتأجيل التوبة الصادقة النصوح، وهذا ما أشار إليه ابن كثير في تفسير الآية فقال: "صارت قلوب بني إسرائيل قاسية مع طول الأمد، بعيدة عن الموعدة بعد ما شاهدوا الآيات"^(٦).

(١) راجع الطبري مج (٤٠٤/١)، القرطبي مج (٤١٧/١)، والشوكاني مج (١ / ١٤١) وغيرهم من المفسرين.

(٢) البغوي مج (٦٤/١) مرجع سابق، معالم في التفسير والتنزيل.

(٣) زاد المسير مج (٧٠/١) دار ابن حزم ط الأولى الجديدة ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

(٤) الفروق في اللغة (ص ١٠١) مرجع سابق.

(٥) المرجع السابق (ص ١٠٢).

(٦) تفسير القرآن العظيم مج (١١٣/١) دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت - لبنان.

السبب الثالث: نقض العهود والمواثيق التي أخذت عليهم، قال تعالى: ﴿فَبِمَا نَقَضْتُمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (المائدة/ ١٣) وكان قسوة القلب عقوبة لما سبق.

المسألة الخامسة: لماذا القلب دون غيره من أعضاء الجسم؟

قال الشعراوي: "لأن القلب هو موضع الرقة والرحمة والعطف، وهو الذي يحسم مشاكل الحياة، فإذا كان القلب ممتلئاً بذكر الله عامراً بالإيمان، فإنه يؤثر في جميع أعضاء الجسم، فتصبح كل جارحة منه فيها خميرة الإيمان" ^(١) وإلى هذا المعنى أشار الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله: (ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب) ^(٢)، لأنه موضع الرقة والعطف والرحمة، لذلك فالقلب منبع اليقين ومصب الإيمان، ومنه يتم توزيع كل معاني الخير على كل أعضاء الجسم ^(٣)، فالقلب مثله كمثل الملك الذي يقود مملكته، ويؤثر على كل فرد فيها، فإن أحسن هو اقتدوا به وأحسنوا، وإن فسد تأثروا به وفسدوا.

المسألة السادسة: أثر قسوة القلوب على سلوك بني إسرائيل:

ورد العديد من النصوص التي تبين سلوك اليهود ضد غيرهم، والتي تبين شدة قسوة قلوبهم، منها ما ورد في سفر يشوع، يقول: "وأحرقوا المدينة بالنار مع كل ما بها" ^(٤). وفي الإصحاح الثامن "فقام الكمين بسرعة من مكانه وركضوا عندما مد يده ودخلوا المدينة وأخذوها وأسرعوا وأحرقوا المدينة بالنار فالتفت رجال عاي إلى ورائهم ونظروا وإذا دخان المدينة قد صعد إلى السماء فلم يكن لهم مكان للهرب هنا أو هناك والشعب الهارب إلى البرية انقلب على الطارد ولما رأى يشوع وجميع إسرائيل أن الكمين قد أخذ المدينة وأن دخان المدينة قد صعد أتوا وضربوا رجال عاي وضربوهم حتى لم يبق منهم شارد ولا منفلت وكان لما أفنى إسرائيل من قبل جميع سكان عاي في الحقل في البرية حيث لحقوهم وسقطوا جميعاً بحد السيف حتى فنوا أن جميع إسرائيل رجع إلى عاي وضربوها بحد السيف" ^(٥).

المسألة السابعة: جمال المعنى في اسم الإشارة (ذلك).

اسم إشارة يدل على البعد المكاني والزمني، فأما البعد الزمني فهو يشير إلى بعد الزمن الذي شاهد فيه بنو إسرائيل الآيات، وأما البعد المكاني فتشير إلى مكانة الآيات والمعجزات التي

(١) الشعراوي مج (٤٠١/١) بتصرف.

(٢) خ-ك - الإيمان - ب - أخذ الحلال (ج ٥ - ص ٥٠ رقم ٥٠)

(٣) الشعراوي مج (٤٠٢/١) بتصرف.

(٤) الإصحاح السادس: آية ٢٥.

(٥) الإصحاح الثامن: آية ٢٣: ١٩.

أرسلها الله لهم، وقوة تأثيرها في القلوب، ومع ذلك لم يتأثروا بها ولم ينتفعوا، فالآيات من أهميتها وقوتها تهز القلوب هزاً، وهي كفيّلة على إحداث انقلاب كلي فيها، فأحياء الموتى وإحياءهم بعد صعقهم ونزول المن والسلوى من السماء عليهم، إضافة إلى ذلك الجبل كل ذلك له بعده المكاني عند الله ﷻ، قال النسفي: ذلك إشارة إلى إحياء القليل أو إلى جميع ما تقدم من الآيات المعدودة^(١)، و قال سيد طنطاوي: "فيه زيادة تعجب من إحاطة القسوة بقلوبهم بعد توالي النعم، وكأنه يقول لهم أنا أعجب واستغرب من حالكم، بدلاً من أن تشكروا الله على هذه النعم تقسوا قلوبكم بهذا الشكل المستبعد"^(٢).

المسألة الثامنة: تشبيه القلب بالحجر دون غيره؟، وبيان الغرض البلاغي؟.

١- لأن قسوة الحجر، لا ليونة فيها، فالحجر إما أن يبقى حجراً مع احتفاظه بصفة القسوة، أو أن يتبعثر ويصبح رماداً تذروه الرياح، وعند ذلك يفقد اسمه وصفته، ولو قال الحديد مثلاً فإنها لا تؤدي الغرض المطلوب، لأن الحديد يمكن أن يصبح ليئناً بالحرارة، ويفقد صفة الصلابة، لكنه يبقى محتفظاً باسمه.

قال البغوي: لم يشدها بالحديد مع أنه أصلب من الحجاره لأن الحديد قابل لللين بالنار، وقد لان لداود عليه السلام، والحجاره لا تلين قط، ثم فضل الحجاره على القلب القاسي فقال: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَقُّ فَيُخْرِجُ مِنْهُ الْمَاءَ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةٍ﴾ (البقرة ٧٤) أراد به عيوناً دون الأنهار، ينزل من أعلى الجبل إلى أسفله^(٣).

٢- لأن بني إسرائيل لها مع الصخر و الحجر، تاريخ وعبر، قال سيد قطب: "هي حجاره لهم بها سابق عهد، فقد رأوا الحجر تنفجر فيه اثنتا عشرة عيناً، ورأوا الجبل يندك حين تجلّى عليه الله وخرّ موسى صعقاً، ولكن قلوبهم لا تلين ولا تتدى، ولا تنبض بخشية ولا تقوى، قلوب قاسية جاسية مجذبة كافرة."^(٤)

٣- الغرض البلاغي من تشبيه القلوب بالحجر:

أ. بيان أن صفة القسوة للقلوب أصبحت جزءاً أساسياً منها، فكما أن القسوة صفة ملازمة للحجر لا تنفك عنه فكذلك قلوبهم قاسية، والقسوة هي قلوبهم.

(١) النسفي مج (٥٧/١).

(٢) الوسيط في التفسير مج (٢٢٢/١) مرجع سابق.

(٣) معالم التنزيل في التفسير والتأويل مج (١/ ٦٥) دار الفكر للطباعة والنشر - ط الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

(٤) الظلال مج (١/ ٨٠) دار الشروق ط الأولى - ١٤٢٥ - ٢٠٠٤ مرجع سابق.

ب. لبيان أن قلوب بني إسرائيل ثبتت واستقرت على صفة القسوة، وعمت من كل معاني الإنسانية والعطف والرحمة، قال النسفي: "لبيان زيادة قسوة قلوبهم على الحجارة، ووصفت القلوب بالقسوة مثل لنبوها عن الاعتبار والاتعاض، لاستبعاد القسوة من بعد ما ذكر مما يوجب لين القلوب ورقتها"^(١).

المسألة التاسعة: بيان خيرية الحجر وأفضليته على بني إسرائيل:

تبين فيما سبق أن قلوب بني إسرائيل عمّت وأجذبت من كل معاني الخير، بسبب قسوتها، فأصبحت لا تعتبر ولا تتعظ ولا تتأثر، فالحجر الذي يهبط من خشية الله رغم قسوته أكثر فائدة من بني إسرائيل، الذين عطّلوا إدراكهم وجفت ينابيع الرحمة والرقّة واللين من قلوبهم، لذا فالقرآن عندما شبه قلوب بني إسرائيل بالحجارة إنما أراد تذكيرهم بتأثر الحجر واستجابته لربه، ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جِبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأُمْتَالُ تُضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الحشر/٢١).

المسألة العاشرة: معانقة بين رحمة القلب، ورحمة الحجر:

خلق الله المخلوقات وجعل لكل منها دورا يؤديه في هذا الكون، وميّزه عن غيره بصفات تساعده على أداء وظيفته، وبدونها تتشل حركته ويتعطل دوره، قال الشعراوي: "وعند النظر إلى القلوب لا تنظر إلى ليونة مادّة القلب، ولكن انظر إلى أدائها لمهمّتها، فمهمّتها أن تتفجّر منها ينابيع الخير والرحمة والحكمة والمعرفة لله ﷻ، فتمتلئ خشيةً وتقوى وحباً وعطاء ومنفعة لعباده، وهذا جزء من مهمّتها، لكنها إذا لم تقم بهذه المهمة فتكون قد تعطلت، ولا فائدة منها ترجى وعند ذلك تكون قاسية وأشد قسوة من الحجارة.

أما الحجر فمطلوب منه حتى يؤدي دوره وأن يكون قاسياً صلباً شديداً عكس القلوب، وعندما يقوم كل موجود بمهمته المنوطة به يكون الكون جميلاً ومرتناً، فالقلوب مطلوب منها أن تكون رقيقة رحيمة، بذلك تكون جميلة وتجمّل الكون بدورها، لكن إذا تحولت ليونتها إلى قسوة، ورحمتها إلى غلظة فسدت القلوب وأفسدت"^(٢) تلك هي رحمة القلوب.

وأما رحمة الحجر رغم قسوته، فتكون عندما تغيث الناس، ويصيبها اللين فتفجّر منها الأنهار رحمة بالناس أو تشقق فيخرج منها الماء، لتغيث الأرض العطشى، فتكسوها ثوبها الأخضر الجميل الذي تتباهي به كل المخلوقات فتحيا الأرض بعد موتها.

(١) النسفي مج (١-٢/٥٧) بتصرف.

(٢) الشعراوي مج (١/٤٠٢) بتصرف شديد.

إذن فرحمة القلوب خير للأحياء كلها، ورحمة الحجر، خير للطير والشجر والدواب كذلك، قال تعالى: [وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ] (فصلت / ٣٩).

المسألة الحادية عشر: فسوة تفجر الخير، وفسوة هي الشر بعينه:

"إن الحجارة على صلابتها ويبوستها، إلا أن الله وضع فيها صفة المطاوعة، منها ما تحدث فيه المياه خروقا واسعة تتدفق منها الأنهار الجارية النافعة، ومنها ما تحدث فيه المياه شقوقا مختلفة، تنجم عنها العيون والآبار الجوفية المفيدة، ومنها ما ينقاد لأوامر الله عن طواعية، أما قلوبكم أنتم أيها اليهود مع أن الله وضع فيها صفة المطاوعة إلا أنها لا يصدر عنها نفع ولا تتأثر بالعظاات والعبير ولا تنقاد للحكم التي من شأنها هداية النفوس"^(١).

المسألة الثانية عشر: البيان والجمال في انتقاء المصطلحات (يتفجر - تشقق).

قال الشعراوي: "عندما تتفجر الحجارة ويخرج منها الماء، نحن نذهب إلى مكان الماء لنأخذ حاجتنا وعندما تتفجر منها الأنهار فالماء هو الذي يأتينا ونحن في أماكننا، وفرق بين عطاء تذهب إليه وعطاء يأتي إليك"^(٢).

ويسجل الباحث بعضاً من الفروق:

١- عندما تحدث القرآن عن الأنهار استخدم مادة التفجير التي تدفع الماء من أسفل إلى أعلى بقوة، لذلك فهو الذي يصل إلينا ومعلوم أن بعض الأنهار تقطع آلاف الكيلو مترات بسبب قوة الدفع.

٢- لكنه عندما تحدث عن التشقق فإنه بين نتيجته، وهي انسياب الماء انسياباً خفيفاً، لا يكاد يغادر مكانه، لذا يبقى مكانه ولا يصل إلينا لعدم وجد القوة التي تدفعه، من أجل هذا نذهب إليه لنحصل عليه.

٣- تفجير الماء يجعله يخرج من عين واحدة، أو اثنتين في الغالب، بينما خروج الماء الناتج عن التشقق يخرج في الغالب من عيون متعددة، فالجمال واضح وبين في استخدام المصطلحات، ليتناسب مع فعلها ونتيجتها والفرق واضح بين المعنيين.

(١) الوسيط في التفسير مج (٢٢٣/١) بتصريف مرجع سابق.

(٢) الشعراوي مج (٤٠٣/١).

٤. قسوة القلوب وأنواعها:

قال سيد طنطاوي: أو للتتويح فإن قلوبهم متفاوتة في القسوة، فمنها من هو قاسي كالحجارة في صلابتها وبعضها أشد من الحجارة في صلابتها^(١).

رابعاً: الفاصلة، أهميتها، جمالها:

١. الفاصلة: ﴿ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (سورة البقرة/ من الآية ٧٤).

٢. أهميتها: جاءت الفاصلة بعد الحديث عن العديد من الآيات الدالة على قدرة الخالق جل جلاله، والتي لم يتعظ بها اليهود، وأهمها رؤيتهم للمقتول وقد أحياه الله تعالى، وأخبر عن قاتله، فكانت هذه المعجزة كفيلاً بترقيق قلوبهم، لكنهم لم يتعظوا بها، واستمروا في طغيانهم يعمهون، وما دامت قلوبهم بتلك الحال فلا بد من أسلوب جديد في التعامل معهم، فجاءت الفاصلة تهديداً طبيعياً وتحذيراً لهم.

٣. جمالها: وجاء الجمال في الفاصلة متمثلاً في النقاط التالية:

أ- أداة النفي - ما - التي تنفي ما بعدها.

ب- لفظ الجلالة - الله - الذي جاء بعد النفي، ليلقى الخوف والرهبة في قلوب السامعين والمخاطبين فيهبها هزاً عنيفاً، ليرقق القلوب القاسية حتى يحول بينها وبين المعاصي.

ت- بغافل^(٢): حرف الباء أفاد المصاحبة والالتصاق، ونفي الغفلة عن الله لبيان أن الله مطلع على كل هم وحركة منهم، و خاطر يخطر على بالهم، ولا يسهو عنهم لحظة واحدة، فإن كادوا شيئاً ضد الرسول ﷺ ودعوته فانه من ورائهم محيط، ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ (الأنفال/٣٠)، وطالما أنه لا يغفل عما يعملون فهو يهددهم بسنته التي تجري على أمثالهم، قال الزمخشري: هو وعيد^(٣)، وقال العلامة المنصوري: "وهو تعالى رقيب على أعمالكم لا تخفى عليه خافية وهو وعيد شديد على ما هم عليه من قسوة القلب وجفاء الطبع^(٤)".

(١) التفسير الوسيط مج (١/٢٢٢).

(٢) غَفَلَ عَنْهُ يَغْفُلُ غُفُولًا وَأَغْلَفَهُ عَنْهُ بِخَيْرِهِ وَأَغْفَلَهُ: تركه ولها عنه، لسان العرب ٥٩٣/١١ وقال ابن فارس: رجل غفل لم يجرب الأمور (٤-٣/٦٨٣ مقاييس اللغة، مؤسسة الرسالة ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م، والغفلة: غيبة الشيء عن بال الإنسان - المرام في المعاني والكلام (ص ٦١٣).

(٣) الكشف مج (١/٧٧).

(٤) المقنطف من عيون التفاسير مج (١/١٠٧) حققه وخرج أحاديثه، محمد علي الصابوني - دار السلام للطباعة و النشر - ط الأولى - ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م

ث- **عما** - حرفان - بمعنى عن وما - اسم موصول، أفادت الشمول، بمعنى الذي، والمعنى، عن كل الذي تعملونه، مهما كان صغيراً أو كبيراً، في السر والعلن، فאלله لا يسهو عنه لحظة واحدة.

ج- **تعملون**: جاءت الجملة الفعلية حالية، تفيد الاستمرارية، وكأن الله يقول لهم: إنني مطلع عليكم وعلى حركاتكم قبل أفعالكم في كل ما عملتم في الماضي، وما ستعملونه في مستقبلكم، من مؤامرات ضد الرسول ودعوته، وأحذركم من عاقبة ذلك لأنني مطلع عليكم ﴿ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (البقرة/ ٧٤)، قال الشعراوي: " تذكروا يا بني إسرائيل أن الله سبحانه وتعالى لا يغيب عنه شيء وأن كل ما تعملونه يعلمه الله وتذكروا أنكم ملاقوه يوم القيامة، واعلموا أن أعمالكم مسجلة عليكم مهما طال الأمد، ومهما قست قلوبكم وإن لكم موعداً ستحاسبون عن كل أفعالكم وما الله بغافل عما تعملون" (١).

خامساً: اللطائف البيانية:

- ١- بيان شدة قسوة قلوب اليهود، لأنها أجدبت من كل معاني الرحمة واللين والخير.
- ٢- بيان أفضلية الحجارة رغم قسوتها على بني إسرائيل رغم بشريتهم.
- ٣- بيان أن سبب قسوة القلوب كثرة الجرائم، والمعاصي وطول البعد عن منهج الله.
- ٤- بيان أن قيمة التفاضل بين المخلوقات من خلال تأديتها للدور الذي أراده الله لها.
- ٥- أهمية ضرب المثال، ففيه يتضح المقال، لما له من أثر في بيان المعنى.

المطلب الخامس: الخيانة والغدر ونقض العهد:

قال تعالى: ﴿ أَوْ كَلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (البقرة/ ١٠٠) (وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة/ ١٠١) ﴿ فَبِمَا نَفْسِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (النساء/ ١٥٥) ﴿ فَبِمَا نَفْسِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَانَهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (المائدة/ ١٣).

(١) الشعراوي بتصرف شديد مج (١/٤٠٤).

أولاً: التفسير الإجمالي:

وفيه أربع مسائل:

لقد أخذ الله تبارك وتعالى العهود والمواثيق من بني إسرائيل على أن يطيعوه ويستجيبوا لأوامره، وينتهوا عما نهاهم، وهذه العهود والمواثيق شملت جميع مناحي الحياة، وأهمها القيام بأداء حقوق الله ﷻ، وعلى رأسها العبادة الخالصة من صلاة وزكاة، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ ﴾ (البقرة/ ٨٣)، إضافة لما سبق طالبهم بالإيمان بالرسول/ ونصرتهم في العسر واليسر، والمنشط والمكره، والدفاع عنهم وحمابتهم، لكن اليهود رغم عظم هذه المواثيق وأهميتها، إلا أنهم نبذوها وراء ظهورهم، ولم يعبئوا بها، وكأن الله لم يأخذها عليهم، مما دفعهم لارتكاب الجرائم العديدة، أهمها وأخطرها قتل الأنبياء، وتحريف كتاب الله، فعاقبهم الله تعالى على ذلك بالعديد من العقوبات، وسيأتي المزيد مفصلاً عند الحديث عن جرائم اليهود و العقوبات التي تعرضوا لها.

المسألة الأولى: العهد و معانيه:

١ - العهد لغة:

قال ابن فارس- عهد- العين والهاء والذال أصل هذا الباب عندنا دال على معنى واحد، وقد أوماً إليه الخليل قال: أصله الاحتفاظ بالشيء وإحداث العهد به^(١).
والعهد الأمان واليمين الموثق^(٢)، والعهد هو الأمان والموثق والذمة^(٣)، والعهد الموثق واليمين يحلف بها الرجل والجمع كالجميع تقول: على عهد الله وميثاقه، وأخذت عليه عهد الله وميثاقه^(٤).

وقال الجرجاني: حفظ الشيء ومراعاته حالاً بعد حال، هذا أصله ثم استعمل في الموثق الذي يلزم مراعاته وهو المراد^(٥)، وقد ورد العهد في القرآن الكريم في عدة مواضع، بعدة معاني نذكر بعضها على سبيل المثال لا الحصر.

(١) معجم مقاييس اللغة مج (٤/١٦٧) ابن فارس دار الجبل - بيروت - لبنان ط الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
(٢) الصحاح في اللغة والعلوم (ص ٧٨٩) العلامة الشيخ عبد الله العلايلي، إعداد و تصنيف نديم مرعشلي، أسامة مرعشلي.
(٣) مجمع اللغة (ص ٤٨٨) لأبي الحسين الرازي المتوفى ٣٩٥ هـ - دار الفكر للطباعة والنشر ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
(٤) لسان العرب مج (٤/٩١٤) مرجع سابق.
(٥) التعريفات الجرجاني (ص ١٦١) السيد الشريف أبو الحسن علي ابن محمد ابن الحسن الجرجاني، دار الراشد بدون طبعة.

العهد بمعنى الوعد والالتزام بالإيمان بالله وبيان صفات الرسول، قال الله تعالى:
﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴾ (البقرة/ ٤٠).

٢- العهد اصطلاحاً:

- أ- المقصود بالعهد الإيمان بالله وما أخذ عليهم من عهد بإتباع محمد وبيان صفاته.
قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبُئِسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴾ (آل عمران/ ١٨).
- ب- قال الطبري: "إن الله أخذ ميثاق اليهود لبيئته للناس، محمد ﷺ ولا يكتُمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنًا قليلاً" (١).
- ت- العهد: العقد والميثاق قال تعالى: ﴿ أَوْكَلْنَا عَاهِدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (البقرة/ ١٠٠)، قال ابن عاشور: "والعهد الالتزام، والوعد المؤكد وقوعه، الموثق يمنع من إخلافه من يمين أو ضمان، وهو مشتق من عهد الشيء أي عرفه لأن الوعد المؤكد يعرفه ملتزمة ويحرص ألا ينسأه" (٢)، قال تعالى: ﴿ وَالْمُؤَفَّقُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ﴾ (البقرة/ ١٧٧)، وبين العهد فقال: "هو عهد التوراة وما شملت عليه من أخذ العهد على بني إسرائيل، بالعمل بما أمروا به أخذًا مكرراً" (٣).
- ث- الإيمان بالله والتصديق بالرسول والوفاء بالأمانات، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ ﴾ (آل عمران/ ٧٧)، قال أبو السعود "يستبدلون ويأخذون بعهد الله بدل ما عاهدوا عليه من الإيمان بالرسول والوفاء بالأمانات" (٤).
- ج- العهد بمعنى الزمان أو الوقت: قال تعالى ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا أَفُطِلَ عَلَيْكُمْ الْعَهْدُ ﴾ (طه/ ٨٦)، قال الزمخشري "العهد: الزمان يريد مدة مفارقتهم لهم، يقال طال عهدي بك أي طال زماني بسبب مفارقتك، وعدوه بأن يقيموا على أمره ما تركهم عليه من الإيمان" (٥).
- ح- العهد بمعنى حفظ الأمانة قال تعالى: ﴿ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بَدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ فَإِنَّمَا ذَلِكَ بَأْتُهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي النَّامِيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذْبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (آل عمران/ ٧٥) والآية تشير إلى الأمانة، وفي خيانة الأمانة إبطال للعهد.

(١) جامع البيان في تأويل آي القرآن مج (٥٤٣/٣) مرجع سابق.

(٢) التحرير والتنوير مج (٣٢/٢/٥) مرجع سابق.

(٣) المرجع السابق مج (١٠/٢/٦٢٤).

(٤) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم مج (٣٧٧/١) مرجع سابق.

(٥) الكشاف مج (٤٤٤/٢) دار المعرفة - بيروت - لبنان.

قال ابن عاشور: لم يخن أمانته لأن الأمانة عهد، وفي خيانة الأمانة إبطال للعهد^(١)، قال تعالى: ﴿ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ ﴾ (الأعراف/ ١٠٢).

المسألة الثانية: الميثاق ومعانيه:

١- الميثاق لغة:

كلمة تدل على عقد وإحكام وإتقان للشيء، قال ابن فارس: وثق: وثقت بفلان أثق ثقة. ووثقت الشيء: أحكمته، وناقاة موثقة الخلق: محكمة، والميثاق من الموائقة والمعاهدة^(٢)، وثق به، يثق بكسر الناء فيهما ثقة إذا ائتمنه، والميثاق: العهد، والجمع الموائيق والميثاق، الموائقة: المعاهدة، ومنه قوله تعالى ﴿ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ ﴾ (المائدة/ ٧)، والوثق: الشيء المحكم^(٣).

٢- الميثاق اصطلاحاً:

أما في القرآن الكريم فقد ورد الميثاق وله عدة معاني، نذكر البعض منها:

١- الميثاق بمعنى العهد المحكم الذي أخذه الله على عباده، قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَتَّقُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ ﴾ (البقرة/ ٢٧) يعني العهد بعد إحكامه، قال تعالى: [وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ] (الأعراف/ ١٧٢) قال سيد: "إنه الميثاق الأكبر الذي أخذه الله على فطرة البشر في مشهد لا يدانيه في الجلال والروعة مشهد الجبل المرفوع"^(٤).

٢- وورد الميثاق بمعنى العهد المحكم الذي ينفذ بعزيمة، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (البقرة/ ٦٣) قال صاحب الظلال: والتناسق النفسي والتعبير بين قوة رفع الصخرة فوق رؤوسهم وقوة أخذ العهد وأمرهم أن يأخذوا ما فيه بقوة وأن يعزموا فيه عزيمة لتنفيذه^(٥)، وقال: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بَغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (النساء/ ١٥٥).

٣- وجاء بمعنى التزام الأنبياء بتبليغ رسالات الله وتصديقهم لبعض، قال تعالى: (وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ

(١) التحرير والتنوير مج (٢٨٩/٣) مرجع سابق.

(٢) معجم مقاييس اللغة مج (٣-٤/ ١٠٨٢) لأبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، ت ٣٩٥ هـ، حققه شهاب الدين أبو عمرو - دار الفكر للطباعة - ط - الثانية ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م.

(٣) مختار الصحاح ٧٨٠/١ دار الفكر بيروت.

(٤) الظلال مج (٣/ ١٣٩٢) دار الشروق - ط - الثالثة والثلاثون ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.

(٥) المرجع السابق مج (١/ ٧٦).

وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَضْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِضْرِي قَالُوا أَقْرَضْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾ (آل عمران/ ٨١) .

٤- وجاء بمعنى العقود والعهود والمواثيق التي عقدها الرسول مع بعض المشركين، قال تعالى: ﴿إِنَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾ (النساء / ٩٠)، قال ابن كثير: "قوم بينكم وبينهم مهادنة أو عقد ذمة" (١).

٥- وجاء بمعنى البيعة التي أخذها الرسول منهم، قال تعالى: ﴿وَادْكُرُوا اللَّهَ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَتَّفَقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (المائدة/ ٧)، قال ابن كثير: "ما أخذ عليهم من العهد والميثاق في مبايعته على متابعتة ونصحه ومؤازرته والقيام بدينه وإبلاغه عنهم، (٢) وبمعناه قال سيد قطب: "ميثاق الله الذي واثقهم به على السمع والطاعة" (٣)، قال الزمخشري: "هو الميثاق الذي على المسلمين حين بايعهم رسول الله على السمع والطاعة في حال اليسر والعسر والتمشط والمكره وقالوا سمعنا وأطعنا" (٤).

المسألة الثالثة: الفرق بين العهد والميثاق:

تبيين من خلال التعريفات السابقة وأقوال العلماء أن بين العهد والميثاق توافق

وتباين، جاء على النحو التالي:

١- العهد ورد على ثلاث معاني:

أ- العهد بمعنى الميثاق، قال الراغب: "العهد حفظ الشيء ومراعاته، حالاً بعد حال، وسمي الموثق الذي يلزم مراعاته عهداً، قال تعالى: وَأَوْفُوا [وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا] (٥) (الإسراء/ ٣٤).

ب- العهد بمعنى قريب من معنى الميثاق لأنه يفسر به وبغيره مثل قوله تعالى: ﴿أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمْ آتَىٰ عِندَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ (مريم / ٧٨) أي وعدا وقيل موثقاً (٦).

ت- قال أبو هلال العسكري: الميثاق توكيد للعهد من قولك أوثقت الشيء إذا أحكمت شدته، وقال بعضهم العهد يكون حالاً من المتعاهدين، والميثاق يكون من أحدهما (٧).

ث- وقال الشعراوي: العهد أمر موثق بين العبد وربّه (٨).

(١) تفسير القرآن العظيم مج (٥٣٣/١) دار المعرفة بيروت - لبنان بدون طبعة.

(٢) المرجع السابق مج (٣٠/٢).

(٣) الظلال مج (٨٥١/٢) مرجع سابق.

(٤) الكشف مج (٣٢٦/١) مرجع سابق.

(٥) التفسير الوسيط مج (٢٠٨/٤) مرجع سابق .

(٦) تفسير القرآن العظيم مج (١٣٥ /٣).

(٧) تفسير القرآن العظيم (ص٤٨).

٢ - الميثاق:

لا فرق بين العهد والميثاق، الموثق والميثاق: العهد والميثاق واحد، ذلك أن ما ورد بلفظ الميثاق فمعناه العهد، وما ورد بلفظ العهد كثير منها بمعنى الميثاق، وبهذا يكون أكثر ما ورد بهذين اللفظين معناهما واحد، مع بقاء عدد من الآيات تحمل معنى العهد دون الميثاق^(١).

الخلاصة: يرى الباحث أن بينهما عموم وخصوص فكل ميثاق عهد وليس كل عهد ميثاق، لأن الميثاق أقوى من العهد، ولأن معناه اللغوي يدل على الإتقان والإحكام، وهذا ما أكد عليه الراغب فقال: "الميثاق عقد مؤكد بيمين وعهد"، قال تعالى: [وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ] (آل عمران/٨١) وقال: [وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِيثَاقًا غَلِيظًا]^(٢) (الأحزاب/٧).

المسألة الرابعة: مراحل الموائيق والعهود في تاريخ اليهود:

سوف يستعرض الباحث العديد من العهود والموائيق، التي ذكرها القرآن مع بيان كيف تعامل القرآن معهم عندما نقضوها.

المرحلة الأولى: الميثاق العام.

قبل الحديث عن الموائيق التي أخذها الله عز وجل على بني إسرائيل، ونقضهم لها لا بد من التذكير بالميثاق العام الذي أخذه الله على بني آدم، ومن ضمنهم بني إسرائيل، وهم في عالم الذر، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ (الأعراف/١٧٢) وهذه هي المرحلة الأولى.

قال الشعراوي: "العهد الموثق الذي أخذه الله على عباده فنقضوه، إنه الإيمان الأول الفطري الموجود في كل منا، فإله سبحانه وتعالى أخذ من البشر جميعاً عهداً، فوقي به البعض ونقضه بعضهم"^(٤) واليهود من ضمن الذين نقضوه.

الخلاصة: جاءت المرحلة الأولى في تاريخ اليهود مع العهود قبل أن ينقض اليهود أيّاً من العهود مع الله، تذكيراً لهم بوجوب وفائهم بالعهد العام الذي أخذه الله على بني آدم جميعاً.

(١) تفسير الشعراوي مج (٢٨٩/١) أخبار اليوم- قطاع الثقافة.

(٢) قال إبراهيم اليازجي: يقال عاهد فلاناً على كذا، وعاقفته وحافته، وأعطيته عهدي وذمتي، وقد وثقت له عقدي، وأوثقته ووكدته، وأخذ مني ميثاقاً غليظاً، وأخذ مني عهداً وثيقاً. نجعة الرائد وشرعة الوارد في المترادف والمتوارد، مج(٢٩١/١).

(٣) المفردات (ص٣٥٤).

(٤) الشعراوي مج (٢١٥،٢١٦/١) بتصرف مرجع سابق.

المرحلة الثانية: التذكير بالعهود والمواثيق الخاصة بهم.

جاءت بعد التذكير بالميثاق العام الأول، لبيان المواثيق التي أخذها الله على بني إسرائيل مفصلة لمعظم بنودها، مصحوبة بالتحذير والتهديد والوعيد والذم والتوبيخ، قال تعالى: [وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾ (البقرة/ ٨٣) ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَضْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ثُمَّ أَنتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَارِي تَفَادُوهُمْ وَهُوَ مَحْرَمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفْتُونُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ (البقرة/ ٨٣، ٨٥)، وهذا مثال لبداية نقضهم العهود مع الله ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبُيِّسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴾ (آل عمران /١٨٧)، لقد كان الميثاق في هذه الآية بين الله وبني إسرائيل، على بيان أحكام التوراة وصفات النبي للناس وعدم كتمانهم، لكنهم عطلوها واستبدلوها بأهوائهم، واشتروا بها ثمنا قليلا، وأخفوا صفات النبي فكانت المرحلة الثانية توبيخهم وتحذيرهم من عقاب الله وغضبه، واكتفي القرآن بفعل الذم قائلا: ﴿ فَبُيِّسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴾ (آل عمران/١٨٧).

المرحلة الثالثة: عدم الإلتزام بالمواثيق والعهود وعقابهم على ذلك.

وانتقلت من التهديد بالعقاب إلى تنفيذه بجميع أنواعه، وجاءت هي الأخرى مفصلة لبنوده تبين لماذا أنزل الله العقاب ببني إسرائيل؟ قال تعالى: ﴿ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمْ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا فَبِمَا نَقَضْتُمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفَرْتُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَعَّ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (النساء /١٥٤، ١٥٥) ﴿ فَبِمَا نَقَضْتُمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا دُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (المائدة /١٣) قال ابن كثير: "حين امتنعوا عن الإلتزام بأحكام التوراة وظهر منهم إبياء عما جاءهم موسى رفع الله على رؤوسهم جبلا ثم ألزموا فالتمزوا وسجدوا وجعلوا ينظرون إلى فوق رؤوسهم خشية أن يسقط عليهم" ^(١)، إذن في البداية رفضوا الإلتزام وامتنعوا عن تنفيذ

(١) المرجع السابق مج (١/٥٧٣) مرجع سابق.

الأحكام التي أمرهم بها موسى عليه السلام، لكن الله أراد أن يجبرهم فرفع الجبل فوق رؤوسهم وأخذ منهم ميثاقاً وألزمهم، ومع ذلك سرعان ما نقضوا الميثاق، بل إن الله أخذ منهم ميثاقاً غليظاً ألاً يعتدوا في السبت لكنهم نقضوا العهد والميثاق الغليظ، قال ابن كثير: أخذنا منهم ميثاقاً شديداً فخالفوا وعصوا وتحايلا على ارتكاب ما حرم الله ﷻ^(١).

المرحلة الرابعة: نقض العهود والمواثيق سجية ملازمة لهم.

وهي المرحلة التي وصل الحال بهم، إلى أن يصبح نقض العهود والمواثيق سجية وعادة في حياتهم، والتي تتمثل في قوله تعالى: ﴿ **أَوْ كَلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ** ﴾ (البقرة / ١٠٠).

ثانياً: الإعجاز البياني:

وفيه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: أهمية الاستفهام في السياق القرآني:

أو كلما:

أ- نوع الإستفهام، الإستفهام إنكاري، أفاد المبالغة في التبكيت والتكثير^(٢).

ب- أهمية الإستفهام، جاء الإستفهام إعظام ما يقدمون عليه من عهودهم ونقضها، فصار ذلك عادة لهم وسجية فينبغي ألا يكثرث بأمرهم^(٣).

المسألة الثانية: دلالة التعبير في الفعل (نبذه)^(٤).

تبين من خلال المعنى اللغوي للفعل - نبذ - أن المعنى طرحه فريق منهم احتقاراً له لقلّة اعتدادهم به، وهذا يعني: أن اليهود يعاهدون عهوداً، فيأتي فريق منهم فينقضونها لسبب أو بدون سبب، وذلك لاحتقارهم لها وعدم اهتمامهم بها، وبنصوصها، لأن نقضها سجية ملازمة لهم قال ابن عاشور: "والنبذ إلقاء الشيء من اليد، وهو هنا استعارة لنقض العهد، شبّه إبطال العهد وعدم الوفاء به، بطرح شيء كان ممسوكاً باليد، كما سمّوا المحافظة على العهد والوفاء به تمسكاً"^(٥).

(١) تفسير القرآن العظيم مج (١/ ٥٧٣) مرجع سابق.

(٢) الأدوات النحوية في كتاب التفسير (ص ٦٤٠) د. محمود أحمد الصغير، مرجع سابق.

(٣) البحر المحيط م/١/٤٩٢ مرجع سابق.

(٤) إلقاء الشيء، وطرحه بقلّة الإعتداد به، ولذلك يقال: نبذته نبذ النعل الخلق، وقال: نبذه فريق منهم: أي طرحوه لقلّة اعتدادهم، المفردات في غريب القرآن (ص ٤٨٠) مرجع سابق.

(٥) التحرير والتنوير مج (١/ ٦٢٥) مرجع سابق.

المسألة الثالثة: من ينبذ العهود؟ ولماذا لم يعترض الفريق المعاهد؟

قال الألوسي رحمه الله: "والفريق اسم جنس، لا واحد له يقع على القليل والكثير، وإنما قال فريق لأن منهم من لم ينبذه^(١)، وأضاف ابن عاشور: "وليس المراد أن ذلك الفريق قليل منهم، فنبه على أنه أكثرهم بقوله [بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَّا يُؤْمِنُونَ] ^(٢) (البقرة / ١٠٠).
قال الطبري: "فمعناه طرحه فريق منهم، فتركه ورفضه ونقضه، وأضاف، والفريق الجماعة، لا واحد له من لفظه، بمنزلة الجيش والرهط، الذي لا واحد له من لفظه ^(٣)."

قال أبو زهرة: "ونسب سبحانه وتعالى النبذ إلى فريق منهم، ولم ينسبه إلى جميعهم، لأن الله العدل الحكيم لا يقرر إلا ما هو عدل حكيم، وقد سكت سبحانه عن موقف الفريق الآخر فهل مآلاه؟ ثم أجاب قائلاً: "الظاهر إنه إن لم يمالئ، فلم يستنكر ولم يمنع وهو قادر على المنع، ولذا يصح أن ينسب النبذ إلى جميعهم، لأنهم كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ^(٤)".

الخلاصة:

١- إن الذين نبذوه وينبذونه، وسينبذونه عملياً هم فريق من اليهود وليسوا كلهم، لظاهر النصوص، قال تعالى: ﴿ نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ (البقرة / ١٠٠) وقال: ﴿ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (سورة البقرة / ١٠١) ويبدو للباحث أن هذا الفريق لديه من قوة التأثير في صناعة القرار ما يجعله ينبذ العهود التي أبرمها من سبقه، ما سر هذه القوة؟ كيف يتم نبذ العهود، ولماذا لم يعترض الفريق الآخر الذي أبرم العهود؟؟.

٢- موقف الفريق الآخر، لا يوجد نص صريح قطعي الدلالة يبين موقفهم، لكن صفات اليهود وأخلاقهم لا تمنع أن يكون لهم دور المتواطئ، من خلال التشجيع، أو السكوت على نبذ العهود، فالقرآن تحدث عن عمومهم قائلاً: ﴿ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مَّنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ (المائدة/٧٩)، ونبذ العهود يعتبر من المنكر الذي فعلوه فلم يتناهوا عنه، وفي ذلك إدانة واضحة لهم، لأنه لا يعقل أن يتم نقض العهود، دون علم الذين أبرموه، ووثقوه بأيديهم،

(١) روح المعاني مج (١/٣٣٦) مرجع سابق، وانظر الشعراوي مج (١/٤٨٥، ٤٨٦)، الظلال مج (١/٩٤).

(٢) التحرير والتنوير مج (١/٦٢٥) مرجع سابق.

(٣) جامع البيان مج (١/٤٨٨) مرجع سابق.

(٤) زهرة التفاسير مج (١/٣٣٤).

إضافة إلى أنهم لو كانوا غير راضين عن النبذ، لارتفعت أصواتهم، ولسجل القرآن لهم ذلك لينصفهم ويثني عليهم، كما أنه نعى على الذين لم يتناهاوا عن المنكر، وهذا يعنى أنهم كانوا ساكتين على منكر النبذ، هذا إن لم يكونوا شجعوا وساهموا ولو بسكوتهم على الفريق النابذ، قال تعالى: ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْبِاطِلَ وَأَكْلِهِمُ السَّخْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ (المائدة/63)، فهذا موقف لخيرتهم، ولأهل الرأي والعقل والعلم منهم، الذين من المفترض فيهم، أن يكونوا هم المصوبون والحراس والأمناء لهم، خشية الوقوع في الإثم والمنكر، لكنهم كانوا صامتين، مما شجع المجرمين منهم على الاستمرار في جرمهم، أو أن عدم نهيهم عن المنكر دليل على رضاهم، ومشاركتهم في جريمة النبذ، وهذا هو الأرجح، وإلا فما قيمتهم إذا؟! لأن الله وبخهم ولام عليهم بقوله: (لَوْلَا)⁽¹⁾، وضمهم بقوله ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ (المائدة/63)، والواقع الذي نعيشه خير دليل على ذلك، فكل الأحزاب الحاكمة في دولتهم المسمّاة إسرائيل عندما تكون في الحكم توقع نظرياً، لكنها على أرض الواقع تنقض عملياً، لذلك فالجميع كان مشاركاً في نبذ اليهود سواء الذين أبرموها، أو الربانيون والأحبار، إما بالتخطيط والفعل، أو بالسكوت والرضا، وإما بعدم النهي عن منكر فعلوه، لذا على المسلمين اليوم ألا يندفعوا بتبادل الأدوار، التي يقوم بها اليهود في معاملتهم مع المسلمين فالكل في النقض سواء.

ثالثاً الفاصلة، هدفها، جمالها:

١. هدفها: من خلال النظر في النصوص السابقة التي تحدثت عن المواثيق، فإن الفواصل الثلاثة في السياق القرآني بعد نقض اليهود لتلك المواثيق، جاءت في سياق الذم والتهديد والوعيد، بأساليب متفاوتة ومتعددة، وذلك لردعهم وتحذيرهم من مغبة الاستمرار في ذلك.
٢. جمالها، ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِنَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ (البقرة/٨٣)، جاء الجمال فيها:
 - أ. ثم - الذي أفاد التعقيب والتراخي، لأن تطبيق بنود الميثاق السابقة احتاجت إلى فترة طويلة للإستماع إليها وفهمها وتطبيقها، ومع ذلك أداروا لها ظهورهم وأعرضوا عنها.
 - ب. - توليتم - جاءت الجملة الفعلية الحالية، لبيان استمرار حالهم في توليهم عن جميع بنود المواثيق التي أخذها الله عليهم، بحيث لم يلتزموا ويوفوا بأي منها، وهذا هو دينهم في كل المواثيق وكل المراحل.

قال سيد طنطاوي: ثم توليتم - أيها اليهود - عن جميع ما أخذ عليكم من مواثيق فأشركتم بالله وعققتهم الوالدين، وأسأتم إلى الأقارب واليتامى والمساكين وقتلتم للناس أفحش

(١) المرجع السابق مج (٥/٢٢٧٣).

الأقوال، وتركتكم الصلاة، ومنعتم الزكاة، وقطعتم ما أمر الله به أن يوصل^(١).
ج. - معرضون - جاءت الجملة الإسمية حالية تفيد أن الأعراض عن الطاعة، وعدم التقيد بالمواثيق التي أقرروا بها، عادة متأصلة فيهم، ووصف ثابت لهم ، وسجية معروفة منهم^(٢).

د. الفرق بين التولي والإعراض:

• توليتم، يعني أعرضتم، أو رفضتم، والله سبحانه وتعالى في هذه الآية الكريمة بين لنا أن الإعراض يتم بنوايا مختلفة، فالمقاتل يوم الزحف يعرض أو يتولى، ولكن ليس بنية الهرب من المعركة، وإنما بنية أن يذهب ليقاتل في مكان آخر، أو يعاون إخوانه الذين تكاثر عليهم الأعداء، هذا إعراض، ولكن بنية القتال لأنه أفضل للنصر، إذن هناك تولي أو إعراض ليس بنية الإعراض، والله سبحانه وتعالى يريد أن يبين لنا أن هؤلاء اليهود تولوا بنية الإعراض فقط، ولم يتولوا بأي نية أخرى، أو أي هدف آخر^(٣). وقال السعدي: "إن المتولي قد يتولى، وله نية رجوع إلى ما تولى عنه، وهؤلاء ليس لهم رغبة ولا رجوع في هذه الأوامر"^(٤).

الفاصلة الثانية: ﴿ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (البقرة / ٨٣، ٨٥).

أ. هدفها، جاءت الفاصلة بعد ما فعله اليهود تهديداً ووعيداً لهم، ولبيان أن الله مطلع على قلوبهم ونواياهم في نقض المواثيق، حتى وإن أخفوها على الناس، ويبدووا من الفاصلة أنهم حاولوا ذلك.

ب. جمالها: سبق الحديث عن الجمال في التركيب اللغوي لها^(٥).

الفاصلة الثالثة: (فَيْئِسَ مَا يَشْتَرُونَ)، (آل عمران / ١٨٧).

هدفها: جاءت الفاصلة بعد أن عقد اليهود صفقة خاسرة، وقبضوا ثمناً زاهداً، مقابل إخفاء صفات الرسول، وأعجبوا بالثمن الذي قبضوه، فذمه الله تعالى قائلاً: بسئت الصفقة التي تبيعوا فيها النفيس - رضي الله والإيمان برسوله وبيان صفاته - بثمن رخيص هو ما قبضتموه من متاع زائل،!!! قال ابن كثير: "التوبيخ والتهديد لأهل الكتاب من الله بسبب نقضهم العهد الذي أخذه منهم على ألسنة الأنبياء، أن يؤمنوا بمحمد وأن يبرزوا صفاته في الناس فيكونوا على أهمية من أمره فإذا أرسله الله تعالى تابعوه ولكنهم كتموا ذلك، واستبدوا عما وعدوا عليه من الخير في الدنيا

(١) التفسير الوسيط مج (٢٤٢/١) مرجع سابق.

(٢) المرجع السابق مج (٢٤٣/١).

(٣) تفسير الشعراوي مج (٤٣٣/١) بتصرف، مرجع سابق.

(٤) وانظر تيسير الكريم الرحمن (ص ٤٠).

(٥) انظر (ص ١٢١) من الرسالة .

والآخرة بالدون الطفيف، والحظ الدنيوي السخيف فبئست الصفقة صفتهم وبئست البيعة بيعتهم. (١)

جمالها: جاء الجمال في الفاصلة على النحو التالي:

١. حرف الفاء الذي أفاد التعقيب والترتيب، وهذا يعني أن نهمم جاء بعدما قبضوا الثمن مباشرة، لأنهم هم الذين رغبوا في ذلك، وذهبوا لتلك الصفقة.
٢. بئس: فعل يفيد الذم.
٣. يشترون: وفيها تهديد لكل من باع علمه بأي ثمن، واشترى به أي سلعة مهما كانت غالية ونفيسة، قال البغوي: هذا ميثاق أخذه الله على أهل العلم فمن علم شيئاً فليعلمه، وإياكم وكتمان العلم فإنه هلكه (٢)، وقال ابن كثير: " وفي هذا تحذير للعلماء أن يسلكوا مسلكهم فيصيبهم ما أصابهم، فعلى العلماء أن يبذلوا ما بأيديهم من العلم النافع الدال على العمل الصالح ولا يكتموا منه شيئاً (٣)

رابعاً: تاريخ اليهود في نقض العهود:

وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: الغدر ونقض العهد زمن أنبيائهم.

تبين فيما سبق أن اليهود نقضوا عهودهم مع الله أكثر من مرة بالرغم من العقوبات العديدة التي أنزلها الله عليهم قال الزمخشري: "واليهود موسومون بالغدر ونقض العهود وكم أخذ الله الميثاق منهم ومن آبائهم فنقضوا، وكم عاهدوا الرسول ولم يوفوا (٤) [أَوْكَلَمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ] (البقرة/ ١٠٠)، وذكر السعدي السبب في نقضهم للعهود فقال: "عدم إيمانهم هو الذي أوجب لهم، كلما وجد العهد ترتب عليه النقض، لأن أكثرهم لا يؤمنون، فعدم إيمانهم هو الذي أوجب لهم نقض العهود. (٥)، ولأن العهد يلزمه الالتزام بالتبعات.

(١) تفسير القرآن العظيم مج (٤٣٦/١) بتصرف

(٢) معالم التأويل مج (٣٦٩/١) مرجع سابق

(٣) تفسير القرآن العظيم مج (٤٣٦/١) مرجع سابق.

(٤) الكشف مج (٢٠٠/١) مرجع سابق .

(٥) تيسير الكريم الرحمن (ص ٤٢) بتصرف.

المسألة الثانية: الغدر ونقض العهد زمن الرسول ﷺ :

لقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الصفة القبيحة من صفاتهم، وخصوصا نقضهم عهد رسول الله ﷺ ، حيث بدت الخيانة في أقوالهم وأفعالهم، قال تعالى " ﴿ فَبِمَا نَقَضْتُمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (المائدة / ١٣) .

يقول سيد قطب رحمه الله: "وهو خطاب للرسول ﷺ يصور حال اليهود في المجتمع المسلم في المدينة، فهم لا يكفون عن محاولة خيانة الرسول، وقد كانت لهم مواقف خيانية متواترة، بل كانت هذه هي حالهم طوال إقامتهم في المدينة ثم في الجزيرة كلها وما تزال هذه حالهم في المجتمع المسلم على مدار التاريخ^(١)، وأما سيد طنطاوي قال: " لا تزال أيها الرسول ترى في هؤلاء اليهود الحاضرين صورة السابقين في الخيانة والغدر والنقض للعهد، وإن تباعدت الأزمان فهؤلاء الذين يعاصرونك فيهم خيانة أسلافهم وفيهم قسوتهم وضلالهم، وفيهم نقضهم لعهودهم، وفيهم انحرافهم عن الطريق المستقيم"^(٢)، فاليهود بشكل عام كان لهم تواجد قوي على شكل تجمعات قبلية لها مكانتها العسكرية والسياسية والاجتماعية ولا تشك لحظة أنهم كانوا يسعون للسيطرة على المدينة- يثرب- قبل هجرة الرسول ولهم في ذلك وسائلهم الخاصة، يقول جبر الهلول وهو يتحدث عن القوى الموجودة في المدينة: "وكان اليهود أقواها لامتلاكهم ناحية تجارة المدينة، وللدور الذي كانوا يلعبونه قبل مجيء الرسول ^ في إثارة الخلافات بين القبائل الموجودة لكي يبقوا هم الأقوى"^(٣)، "كذلك كان اليهود في نزاع وتنافس مع العرب"^(٤)، واليهود قبل بعثته ﷺ كانوا ينتظرون على أحر من الجمر أن يبعث نبي آخر الزمان، ولديهم صفاته، وكانوا يهددون العرب في المدينة، أنه إذا بعث سيؤمنون به وسيقتلونهم قتل عاد وإرم، لأنهم كان يطمعون أن يكون منهم، قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ (البقرة ٨٩).

ويستعرض الباحث بعضاً من خيانتهم ونقضهم للعهد والمواثيق التي أبرمها الرسول ﷺ معهم، بعد وصوله للمدينة، من أجل تنظيم الحياة بينه وبين القوى الموجودة فيها، من ذلك:

(١) الظلال مج (٢/٨٥٩).

(٢) بنو إسرائيل في القرآن والسنة ٤٠٨ مرجع سابق.

(٣) سياسة ما يعرف بالعصر الحديث فرق تسد.

(٤) المواثيق والعهد في ممارسات اليهود (ص ٤٢٣) المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ط الأولى

١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.

١ - وثيقة المودعة وبنودها:

قال ابن إسحاق وكتب الرسول ﷺ كتابا بين المهاجرين والأنصار وادع فيه يهود وعاهدهم وأقرهم على دينهم وأموالهم وشرط لهم واشترط عليهم. (١)

وينقل الباحث أهم هذه البنود، وهي على النحو التالي:

- أ- إن يهود بني عوف أمة من المؤمنين، لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم.
- ب- إن اليهود ينفقون مع المسلمين ما داموا محاربين.
- ت- إن يثرب حرام جوفها لأجل هذه الصحيفة.
- ث- إنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو شجار، يخاف فساده، فإن مرده إلى الله ﷻ ورسوله ﷺ .
- ج- لا تجار قريش ولا من نصرها.
- ح- أن بينهم النصر على من داهم يثرب، على الجميع حصتهم من جانبهم الذي قبلهم.
- خ- إن هذا الكتاب لا يحول دون ظالم أو آثم (٢) .

٢ - نتائج بنود الوثيقة:

ترتب على بنود الوثيقة التي وقعها الرسول ﷺ مع اليهود الأمور التالية:

- أ- الاعتراف الصريح والواضح بالرسول ﷺ ودعوته، وأن السيادة في المدينة له ولأصحابه وما لليهود إلا تجمع وأقلية يعيشون في المدينة، لهم حقوقهم الدينية والاجتماعية والإنسانية ولا علاقة لهم بالسياسة العامة في المدينة ولا خارجها.
 - ب- المعاهدة وبنودها استتنت القبائل اليهودية الكبرى، بني قينقاع وبني النضير وبني قريظة، لكنها بعد ذلك لم يكن أمامها خيار إلا الانضمام مع أخواتها من قبائل اليهود من خلال معاهدات تم إبرامها بعد ذلك (٣).
- وهكذا عاش اليهود جميعاً في كنف الدولة الإسلامية في المدينة، آمنين على دينهم وأنفسهم وأموالهم، إلى أن بدأت نفوسهم الخبيثة تعيدهم إلى طباعهم الأصلية، فبدأت بذور الخيانة والغدر تنمو في قلوبهم، ولم يرق لهم أن ينتصر الرسول ﷺ في أول معركة عسكرية على قريش في بدر الكبرى، فأظهروا ذلك من خلال أقوالهم وأفعالهم، وتمثل ذلك في يهود بني قينقاع.

(١) انظر سيرة ابن هشام مج (١-٢/٣٧٠، ٣٦٨) مختصراً، تحقيق وتخريج وفهرسة جمال ثابت، محمد محمود

سيد إبراهيم، دار الحديث - القاهرة - حقوق الطبع محفوظة.

(٢) الرحيق المختوم (ص ١٩٧) بتصرف.

(٣) الموثيق والعهود في ممارسات اليهود ٤٢٩ بتصرف.

٣ - غدر بني قينقاع.

كان بنو قينقاع يقيمون داخل المدينة وبيوتهم تلاصق بيوت المسلمين، لم يكتفوا بالامتناع عن مد يد العون والمساعدة للمسلمين في غزة بدر، بل ساءهم أن ينتصروا على قريش، وصرّحوا بحزنهم لهزيمة أهل مكة وأخذوا يتحرشون بالمسلمين" (١) وكان أعظمهم حقداً وأكبرهم شراً كعب بن الأشرف (٢)، كما أن شر طائفة من طوائفهم الثلاث يهود بني قينقاع، كانوا صاغة وحدادين وصناع الأسلحة والأواني، ولأجل هذه الحرف قد توفرت لكل رجل منهم آلات الحرب حتى بلغ عدد المقاتلين فيهم سبعمائة محارب، وكانوا أشجع يهود المدينة لذا فهم أول من نقض العهد مع الرسول ﷺ من اليهود، وكانوا يثيرون الشغب، ويتعرضون بالسخرية للمسلمين، ويؤذون كل من ورد سوقهم، حتى وصل بهم الحال للتحرش بالنساء" (٣)

رد عاجل من الرسول:

" لما أصاب رسول الله قريشاً يوم بدر، وقدم المدينة جمع اليهود في سوق بني قينقاع، فقال يا معشر يهود أسلموا قبل أن يصبكم ما أصاب قريش، قالوا يا محمد: لا يغرّك من نفسك أنك قتلت نفرًا من قريش كانوا أغمارا لا يعرفون القتال إنك لو قاتلتنا لعرفت أننا نحن الناس وأنك لم تلق مثلنا فأنزل الله ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سِتْغَلِبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَيَسُوسُ الْيَهُادُ ﴾ (آل عمران/١٢)، ولم يكتفوا بذلك بل صدّوا من مواقفهم الإعلامية وانتقلوا إلى الجرائم الفعلية فكشفوا عورة امرأة مسلمة في سوق بني قينقاع فضحك اليهود عندما شاهدوا عورتها فصرخت تستغيث بالمسلمين على اليهودي فقتله أحدهم، إلا أن اليهود تكاثروا على المسلم وقتلوه (٤) وهكذا كان أول نقض عهد من اليهود فكانت نتيجته أن أجلاهم الرسول من المدينة وطردهم منها.

٤ - غدر بني النضير.

بعد هزيمة كفار مكة، بقيادة أبي سفيان في غزوة بدر، حاول أن ينتقم من المسلمين فسار مع رجاله إلى المدينة فوصلها ليلاً، مستخفياً تحت جناح الظلام، وذهب لبيت سلام بن مشكم

(١) بنو إسرائيل في القرآن والسنة ٤١٣ مرجع سابق.

(٢) كعب بن الأشرف اليهودي (-٣ هـ - ٦٢٤م) كان شاعرا وكان يهجو النبي ﷺ، كانت أمه من بني النضير فدان باليهودية، وكان سيّداً في أخواله، يقيم في حصن له قريب من المدينة، ما زالت بقاياها إلى اليوم ويحرض عليه كفار قريش في شعره وكان المشاركون واليهود في المدينة حين قدمها رسول الله أشد الأذى، خرج إلى مكة بعد وقعة بدر فندب قتلى قريش فيها، وحض على الأخذ بالثأر، أمر النبي بقتله، فقتله خمسة من الأنصار، وحملوا رأسه في مخلاة إلى المدينة. الأعلام للزركلي مج (٥/٢٢٥) بتصرف، مرجع سابق.

(٣) الرحيق المختوم المباركفوري (٢٤٤، ٢٤٥) بتصرف مكتبة الصفا والمورد الشرعية ١٤٢٢هـ.

(٤) الرحيق المختوم (ص ٢٤٦) المرجع السابق بتصرف.

سيد بني النضير، فاستقبله استقبالاً حسناً، وعرفه أخبار المسلمين، وهذا نقض صريح للبند الذي ينص على عدم إجارة قريش – فخرج أبو سفيان من عنده وهجم برجاله على العريض^(١)، ولم يكتف اليهود بهذا النقض والغدر للميثاق الذي واتقهم عليه، بل لجئوا إلى جريمة أكبر من ذلك هي محاولة قتل الرسول ﷺ، قال ابن هشام: "وخرج رسول الله ﷺ إلى بني النضير يستعينهم في دية العامريين^(٢) اللذين قتلوا عمرو بن أمية الضمري^(٣)، فلما خلا بعضهم ببعض، قالوا لن تجدوا محمداً أقرب منه الآن، فمن رجل يظهر على هذا البيت، فيطرح عليه صخرة فيريحنا منه، فقال عمرو بن جحاش بن كعب أنا، فأتى رسول الله ﷺ بالخبر فانصرف عنهم، فأُنزل الله تعالى فيه وفيما أراد هو وقومه، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ (المائدة: ١١)^(٤)، "ونزل جبريل ﷺ وأخبر الرسول بما عزموا على فعله فنهض مسرعاً وتوجه للمدينة، وأرسل لهم من يأمرهم بالرحيل منها كبني قريظة قائلاً لهم: أخرجوا من المدينة ولا تسكنوني بها وقد أجلتكم عشرا فمن وجد بعد ذلك ضربت عنقه، وحاصرهم بعد ذلك وأجلاهم من المدينة وفيهم نزلت سورة الحشر^(٥)."

٥ - غدر بني قريظة:

"إن أبرز خيانة واجهها الرسول والمسلمون في المدينة كانت من قبيلة بني قريظة حيث أطبق الأحزاب حصارهم على المدينة المنورة، فأراد حيي بن أخطب أن يحدث إرباكاً في

(١) الرحيق المختوم (٢٤٧) بتصرف، العريض: ناحية من المدينة يقال لها العريض الرحيق المختوم (٢٧٥).

(٢) العامريان: من قبيلة بني عامر نزلا مع عمرو ابن أمية الضمري ومعهما عقد رسول الله ﷺ ولم يعلم بهما فقتلتهما. الكامل في التاريخ لابن الأثير مج (٢٦٤) تحقيق أبي الفداء عبد الله القاضي - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط - الأولى ١٤٠٧ هـ - ١٩٧٨ م وانظر البداية والنهاية مج (٩١/٤)، قال المباركفوري وجاء رجلا من بني كلاب فنزلا معه فلما ناما قتلتهما عمرو وهو يرى أنه قد أصاب منهما ثأر أصحابه. الرحيق المختوم (ص ٣٠٧) .

(٣) عمرو ابن أمية الضمري ٥٥ هـ - ٦٧٥ م، عمرو ابن أمية بن خويلد بن عبد الله الضمري شجاع من الصحابة اشتهر في الجاهلية وشهد مع المشركين بدرًا وأحداً، ثم أسلم وحضر بئر معونة، فأسرته بنو عامر وأطلقه عامر بن الطفيل وعاش أيام الخلفاء الراشدين وشهد وقائع كثيرة مات في المدينة في خلافة معاوية وله ٢٠ حديثاً. الأعلام مج (٥/٧٣٠) .

(٤) السيرة النبوية (ص ٤١٨) ابن هشام تحقيق وتخريج جمال ثابت/ محمد محمود سيد إبراهيم - دار الحديث القاهرة - حقوق الطبع محفوظة .

(٥) بنو إسرائيل في القرآن والسنة ٤١٣ مرجع سابق بتصرف.

المدينة المنورة من خلال تحريض يهود بني قريظة، من داخل المدينة، فتوجه إلى بيت كعب بن أسد القرظي^(١) زعيم يهود بني قريظة، لأنه هو الذي عاهد رسول الله، واتفق معه على غدر الرسول^(٢)، قال ابن اسحق: وكان الذين حزّبوا الأحزاب من قريش وغطفان وبني قريظة حيي ابن أخطب^(٣) وسلام ابن أبي الحقيق^(٤)، وغيرهم^(٥)، وأضاف المباركفوري: "خرج عشرون رجلاً من زعماء اليهود وسادتهم بني النضير إلى قريش بمكة يحرضونهم على غزو الرسول، ويوالونهم عليه ووعدوهم من أنفسهم بالنصر لهم^(٦)، ومن بين الحوار الذي دار بينهم: "قال حيي: ويحك يا كعب جئتكَ بعزّ الدهر، جئتكَ بقريش وبغطفان قد عاهدوني وعاهدوني على ألاّ يبارحوا حتى نستأصل محمداً ومن معه، فقال له كعب: "جئتني والله بذل الدهر، وبجهام^(٧) قد هراق ماءه، فهو يرعد ويبرق وليس فيه شيء، ويحك يا حيي، فدعني وما أنا عليه فإني لم أر من محمد إلاّ صدقاً ووفاءً، لكنه لم يزل به يغريه حتى أعطاه عهداً من الله وميثاقاً، لئن رجعت قريش وغطفان ولم يصيبوا محمداً أن أدخل معك في حصنك ما أصابك^(٨)، وبذلك نقضت بنو قريظة عهدها مع الرسول ﷺ، "ولما ردّ الله المشركين بغيظهم لم ينالوا خيراً" ورجع النبي ﷺ من الخندق، ووضع السلاح واغتسل، أتاه جبريل ﷺ فقال: قد وضعت السلاح؟ والله ما وضعناه فاخرج إليهم، قال فإلى أين؟ قال ها هنا، وأشار إلى بني قريظة فخرج النبي إليهم^(٩) وانطلق الرسول مع الصحابة إليها وحاصروها حصاراً شديداً، إلى أن عرض عليهم رئيسهم كعب بن أشد ثلاث خصال، إمّا أن يُسلموا ويدخلوا مع محمد ﷺ في دينه وإمّا أن يقتلوا ذراريهم ونساءهم بأيديهم، ويخرجوا للنبي بالسيف ويناجزوه، حتى يظفروا بهم، ويقتلوا عن آخرهم

(١) كعب بن أسد سعيد القرظي، من بني قريظة شاعر جاهلي، له مناقضات مع قيس بن الخطيم في يوم بعث. الأعلام مج (٢٢٥/٥) .

(٢) الموثيق و العهود في ممارسات اليهود ٤٣٤

(٣) حيي بن أخطب: جاهلي من الأثداء العتاة، كان ينعت بسيد الحاضر والبادي، أدرك الإسلام وأذى المسلمين، فأسروه يوم قريظة، ثم قتلوه. الأعلام للزركلي مج (٢٩٢/٢) مرجع سابق.

(٤) سلام بن أبي الحقيق وكنيته، أبر رافع، من أكابر مجرمي اليهود الذين حزّبوا الأحزاب ضد المسلمين، وأعانهم بالمؤن والأموال الكثيرة، وكان يؤذي الرسول صلى الله عليه وسلم. الرحيق المختوم (٣٣٤) مرجع سابق.

(٥) السيرة النبوية لابن هشام مج (١ - ٤١٧/٢) مرجع سابق.

(٦) الرحيق المختوم (ص٣١٥) مكتبة الصفا - المورد - الطبعة الشرعية ١٤٢٢هـ.

(٧) السحاب الذي ليس فيه ماء مج (٢٠٠/٣) البداية والنهاية المكتبة العصرية - صيدا - بيروت جميع الحقوق محفوظة.

(٨) وانظر الرحيق المختوم (ص٣٢٣، ٣٢٤) بتصرف.

(٩) البداية والنهاية مج (١٤٠/٤) مرجع سابق.

وإما أن يهجموا على الرسول وأصحابه في يوم السبت، لأنهم قد أمنوا أن يقاتلوه فيه، فرفضوا الثلاثة، فقال لهم: سيدهم كعب بن أسد، ما بات رجل منكم منذ ولدته أمه ليلة واحدة من الدهر حازماً، وبعد ذلك حاصرهم الرسول وشدد عليهم الخناق حتى نزلوا على حكمه، بعدما قذف الله في قلوبهم الرعب وأخذت معنوياتهم تنهار تدريجياً فأمر الرسول باعتقال رجالهم ووضع القيود في أيديهم وفصل النساء عنهم، حتى حكم سعد بن معاذ فيهم أن تقتل مقاتلتهم وتسبى ذراريهم، وتقسّم أموالهم، فقال له الرسول: لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سموات^(١).

المسألة الثالثة: الغدر ونقض العهد في العصر الحالي:

١- نقض الهدنة بعد النكبة:

"اليهود هم اليهود لا ولن يحترموا موتفا ولا عهداً، لا قديماً ولا حديثاً فمنذ احتلال فلسطين لم يلتزموا بأي هدنة وقعوها مع العرب، فعندما دخل المجاهدون المتطوعون من الدول العربية وخصوصاً الإخوان المسلمون مع الجيش المصري وتقدموا الصفوف وأذاقوا اليهود الأمرين، استنجد اليهود بمجلس الأمن الذي أعلن الهدنة لكي تلتقط إسرائيل أنفاسها، وبالفعل بعد ذلك جمعت قواتها وهاجمت العرب مرة ثانية ونقضت الهدنة"^(٢).

٢- نقض اتفاقيات كامب ديفيد:

أعلنت الولايات المتحدة الأمريكية بتاريخ ١٧ أيلول ١٩٧٨ عن توصل كلاً من مصر وإسرائيل إلى صيغة اتفاق بينها لوضع حد نهائي للنزاع العربي الإسرائيلي وإحلال سلام دائم وشامل فيما يسمى الشرق الأوسط وكان الاتفاق يحتوي على نقطتين:

الأولى: إطار عملي للسلام في الشرق الأوسط معتمداً على قرار مجلس الأمن ٢٤٢ كقاعدة أساسية للتسوية السلمية بين إسرائيل والعرب، وهناك جزء يتعلق بمستقبل الضفة الغربية وقطاع غزة، وجزء آخر عن العلاقات المصرية الإسرائيلية، وجزء إضافي يتحدث عن مبادئ وثيقة بهذا الإطار .

الثانية: إطار عملي لعقد معاهدة سلام بين مصر و ما يسمى - إسرائيل - وقد نصت على التفاوض المباشر بين مصر والعدو الصهيوني من أجل تحقيق انسحاب القوات الإسرائيلية من سيناء التي احتلتها في حرب ١٩٦٧م، تطبيقاً للقرار ٢٤٢، وذلك بعد توقيع معاهدة سلام

(١) الاستيعاب لابن عبد البر - ويقال إن الجن قتلته مج (٢ / ٦٠٤) تحقيق علي محمد الجاوي -

دار الجبل - ١٤١٢ هـ - بيروت - لبنان. الرحيق المختوم (ص ٣٢٩، ٣٣١) بتصرف.

(٢) العقيدة اليهودية (ص ١١١) بتصرف، وانظر المواثيق والعهد في ممارسات اليهود (ص ٣٥٣) وما بعدها.

وصلح بين مصر والكيان الصهيوني، وبالفعل بعد العديد من جولات المفاوضات تم التوقيع على هاتين الاتفاقيتين في ٢٦ آذار ١٩٧٩م^(١).

بتاريخ ١١/٢٥/١٩٧٧م صرح رئيس الكنيسة إسحاق شامير في الجلسة التي انعقدت لسماع خطاب الرئيس المصري أنور السادات، وكان مما قاله: "هلموا نصعد إلى جبل الرب إلى بيت الله يعقوب وهو يعلمنا طريقه فنسلك في سبله لأنها من صهيون تخرج الشريعة ومن أورشليم كلمة الرب ويحكم بين الأمم ويقضى للشعوب الكثيرين فيضربون سيوفهم سلكا وأسنتهم مناجل فلا ترفع أمة على أمة سيفا ولا يتعلمون الحرب من بعد"^(٢)، هذا ما نطق به رئيس الكنيسة إسحاق شامير و يحاول الباحث أن يقترب من النص السابق يتأمله ليستتطق كلماته وحروفه وما خفي من معاني خبيثة فيه، لأنه خرج من خبيث ماكر، وسوف أتحدث عن أربعة نقاط مهمّة من كلامه لأبين أن اليهود لا يلتزمون بنص ديني، ولا اتفاق بشري وإنما هدفه ممّا قاله التظاهر بحبه للسلام، وأن توراتهم وعقيدتهم تدعونهم إلى السلام.

١- قوله: " ويحكم بين الأمم ويقضى للشعوب الكثيرين " يريد بذلك أن ينتشر العدل والأمن والأمان بين الناس جميعا فلا يعتدي أحد على أحد ويأمن الناس على نفوسهم وأموالهم، ومقدساتهم.

٢- وأما قوله: " فيضربون سيوفهم سككا وأسنتهم مناجل " ويعنى الخبيث الماكر أن تتحول الأسلحة التي في الأيدي إلى أدوات زراعية وتجارية وموانئ مدنية، بحيث يتفرغ الكل للبناء والتقدم والرفي من أجل مصلحة البشرية، وذلك خلال إحلال السلام المزعوم بين العرب وما يسمى إسرائيل!!.

٣- والسؤال الذي يطرح نفسه: هل حول اليهود أسلحتهم وجهودهم وطاقتهم من أجل إحلال السلام ونشر الأمن والأمان مع العرب؟! أم أن العكس هو الصحيح؟

٤- وقوله: " فلا ترفع أمة على أمة سيفا " وذلك عندما يحل السلام والأمن والأمان الذي نريدنا أن نفتتح به فلا يعتدي شعب على شعب أو دولة على دولة ولا يجوز نقد العهد والتحلل من الاتفاقيات المبرمة التي نتج عنها ما نتج من إلغاء حالة الحرب والعداء بين العرب وما يسمى إسرائيل، هذا ما يريده رئيس الكنيسة الإسرائيلي تحديدا، فلا يجوز في شريعتهم وفي نصوص توراتهم أن يعتدي أحد على أحد، ومن اعتدى فهو مخالف

(١) الموائيق والعهود في ممارسات اليهود - قراءة في الفكر الديني والفكر السياسي اليهودي المعاصر ٢٣٠-٢٣١ جبر الهلول - المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر و التوزيع- بيروت الحمراء - ط الأولى

١٤٢٤ هـ - ٢٠٤ م بتصرف.

(٢) الكتاب المقدس (ص ٩٩٤)، سفر أشعيا: الإصحاح: ٣-٤.

لنصوصها ويكون قد أغضب الرب.

٥- **ولا يتعلمون الحرب من بعده** إشارة واضحة إلى التفرغ لمتطلبات السلام، كما يحلو للبعض أن يعبر به، والانشغال بالتحضير لاستحقاقات المرحلة القادمة، وبمعنى أدق أن تتوقف كل البرامج العسكرية، وتغلق الكليات الحربية ومصانع التصنيع، وأن تخضع البرامج العسكرية لكل دولة وقعت على الاتفاقيات، للمراقبة والتفتيش، ومن نقض يتحمل المسؤولية، هذا ما أراد توضيحه إسحاق شامير للعرب في كلمته على مسمع من الرئيس أنور السادات، والملاحظ أن العرب التزموا حرفياً بكل هذه المعاني والتعاليم التوراتية واليهود لم يلتزموا منها بشي، فلا ضربوا سيوفهم سككاً ولا حولوا أسننتهم مناجل للحصاد بل على العكس، بقيت السيوف تحصد الأرواح، والأسنة تطعن الشعب الفلسطيني في كل يوم وساعة، ولا أوقفوا برامجهم العسكرية ومصانعهم النووية، بل في كل يوم يطورون أسلحتهم، ويجرون التجارب النووية، حتى أصبحوا أقوى دولة في منطقة الشرق الإسلامي.

ومع ذلك هل التزم اليهود باتفاقيات كامب ديفيد أم خانوا وغدروا؟.

سؤال يجيب عنه أ. جابر الهلول فيقول: "ولاشك تأتي الإجابة من اليهود في ممارستهم العملية والقولية إذ في نفس الوقت الذي كانت توقع فيه الاتفاقية كان هناك اتفاق آخر بين إسرائيل وأمريكا تعطي فيه كامل الصلاحية لسحق الفلسطينيين بالقوة"^(١)، ويعقد اليهود اتفاقياتهم مع العرب وهم يعلمون أن هناك تحذيراً في ذلك نصه: "لا تقطع معهم ولا مع آلهتهم عهداً لا يسكنوا في أرضك لئلا يجعلوك تخطيء إليّ إذا عبدت آلهتهم فإنه يكون لك فخاً"^(٢)، ويعلق أ. جابر الهلول على النص قائلاً: "فلا يجوز قطعاً إبرام أي عهد أو ميثاق مع أي من الأمميين، لأن العهد إذا أبرم يجب أن يبرم بين طرفين متكافئين، والأممي لا يساوي اليهودي، وإذا أبرم أي اتفاق أو عهد لأي سبب من الأسباب كتحقيق مصلحة، أو لضعف ما يحياه اليهود، فهو لفترة مؤقتة لأنه في الأصل باطلٌ عندهم، وهم في حلٍ منه ويضمرون في أنفسهم نقضه في أقرب فرصة، وذلك عندما يزول السبب لأنهم في شريعتهم يجب أن يلغوه"^(٣).

(١) الموائيق والعهود في ممارسات اليهود (ص ٢٥٢) وما بعدها.

(٢) الكتاب المقدس (ص ١٢٥) سفر الخروج، الإصحاح ٢٣: ٢٢، ٢٣.

(٣) الموائيق والعهود في ممارسات اليهود (ص ١١) بتصرف مرجع سابق .

٣- نقض اتفاقية أوسلو:

"وجاءت هي الأخرى بعد خطاب الاحتفال بالنصر أمام الكونغرس الأمريكي في ٦ آذار ١٩٩١ بعد انتهاء حرب الخليج ، حيث أعلن الرئيس الأمريكي جورج بوش أن الولايات المتحدة الأمريكية عازمة على تسوية الصراع في الشرق الأوسط حسب قولهم بين العرب وإسرائيل حتى تعيش شعوب المنطقة كلها في سلام وازدهار".^(١)

جاءت بنود اتفاقية أوسلو بعد فشل مؤتمر مدريد ١٩٩١م رغم استجابة الوفود العربية لكافة الشروط الإسرائيلية^(٢)، وبعدها عقدت جلسات سرية استجابة لوصيته هنري كيسنجر^(٣) وزير الخارجية الأمريكي، وعقدت تلك الجلسات واكتنفها الكثير من الغموض والتشاؤم والمفاجآت، فبينما الجلسة الحادي عشر في واشنطن في شهر أيلول ١٩٩٣م، كانت هناك أنباء عن تعثر المفاوضات بين الجانب الإسرائيلي والفلسطيني وأن فشلاً وشيكاً سيلحق بهذه الجولة، وفجأة كشف النقاب عن إجراء مفاوضات سرية في أوسلو، بين وفد يهودي وآخر من منظمة التحرير الفلسطينية، بواسطة الحكومة النرويجية، حيث أسفرت عن إعلان اعتراف متبادل بين المنظمة والدولة اليهودية في سبتمبر ١٩٩٣م وتم توقيع اتفاقية إعلان المبادئ بين الوفدين^(٤)، ولكن هل التزم اليهود ببنود الاتفاق والوثائق والرسائل المتبادلة^(٥)، وبالرغم من العديد من البنود التي تم الاتفاق عليها هي من مصلحة اليهود، خصوصاً الاتفاقية الأمنية التي تعطي اليهود صلاحيات الدخول إلى الضفة وغزة والقتل وإعادة الاحتلال في كل لحظة، وجعلت من قوى الأمن الفلسطينية حارساً للمستوطنات.

كذلك الاتفاقية الاقتصادية التي أعطت لليهود الحق بالتحكم في الاقتصاد الفلسطيني ولقمة العيش للمواطنين إلا أن اليهود لم يلتزموا باتفاق إعلان المبادئ.

ويضيف أ. جبر الهلول: فاتفق أوسلو جاء محققاً كل المصالح والطموحات اليهودية، وملبياً لكل ضوابط ومواصفات مقولة التقاسم الوظيفي الصهيونية^(٦)، وأضاف،

(١) المرجع السابق (ص ٢٦١).

(٢) راجع الشروط الثلاثة التي وضعها إسحاق شامير (ص ٢٦٤) المرجع السابق.

(٣) يهودي الأصل ولد ١٩٢٣ في ألمانيا وحصل على الجنسية الأمريكية ١٩٤٣ ودرس العلوم السياسية في جامعة هارفارد وأصبح مستشاراً في السياسة الخارجية للرؤساء، عينه الرئيس نيكسون مستشاراً خاصاً لشؤون الأمن القومي نظراً لجهوده في حل مشكلة فيتنام وبعد ذلك أصبح وزيراً للخارجية ٢٧٣ المرجع السابق.

(٤) راجع الموثيق والعهد في ممارسات اليهود (٢٧٤).

(٥) المرجع السابق (انظر رسائل الاعتراف المتبادلة (٢٧٦).

(٦) الموثيق والعهد في ممارسات اليهود (٢٨٨).

لأن اتفاق أوسلو بجميع مراحلها هو تخطيط صهيوني يخدم مصلحة إسرائيل أولاً وأخيراً، ويشكل انتصاراً لمشاريعها في بناء الشرق الأوسط^(١)، ومع كل ما سبق، لم تلتزم إسرائيل بشيء مما وقعت عليه.

ويقول أ. جبر الهلول: "فإسرائيل في اتفاق أوسلو لم تلتزم بشيء جوهرى لتقي به وإنما تركت جميع المسائل بالجانبين إلى المفاوضات المرحلة النهائية، المقررة أن تبدأ بعد عامين من الاتفاق، ولكن بعد مرور سبع سنوات لم يتحقق شيء من ذلك - الحل الدائم - الموعد للفلسطينيين رغم توقيع عدة اتفاقيات بين الجانبين بعد اتفاق أوسلو، حيث وقع رايبين وعرفات اتفاق القاهرة (١) في ٢٩/٢/١٩٩٤م، تبعه اتفاق (٢) تنفيذ الحكم الذاتي ٤/٥/١٩٩٤م ثم تم توقيع اتفاق الخليل، في مطلع ١٩٩٧م بين عرفات ونتنياهو، ثم تبعه توقيع واي (١) في واشنطن في ٢٤ تشرين أول ١٩٩٨م، ثم جرى توقيع واي (٢) المعدل في شرم الشيخ ٤/٩/١٩٩٩م، وسبب كثرة هذه الاتفاقيات أن إسرائيل بعد كل اتفاق تظهر حججاً وتفسيرات تخالف وجهة النظر الفلسطينية فلا تنفذ الاتفاقيات ٢٩٤، قلت: والحقيقة التي لا بد أن تبقى سيدة الموقف وتعطي التشخيص الحقيقي لهذه السياسة الإسرائيلية ﴿أَوْكَلَمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (البقرة/١٠٠) فقد وقع رايبين اتفاق أوسلو، فجاء بعده نتينهاو فاحتج على هذا الاتفاق ووقع اتفاق الخليل ١٩٩٧م، ثم اتفاق واي ريفر ١٩٩٨م فجاء بعده باراك ورأى ان في ذلك إجحافاً بحق إسرائيل، فرفض تنفيذه مما اضطره إلى تعديله باتفاق جديد، (واي ٢) ١٩٩٩م^(٢).

وكل هذه الاتفاقيات وهذه الجولات لم تصل بعد إلى اتفاق حول المرحلة النهائية، ويبدو أننا لازلنا في مرحلة المفاوضات البدائية!!!! مع الإشارة إلى أن كل الاتفاقيات الموقعة السابقة باطلة ومخالفة للشرع.

المطلب السادس: الجدل والكفر والتمرد على أوامر الله:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُؤًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِصٌ (٣) وَلَا بَكَرٌ عَوَانٌ (٤) بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءٌ فَاقِعٌ

(١) المرجع السابق (٢٩١).

(٢) الوثائق والعهود في تاريخ اليهود نتائج دراسة اتفاق أوسلو (٢٩٣، ٢٩٤) مرجع سابق.

(٣) الفارض المسنة التي انقطعت ولادتها، والبكر الصغيرة التي لم تحمل بعد، تفسير القرآن الكريم مج (٩١، ٩٠) مرجع سابق.

(٤) هي التي قد ولدت بطناً بعد بطن، وليست بنعت للبكر، وهي بين الصغيرة والكبيرة، جامع البيان مج(١/٣٨٤، ٣٨٥) مرجع سابق.

لَوْهَا تَسُرُّ النَّاطِرِينَ قَالُوا اذْعُ لَنَا رَبِّكَ يُبَيِّنُ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقْرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا ذَلُولَ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلِّمَةٌ لَا شِيَةَ (١) فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿ (البقرة / ٦٧، ٧٣).

أولاً: علاقة الآيات بما قبلها:

ترتبط هذه الآيات بما سبقها من أخواتها، فتشترك معها في بيان جرائم اليهود التي سبقت من نقض للعهود، واعتداء في يوم السبت، وتمرد على تعاليم التوراة، إضافة إلى العديد من مخالفاتهم لموسى عليه السلام، فتأتي هذه الآيات امتداداً لتلك الجرائم، لتبين سوء أدبهم وشدة جدالهم، وهم يتكلمون في تنفيذ أمر الله الواضح الجلي، الذي لا يحتمل إلا معنىً واحداً هو السمع والطاعة لا سواهما.

ثانياً: التفسير الإجمالي:

اذكروا أيها اليهود المعاصرون للنبي صلى الله عليه وسلم في المدينة، حين قتل أسلافكم نفساً بريئة واختفي القاتل ولم تعرفوه، فتخاصمتم وتدافعتم في شأنه، وكادت أن تحدث بينكم مقتلة، وأصبح كل واحد منكم يدرأ القتل عن نفسه، ويتهم سواه، والله أنكر فعلهم وكتمانهم، وأنتم اليوم تكتمون ما عندكم من أوصاف الرسول، والله مظهر لا محالة ما تكتمونه وتسترونه من أمر القتل، من خلال ذبح بقرة وضرب القاتل ببعض أجزاءها، ليحيه الله ويخبركم عن القاتل الحقيقي، لكنكم لم تنفذوا الأمر وجادلتم وتكلمتم، وشددتم على أنفسكم فشد الله عليكم، حتى تكلفتم الكثير فدفعتم ثمناً باهظاً، إلى أن وصلت إلى البقرة المحددة، وقتم بذبحها لتحقيق طلبكم من معرفة القاتل، وما كدتم تفعلون ذلك لولا أن لكم في ذلك مصلحة، ومع ذلك أحياء الله أمام أعينكم وأخبركم ممن قتله، ﴿ كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (البقرة / ٧٣).

ثالثاً: الإعجاز البياني:

وفيه ثمانية عشر مسألة:

المسألة الأولى: التكرير في لفظ (بقرة).

جاءت نكرة، لبيان أنهم لو أخذوا أي واحدة من جنس البقرة وذبحوها لتحقيق الأمر، وليبيان أن المطلوب تنفيذ الأمر بسهولة ويسر طالما أنه من الله.

(١) لا شية: لا بياض فيها ولا سواد سالمة من العيوب، جامع البيان مج (١/ ٣٩٤، ٣٩٥).

المسألة الثانية: سر استخدام فعل الأمر (ادع).

إنَّ الله يأمركم، لبيان أن أمر الذبح والمذبوح ليس من عند موسى ﷺ ، وإنما هو من عند الله ﷻ، ولأن موسى يعلم أن بني إسرائيل قوم مجادلون فأراد أن يؤكد لهم أنه لا علاقة له بالأمر، ولا بوصف المذبوح.

المسألة الثالثة: لماذا ذبح البقرة دون غيرها؟؟

قال عبد الله شحاتة: "لأنها من جنس ما عبده من الحيوانات وفي أمرهم بذلك تهوين لشأن هذا الحيوان، الذي عظموه وعبدهه وأحبهه، فكأنه سبحانه يقول لهم: إن هذا البقر الذي يضرب به المثل في البلادة لا يصلح أن يكون معبوداً من دون الله، وإنما يصلح للحرث والسقي والعمل والذبح"^(١)، وقال أبو زهرة: "لأن الله أراد أن يقتلع من قلوبهم ما تأثروا به من تقديس العجل"^(٢) لأن عبادة البقر والعجل عقيدة لدى اليهود ليس قديماً فقط، بل لا يزال اليهود إلى يومنا هذا متشبثين لفكرة عبادة العجل الذهبي، ويتوقون إلى إظهاره في مناسبات عدّة ويفتخرون بذلك دون حياء، أو خشية من عقاب الله، فما دام أسلافهم قد عبدوا العجل من قبلهم في زمن موسى ﷺ ، فلا مانع عندهم من عبادته وجعله إلهاً من دون الله، فالعجل الذهبي أصبح الأساس والمرتكز لديانتهم، وغدا المحور الذي تدور حوله عقيدتهم الفاسدة المنحرفة"^(٣).

المسألة الرابعة: قلة أدبهم في جوابهم على أمر الذبح:

"لقد كان جوابهم سفاهة وسوء أدب واتّهام لنبيهم الكريم بأنه يهزأ بهم، ويسخر منهم، كأنما يجوز لإنسان يعرف الله فضلاً عن أن يكون رسولاً أن يتخذ اسم الله وأمره مادةً مزاح وسخرية بين والناس"^(٤)، وكان هدفهم من ذلك عدم المبالاة بأمر موسى، قال الطبري: ﴿ أَتَّخَذْنَا هُزُؤًا ﴾ (البقرة/ ٦٧) "وهو جواب لاستغناء ما قبله من الكلام عنه"^(٥)، "والهدف عدم اهتمامهم بأمر موسى ذبح البقرة، واستخفافهم به، وجاء قولهم لاستبعادهم كشف القتل بهذه الطريقة التي تخالف العامة وتخالف هواهم، كذلك قالوا ذلك لشدة تقديسهم للبقرة فلا يجوز في نظرهم الاقتراب منها، وكأنهم يقولون لموسى كيف تريدنا أن نذبح إلهنا أتخذنا هزواً؟ فالبقر عندنا اله يعبد وليس مخلوقاً يذبح"^(٦).

(١) تفسير القرآن العظيم د. عبد الله شحاتة مج (١/٩٢، ٩١) مرجع سابق.

(٢) زهرة التفاسير لأبي زهرة مج (١/٢٦٥) بتصرف دار الفكر العربي، بدون طبعة.

(٣) التلمود وأثره في تدمير البشرية والحضارة الإنسانية (ص ١٣٥) محمد محمود سدر.

(٤) الرسول واليهود وجهاً لوجه مج (٢/٥٩٨) مؤسسة الريان - ط الثانية ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.

(٥) جامع البيان عن تأويل القرآن (١/٣٧٩) بتصرف.

(٦) زهرة التفاسير مج (١/٢٦٦) بتصرف.

المسألة الخامسة: لماذا لم ينفذوا الأمر الإلهي؟

لأنهم أصحاب هوى ومزاجيون ومدللون كما زعموا، بقولهم نحن أبناء الله وأحباؤه قال أبو زهرة: "لأن الطلب لم يصادف أهواءهم وحالهم في ذات أنفسهم، فأخذوا يراوغون بكثرة الاستفهام، وإن أول التمرد الأسئلة، فالطاعة ألاً تتمرد ولا تثير الجدل"^(١)، وكأنهم بما قالوه يتكلمون عليه، قال أبو السعود: "قالوا ذلك استبعاداً واستخفافاً لما قاله موسى"^(٢).

المسألة السادسة: فصاحة موسى وبلاغته وفننته:

منذ اللحظة الأولى التي جاءوا فيها يطلبون معرفة القائل، أدرك موسى طبيعتهم المجادلة والملتوية والمتكئة في تنفيذ أوامر الله، لذلك كان واضحاً في كل أقواله وطيلة جدالهم معه قائلاً: — إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ — يقول ذلك في إشارة إلى أن الأمر والقائل هو الله ﷻ، فأقواله واضحة جليّة لا غموض فيها، حتى لا يبقى لهم عذر، ومع ذلك استمروا في طرح أسئلتهم وجدالهم.

قال أبو السعود رحمه الله: "إسناد البيان في كل مرة إلى الله ﷻ لإظهار كمال المساعدة في إجابة مسئولهم بقولهم يبين لنا، وصيغة الاستقبال — يقول — لاستحضار الصورة"^(٣)، لقد كان جوابهم سفاهة وسوء أدب، واتهام لنبيهم الكريم، بأنه يهزأ بهم ويسخر منهم، كأنما يجوز لإنسان يعرف الله فضلاً عن أن يكون رسول الله أن يتخذ اسم الله وأمره مادة مزاح وسخرية بين الناس"^(٤).

المسألة السابعة: لماذا استعاذ موسى بالله أن يكون من الجاهلين.

"وذلك استعظماً لما أقدموا عليه من رميه ﷺ بهذه الفرية العظيمة المنكرة فإن الهزأ أثناء تبليغ أمر الله وفي مقام الإرشاد لا يليق بمقام الأنبياء، ولو كانوا أذكياء لفهموا مغزى كلامه"^(٥).

(١) زهرة التفاسير مج (١/٢٦٥).

(٢) إرشاد العقل السليم مج (١/١٣٤) مرجع سابق.

(٣) إرشاد العقل السليم مج (١/١٣٥) مرجع سابق.

(٤) المرجع السابق مج (٢/٥٩٨).

(٥) المقتطف من عيون التفاسير مج (١/١٠٢) بتصريف دار السلام للطباعة والنشر — ط الأولى ١٤١٧ هـ —

— ١٩٩٦ م.

المسألة الثامنة: الغرض من السؤال عن ماهية البقرة أكثر من مرة.

أسئلة غريبة وعجيبة، فيها من الجدل والعناد، والهروب من مواجهة الحقيقة، وكأنهم لم يعرفوها ولم يكونوا قد عبدوا العجل الذي هو من جنسها، وقد أدرك موسى بظننته أن هدفهم من كثرة الأسئلة الجدل والتهرب، من تنفيذ أمر الله، فقطع عليهم الطريق قائلاً لهم بلسان فصيح بليغ قوي العبارة - **افعلوا ما تؤمرون** - بلا لجاجة ولا مراوغة، فالأمر واضح ولا يحتمل التردد، ولا تكثرؤوا الجدل ولا تتعننوا، وتتشددوا فيشدد الله عليكم، "ولقد كان في هذا القول كفاية لمن يريد الكفاية، وكان حسبهم وقد ردهم نبيهم إلى الجادة مرتين، ولمح لهم بالأدب الواجب في السؤال وفي التلقي، أن يعمدوا إلى أي بقرة من أبقارهم، لا عجوز ولا صغيرة متوسطة العمر، فيخلصوا بها ذمتهم وينفذوا بذبحها أمر ربهم، ويعفوا أنفسهم من مشقة التعقيد والتضييق ولكن اليهود هم اليهود" (١) قوم مطل ينتطعون في الدين ويتهربون من الانصياع والانقياد لأي التزام أو أوامر، ويختلفون الأعذار والمبررات، إنه التتطع في الدين والتهرب من الانصياع لكلمة الحق، أو التحلل من الامتثال لأوامر الله ﷻ، وإما لانطماس بصيرتهم عن فهم الشريعة" (٢).

المسألة التاسعة: دلالة التعبير في قول الله (فافعلوا ما تؤمرون).

"لقد كان في هذا كفاية لمن يريد الكفاية، وكان حسبهم وقد ردهم نبيهم إلى الجادة مرتين ولمح لهم بالأدب الواجب في السؤال وفي التلقي، أن يعمدوا إلى أي بقرة من أبقارهم لا عجوز ولا صغيرة متوسطة السن، فيخلصوا بها ذمتهم وينفذوا بذبحها أمر ربهم، ويعفوا أنفسهم من مشقة التعقيد والتضييق ولكن اليهود هم اليهود" (٣)، ينتطعون في الدين ويتهربون من الانصياع والانقياد لأي التزام طلب منهم أو تعهدوا به، لأنهم قوم مطل.

المسألة العاشرة: هل كانوا صادقين في قولهم (الآن جئت بالحق)؟.

أ. يرى الباحث أنهم لم يكونوا صادقين، وإنما أرادوا بقولهم هذا إخفاء جدهم وعنادهم، بعدما رأوا ألا مناص من ذبح البقرة، وكأنهم يبحثون عن الحق، وإلا هل قال لهم موسى إلا الحق عندما أمرهم بذبح البقرة.؟؟

ب. في كلامهم الذي قالوه إساءة أدب، واتهام متكرر لموسى، وكأنه قبل ذلك لم يخبرهم بالحق والآن جاء بالحق، ولو لم يقصدوا ذلك لكان يكفيهم أن يقولوا: الآن عرفناها تمام المعرفة

(١) الرسول واليهود وجهة لوجه مج (٦٠٠/٢) د. سعد المرصيف، بتصرف، مؤسسة الريان ط - الثانية

١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م د. سعد المرصيف..

(٢) المرجع السابق (٥٩٢/٢).

(٣) الرسول واليهودية وجه لوجه مج (٦٠٠ / ٢) بتصرف.

لكنهم كانوا غير راشدين في تعبيرهم^(١).

ج. كذلك قالوا لأنهم شعروا أن الذبح كائن، ولا مجال للتملص منه، وأن الثمن الذي سيدفعونه من الممكن أن يزداد في كل لحظة.

د. وقول الله تعالى: **« وما كادوا يفعلون »** - دليل على عدم صدقهم في قولهم، قال الطبري: "وإن كانوا قد قالوا بقولهم: الآن بينت لنا الحق هراء من القول، وأتوا خطأً وجهلاً من الأمر، وذلك أن نبي الله موسى عليه السلام كان مبيناً لهم في كل مسألة سألوها إياه، ورد رده الحق في أمر البقرة، وإنما يقال الآن بينت لنا الحق لمن لم يكن مبيناً قبل ذلك الحق^(٢)."

المسألة الحادية عشر: هل كانوا صادقين في قولهم (وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ) .

قال أبو السعود: "مؤكّد بوجوه من التوكيد، أي لمهتدون بما سألنا من البيان إلى الأمور بذبحها^(٣)، وهذه التوكيدات هي حرف التوكيد إن، ولام القسم في لمهتدون، ومع وجود هذه التوكيدات التي أشار إليها العلامة أبو السعود إلا إن الباحث يرى أنهم ليسوا صادقين في قولهم للأسباب التالية:

أ- منذ اللحظة الأولى التي أمرهم موسى بذبح البقرة ردوا عليه مستهجنين ومتهمين إياه قائلين "أَتَتَّخِذُنَا هُرُوءًا؟؟" ولو كانوا صادقين ما قالوها.

ب- كثرة التساؤلات التي ليست في مكانها، تدلل على عدم صدقهم رغم وضوح الإجابة من موسى في كل مرة.

ت- قوله تعالى: ﴿ فَدَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴾ (البقرة/٧١) تدلل على كذبهم فيما ادعوه من قول، فجاءت منفية بما، وجملة يفعلون حال لبيان حقيقتهم المخفية، وهي أنهم لا يريدون الذبح، قال الشوكاني: "وما كادوا يفعلون ما أمروا به، لما وقع منهم من التثبيط والتعنت وعدم المبادرة، فكان مظنة للاستبعاد، ومحلاً للمجيء بعبارة مشعرة بالتثبيط الكائن منهم^(٤)" وقال أبو زهرة: "لكثرة لجاجتهم، ومراوغاتهم وجدلهم ولكن الله سبحانه وتعالى راضهم على ذلك حتى فعلوا كارهين غير راضين"^(٥) بالإضافة إلى تاريخهم الكاذب والمآكر والمراوغ وطبيعتهم المتمردة فإن فاصلة الآية توحى بعدم صدقهم.

المسألة الثانية عشر: دلالة التعبير في قول الله (وما كادوا يفعلون).

دليل واضح على عدم رغبتهم في تنفيذ أمر الله، ولو لم تكن لهم في الذبح مصلحة ما ذبحوها، ولا استمرّوا يجادلون موسى عليه السلام، حتى ينتقم الله منهم، فهذه سيرتهم وتلك طباعهم.

(١) المقتطف من عيون التفاسير مج (١ / ١٠٤) مرجع سابق.

(٢) جامع البيان عن تأويل القرآن مج (١ / ٤٨٦) مرجع سابق.

(٣) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم مج (١ / ١٣٦).

(٤) فتح القدير مج (١ / ١٣٨، ١٣٩) مرجع سابق.

(٥) زهرة التفاسير مج (١ / ٢٦٨) مرجع سابق.

قال ابن عطية: "عبارة عن تثبطهم في ذبحها، وقلّة مبادرتهم إلى تنفيذ أمر الله" (١) وبمعناه قال الزمخشري (٢)، وقال الشعراوي: "ذبحوا البقرة ولكن عن كره منهم لأنهم حريصون على ألاّ يذبحوها، حرصهم على عدم تنفيذ المنهج، لأنهم يريدون أن يماطلوا الله سبحانه وتعالى" (٣).

المسألة الثالثة عشر: دلالة استخدام ضمير المخاطب والجمع في قول الله (ما كنتم تكتمون).

قال القرطبي: "الخطاب فيه لليهود المعاصرين للنبي ﷺ، وأسند القتل والتدارؤ إليهم، مع انه لم يقع منهم، توبيخاً وتقريعاً للغابرين والحاضرين والجماعة والأفراد" (٤) وكذلك أسند القتل إلى المعاصرين للنبي ﷺ، لأنهم كانوا يعتزون بنسبهم راضون بفعلهم، وكان الأولى بهم أن يتبرؤوا من القاتل على الملأ، حتى يبرؤوا أنفسهم، وذكر ميم الجماعة مع أن القاتل واحد لأنهم كانوا متضامنين معه، فيأخذ المجموع بجريرة الفاعل إذ كانوا ساكتين عنه، أو راضين عن فعله، قال د. وهبة الزحيلي: "أسند القتل إلى المعاصرين للنبي ﷺ لأنهم من سلالة السابقين، وهم معتزون بنسبهم، راضون عن فعلهم، وكذلك أسند القتل إلى الأمة والقاتل واحد، لأن الأمة متضامنة وهي في مجموعها كالشخص الواحد، فيؤخذ المجموع بجرير الواحد، وفيه توبيخ وتقريع للغابرين وللحاضرين والجماعة والأفراد" (٥) وبمعناه قال سيد طنطاوي (٦)، وقال ابن عاشور: "والخطاب هنا على نحو الخطاب في الآيات السابقة المبني على تنزيل المخاطبين، منزلة أسلافهم لحمل تبعثهم عليهم" (٧).

ويرى الباحث أنّ ميم الجماعة في قوله — قتلتم ، وكنتم — تشير إلى يهود المدينة لكونهم رضوا عن الجريمة، أو لتحذيرهم من مغبة ارتكاب أيّ من الجرائم في حق الرسول ﷺ والصحابة ﷺ، سيّما أن عداوتهم للمسلمين ظهرت وبدت بالبغضاء من أفواههم بعد انتصار المسلمين في بدر.

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز مج (١ / ١٦٥)، دار الكتب العلمية- بيروت — لبنان — ط الأولى ١٤١٣هـ — ١٩٩٣م.

(٢) انظر الكشاف مج (١ / ٧٥) دار المعرفة بيروت — لبنان — بدون طبعة.

(٣) تفسير الشعراوي مج (١ / ٣٩٦) مرجع سابق.

(٤) الجامع لأحكام القرآن مج (١ / ٤١١) — حاشية الكتاب — الهامشي — دار الحديث — القاهرة ١٤٢٣هـ — ٢٠٠٢م.

(٥) التفسير المنير د. وهبة الزحيلي مج (١ / ١٩٢، ١٨٩) دار الفكر المعاصر بيروت — لبنان ١٤١٨هـ — ١٩٩٨م.

(٦) التفسير الوسيط مج (١ / ٢١٧) مرجع سابق.

(٧) التحرير والتنوير مج (١ / ٥٦١) مرجع سابق.

المسألة الرابعة عشر: ماذا كتم اليهود في قول الله: ﴿ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ (البقرة / ٧٢).
إشارة إلى ارتكاب مجموعة منهم جريمة التستر على القاتل لأنها كانت تعلمه وتكتمت عليه، والذي كانوا يكتُمونه وأخرجه هو قتل القاتل، كما أن القاتل تكتم على جريمته.

المسألة الخامسة عشر: بين الأمر وعلته، لماذا قدم الذبح على سببه؟.

قال الشعراوي: "المفروض في كل الأمور أن الأمر تسبقه علته، لأن السؤال عن العلة يعني أن الأمر صادر عن مساو لك، أما إذا صدر الأمر دون بيان العلة، فاعلم أنه صادر عن جهة أكبر وأعلى، كالأب يصدر الأمر لابنه، وكالطبيب يصدر لمريضه، وعند ذلك لا يسأل عن العلة، وإلا كان فيه سوء للأدب، لأن الأمر صدر عن جهة عالمة، لها حكمة في ذلك، فإله أمر بالذبح ولم يذكر لماذا أمرهم أن يذبحوا بقرة بعد الأمر مباشرة، لذا أراد سبحانه أن يعلمنا أن الأصل في تنفيذ أوامر الله هو الطاعة والتقرب إليه، سواء عرفنا العلة أم لم نعرفها، لأن معرفة العلة لن يؤثر في جوهر الإيمان، كذلك جاء التقديم ليختبر قوة إيمان بني إسرائيل ومدى قيامهم بتنفيذ التكليف، دون تكلؤ أو تمهل، ولكنهم بدلاً من أن ينفذوا أخذوا في المساومة والتباطؤ" (١).

المسألة السادسة عشر: لماذا الضرب ببعضها.

إنها المعجزة الإلهية، والقدرة التي لا حدود لها، لأنها فوق نوااميس الكون، اضربوا ماذا بماذا؟ اضربوا الميت بالميت!، - سبحان الله وماذا يعني - ؟؟؟!!، يخرج منهما حيّ بإذن الله يتكلم ويخبر عن قتله!!!.

هذه هي حقيقة الحياة والموت التي غفل عنها اليهود وكل الماديين، لأن الحياة والموت ليس فيهما دور لأحد، وإنما كما قال الله: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (الإسراء / ٨٥) وقال: ﴿ كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (البقرة / ٧٣)، وضرب الأشياء ببعضها لها قصص ومعجزات مع موسى وبني إسرائيل والنتيجة معجزة بإذن الله، قال تعالى: ﴿ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ﴾ (البقرة / ٦٠) (فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرقة كالطود العظيم ﴾ (الشعراء / ٦٣) ﴿ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (البقرة / ٧٣) قال الشعراوي: "انظر إلى العظمة في القصة، جزء من ميت يضرب به ميت فيحيا، فالمسألة أعدها الله بصورة لا تجعلهم يشكون فيها أبداً، فلو أن الله أحياهم بدون أن يضرب بجزء من البقرة لم يكن قد مات، لكن الله أمرهم أن يذبحوا بقرة حتى تموت ليعطيهم

(١) الشعراوي مج (١/٣٨٨، ٣٩٠) بتصرف مرجع سابق.

درسًا إيمانياً بقدرته الخارقة وهم الماديون الذين لا يؤمنون إلا بالماديات^(١)، إنها المعجزة، إنها يد القدرة الإلهية التي تخرج الماء من الحجر الأصم ليغيث العطشى الذين هم على وشك الموت فيعيدهم للحياة لأن الماء أصلها، ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (الأنبياء/٣٠)، وهي التي حولت المادة السائلة إلى يابسة قال تعالى: ﴿ فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا ﴾ وهكذا تعددت الوسائل لكن النتيجة واحدة لأن مسبب الأسباب واحد، وموجد النتائج واحدة.

المسألة السابعة عشر: لماذا يعلق إحياء الميت بذبح البقرة.

قال الزمخشري: في الأسباب والشروط حكم وفوائد كثيرة، وإنما شرط ذلك لما في ذبح البقرة من التقرب، وأداء التكاليف، واكتساب الثواب، والإشعار بحسن تقديم القربى على الطلب^(٢).

ويرى الباحث أن كلام الزمخشري رحمه الله يُحمل على من يُحسن الظن به، وبمن كانت عقيدته سليمة، ونفسه طيبة ولو أخطأ، أمّا في حق اليهود فالكلام يختلف، ولا يصح معهم ما ذهب إليه الزمخشري، ولا يقال عند الحديث عنهم، لشدة إعراضهم وتلكهم في تنفيذ أوامر الله، فلو كانوا يريدون التقرب والثواب كما قال رحمه الله، لذبحوا البقرة من اللحظة الأولى، تقريباً لله، لكنهم ذبحوها بعد طول جدل ومراوغة، ومحاولات للتخلص من الأمر، وبعدما وصلوا لقناعة مفادها لا مجال للهروب والتخلص من تنفيذ أمر الله، كذلك ذبحوها ليس طاعة لله وقربى وإنما لتحقيق مصلحتهم في معرفة القاتل، إن أحسننا الظن بهم بدليل قول الله: ﴿ فَذَبْحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴾ (البقرة/٧١) فأين حبهم للتقرب وكسب الثواب؟، كذلك فإن الله حكمة من ذبح البقرة سبق ذكرها^(٣)، إضافة إلى حكمة أخرى وهي أن الله أراد أن يقول لهم لن يحيا قتيلكم إلا إذا ذبحتم بأيديكم من زعمتم أنه إلهكم!؟.

وأما لماذا الضرب ببعضها طالما أن الله قادر على إحيائه ابتداءً؟؟، قال الرّازي: "لتكون الحجّة أوكد وعن الحيلة أبعد، فلو أحياه الله ابتداءً لزعم احدهم ان موسى عليه السلام إنما أحياه بضرب من السحر والحيلة لكنه عندما يحيى القاتل بضربه بقطعة من البقرة المذبوحة انتفتت الشبهة"^(٤)، وكذلك أراد الله أن يذبحوا بأيديهم الههم الذي اتخذه البعض منهم، وفي ذلك تحقير لهم وله، فمن أجل مصلحتكم ذبحتم إلهكم، فهذه طبيعة اليهود وهذا دينهم يقدمون

(١) الشعراوي مج (١/٤٠٠).

(٢) الكشف مج (١/٧٦) مرجع سابق.

(٣) انظر (ص٣٨) من الرسالة

(٤) التفسير الكبير مج (٣/١٢٥) بتصرف.

تحقير لهم وله، فمن أجل مصلحتكم ذبحتم إلهكم، فهذه طبيعة اليهود وهذا دينهم يقدمون كل شئ من أجل مصلحتهم، ولو توصل الأمر إلى ذبح إلههم.

المسألة الثامنة عشر: الحكمة من تقديم الجدل على جريمة القتل:

أراد الله تبارك وتعالى بذلك أن يعدد على بني إسرائيل كثرة جناياهم وجرائمهم. قال الزمخشري: "كل ما قص من قصص بني إسرائيل إنما قص تعديداً لما وجد منه الجنايات وتقريعا لهم عليها وهاتان القصتان كل واحدة منها مستقلة بنوع من التقرير وان كانتا متصلتين متحدثين.

الأولى: لتقريعهم على الاستهزاء وترك المسارعة إلى الامتثال بالأمر وما يتبع ذلك. الثانية: التقريع على قتل النفس المحرمة وما يتبعه من الآية العظيمة، وإنما قدمت قصة الأمر بالذبح على ذكر القتل لأنه لو عمل على عكسه، لكانت قصة واحدة ولذهب الغرض من تشبيه التقريع^(١).

رابعاً: اللطائف البيانية:

١. عدم التشدد في تنفيذ أوامر الله ﷻ، فالتشدد وكثرة السؤال ليسا محمودين، لأن الله نهانا عن كثرة السؤال، قال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ بُدِّ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ ﴾ (المائدة/١٠١)، وروى سعد بن أبي وقاص عن رسول الله ﷺ أنه قال: (إن أعظم المسلمين في المسلمين جرماً من سأل عن شئ لم يحرم على المسلمين فحرم عليه من أجل مسألتهم)^(٢).

٢. عدم احترام الأنبياء وقلة الأدب معهم يعرض الإنسان للوم والتوبيخ والعقاب وربما يصل إلى الكفر قال تعالى: ﴿ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ لَا تَعْتَدِرُوا قَدِّ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيْمَانِكُمْ إِنْ نَعَفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾ (التوبة/ ٦٥، ٦٦).

٣. كذلك - يحيى الله الموتى - فيها رد على صاحب تفسير المنار الذي اعتبر أن إحياء الموتى ليس حقيقياً، وإنما المراد منه حفظ الدماء واستبقاؤها^(٣)، حيث خالف جمهور المفسرين في ذلك وتحول من ظاهر النص إلى باطنه دون دليل، ولا قرينة تذكر في قوله، لا بل القرينة مع القول بظاهر النص قال تعالى: (كذلك يحيى الله الموتى ويرىكم آياته) (البقرة / ٧٣) وفي الآية رد واحتجاج على المشركين المكذبيين بالبعث، وأمرهم بالاعتبار بما كان منه

(١) الكشاف مج (٧٦/١) ويمثله قال الرازي مج (٣/١٢٣) بتصرف.

(٢) سبق تخريجه ص ٣.

(٣) انظر تفسير المنار مج (٣٥١/١) مرجع سابق.

جل تناؤه، من إحياء قتيل بني إسرائيل بعد مماته، في الدنيا فكأنه قال لهم أيها المكذبون بالبعث بعد الممات اعتبروا بإحيائي هذا القتيل بعد مماته، فاني كما أحييته في الدنيا، كذلك أحييي الموتى بعد مماتهم و أبعثهم يوم البعث^(١).

٤. مظاهر التعنت في أقوالهم:

- أ- — أتخذنا هزوا — لأن المقام مقام جد وما هو بالهزل.
ب- — ادع لنا ربك — وكأن الله ليس ربهم بل هو رب موسى وحده.
ت- تنوع الأسئلة رغم وضوح البقرة منذ اللحظة الأولى.
ث- استمرارهم في الأسئلة بعدما كرر الأمر عليهم مرة ثانية قائلاً: ﴿ فَاَفْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ﴾ (البقرة/ ٦٨).

المطلب السابع: إشعال الحرب والإفساد في الأرض:

قال تعالى: ﴿ كَلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (المائدة/ ٦٤)، ﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ (البقرة/ ٦٠).

أولاً: التفسير الإجمالي:

وفيه أربع مسائل:

المسألة الأولى: أقوال العلماء في إيقاد الحرب:

هذه الصفة من أخطر الصفات التي وصف الله بها اليهود قديماً وحديثاً، لأنها الأكثر ضرراً، ليس فقط على المسلمين وحدهم، بل على البشرية كلها، وفساد اليهود ليس محصوراً في جانب معين من جوانب الحياة، وإنما في كل مناحيها، ومن أخطر فسادهم إشعال الحروب بين الناس، وإمدادها بما تحتاجه من وقود، حتى تستمر مشتتة لإضعاف أطرافها، كي يسهل السيطرة عليهم وابتزازهم، واستغلالهم لتحقيق أطماعهم، إضافة إلى إفسادهم، والذي لا يقل خطراً عن إيقاد الحروب.

قال الطبري: "كلما جمعوا أمرهم على شيء فاستقام واستوي، فأرادوا مناهضة من ناوأهم شنته الله عليهم، وأفسده لسوء فعالهم وخبث نياتهم، فلن تلقى اليهود ببلد إلا وجدتهم من أذل أهلها، فقد جاء الإسلام حين جاء وهم تحت أيدي المجوس أبغض خلقه"^(٢).

وقال السدي: "كلما أجمعوا أمرهم على شيء فرقه الله وأطفأ حسدهم ونارهم وقذف في قلوبهم الرعب"^(١).

(١) جامع البيان مج (٤٠٤/١) مرجع سابق..

(٢) المرجع السابق مج (٦٤٣/٤) بتصرف.

وقال البغوي: " كلما أجمعوا أمرهم ليفسدوا أمر محمد وأوقدوا نار المحاربة أطفأها الله، فردّهم وقهرهم ونصر نبيه ودينه"^(٢).

وقال الأوسي: " كلما أرادوا محاربة الرسول ورتبوا مباديها، ردّهم الله تعالى وقهرهم بتفريق آرائهم، وإلقاء الرعب في قلوبهم، فايقاد النار كناية عن إرادة الحرب، والعرب إذا تواعدت للقتال جعلوا علامتهم إيقاد نار على جبل يسمونها نار الحرب ثم نقل قول الحسن ومجاهد: " والمراد من الحرب محاربة الرسول، ويجتهدون في الكيد ضد الإسلام وأهله وإثارة الشر والفتنة فيما بينهم بما يغيّر ما عبر عنه بإيقاد نار الحرب كتغيير صفة النبي وإدخال الشبه على ضعفاء المسلمين والمشي بالنميمة مع الافتراء ونحو ذلك " ^(٣).

أمّا الشعراوي رحمه الله، فيرى أن إيقاد الحرب يأتي من خلال خروج اليهود على العهود التي وقعوها مع الرسول ﷺ ، وأنّ نار الحرب مستمرة بيننا وبينهم، ولا يطفئها إلا جند الله حيث يقول: " وعندما نصيح جنوداً لله فلسوف تنطفئ هذه الحرب"^(٤) وقال سيد قطب رحمه الله: " إن هذا الشر والفساد الذي تمثله يهود، لا بد أن يبعث الله عليه من يحطمه ويستأصله، فالله لا يحب الفساد في الأرض، وما لا يحبه الله، لا بد أن يبعث عليه من عباده من يزيله ويقضي عليه"^(٥).

وكأنه يريد أن يقول إنّ اليهود يفسدون ويشعلون الحروب والعداوة والكرهية بين الناس من خلال أحقادهم وكرهيتهم، فأين أنتم يا مسلمون لتطفئوا هذه النار، بالقضاء على اليهود وذلك بإعلان الجهاد في سبيل الله، كي تصلحوا ما أفسد اليهود، من خلال اقتلاعهم من الأرض وتطهيرها منهم ليعم الأمن والأمان والسلم بالإسلام.

ويرى الباحث أن ما ذكره العلماء من معاني إيقاد الحروب قليل في حق اليهود، لأن ما ذكره يتناسب مع زمانهم، الذي رأوا فيه وسائلهم في حرب الرسول ﷺ ، والدعوة الإسلامية والتشكيك في عبادة المؤمنين، إضافة لمحاولتهم قتل الرسول وغير ذلك.

لكن الحقيقة التي لا بد أن يحفظها التاريخ لتقرأها الأجيال، أن وسائل اليهود تختلف من زمان إلى زمان، ومن مكان إلى مكان، لأن القرآن لم يذكر تلك الوسائل التي يستخدمونها لتحقيق أهدافهم، وإنما ترك القارئ يعيش ويتخيّل ويتدبّر في معنى

(١) رسالة دكتوراة في مرويات السّدي القسم الثاني (٤٧٢) مرجع سابق.

(٢) معالم التنزيل في التفسير والتأويل مج (٢/ ١٦٦) مرجع سابق.

(٣) روح المعاني مج (١٨٣/٣) مرجع سابق.

(٤) الشعراوي مج (٦/٣٢٦٩، ٣٢٦٨) بتصريف ٨-٢/٩٣٠ مرجع سابق .

(٥) الظلال مج (٢/٩٣٠) مرجع سابق .

مصطلح - كلما أوقدوا- الذي يدل على بشاعة هذه الجريمة، ويوحى أنهم يواصلون العمل الدؤوب الحثيث دون انقطاع.

المسألة الثانية: أسباب إشعال الحرب والإفساد في الأرض.

١. الحقد الدفين على الأميين^(١)، الذين خلقوا لخدمة الشعب المختار حسب زعمهم فتمردوا عليه وسلبوه ماله وملكه وأذقوه الويلات، فلا بد من الانتقام منهم بإراقة دمائهم وتدمير حضارتهم^(٢)، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (آل عمران/ ٧٥).

٢. الهيمنة الاقتصادية من خلال استغلال الأطراف المتناحرة من خلال بيع الأسلحة ووسائل الدمار وإقراضهم بالمال، بحيث يكون المنتصر مدين لهم بالمال ليعملوا بعد ذلك على استغلاله وابتزازه.

٣. السعي الحثيث للسيطرة على العالم من خلال إضعاف الدول المتصارعة، عسكرياً واقتصادياً واجتماعياً ليسهل لهم التحكم في سياستهم وابتزازهم وتسخيرهم لخدمة أهدافهم.

٤. القضاء على الإسلام وأهله، وإطفاء نور الله في الأرض، وذلك حسداً من عند أنفسهم، قال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (البقرة/ ١٠٩).

"ولقد أدرك اليهود هذه الآثار بخبثهم فصرفوا جهودهم لإثارة الحروب بكل ما أوتوا من مكر ودهاء على ألا يكونوا أحد الأطراف فيها، وإنما المستغلين المستفيدين منها"^(٣).

المسألة الثالثة: صور من إشعال الحروب:

إننا لو تتبعنا تاريخ الحروب لوجدنا أن معظم النزاعات والصراعات التي حدثت وتحدث في العالم لا تخلو من أصابع اليهود التي تحركها في الظلام تحت أي مسمى كان ومهما كان السبب.

(١) الأمميون: هم من عدا اليهود، ومعنى الكلمة عندهم البهائم والأنجاس والكفرة والوثنيون، الخطر اليهودي بروتوكولات حكماء صهيون، محمد خليفة التونسي (ص١٠٣)، دار الكتاب - بيروت - لبنان - ط الرابعة ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

(٢) معالم قرآنية في الصراع مع اليهود (ص١٨٣)، د. مصطفى مسلم - دار القلم - دمشق - ط - الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

(٣) معالم قرآنية في الصراع مع اليهود (ص٨٣) بتصرف.

١ - إشعال الحروب زمن الرسول:

المحاولة الأولى: "لقد دارت عدة حروب بين قبيلتي الأوس والخزرج، قبل هجرة الرسول ﷺ كان اليهود سبباً فيها"^(١)، ولما وصل إلى المدينة المنورة آخى بينهما فأصبحتا إخوة متحابين، إلا أن شاس بن قيس اليهودي^(٢) قد عسا في الجاهلية على نفر من أصحاب رسول الله ﷺ من الأوس والخزرج في مجلس قد جمعهم يتحدثون فيه فغاضه ما رأى من ألفتهم وجماعتهم، وصلاح ذات بينهم، فحاول الإيقاع بهم.

المحاولة الثانية: وذلك عندما قام حيي بن أخطب بتحريض يهود بني قريظة على نقض العهد وتأليب القبائل العربية على حرب الرسول ﷺ في غزوة الخندق، وبالفعل نجحوا في ذلك واجتمع عشرة آلاف فارس وراجل وحاصروا المدينة لمدة شهر كامل، ولقد وصف القرآن أحوال المسلمين في المدينة قائلاً: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زُلْزَالًا شَدِيدًا ﴿ (الأحزاب/ ٩-١١) ٠

٢ - إشعال الحروب بعد وفاة الرسول.

لم يكتف اليهود بما قاموا به زمن الرسول عليه الصلاة والسلام ولم تردعهم العقوبات التي اتخذها الرسول في حقهم نتيجة جرائمهم بل على العكس زاد الحقد والمكر والكرهية في قلوبهم على الإسلام والمسلمين واستمر إشعالهم للحروب وإيقاد نيرانها حتى زمن الخلفاء الراشدين الفاروق العادل عمر بن الخطاب ؓ^(٣) وعثمان بن عفان رضي الله عنه، والذي تولى كبر ذلك هو عبد الله بن سبأ اليهودي اليمني الأصل، الملقب بابن السوداء والذي استطاع بحنكته وخبثه ومكره أن يزرع له في كل بلد إسلامي فرقة سرّية، مهمتها التحريض على الأمراء وإيقاد نار الفتنة فيه، وسمّيت فيما بعد بالسبئية نسبة إليه.

"السبئية هي إحدى حلقات المؤامرة والكيد اليهودي للإسلام والذي تولى كبر هذه المؤامرة عبد الله بن سبأ المعروف بابن السوداء، المتستر بالإسلام في محاولة منه لتقويض أركانه، وتحريف أصوله بعد أن هاجر من اليمن أيام الخليفة الراشد عثمان ابن عفان ؓ إلى

(١) انظر فقه السيرة للغزالي (ص ١١٤، ١١٣) ط - الأولى ١٩٧٣ م.

(٢) شيخ غير في الجاهلية عظيم الكفر شديد الحقد على المسلمين وشديد الحسد لهم. أسباب النزول للوا حدي (ص ٥٧)، وانظر فتح القدير مج (٤٧٤) مرجع سابق

(٣) انظر دورهم في مقتل عمر بن الخطاب مكابيد يهودية (ص ١٦١)، عبد الرحمن بن حنكة الميداني دار القلم دمشق - بيروت ط - الثانية ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م.

البصرة، وأخرج منها إلى الكوفة، ثم إلى الشام فمصر، لإثارته الفتن بين المسلمين وطعنه في الولاة، فكان سبياً مباشراً في مقتل الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه، وبالجملة فإن السبئية كانت وراء الأحداث العظام التي حدثت في الإسلام، بحجة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وكذلك وقعة عين الجمل ومحاولات تحريف أصول الدين^(١)، ولم يكتف اليهود بما فعلوه ضد المسلمين من إيقاد نيران الحرب بينهم والتي كلفتهم آلاف الشهداء وعلى رأسهم الخليفين عمر وعثمان رضي الله عنهما ولكن استمر حقدهم حتى بعد عبد الله بن سبأ اليهودي حيث ظهر بعده رجل أشد مكرًا ودهاءً وخداعاً هو ميمون القداح الذي كان يهودياً متعصباً وحبر من أحبارهم وعالماً بالفلسفة والتجيم ومطلعاً على أصول المذاهب والأديان من أجل ذلك لجأ إلى حيلة جديدة وهي ضرب العقيدة الإسلامية في أصولها فكان أول من روج لظهور الفرق الباطنية^(٢).

٣- إشعال الحروب في غير المسلمين:

قد يكون إشعال الحروب بين المسلمين من منظور اليهود فيه عذر لهم، بسبب حقدهم وحسدهم على المسلمين، لكن أن تنتقل هذه الصفة المدمرة والمهلكة إلى غير المسلمين فهذا يدل بما لا يدع مجال للشك على طبيعة هذه النفوس الخبيثة والعنصرية، التي لا تحب إلا دمار الآخرين، "لأن جميع الثورات والانقلابات والحروب التي وقعت منذ بدء عصر التسامح مع اليهود، وهو الذي يمتد عبر القرون الثامن عشر، والتاسع عشر، والعشرون تكاد تكون من صنع اليهود وأنفسهم، من أجل القضاء على غيرهم، ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، مستخدمين كل السبل التي توصلهم إلى أهدافهم البعيدة، وهي حكم العالم من أورشليم عاصمة ملكهم كما يدعون^(٣)"، ويؤكد هذا القول أ. محمد محمود صبح فيقول: "وإذا نظرنا إلى اليهود من خلال تاريخهم عبر العصور، لوجدناهم وراء كل مصيبة تصيب هذا العالم، فالفساد والكوارث والفتن والمشاحنات والحروب المستمرة بين الدول والشعوب، وحتى بين الشعب الواحد، والمجتمع الواحد، ما هي إلا نتاج تدبيرهم وتخطيطهم، من أجل الوصول إلى هدفهم في إضعاف هذه الأمم ليسهل عليهم السيطرة عليها^(٤)"، وهذه بعض النماذج التي تؤكد ذلك:

(١) انظر الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (ص ١٠٦٧) إشراف مانع بن حماد الجهني، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر ط. الرابعة، وللتعرف على أفكار هذه الفرقة انظر كتاب الملل والنحل (ص ١٧٤) للشهرستاني، دار الفكر للطباعة وانظر مكايد اليهودية عبر التاريخ (ص ١٦٢) وما بعدها لعبد الرحمن الميداني.

(٢) انظر مكايد يهودية عبر التاريخ (ص ١٧١) وما بعدها وانظر الحيل التسعة للباطنيين وما بعدها.

(٣) الأفعى اليهودية في معاقل الإسلام (ص ٩، ١٠) عبد الله التل المكتب الإسلامي بيروت ط. الثانية بتصرف.

(٤) التلمود وأثره في تدمير البشرية والحضارة الإنسانية (ص ٥) - دار الوراق للنشر والتوزيع - ط الأولى

أ- دورهم في الثورة الفرنسية:

استطاع اليهود أن يسيطروا على مقدرات الأمة الفرنسية بعدما حطّموا أسس دولتهم من جميع النواحي الاجتماعية والسياسية والدينية والثقافية حتى غدوا القوة الخفية التي تهيمن على الشعب الفرنسي فتقلّدوا أرفع المناصب فيها وهذا شجعهم على التمادي في خلق الفتن وتدبير المؤامرات وتحريك الثورات وتنفيذ الاغتيالات السياسية فيها وفي غيرها^(١)، إضافة إلى دورهم في إشعال الحرب بين فرنسا وبريطانيا، والحروب في أمريكا الجنوبية^(٢)، "واستمر نفوذهم في فرنسا ينخر في جسمها، ويدمر كيائها، ويتغلغل في مؤسساتها بصمت، حتى صرح الجنرال ديغول قائلاً: "إن في فرنسا لوباً قوياً مناصراً للإسرائيليين، يمارس سلطته في ميدان الإعلام خاصة، فسبب تصريحه هذا اضطراباً كبيراً في فرنسا، لأنه كشف عن جزء يسير من سيطرة اليهود وقوة تأثيرهم على صنع القرار الفرنسي" ^(٣).

ب- دورهم في الحربين العالميتين الأولى والثانية:

"اليهود هم الموقدون لنيران الحرب العالمية الأولى والثانية، فهم القوى الخفية التي أقمحت بريطانيا في الحرب العالمية الأولى" ^(٤) "وضغطوا على رئيس الوزراء البريطاني حتى أكرهوه على الاستقالة، وعينوا بدلاً منه عميلهم الأكبر ونستون تشرشل، لتنفيذ مخططاتهم، وكل ذلك انتقاماً من هتلر وألمانيا، مستفيدين من عدد اليهود الموجودين في الوزارة، أو العديد من عملائهم" ^(٥)، "وأما تأثيرهم وتحريضهم لأمريكا، فقد مارسوا الضغوطات على الحكومة فيها واجبروا الرئيس روزفلت على زج أمريكا في الحرب ضد ألمانيا، ولم تكن المهمة عسيرة لأن روزفلت نفسه من أصل يهودي، ومحاط بالدهاء اليهودي الذي يسيّر دفة الحكم تارة من وراء ستارة، وتارة أخرى في العلانية" ^(٦).

(١) المرجع السابق (ص ٢٧) بتصرف وما بعدها.

(٢) انظر اليهودية الماسونية (ص ٢٨، ٢٩) للشخص العلامة عبد الرحمن الدوسري، قدم له الشيخ مصطفى العدوي، ورياض بن عبد الرحمن الحقيّل - دار السنة للنشر والتوزيع - الأولى - ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م وانظر المخطط السري للسيطرة على العالم ١٩ - ٢٣ صالح السليمانى - الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع - ط الأولى صفر ١٤٠٧هـ.

(٣) حقيقة اليهود (ص ٣٣) تأليف نخبة من مشاهير العالم - دار النفائس للطباعة والنشر ط. الأولى ١٤٢٥م - ٢٠٠٤هـ.

(٤) المرجع السابق (ص ١٢٢) من خطاب لتولف هتلر ألقاه في ٢٦ نيسان ١٩٤٢م. وانظر الصهيونية من بابل إلى بوش، إيهيم الحارتي (ص ٢٠٢) ودورهم في إشعال الحرب العالمية الأولى، (ص ٢٤٣) دورهم في الحرب العالمية الثانية، دار البشير للثقافة والعلوم - ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

(٥) حقيقة اليهود (٣٧، ٣٦) بتصرف.

(٦) المرجع السابق (ص ٨٣) ط. ثانية فريدة ومنقحة

ت- تحريض الشريف حسين ضد الخلافة العثمانية:

"لقد أدرك اليهود منذ القديم أن الخلافة الإسلامية تمثل العقبة الأولى أمام تحقيق أطماعهم ومن هنا رسموا خطتهم على أساس القضاء على هذه الخلافة، وتحطيم الإمبراطورية الإسلامية في تركيا، كخطوة أولى للوصول إلى تحقيق أغراضهم" (١)، فقاموا بتحريض الشريف حسين ضد الخلافة الإسلامية، عندما وعدوه زوراً وبهتاناً، أن يجعلوه ملكاً على بلاد الحجاز كلها، إذا تمردّ وخرج وحارب ضدها، وفي الوقت نفسه كانت فرنسا وبريطانيا تتفقان فيما بينهما على تقسيم الوطن العربي، من خلال ما يسمى باتفاقية سايكس بيكو، والتي تمخض عنها ما عرف بالانتداب البريطاني على فلسطين، حيث منح بلفور وعده لليهود بإعطائهم وطناً في فلسطين، يقول أ. فؤاد بن سيد الرافي: "لقد اعترف شياطين اليهود الملقبون بالحكاماء، أن ذنب الأفعى اليهودية ثابت في القدس، ورأسها يتحرك في بلدان العالم لينفث السموم القاتلة، لكل من يقف في طريق أطماع اليهودية العالمية، واستمر رأس الأفعى تارة يلدغ وأخرى يكمن ويختفي، لا يكل ولا يمل حتى وصل إلى الخلافة الإسلامية فهدم صرحها الشامخ" (٢).

ث- دور اليهود في حرب الخليج:

تبين من خلال ما سبق أن اليهود هم الذين أوقدوا معظم الحروب في العالم سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، من خلال وسائل التحريض المتعددة التي يمتلكونها، لأجل هذا وقف الباحث على العديد من النصوص التي يرى فيها دورهم في الحرب الأخيرة في منطقة الخليج، بما فيها الحرب العراقية الإيرانية، التي أتت على معظم مقدرات الدولتين، حيث كانت أمريكا وإسرائيل تقومان بدعم إيران بالسلاح، إضافة إلى الحربين الأخيرتين اللتين قادتتهما أمريكا بتحريض من اليهود ضد العراق، وهذه النصوص تبين كيف عاش اليهود حالة من القلق والتوتر بعد أن أصبح العراق قوة يحسب لها ألف حساب في المنطقة، فخشي اليهود على أنفسهم من الجيش العراقي، لأنه هو الذي دمرّ ملكهم قديماً، وسيدمّره مرة أخرى في الكرة القادمة، معتمدين على العديد من النصوص الدينية في أسفارهم، أذكر منها على سبيل القصر وليس الحصر التالي:

وكان إليّ كلام الرب قائلاً: وأنت يا بن آدم عيّن لنفسك طريقين لمجيء سيف ملك بابل من أرض واحدة تخرج الاثنان (٣)، هذا النص يبين أن العراقيين لهم كرتان على اليهود، الأولى

(١) العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية (ص ٨٧) د. سعد الدين صالح مكتبة الصحابة الإمارات - الشارقة

ط الثالثة ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م، وانظر كيف بدأ اليهود بإثارة القلاقل داخل الخلافة الإسلامية (ص ٩٩).

(٢) المرجع السابق (ص ١٠٦، ١٠٧)، وانظر حقيقة اليهود (ص ٣٧) وانظر الخسائر المالية لأمريكا (ص ٣٨).

(٣) سفر حزقيال الإصحاح الحادي والعشرون آية ١٨: ص ١٢٨.

كانت زمن نبوخذ نصر، وهم ينتظرون حدوث الثانية، لذلك لا بد من العمل على تدمير العراق، من خلال إشعال الحروب فيه وتحريض أمريكا ضده، قبل خروج الملك البابلي الثاني، حتى لا تقع الكرة الثانية،" بل لقد وصل الأمر باليهود إلى التنسيق الكامل مع الإدارة الأمريكية في كل شيء" (١).

يقول الدكتور صالح الرقب: "وقد جاء التحريض الثاني على قتال العراقيين في كتابهم المقدس ومن تلك النصوص" اصطفوا على بابل من كل ناحية يا جميع موتري الأقواس، وارموا السهام ولا تقبوا سهماً واحداً، أطلقوا هتاف الحرب عليها من كل جانب فقد استسلمت وانهارت أسسها وتقوضت أسوارها لأن هذا هو انتقام الرب فاثأروا منها وعاملوها بمثل ما عاملتكم، استأصلوا الزرع والحاصد بالمنجل في يوم الحصاد" (٢).

ويرى اليهود حتمية خراب العراق استناداً إلى بعض النصوص لديهم التي تقول: "فها أنا أثير وأجلب على بابل حشود أمم عظيمة من أرض الشمال، فيتألبون عليها، ويستولون عليها من الشمال، وتكون سهامهم كجبار متمرس لا يرجع فارغا (٣) وكذلك نص يقول: يا بنة بابل المحتم خرابها طوبى لمن يجازيك بما جازيتنا به، طوبى لمن يمسك صغارك يضرب برؤوسهم الصخر فتنهشم (٤)، ونص يقول: اصطفوا على بابل من كل ناحية يا جميع موتري الأقواس. ارموا السهام ولا تقبوا منها سهماً واحداً، لأنها قد أخطأت في حق الرب (٥). ونص آخر: أطلقوا هتاف الحرب عليها من كل جانب، فقد استسلمت وانهارت أسسها، وتقوضت أسوارها، لأن هذا هو انتقام الرب، فاثأروا منها، وعاملوها بمثل ما عاملتكم (٦).

ويقول اللواء أركان حرب حسام سويلم: "وتعتبر إسرائيل أن العراق عدو تاريخي منذ عهد نبوخذ نصر وسبي اليهود إلى أرض بابل على أيدي الكلدانيين عام ٥٨٦ ق.م (٧). وأما دورهم في تحريض أمريكا لغزو العراق فيقول الأستاذ علي خليل شقرة: "لقد ثبت أن لأسرائيل واللوبي اليهودي في الولايات المتحدة الأمريكية، دور كبير في خلق أزمة الخليج،

(١) انظر إسرائيل وغزو العراق (ص ٤) لواء أركان حرب حسام سويلم، وانظر الدور الذي لعبته إسرائيل في الحرب، وانظر إلى الدور الإسرائيلي خلال نصف القرن الماضي (ص ٦).

(٢) الحرب على العراق دوافعها وأهدافها (ص ١٠) د. صالح الرقب ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، وانظر سفر إرميا - الإصحاح ١٦:٥٠.

(٣) سفر إرميا الإصحاح ٩:٥٠.

(٤) المرجع السابق (ص ١٠) د. صالح الرقب ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، سفر صموئيل الأول ١٩:٢٢.

(٥) سفر إرميا الإصحاح ١٤:٥٠.

(٦) سفر إرميا الإصحاح ١٥:٥٠.

(٧) انظر إسرائيل وغزو العراق (ص ٤) مرجع سابق.

ودفعها نحو الحرب للاستفادة منها في تدمير قوة العراق العسكرية والإقتصادية والصناعية، لتبقى إسرائيل أكبر قوة عسكرية في المنطقة (١).

ج- إشعال الحروب بين أبناء الشعب الفلسطيني:

ويسجل الباحث ما عاصره وقرأه وشاهد معظمه بعينه، الدور الأخطر لليهود والأمريكان، عندما قاموا بتسليح السلطة الفلسطينية بعد اتفاقيات أوسلو وتزويدها بكل ما تحتاجه من ذخيرة وعتاد، حتى العربات المصفحة وذلك من أجل وقف الانتفاضة، ولو أدى ذلك إلى قتل أبناءها الذين يقاومون اليهود واعتقالهم وتعذيبهم في السجون، وهذا ما حدث بالفعل فقد وقف أفراد الأجهزة الأمنية شرطياً حارساً وأميناً لحماية المستوطنات الإسرائيلية، ومنعت العديد من محاولات المجاهدين القيام بواجبهم تجاه وطنهم تحت ذريعة الالتزام بالاتفاقيات الموقعة، فكانت تحدث بين الحين والآخر بعض الاشتباكات التي يصاب فيها المجاهدون أثناء قيامهم بمهامهم الجهادية، ومن أخطر محاولات إيقاد الحرب بين الفلسطينيين الخطة التي نشرتها المجلة الأمريكية " أفنيرا" والتي تحتوي على العديد من البنود المدمرة للشعب الفلسطيني وتشعل نار الحرب بينه، بدليل أن الذي أشرف عليها مباشرة الرئيس الأمريكي جورج بوش وكلف وزيرة الخارجية كوندوليزا رايس على تنفيذها مع محمد دحلان مسؤول الأمن الوقائي في غزة، وذلك لإسقاط حركة حماس وإنهائها عسكرياً بعدما فازت في انتخابات ٢٣/١/٢٠٠٦م، ومن أهم البنود في تلك الخطة، تزويد الأجهزة الأمنية بالمال والسلاح والمعدات وتقديم الخبرات العسكرية، والسماح لها بالسفر خارج قطاع غزة المحاصر لتلقي الدورات العسكرية المتقدمة، حتى يتمكنوا من سحق قوة الحركة التي ازدادت في الآونة الأخيرة، وبالفعل فقد تم إدخال كميات كبيرة من السلاح والمعدات العسكرية الأمريكية الصنع، على مسمع من اليهود الذين كانوا يمنعون دخول الدواء للمرضى والطعام للمحاصرين في غزة، لكن الله سلم وتم ضبط كل هذه الأسلحة والاستيلاء عليها من قبل المجاهدين المحاصرين في غزة، ليحاربوا بها المحتل وأعدائه، وصدق الله **[كَلِمًا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ]** (المائدة ٦٤) (٢).

(١) انظر دور إسرائيل في حرب الخليج (ص ٦١) دار الإبداع للنشر والتوزيع، ط - الأولى ١٤١٢هـ -

١٩٩١م، نقلاً عن صحيفة الأهالي المصرية تاريخ ١٧/٧/١٩٩١م .

(٢) انظر الملحق رقم (٣) (ص ٤١٣).

المسألة الرابعة: أقوال تبين خطر اليهود في العالم:

أقدم هذه الاعترافات والأقوال لنخبة من سياسي العالم الذين عاصروا اليهود واكتوت شعوبهم وبلادهم بنيرانهم، يعترفون فيها بدور اليهود المدمر على مجتمعاتهم، وخطرهم على العالم.

١- يقول فولتيرا، وهو يبين خبث ومكر اليهود "إن اليهودي متوحش بطبيعته خنوع ذليل كسير إذا ما هبّت الرياح بما لا يشتهي، لكنه وقح متعطر إذا ما صادفه شيء من النجاح، فازدهرت حياته وسيطر، والمهم أنهم أقدار أو غاد وأحط أنزال عرفهم وجه البسيطة الذي اتسخ بوجودهم.^(١)

٢- نيقولا الأول: "إن ما حل بفلاحي هذه المقاطعات في روسيا، من خراب ودمار وفقر، هو من فعل وتخطيط اليهود، الذين يستغلون الجماهير التعيسة، ويستثمرونها إلى أقصى ما يمكنهم، وهم كل شيء هنا، تجار ومتعهدون ولهم أساليبهم البارعة الشيطانية في غش سائر أفراد الشعب وابتزازهم، فيتاجرون بالرغيف حتى قبل حصاد قمحه، ويحسبون تكاليف الحصاد قبل زراعة البذور.^(٢)

٣- ملكة هنغاريا ماريا تريزا (١٧١٧-١٧٨٠) فتقول: "من الآن فصاعدا لن يسمح لأي يهودي مهما كان بالاستيطان هنا دون موافقتي الخفية إنني لا اعرف أي نوع آخر من الحيوانات المشاكسة يعيش في هذه البلاد سوى هذا النوع من اليهود الذي يتعمد إفقار الشعب بالغش والربا والإقراض، بل انه لا يتورع عن القيام بأي عمل يأنف القيام به كل شريف، والخلصة انه من الضروري إزالة هذا النوع من البشر من هذه البلاد بقدر الإمكان"^(٣).

٤- جورج واشنطن وهو يعترف بالخطر اليهودي على أمريكا قائلا: "يفوق تأثيرهم المدمر على حياتنا ومستقبلنا خطر جيوش جميع أعدائنا، بل إنهم أشد وأخطر فتكاً بمائة ضعف من ذلك على حرياتنا، ومن المؤسف له أن ينقضي حيناً من الدهر لم نحاول خلاله مكافحة خطر اليهود والقضاء عليهم، رغم أنهم يشكلون مجموعة من الحشرات التي تفتك بشعبنا، وتؤلف أكبر خطر يمكن أن يهدد استقرار الولايات المتحدة الأمريكية وأمنها"^(٤).

(١) حقيقة اليهود (ص ١٢٠).

(٢) حقيقة اليهود (ص ١٢٣).

(٣) المرجع السابق (ص ١٢٣، ١٢٤).

(٤) المرجع السابق (ص ١٣٤).

٥- لويس التاسع عشر وهو يبين أن قتل اليهود هو الحل للخلاص من شرورهم فيقول: أفضل حجة مع اليهودي أن تغرس خنجرك في معدته^(١).

ثانياً: الإعجاز البياني:

وفيه ثماني مسائل:

المسألة الأولى: أداة تفيد التكرار (كلماً).

أداة تفيد التكرار، واستخدمت لبيان إصرار اليهود وتكرارهم على إشعال الحروب بين الناس، وعدم يأسهم من ذلك، حتى لو فشلوا مرة، فإنهم يواصلون دون كلل أو ملل، قال البقاعي^(٢): يقومون على سبيل التكرار، بإيقاد نار الحرب بين الناس، بإحكام أسبابها وتفتيح جميع أبوابها^(٣).

المسألة الثانية: دلالة التعبير في قول الله (أوقدوا)^(٤).

فعل ماضي، فيه من الحركات الكثيرة التي تدل على النشاط والجد، والكلمة توحى وكأننا أمام كومة من النار المشتعلة، وكلما اقتربت النار من الانطفاء يأتي اليهود ويضعون لها الوقود الذي يضمن لها الاستمرار والاشتعال، لتأكل كل شئ في طريقها وتحوله إلى رماد لا فائدة منه.

قال ابن عاشور: "تركيب أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله " تمثيل شبه به حال التهيؤ للحرب والاستعداد لها ولحزامه أمرها، بحال من يوقد النار لحاجة بها، فتتطفئ، فإنه شاعت استعارات معاني التسعير والحمى والنار ونحوها للحرب، ومنه حمى الوطيس، وفلان مسعر حرب^(٥)، وقال أبو زهرة: "ومهما يكن ما عند العرب من عبارات في هذا، فإن التعبير مجاز إذ عبر عن إثارة الحروب بإيقاد نارها، باعتبار أن الحروب في ذاتها وبما تشتمل عليه من مذابح

(١) اليهود تاريخ إفساد وانهلال ودمار (ص ٢٠١) د. توفيق الواعي، دار ابن حزم.

(٢) البقاعي (٨٠٩هـ) توفي ٨٨٥هـ: هو الإمام برهان الدين إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي المفسر المؤرخ المحدث الأديب ٨٠٩ هـ، توفي ٨٨٥ هـ من أهم مؤلفاته: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور وله ديوان شعر ورسالة ليس بالإمكان أبدع مما كان في الرد على بعض الفلاسفة، والأصل الأصيل في تحريم النقل من التوراة والإنجيل، وله مؤلفات أخرى في التصوف.

معجم المؤلفين مج (٦١/١).

(٣) راجع قول البقاعي في نظم الدرر ٤٩٨/٢ والرسالة.

(٤) وقد: الوقود: الحطب، والوقد: نفس النار، والموقد: موضع النار، الوقود: فعل النار إذا وقدت، ووقدت الصيف: أشده حرأً، والوقود: ما توقد به النار من حطب ونحوه، محروقات تستعمل لتسيير المحركات، مجمع اللغة (ص ٧٥٩) للرازي.

(٥) التحرير والتنوير مج (٥١/٤) مرجع سابق.

بشرية تشبه النار المستعرة، وإن اليهود يوقظون الأحقاد، ويثيرون الفتن ويوقدون نيران الحروب^(١)، أما سيد طنطاوي فقال: "كلما أرادوا حرب الرسول والمؤمنين هبوا الأسباب لذلك وحاولوا تفريق كلمتهم، وإثارة العداوة بينهم، والتعبير بهذه الجملة - أوقدوا ناراً للحرب - جاء على وفق ما جرى عليه العرب، من أنهم كانوا إذا أرادوا حرباً قاموا بالإغارة على غيرهم وأوقدوا ناراً، أسموها نار الحرب، والتعبير على سبيل المجاز، وهو إثارة الحروب بإيقاد نارها، باعتبار أنها تشتمل على مذابح بشرية تشبه النار المستعرة في أخطارها ومصائبها^(٢).

ويرى الباحث أن اليهود يقومون بتغذية الحروب بكل وسيلة ممكنة، ابتداءً بالكلمة التي تفسد العلاقات بين الناس، وتوغر الصدور، إضافة إلى وسائل الحرب والدمار التي تدمر كل شيء، غير عابئين بنتائجها المدمرة المهلكة للحرث والنسل.

المسألة الثالثة: حقيقة النار في قول الله (ناراً).

واستخدم مصطلح النار في بيان خطرها لكثرة استخدامها من العرب وليبان أثرها وخطرها المدمر، قال تعالى: ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ أَنْتُمْ أَشْأَتْمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكَرَةً وَمَتَاعاً لِلْمُقْوِينَ ﴾ (الواقعة ٧١/٧٣) فالعربي الرحال والمسافر لا يستغني عن النار، ويشاهد في كل مرة كيف تآكل النار كل ما يلقي إليها، كذلك الحرب تآكل وتهلك كل ما يستعمل فيها.

تبين مما سبق من أقوال العلماء أن البعض منهم اعتبر إيقاد النار حقيقة، لأن العرب كانوا إذا أرادوا حرباً أو إغارة أوقدوا ناراً سموها نار الحرب، والبعض منهم اعتبر أن التعبير مجازاً، وذلك لبيان الأخطار والآثار المدمرة لنتائجها، فكما أن النار تآكل كل شيء في طريقها وتحوله إلى رماد تذروه الرياح، كذلك فإن الحرب لا تبقى شيئاً ولا تذر، والواقع في ظل التقدم العلمي للصناعات العسكرية يؤكد ذلك.

المسألة الرابعة: دلالة التعبير في قول الله (الحرب)^(٣).

الحرب نقيض السلم، وهي مصدر حَرَبَ بمعنى القتال بين قومين، والمعنى أن اليهود يبحثون عن الأماكن التي تكون آمنة مطمئنة، أو في حالة توتر وعدم استقرار، فيقومون بتغذيتها بكل الوسائل، لتحويلها إلى مجتمعات متناحرة، يأكل بعضها بعضاً.

(١) زهرة التفاسير مج (٥/٢٢٨٢) بتصريف مرجع سابق.

(٢) الوسيط في التفسير مج (٤/٢٨٧، ٢٨٨).

(٣) حَرَبَ الرجل يَحْرِبُ حرباً: اشتد غضبه فهو حَرَبٌ واحترب الحرب: هبَّجها وأثارها، وتحارب الأعداء

واحتربوا: أوقد بينهم نيران الحرب، الوافي ١٢٢ الشيخ عبد الله البستاني مكتبة لبنان.

والحربة: آلة محددة الرأس تستعمل في القتال والحربي المنسوب إلى الحرب. المرام في المعاني والكلام

(ص ٣١١).

المسألة الخامسة: دلالة التعبير في قول الله (أطفأها الله).

أجمع المفسرون على أن التعبير مجازي، وهو عبارة عن إبطال كيد اليهود ومكرهم. قال القرطبي: كانوا كلما استقر أمرهم شنتهم الله وقهرهم ووهن أمرهم وجعلوا فيه خاسرين خائبين مغلوبين^(١)، ولا يعني ما ذهب إليه المفسرون في معنى: أطفأها الله" عدم نجاح اليهود في إيقاد الحروب بين الناس، لأن الماضي والحاضر يثبت أنهم إذا أخفقوا تارة أو أبطل كيدهم، فإنهم ينجحون مرات ومرات، والسبب في ذلك كما قال سعيد حوى رحمه الله: " وما غلبوا في عصرنا في بعض المعارك إلا أنهم يحاربون رايات لم تقم على تقوى ولم تنتصب لإسلام وما غلبوا إلا بحبل الله وحبل الناس^(٢)."

ويرى الباحث أن حبل الله الذي أشار إليه الأستاذ سعيد حوى رحمه الله في قوله تعالى: ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ أَيْنَ مَا تُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلِ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٌ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّاءَ بِغَيْرِ حَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ (آل عمران / ١١٢) أقول إن حبل الله قد انقطع عنهم بسبب الجرائم التي ارتكبوها، وسيأتي الحديث عن ذلك في الفصل الثالث^(٣)، لأن حبل الله لا يمد به من كفر وافترى على الله الكذب وحرف كلماته، ولكن بقي حبل الناس، والذي يتمثل في الدعم المادي والمعنوي من الدول الأجنبية، إضافة إلى الصمت العربي الرسمي تارة، والدعم السياسي والمادي تارة أخرى، مثل مدهم بالبترول والغاز من بعض الحكومات العربية.

المسألة السادسة: قوة التعبير في قول الله (ويسعون في الأرض فساداً).

وحتى نترك خطورة سعي بني إسرائيل بالإنفساد، وأثره على البشرية بشكل عام، وعلى المسلمين بشكل خاص، لا بد من التعرف على المعنى اللغوي لكلا المصطلحين.

١ - السعي لغة^(٤).

سعى سعيًا: عمل في الأمر قام ليقضيه إلى الشخص، وقصد إليه واهتم بتحصيله^(٥). والسعي: هو الإسراع في المشي إذا انصرف عنك وذهب مسرعًا^(٦)، والتعبير يوحي بسرعة اليهود في العمل لإيقاد الحرب ونشر الفساد بين الناس.

(١) الجامع لأحكام القرآن الكريم مج (٣/ ٥٨٥) بتصرف.

(٢) الأساس في التفسير مج (٣/ ١٤٣٧-١٤٣٨).

(٣) انظر الفصل الثالث منهج القرآن في التعامل مع جرائم اليهود (ص ٢٠٤).

(٤) السعي هو المشي السريع وهو دون العدو، ويستعمل للجد في الأمر خيرًا كان أم شرًا، قال تعالى: [وَسَعَى فِي خَرَابِهَا] {البقرة: ١١٤}، وقال [نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ] {التحریم: ٨} المفردات للراغب (٤١١).

(٥) الأساس في التفسير مج (٣/ ٤٥٤).

(٦) الكلبيات (ص ٥٠٩) لأبي البقاء الكفوي، مؤسسة الرسالة ط. ثمانية ١٤١٣هـ-١٩٩٣.

٢ - الفساد لغة^(١)

- الإفساد: هو جعل الشيء فاسداً، خارجاً عما ينبغي أن يكون عليه، وعن كونه منتفعاً به، أو هو إخراج الشيء عن حالة محمودة لا لغرض صحيح^(٢).
- ولفظ فساداً:** وفيه العديد من اللفظات البيانية:
- أ. جاءت بصيغة المصدر وذلك لبيان خطورة فسادهم، فهم أصل فيه.
- ب. أضيف لها حرف الألف زيادة في المبني، لتعطي زيادة في المعنى وهو أن فساد اليهود يزداد ويمتد ليصل إلى كل مكان يوجدوا فيه، فأينما وجد اليهود وجد الفساد بسببهم.
- ج. حروف الفاء والسين: حروف همس وهو جريان النفس ومن ثم انتشاره خارج الفم فكأن الله يريد أن يبين لنا أن فساد اليهود منتشر في الأرض، كما ينتشر الهواء خارج الفم من أثر نطق حرفي الفاء والسين.
- د. ونصب فساداً، لأنه مفعول له، كأنه قال يسعون في الأرض للفساد^(٣).

وبناء على ما سبق فإن الجملة الفعلية - يسعون في الأرض فساداً - تبين حال اليهود وتصور لنا العديد من المشاهد واللقطات الحيّة، المتحركة حركة سريعة متواصلة، تسعى للوصول إلى هدفها، تارة في السر، وتارة في العلن، هذا الأسلوب القرآني الفريد والوحيد الذي يبين كيف يتحرك اليهود بخطوات سريعة، ويكشف عن حقيقتهم وهم يحثون الخطى ليدمروا ويهدموا ما بناه الإنسان، وما بذله من جهد وطاقة بشرية واقتصادية في عملية البناء، يأتي اليهود في خطوات سريعة يفسدونه، ويحولونه إلى دمار وهلاك وقحط، ليحققوا مصالحهم وكأنهم من نسل يأجوج ومأجوج .

٣ - الفرق في التعبير بين (فسد وأفسد).

فسد: فعل ثلاثي غير متعدي بمعنى أنه فاسد في ذاته لا يتجاوز فساده لغيره.

أفسد: على وزن أفعل رباعي متعدي بمعنى أنه فاسد في ذاته مفسد لغيره فساده ينقل إلى غيره، والقاعدة تقول أن الزيادة في المبني زيادة في المعنى، لذلك يتضح للباحث أن الفعل الرباعي أفسد أشد خطراً وأكثر ضرراً من الفعل الثلاثي فسد.

(١) قال الراغب: فَسَدَ فسادًا وُفُودًا، وأفسده غيره: قال تعالى [فَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ] {المؤمنون: ٧١} المفردات (٦٣٦).

(٢) الكلبيات (ص ١٥٤).

(٣) تهذيب اللغة (٣٧٠/١٢) لأبي منصور الأزهرى - الديار المصرية للتأليف وانظر لسان العرب (٤١٢/٣) مرجع سابق.

وبناءً على ما سبق من أقوال العلماء، والتعريفات لمعنى الفساد فإن الله تبارك وتعالى عندما أراد أن يتحدث عن فساد اليهود، وبيان الخطر الذي يهدد البشرية كلها استخدم كلمة فساداً، - نكرة للتكثير - دون تحديد أي نوع منه لأن فسادهم عبر التاريخ يشمل جميع مناحي الحياة، إضافة إلى ما ذكره المفسرون من معاني الفساد، الذي له عدة معاني، منها:

١. خروج الشيء عن الاعتدال قليلاً، ويزاد الصلاح ويستعمل ذلك في النفس والبدن والأشياء الخارجة عن الاستقامة^(١)، والفساد نقيض الصلاح وفسد يفسد وأفسدته^(٢).
٢. البطلان والتغيير: بطل واضمحل بمعنى تغير^(٣).
٣. البوار: فسد الشيء إذا أباره^(٤) فنقول أبار الشيء إذا أهلكه أو أفسده^(٥).
٤. القحط والجذب وعدم خروج الخير: قال تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (الروم/٤١).

٤ - اصطلاحاً:

قال الطبري: الفساد هو الكفر والعمل بالمعصية^(٦).
أبو حيان: هو التغيير عن حالة الاعتدال والاستقامة^(٧).
المنصوري: الفساد يتناول جميع أنواع الإثم، فمن عمل بغير أمر الله فهو مفسد^(٨)، وأضاف قائلاً: يسعون سعي فساد فيما يأتونه من إيقاد الحرب وتهيج الفتن ولم يكن سعيهم للإصلاح والشؤون الاجتماعية بل كانوا يسعون للفساد بين الناس فكانوا يحرضون المشركين على الرسول وكانوا سبباً للغزوات الكثيرة كما أنهم يغرون الدول بعضهم على بعض في هذا الزمان^(٩)، والفساد يختلف عن إيقاد الحروب بين الناس، لكنه أعم لأنه يشتمل على كل جريمة قام بها اليهود، وهذا ما أشار إليه الألويسي قائلاً: "و يجتهدون في الكيد للإسلام وأهله وإثارة الشر والفتنة فيما بينهم مما يغيّر ما عبر عنه بإيقاد نار الحرب^(١٠) ."

-
- (١) مفردات ألفاظ القرآن الكريم للراغب الأصفهاني (ص ٣٧٩) دار المعرفة بيروت-لبنان.
 - (٢) العين (ص ٢٣١/٧) دار الكتب العلمية للمطبوعات بيروت لبنان ط. الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٩٨م
 - (٣) تاج العروس مج (٤٥٢/٢) دار الكتب العلمية بيروت - لبنان ط. الأولى ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م
 - (٤) لسان العرب (٤١٣/٣) مرجع سابق.
 - (٥) مفردات ألفاظ القرآن الكريم (ص ٣٧٩) مرجع سابق.
 - (٦) جامع البيان عن تأويل آي القرآن مج (٢١٢/١) مرجع سابق.
 - (٧) البحر المحيط مج (١٩١/١) مرجع سابق.
 - (٨) المقتطف من عيون التفاسير مج (٣٩/١) مرجع سابق.
 - (٩) المقتطف من عيون التفاسير مج (٥٦/٢) مرجع سابق.
 - (١٠) روح المعاني مج (١٨٣/٣) مرجع سابق .

وقال ابن كثير: إن اليهود من سجيّتهم أنهم دائماً يسعون بالإفساد في الأرض والله لا يحب هذه الصفة.^(١)

ويقول سيد طنطاوي: "أن حال هؤلاء اليهود يجتهدون في الكيد للإسلام وأهله، وأنهم يسعون سعيًا حثيثًا للإفساد في الأرض، عن طريق إثارة الفتنة وإيقاظ الأحقاد بين الناس، والله تعالى لا يحب المفسدين، بل يبغضهم ويمقتهم، لإيثارهم الضلالة على الهدى، والشر على الخير"^(٢)، وذكر الألويسي رحمه الله صنوفًا من فسادهم في التاريخ، وكيف أن الله سلط عليهم من أبطل فسادهم واستأصل شأفتهم أكثر من مرة^(٣)، بينما الشعراوي رحمه الله "ذكر سبب هذا الفساد فقال: "وهم مكبوتون دائماً لأن الله ﷻ لا يمكنهم من كل أهوائهم، لذلك ييغون في الأرض فسادًا بأساليب الاختفاء، ويتطرق إلى بعض الأمثلة على ذلك، بنشأة الماركسية والوجودية والداروينية إضافة إلى الأنظمة السياسية الفاسدة،"^(٤) وهكذا يكون سعيهم بالفساد بين الناس لأن معظم الانحراف الحالي في الكون سببه اليهود.

قال الطبري رحمه الله: "ويعمل هؤلاء اليهود والنصارى بمعصية الله فيكفرون بآياته ويكذبون رسله ويخالفون أمره، وذلك سعيهم في الأرض بالفساد"^(٥).

ويرى الباحث أن ما ذكره العلماء القدامى من معنى فساد اليهود، قليل في حقهم، لأن ما ذكره ربما كان يتناسب مع زمانهم، الذي رأوا فيه فساد اليهود، ووسائلهم في محاربة الرسول ﷺ والدعوة الإسلامية، أو التشكيك في عبادة المؤمنين ومحاولتهم قتل الرسول، إضافة إلى بعض المحاولات التي حاولوا فيها أن يوقعوا بين الصحابة ﷺ من الأوس والخزرج، لكن الحقيقة التي تنطق بالحق أن وسائلهم تختلف من زمان إلى زمان، ومن مكان إلى مكان، لأن القرآن لم يذكر تلك الوسائل التي يستخدمونها لتحقيق أهدافهم والتعبير القرآني - يسعون - يدل على ذلك لأنها توحى بالعمل المستمر والمتواصل دون انقطاع، حتى وصل بهم الفساد والإجرام إلى قتل أطفال غير المسلمين، من دول العالم، من ذلك اكتشاف السلطات البريطانية قيام اليهود من عام ١١٤٤م وحتى ١٢٩٠م، بخطف الأطفال واستنزاف دمائهم، لحاجة رجال الدين كميات من الدماء البشرية، لممارسة طقوسهم الدينية،

(١) تفسير القرآن العظيم مج (٢/٧٦) بتصرف.

(٢) الوسيط في التفسير مج (٤/٢٨٨).

(٣) روح المعاني مج (٢/١٨٣) بتصرف.

(٤) المرجع السابق مج (٦/٣٢٧١).

(٥) جامع البيان عن تأويل آي القرآن مج (٤/٦٤٤).

وكانت جريمة مدينة اكسفورد^(١) في هذا المجال، هي التي هيجت الشعب البريطاني، فثار ضد الجالية اليهودية، مما شكل ضغط على الملك ادوارد ليستجيب لثورة شعبه ضد المرابين، اليهود الذين امتصوا دمائهم وسرقوا أموالهم، من خلال الربا، فأصدر أمرًا بمحاكمة المتهمين في مذبحه اكسفورد، وبعد إدانتهم أصدر مرسومًا ملكيًا بطرد جميع أعضاء الجالية اليهودية، وتحريم عودتهم إلى بريطانيا^(٢)، وحددت مهلة لتنفيذ المرسوم، إلا أن الجماهير لم تصبر فهاجمت الجالية اليهودية وأحرقوا بيوتهم وممتلكاتهم ونهبوها، إضافة إلى حرق ٥٠٠ يهودي في قلعة تيورك^(٣)، ولعل هذا من الأسباب التي جعلت بريطانيا تمنح وعد بلفور لليهود بمنحهم فلسطين وطنًا لهم ليتخلصوا من إفسادهم وإجرامهم على حساب الشعب الفلسطيني!!.

المسألة السابعة العلاقة بين إيقاد الحرب والإفساد في الأرض:

يلخص الباحث العلاقة بينهما في النقاط التالية:

- أ- كلا الصفتين مدمرة للحرب، مهلكة للنسل ولجميع موارد الشعوب، لأن الحروب تحشد فيها كل الطاقات والإمكانات فتكون النتيجة الفساد، وإصلاح الفساد يحتاج إلى طاقات وإمكانات هائلة وسنوات عديدة.
- ب- بين الصفتين عموم وخصوص، فالإفساد في الأرض عام يشمل كل أنواع الفساد، بما فيها إيقاد الحرب، وأما الأخيرة فهي فساد خاص، وتقدم في الآية لفظًا، لبيان آثاره وخطورته في الميدان على المتحاربين.

المسألة الثامنة : بعض أنواع فساد اليهود:

١. الفساد العقائدي:

ويمكن العودة لما قاله الشعراوي في تفسيره وهو يبين أن معظم الأفكار الإلحادية كالتشيوعية والفرودية وغيرها من الأفكار الوضعية من صنع اليهود^(٤)، وهذه بعض الآيات التي

(١) أكسفورد مدينة ذات حكم محلي، تقع في مقاطعة أكسفورد في إنجلترا، يبلغ عدد سكانها ١١٥،٠٠٠ نسمة. والمدينة مقر جامعة أكسفورد التي تعتبر من أقدم المعاهد الثقافية في أوروبا. وتقع مدينة أكسفورد على نهري شيروبيل، والتايمز على بُعد ٨٠ كم شمال غربي لندن. وتقع على ضواحي المدينة معامل الفولاذ المضغوط، ومصانع السيارات، ومن المعالم الشهيرة في أكسفورد متحف أشموليان، ومكتبة بودليان، وحدائق النباتات. ومن الأبنية المهمة في هذه المدينة رادكليف كاميرا، ومسرح الشلدونيان، وهو المبنى الذي تقام فيه مختلف احتفالات الجامعة الرسمية. الموسوعة العربية العالمية (ص ١) شارك في إعدادها أكثر من ألف عالم ومؤلف، ومترجم ومؤلف وم اجع علمي وغير ذلك من جميع البلدان العربية.

(٢) موسوعة تاريخ اليهود (ص ٢٣٧) بتصرف، محمود شاكِر - دار أسامة للنشر والتوزيع - دار الأردن عمان - ط - الأولى ٢٠٠٣م.

(٣) المرجع السابق (ص ٢٣٨).

(٤) انظر أقوال الشعراوي مج (٥/٣٢٧١) مرجع سابق.

تحدث عن فسادهم العقائدي قال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عَزِيرَ ابْنِ اللَّهِ ﴾ وقوله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُوبَةٌ غَلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلَعِنُوا بِمَا قَالُوا ﴾ (المائدة/٦٤) وقوله: ﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ ﴾ (آل عمران/١٨١).

٢. الفساد الاقتصادي:

قال تعالى: ﴿ وَأَخَذَهُمُ الرَّبُّ وَقَدْ تَهَوَّأُوا عَنْهُ وَأَكَلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَاعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ (النساء/١٦١)، وقال تعالى: ﴿ سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكْأَلُونَ لِلسُّخْتِ ﴾ (المائدة/٤٢) وقال تعالى: ﴿ وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْبَاثِمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكَلِهِمُ السُّخْتِ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ (المائدة/٦٢).

وقد اعترف اليهود بفسادهم الاقتصادي الصريح، عندما قالوا لا يجب أن نمتنع عن الرشوة والغش والخيانة، وعقب الأستاذ فؤاد سعيد الرفاعي قائلاً: "لذلك انتشرت الرشوة والخيانة وظهر الغش في المعاملات، وبهذا دب الفساد والحقد بين الناس، وهم الذين أنشئوا البنوك الربوية في كل مكان بأسماء وطنية، وخضعت جميع الدول لضغط الرأسمالية اليهودية قبل البنك الدولي، لذلك فالأزمات الاقتصادية التي تصيب العالم بين حين وآخر، مثل رفع قيمة الدولار، وتخفيض سعر الذهب، وبالعكس أكبر شاهد على ذلك^(١).

ومن أخطر الوسائل في إفسادهم الاقتصادي اعتمادهم على الأعمال السهلة التي تدر ربحاً وبيعاً بلا عمل، كفتح البنك من أجل الربا، وفتح حانات وخمارات في أي دولة يعيشون فيها^(٢).

٣- الفساد الأخلاقي:

إن الفساد الأخلاقي لدى اليهود يعتبر منهج حياة بالنسبة لهم، بل هو عقيدة يمارسونها لا تتفك عن سلوكهم، لذا فقد اتخذوه وسيلة لتحقيق أهدافهم، في تدمير المجتمعات حتى يسهل عليهم السيطرة عليها، ويسعون جاهدين لنشره في كل مكان من العالم، ولهم بذلك أساليبهم المتنوعة للفرد أو الأسرة، مروراً بالمجتمعات وصولاً إلى أعلى المستويات في الدول، كالرؤساء والملوك، قديماً وحديثاً.

(١) حقيقة اليهود (ص ٤٣) بتصريف.

(٢) كل شيء عن اليهود (ص ٤٨) بتصريف محمد سعيد مرسي ط. ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣ حقوق الطبع محفوظة للمؤلف.

أما قديماً: فمن أشهر ذلك في تاريخهم تلك المرأة اليهودية أستيرا، التي استطاعت بجمالها وإغرائها أن توقع بين أحد ملوك الفرس ووزيره هلمان، من خلال اتهام الأخير بأنه يحاول السيطرة على الملك، وبسبب ما قامت به أصبح لها شأن عظيم عند اليهود فسمّوا أحد أسفارهم باسمها.

أما حديثاً: حدث ولا حرج عن فسادهم، " فاليهود يهيئون كل أسباب الترف عن طريق شركاتهم المنتجة للكماريات المختلفة، المتجددة بأشكالها وألوانها، لتسلب ثروات البشر وتبقيهم في كد وعناء من أجل تحقيق شهواتهم، لذلك فهم يسيطرون على دور الأزياء والتعري والشركات المنتجة للأفلام الإباحية، ويسعون لمسح الرجل وتعريّة المرأة بتلك الوسائل تدريجياً" (١).

يقول الأستاذ يحيى الدجني: " ومما يوضح هذه الأخلاق الذميمة ما وصفه حاخامات اليهود من شعائر وطقوس تلمودية واجبة تحقق لهم غاياتهم الدنيئة، ذلك الحمام الذي يتوجب إحضار العروس له بحضور ثلاثة من الربانيين - حسب زعمهم - وتحت أنظارهم وقد أثار بن غوريون وغيره هذه الفضيحة عام ١٩٦٤م حيث اختلف المتحررون وغيرهم حول ما إذا كان يتوجب على العروس أن تكون عارية تماماً أو يستر شيء من عورتها حياء من أنظار الحاخامات" (٢).

٣. الفساد السياسي:

منذ فجر التاريخ إلى يومنا هذا واليهود يسعون جاهدين للوصول إلى الأنظمة بالعديد من الوسائل الخبيثة التي يمتلكونها، دون وازع من دين أو ضمير (٣)، ولتحقيق أهدافهم قالوا: إلى أن يأتي الوقت الذي نصل فيه إلى السلطة سنحاول أن نعيش ونضاعف خلايا الماسونيين الأحرار في جميع أنحاء العالم، وفي هذه الخلايا سنضع الحبال والمصائد (٤)، ومن وسائل اليهود في الفساد السياسي استخدام النساء للوصول إلى صاحب السلطان، في البلاد التي يهاجرون إليها وعندئذ يسعون إلى تقطيع الأوصال، وإفساد الثقة بين الرئيس الأعلى للبلاد وبين أعوانه وأنصاره ووزرائه ومستشاريه، حتى يقع الجميع فريستهم، لأنه متى تقطعت الأوصال واختلت الثقة ظن كل منهم بالآخر، وعندئذ عمل كل منهم على تدبير المكائد لئلا (٥).

(١) الخطر الصهيوني على العالم الإسلامي (ص ٤٩) بتصرف، ماجدا الكيلاني، الدار السعودية للنشر والتوزيع - ط الثانية ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م .

(٢) التحدي الصهيوني للدعوة الإسلامية في العصر الحديث (ص ٣٩) ، ط الأولى.

(٣) مكائد يهودية عبر التاريخ (ص ٢٠٦) وما بعدها، وانظر إلى وسائلهم في الغزو الفكري (ص ٣٠٩) من نفس المرجع.

(٤) حقيقة اليهود (ص ٤٦) مرجع سابق.

(٥) مكائد يهودية عبر التاريخ (ص ٢١٥) بتصرف رجع سابق.

ومن أخطر الفساد السياسي ما يسمّى بالحكم الذاتي فيقولون: " يكفي أن يعطى الشعب الحكم الذاتي لفترة وجيزة، حتى يصبح رعايا بلا تمييز، فتبدأ المنازعات والخلافات لتتحول بسرعة إلى معارك اجتماعية، فتندلع النيران في الدول ويزول كل أثر لها، من خلال القلاقل الداخلية أو الحرب الأهلية ليسهل على العدو الخارجي السيطرة عليها، وفي كلتا الحالتين تكون قد خربت نهائياً كل الخراب وحينئذ تقع في أيدينا^(١)، ولقد ترجم اليهود هذه الأقوال إلى أفعال، من ذلك العمل على قلب أنظمة الحكم التي لا تتعاون معهم من خلال إمداد المعارضين لتلك الأنظمة بالمال والذهب وغيره، وهذا ما حدث مع ملك بريطانيا إدوارد الأول، عندما انقلب عليه عميل يهودي يسمّى - أوليفر كرومويل - وقاد ثورة ضد التاج البريطاني بمساعدة يهود^(٢)، وكذلك في فرنسا، عندما اكتشفت السلطات الفرنسية في عام ١٧٨٥م في مقر المحفل الماسوني الذي يرأسه اليهودي - ماندلسون - وثائق ومخططات سرية، تشير إلى أن اليهود والماسون يسعون لقلب نظام الحكم في فرنسا^(٣).

ثالثاً: الفاصلة، أهميتها، جمالها:

١. الفاصلة: ﴿ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (المائدة/ ٦٤) .
٢. أهميتها: جاءت أهمية الفاصلة بعد أن تحدث القرآن الكريم عن العديد من صفات اليهود وجرائمهم التي تبين جزءاً من إفسادهم في سورة المائدة في قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْفَمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ قُلْ هَلْ أُنبِئُكُمْ بِشَرِّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْفِرْدَ وَالْحَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ وَإِذَا جَاءَ وَكُمُ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ لَوْلَا يُنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَالْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلًّا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (المائدة/ ٥٩، ٦٤) .

(١) بروتوكولات حكماء صهيون وتعاليم التلمود (ص ٥٨) منشورات دار الفنون - بيروت - لبنان

شوقي عبد الناصر ط - الأولى ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م بيروت.

(٢) موسوعة تاريخ اليهود (ص ٢٣٨) بتصرف مرجع سابق.

(٣) المرجع السابق (ص ٢٤٧) .

هذه الآيات تتحدث عن العديد من فساد اليهود، ليحذرهم المؤمنون وغيرهم، ومع ذلك بينت الفاصلة استمرارهم في الفساد، كذلك جاءت لترد على مزاعم اليهود، بقولهم أنهم أحباب الله وأوليائه، فجاءت لتقول ليس الأمر كما تدعون، بل أنتم فاسدون ومفسدون، والله لا يحب الفساد، وإذا كان الله لا يحب الفساد فمن باب أولى لا يحب المفسدين، لأن اليهود مصدر الفساد كما سبق بيانه.

٣. جمالها: جاء الجمال في الفاصلة من خلال التعبيرات التالية:

- أ. كلما، أوقدوا، ناراً، للحرب، أطفأها الله كل ذلك لبيان صفاتهم القبيحة وما يترتب عليها من أفعال مهلكة للحرث والنسل.
- ب. يسعون، فساداً، وفي ذلك سرعة الفعل، لبيان الغاية التي من أجلها يسعى اليهود، والجملة الفعلية حالية لبيان استمرار فسادهم المتجدد زماناً ومكاناً.
- ج. لفظ الجلالة الذي يلقي الرهبة في القلوب، وللفت الانتباه لما سيأتي بعده من الكلام.
- د. لا يحب الفساد، وفي ذلك رد على كل مزاعمهم التي ادعوا فيها أنهم أبناء الله، وأحبابه.

رابعاً: اللطائف البيانية.

١. والله لا يحب الفساد فيها إشارة إلى إفشال مخططات اليهود الإفسادية، وطالما أن الله لا يحبها لا يكتب لها النجاح.
٢. بيان صفات اليهود القبيحة، والنتائج المدمرة على المجتمعات البشرية قاطبة، وعلى المسلمين خاصة.

المطلب الثامن: الغلو في الدين وعداوة المؤمنين:

وفيه فرعان:

الفرع الأول: الغلو في الدين:

قال تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَصْلُوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ لَعْنُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ (المائدة ٨٧، ٨٨).

أولاً: التفسير الإجمالي:

ينادي القرآن على أهل الكتاب من اليهود والنصارى ناهياً إياهم عن مجاوزة الحد في حكمهم على عيسى ابن مريم، سواء النصارى الذين أحبوه فرفعوه من منزلة البشر إلى منزلة الألوهية، أو اليهود الذين أبغضوه فحطوا من قدره ومكانته واتهموا أمه بالزنا وتعاملوا معه بناء

على ذلك، فنهاهم عن إتباع أهل الضلالة والهوَى الذين ضلوا وأضلوا وتجاوزا حد الاعتدال بسبب أهوائهم فاستحقوا الطرد من رحمة الله.

أقوال المفسرين في الغلو: أجمع المفسرون على أن الغلو هو مجاوزة حد الاعتدال في الحكم على الأشياء، وأضاف الرازي: "والغلو نقيض التقصير، ومعناه الخروج عن الحد وذلك لأن الحق بين طرفي الإفراط والتفريط ودين الله بين الغلو والتقصير" (١).

وفيه أربع مسائل:

المسألة الأولى: غلو اليهود والنصارى في عيسى:

١. **غلو اليهود، اتهموا سيدتنا البتول المصطفاة مريم بالزنا وهذا غلو الكره** (٢)، وغالوا في عزيز فقالوا: ﴿عَزِيزٌ ابْنُ اللَّهِ﴾ (التوبة/٣٠)، قال أبو السعود: "وأما غلو اليهود في حط رتبة عيسى ﷺ، ورميهم له بأنه ولد لغير رثده (٣)، وبمثله قال النسفي (٤)، والشوكاني (٥).

قال عبد الله شحاتة: "وغلو اليهود مبالغتهم في الطعن في عيسى حتى اتهموه وأمه بما لا يليق (٦)"، وبمثله قال الزحيلي (٧)، وقال أبو زهرة: وقد تجاوز اليهود الحد في شأن عيسى عليه السلام فأنكروا رسالته، لعنة الله عليهم واتهموا أمه البتول (٨)، وقال ابن عاشور: "قال اليهود طولبوا باتباع التوراة ومحبة رسولهم، فجاوزوه إلى بغض الرسل كعيسى ومحمد ﷺ" (٩).

٢. **غلو النصارى:** قال الشوكاني: النهي عن الإفراط تارة والتفريط أخرى، فمن الإفراط غلو النصارى في عيسى حتى جعلوه ربا، وقول بعضهم هو ابن الله وقول بعضهم ثالث ثلاثة (١٠).

(١) التفسير الكبير مج (١١-١٢/ج٢-٦٢).

(٢) الشعراوي مج (٥/٢٨٦١) بتصرف.

(٣) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم مج (١/٦١٢) مرجع سابق.

(٤) تفسير النسفي مج (١/٢٩٦) دار إحياء الكتب العربية، هو النسفي: ٦٠٠هـ - ٦٨٧هـ: هو محمد بن محمد بن محمد أبو الفضل برهان الدين النسفي عالم بالتفسير والأصول والكلام، من الأحناف سكن بغداد وتوفي بها، له مؤلفات عديدة منها: الواضح في تلخيص تفسير الرازي، والأصول في علم الجدل. الأعلام للزركلي مج (٧/٣١) دار العلم للملايين - بيروت - لبنان - ط الثامنة ١٩٨٩م.

(٥) فتح القدير مج (١/٦٩٠) دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

(٦) تفسير القرآن العظيم مج (٣/١٠١) مرجع سابق.

(٧) التفسير المنير مج (٤-٤٤/٥) مرجع سابق.

(٨) زهرة التفاسير مج (٤/١٩٧٨) مرجع سابق.

(٩) التحرير والتنوير مج (٤/٥١) مرجع سابق.

(١٠) فتح القدير مج (١/٦٩٠) بتصرف، وانظر أقوال النصارى في عيسى مج (١/٦٩١) المرجع السابق.

المسألة الثانية: أنواع الغلو:

قال الزمخشري: والغلو في الدين غلوّان:

غلو حق : وهو أن يفحص عن حقائق ويفتش عن أبعاد معانيه ويجتهد في تحصيل حججه كما يفعل المتكلمون من أهل العدل والتوحيد رضوان الله عليهم.

غلو باطل: "وهو أن يتجاوز الحق ويتخطاه بالإعراض عن الأدلة، وإتباع الشبه كما يفعل أهل الأهواء والبدع"^(١)، وأيده في رأيه هذا الشوكاني^(٢)، والسّمين الحلبي^(٣).

ويرى الباحث أن الزمخشري قد جانب الصواب في تقسيمه للغلو إلى حق وباطل وذلك

للسباب التالية:

١. لم يأت على قوله بدليل شرعي ولا عقلي، وأما تعريفه للغلو بأنه فحص عن الحقائق وتفتيش عن المعاني واجتهاد في تحصيل الحجج، ثم تناؤه على أهل التوحيد واعتبار ذلك من التوحيد، فهذا لا يسمّى غلوّاً وإنما يسمى اجتهاداً، أو بحثاً عن الحقائق وأسرارها في ملكوت الله.

٢. لم يرد الغلو في القرآن والسنة النبوية إلا في سياق النهي والتحذير من اعتقاده، وذلك لشدة خطره على المغالين وعلى المجتمع الذي يوجد فيه الغلو وأهله.

٣. المقياس في الغلو هو الخروج عن حدّ الاعتدال وعدمه، ويضاده التوسط في الشيء، ويعني أفضله، قال تعالى: ﴿وَكذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ (البقرة/١٤٣) بين الأمم لا إفراط ولا تفريط، لذلك يبدأ الغلو مع بداية الخروج عن هذه الوسطية، إما إفراطاً وإما تفريطاً، وهذا الخروج مذموم، وهو نسبة وتناسب يزداد بزيادة خروجه، قال الشعراوي: "كل شيء له وسط وله طرفان، وعندما يمسك شخص طرفاً نطلب منه ألا يكون هناك إفراط ولا تفريط"^(٤)، فإن خرج عن الوسط فهو مذموم، لأنه إما أفرط أو فرط لأنه خروج عن حد الاعتدال.

المسألة الثالثة: أسباب الغلو:

١. الإفراط الزائد في المحبة وهذا ما حدث مع النصارى فألّهوا عيسى، و بعض فرق الشيعة أله علياً ﷺ، وبعض فرق الصوفية آمنوا بفكرة الحلول^(٥)، والإتحاد^(٦).

(١) الكشف مج (١/٣٥٧)، وانظر التفسير الكبير للرازي مج (١١-١٢/٢-٦٣) مرجع سابق.

(٢) فتح القدير مج (٢/٨٣) مرجع سابق.

(٣) الدر المصون في علم الله المكنون مج (٤/٣٨٠) دار القلم ط الأولى ١٤٠٧ هـ، ١٩٨٧ م.

(٤) الشعراوي مج (٥/٢٨٦٠) مرجع سابق.

(٥) معنى الحلولية زعموا أن الحق تعالى حل في مخلوقاته وهذه حلولية عامّة، أو حل في بعض مخلوقاته وهي حلولية خاصة. وهذه العقيدة تخرج صاحبها من الملة الإسلامية والعباد بالله.

(٦) الإتحاد: هو اتحاد الخاق بالمخلوقات، بحيث لا يوجد إلّا واحد، وهذا كفر بعينه.

٢. الإفراط الزائد في البغض : وهذا ما حدث مع اليهود عندما اتهموا مريم بالزنا، وعيسى عليه السلام بابن الزانية، وكذلك الخوارج عندما كفروا علياً رضي الله عنه ، إضافة إلى جماعات التكفير والهجرة التي كفرت الحاكم والمجتمع وذلك جهلاً أحياناً، وإفراطاً في بغض الحاكم حيناً آخر بسبب ما لاقوه من اضطهاد وظلم في سجونهم.

٣. الفهم الخاطيء، وهذا ما حدث مع العديد من الجهلة والسفهاء والمقلّدين والإمعة.

٤. الاعتماد على العقل وتقديمه على النقل، وهذا ما حدث مع المعتزلة، عندما غالوا في التنزيه، فوقعوا في التعطيل، والمجسمة غالوا في الإثبات فوقعوا في التشبيه.

قال الشيخ إسماعيل البروسي: واعلم أن الغلو والمبالغة في الدين والمذهب، حدّ يجاوز حدّه غير مرضي عنه، كما أن كثيراً من هذه الأمة غالوا في مذهبهم، فمن ذلك الغلاة من الشيعة في أمير المؤمنين علي أبي طالب رضي الله عنه حتى ادعوا ألوهيته، وكذلك المعتزلة غالوا في التنزيه حتى نفوا الصفات، فوقعوا في التعطيل، والمشبّهة غالوا في الإثبات حتى جسموه، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.^(١)

٥. إتياع الأهواء والشهوات، التي نتج عنها العديد من الضلالات والنزاعات قال تعالى: ﴿ وَاللّٰهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا ﴾ (النساء/٢٧)، وقال تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾ (المائدة/ ٧٨) .

المسألة الرابعة: تحذير الرسول صلى الله عليه وسلم من خطر الغلو:

لقد حذر الرسول صلى الله عليه وسلم أمته من خطر الغلو والأضرار التي يمكن أن تقع فيها أمته وما يمكن أن يترتب على ذلك من فرقة وضعف، واتهامات باطلة، من تكفير وفسق... الخ فقال: (لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم ، وقولوا عبد الله ورسوله)^(٢)، وعن ابن عباس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إياكم والغلو في الدين فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين) ، وعن عبد الله بن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (هلك المتنتعون قالها ثلاثاً)^(٣).

(١) روح البيان في تفسير القرآن مج (٢/٣٣٣) بتصريف، مرجع سابق.

(٢) خ – ك أحاديث الأنبياء – ب قول الله واذكر في الكتاب مريم (ج/٣/١٢٧١ رقم ٣٢٦١).

(٣) م – ك العلم – ب – هلك المتنتعون (رقم ٤٨٢٣)، المتنتعون: هم المتشدّون المتجاوزون الحدود في أفهامهم وأقوالهم ، شرح النووي ب – هلك المتنتعون مج (٩/٢٦).

ثانياً: الإعجاز البياني:

وفيه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: دلالة التعبير بـ (الهُوى).

١. أهواء: جمع هوى^(١)، وذلك لبيان أن الغلو ليس له مستند علمي، وإنما هو قائم على ميل النفس ومزاجها، وجاء الجمع لبيان تعدد الغلو وأسبابه، وهوى الشيء هو الذي سقط من علو إلى أسفل^(٢)، وهذا يدل على سرعة انحراف المغالي في دينه، وكذلك نهاية صاحب الهوى الخسران، قال الشعراوي: " وكل كلمة - هوى - في القرآن جاءت في مجال الخسران والضلال، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ (ص ٢٦) وقال: ﴿ وَاتَّبِعْ هَوَاهُ فَتَرْدَى ﴾ (طه/١٦)^(٣).

المسألة الثانية: الفرق في التعبير بين (ضلّوا - أضلّوا).

أ. ضلّ: فعل ثلاثي غير متعدّ، بمعنى أن الضلال خاص بالضال وحده، لا يتعدى إلى غيره.
ب. أضلّوا: فعل رباعي متعدّ، زائد في المبني ليزداد المعنى، بمعنى أن المضل ضال في نفسه مضل لغيره، لذلك فهو أخطر من الفعل ضلّ، فاليهود منهم من ضلّوا، ومنهم من أضلّوا غيرهم.

قال البغوي: "ضلّوا، رؤساء الضلالة من فريقي اليهود والنصارى، أضلّوا: من اتبعهم على أهوائهم، ضلّوا عن سواء السبيل: عن قصد الطريق بالإضلال، فالضلال الأول من الضلالة، والضلال الثاني بإضلال من اتبعهم^(٤).

أما الفخر الرازي: قسمهم إلى ثلاث أقسام بثلاث درجات قائلاً:

الأول: أنهم كانوا ضالين من قبل في أنفسهم.

الثاني: ثم انتقلوا من الضلال إلى إضلال غيرهم، ليزدادوا في الضلال أكثر.

الثالث: استمروا على حالهم، حتى إنهم وصلوا لمرحلة لم يكونوا فيها أبعد من الله من الحالة الثالثة، وبناءً على ذلك فالفرق بين حالهم في الضلال الأول، أنهم كانوا في بداية الضلال، وكان بالإمكان العودة عن ذنبهم، أما عندما وصلوا للحالة الثالثة، فقد ابتعدوا كثيراً عن الله

(١) وهو ما تدعو إليه شهوة النفس، انظر معالم التنزيل مج (١٧٠/٢) مرجع سابق.

(٢) المعجم العربي الأساسي (ص ١٢٧٩) مرجع سابق.

(٣) تفسير الشعراوي مج (٣٣٢١/٥) مرجع سابق.

* فتهلك، انظر أيسر التفاسير مج (٢٦٥/٣) مرجع سابق.

(٤) معالم التنزيل مج (١٧٠/٢) مرجع سابق.

وأصبحوا دعاة ضلال يعملون لذلك، والذي جعلهم كذلك اعتقادهم أن الضلال الثالث رشاد وحق^(١).

المسألة الثالثة: العلاقات بين الآيات:

هناك العديد من المناسبات الجميلة في الآيات السابقة منها:

١. الآية التي في سورة النساء تتحدث عن غلو النصارى، ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِنَّا الْحَقُّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْفَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾ (النساء/ ١٧١).
- والآيات في سورة المائدة تتحدث عن غلو اليهود، ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرِ فَعْلُوهُ لِبُئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ (المائدة/ ٧٨-٧٩).
٢. الآية التي في سورة النساء ذكرت الغلو دون بيان سببه، وأمّا الآية التي في سورة المائدة بينت بعض أسباب الغلو وهو الهوى والضلال، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾ (المائدة/ ٧٧).

ثالثاً: الفاصلة، هدفها، جمالها.

١. الفاصلة: قوله تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [المائدة/ ٧٨].
٢. هدفها: جاءت الفاصلة بعد الحديث عن عدة أنواع من غلو اليهود، واتباعهم لأهواء بعض، استحق عقوبة اللعن، وكذلك بينت أن هذا اعتداءً على حقوق الغير، لا ينبغي لمن نزل عليه كتاب من السماء أن يقع فيه، وإلا فهو معتدي، فاليهود في جرائمهم التي ارتكبوها، فيها اعتداء على حقوق الآخرين، لذلك استحقوا اللعنة.
٣. جمالها: جاء الجمال في الفاصلة واضحاً في النقاط التالية:
 - أ. ذلك: اسم إشارة أفاد البعد، لكنه هنا يفيد التشنيع على من كان الغلو صفاته، لتنفير المستمع من هذه الصفة القبيحة، أو أنه استبعاد لمن نزل عليه كتاب من الله أن يقوم بما قام به بنو إسرائيل، قال الألوسي: أفاد اسم الإشارة البعد للإيذان بكمال فظاعته وبعد درجته في الشناعة والهول^(٢).

(١) التفسير الكبير مج (١١-١٢/ ج ٢/ ٦٣) بتصرف.

(٢) روح المعاني مج (٣/ ٢١٢).

ب. بما: الباء سببية، وما، اسم موصول بمعنى الذي أفادت الشمول، والمعنى أن اللعن كان بسبب كل المعاصي التي وقعوا فيها خصوصاً الغلو في الدين.

ج. جاءت الفاصلة مفسرةً لمعنى الغلو، من خلال الاعتداء على نبي الله عيسى وأمّه الصديقة، كأنها تقول لليهود الذين كرهوا عيسى، أنتم اعتديتم في حكمكم عليه، وارتكبتم كبيرة من الكبائر استحققت عليها الطرد من رحمة الله.

د. وجملة يعتدون: جاءت الجملة الفعلية المتجددة حالية تبين أن الاعتداء أصل لدى اليهود، وهذا حالهم مع الناس الآخرين، لأن أصل الفعل عادى يعادي معاداةً وعداءً فهو معادٍ، واعتدى يعتدي اعتداءً، معتدٍ: هاجمه وضربه، واعتدت دولة على أخرى هاجمتها عسكرياً^(١)، إذا فالفعل يرسم صورة العداء والاعتداء المصحوبة بالإعداد والتخطيط والهجوم على الغير، لأنه فعل متعدي، وصدق الله عندما وصفهم بذلك الوصف القبيح المجرم، الذي يدل على ابتدائهم العداء مع غيرهم، وهذا هو واقعهم، وتلك طباعهم قديماً وحديثاً.

ج. الجمع بين الفعلين، (الماضي - عصوا - والمضارع - يعتدون).

قال الأوسي: وأفاد الجمع بين الفعلين النية والإصرار والاستمرار بارتكابهم الجريمة ذاتها^(٢)، يؤكد ذلك الجملة الفعلية يعتدون، لأنها تصف الحال التي كانوا عليها.

رابعاً: اللطائف البيانية.

١. "عرض القرآن بهم حيث إنهم خالفوا كتبهم التي بين أيديهم"^(٣)، "وللإيماء بأنّ في كتابهم ما ينهاهم عن الغلو"^(٤).

٢. الابتعاد عن أصحاب الأهواء والبدع والأفكار المنحرفة خوفاً من الوقوع في الضلالات.

٣. المضل والمفسد يحمل أوزار من أضلهم وأفسدهم قال تعالى: ﴿وَلِيَحْمِلْنَ أَثْقَاهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيَسْأَلَنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ (العنكبوت / ١٣) وقال: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّوهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ﴾ (النحل / ٢٥).

٤. ناداهم بأهل الكتاب ليذكروهم بتعاليم التوراة والإنجيل التي تتنافى مع الغلو لعلمهم يعودون للاعتدال.

(١) المعجم العربي الأساسي (ص ٨٢٧، ٨٢٨)، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - جماعة من كبار اللغويين العرب.

(٢) روح المعاني مج (٢١٢/٣) مرجع سابق.

(٣) التفسير الوسيط مج (٥٢٧/٣) مرجع سابق بتصريف.

(٤) روح المعاني مج (٢١٠/٢) بتصريف دار الفكر.

الفرع الثاني: عداوة المؤمنين:

قال تعالى: ﴿ وَكَانَ تَرْصِي عَنكَ الْيَهُودُ وَكَانَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَكَانَ نَصِيرٍ ﴾ (البقرة/ ١٢٠) ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودُ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ (المائدة/ ٨٢) .

أولاً: علاقة الآيات بما قبلها:

هذه الآية من سورة المائدة جاءت نتيجة طبيعية وحتمية تبين شدة وخطورة اليهود على المؤمنين، لأن الآيات قبلها تتحدث عن العديد من جرائم اليهود من الآية ٧٦ إلى ٨١ وذلك لتفجير المؤمنين من اليهود وتحذيرهم، حتى لا يكون تقارب بينهم، قال أبو السعود: "جملة مستأنفة مسوقة لتقرير ما قبلها من قبائح اليهود وأكدت بالقسم اعتناءً ببيان تحقيق مضمونها^(١) .

ثانياً: التفسير الإجمالي:

أخبر الحق تبارك وتعالى حبيبه محمد ﷺ أن اليهود والنصارى لن يرضوا عنه وعن دينه وأمته إلا إذا تركوا دينهم واتبعوا ملة اليهود والنصارى ثم بين له أن الهدى والطريق المستقيم هو ما بينه الله له في كتابه ، لأنه قائم على الحق وأما ما هم عليه فائقم على الأهواء لذلك حذره الله تعالى من ذلك بأنه وأمته لو اتبعهم فسوف يفقد النصره والتأييد من الله ﷻ ، وأن عدم الرضا هذا نابع من كراهية اليهود للمؤمنين بسبب حقدهم عليهم.

وفيه أربع مسائل:

المسألة الأولى: أسباب عداوة اليهود للمؤمنين:

منذ اللحظة الأولى التي وصل الخبر فيها لليهود عن بعثة الرسول اتخذ اليهود موقفاً معادياً للرسول ودعوته بشتى الوسائل والأساليب الظاهرة والباطنة، وهذا ما يؤكد التاريخ الأسود لليهود قديماً وحديثاً، لأنه حافل بالعديد من مواقفهم العدائية على جميع الأصعدة، وفي شتى المجالات، ومن تتبع عدائهم في مكة والمدينة يجد أن هناك خطة ممنهجة اتخذها اليهود للصد عن سبيل الله، وبيان عدائهم للرسول ودعوته، ومن أهم هذه الأسباب الحقد والحسد.

المسألة الثانية: أسباب عداوة المشركين للمؤمنين:

لقد ذكر الدكتور عبد الله شحاتة العديد من الأسباب قائلًا:

(١) إرشاد العقل السليم مج (٢/٧٩) يتصرف، انظر روح المعاني مج (٤/١٢٠).

١. إن عداوة المشركين للمسلمين معروفة السبب ، فالمشرك لا يؤمن بالله الواحد، والمؤمن يؤمن بالله الواحد الخالق ، فلا عجب أن يحمل المشركون العداة للمؤمنين لاختلاف مناهج ومعتقدات وتصورات الطرفين للإلوهية.

٢. الخوف على السلطان، لأن مشركي مكة كانوا على جانب من الغنى والجاه والسلطان والجبروت، ورأوا أن الإسلام يحد من طغيانهم وجبروتهم، وما اعتادوا عليه من استغلال للضعفاء، إضافة إلى أنهم كانوا يرون هم أحق بالرسالة لمكانتهم الاجتماعية والاقتصادية، والسياسية، ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ (الزخرف / آية ٣١)، لذلك جاهروا بالعداء للإسلام والمسلمين واستمروا يؤذونهم حتى أخرجوهم من ديارهم وصادروا أموالهم^(١).

٣. الأنانية المتأصلة فيهم لأنهم يزعمون أنهم أبناء الله وأحباؤه، وأرادوا أن تبقى النبوة فيهم لا تنتقل لغيرهم، رغم كل الصفات القبيحة التي وصفهم القرآن بها.

المسألة الثالثة: بداية عداوة اليهود للمؤمنين:

كان اليهود يعرفون أن رسولاً سيبعث في جزيرة العرب قد ظل زمانه، وكانوا قبل البعثة يستفتحون على المشركين من العرب ويتوعدونهم بأن يؤمنوا به، ويقتلونهم قتل عاد وادم، ولما بعث ﷺ كانوا أول من كفروا به وناصبوه العداة حسداً من عند أنفسهم قال تعالى: ﴿ وَمَا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ (البقرة / ٨٩).

المسألة الرابعة: مواقف من عداة اليهود للمؤمنين:

١. من المعلوم تاريخياً في كتب السيرة أن اليهود سكنوا المدينة المنورة، ولم يكن لهم تواجد في مكة، بحيث يشكل النبي عليهم أي خطر أو ضرر، إلا أنهم أوعزوا إلى نفر من المشركين أن يسألوا الرسول ﷺ ثلاثة أسئلة على سبيل التعجيز والتشكيك^(٢)، فكانت هذه البداية.

٢. وحين هاجر الرسول إلى المدينة واتخذها مركزاً لنشر دعوته، رأى اليهود أن الدين الجديد قد أصبح منافساً خطيراً يوشك أن يقضى على نفوذهم وينتزع الزعامة الدينية التي كانوا يطمحون إليها، فكرهوا الرسول ودعوته حسداً من عند أنفسهم، ولقد كشف القرآن

(١) انظر تفسير القرآن العظيم عبد الله شحاته مج (٤/ ١١٦٠) بتصرف.

(٢) قال المفسرون: إن اليهود اجتمعوا فقالوا لقريش حين سألوهم عن شأن محمد وحاله، اسألوا محمد عن الروح وعن فتية فقتلوا في أول الزمان، وعن رجل بلغ شرق الأرض وغرب، فإن أصاب في ذلك كله فليس بنبي وإن لم يجب في ذلك فليس نبياً، وإن أجاب في بعض ذلك وأمسك عن بعضه فهو نبي فسألوا عنها، فأنزل الله في شأن الفتية: "أم حسبتم أن أصحاب الكهف إلى آخر القصة، ونزل في الروح قوله تعالى " ويسألونك عن الروح" راجع أسباب النزول لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري ٤٦٨هـ - ص ١٦٣ دار الفكر للطباعة والنشر الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

عن مكنون صدورهم فقال للمؤمنين: ﴿إِنْ تَمَسَسَكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضْرِبْكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ (آل عمران / ١٢٠) هذه النفس الحاقدة لم تخف بغضها للمسلمين، خصوصاً عندما رأوا العرب الذين كانوا يهددونهم قبل البعثة يدخلون في الإسلام، فأخذوا يكيدون للمسلمين بالدس والإرجاف ثم بالمراء والجدل فيما يعلمون وما لا يعلمون، وكانوا إذا سألوا عن شئ مما في كتبهم حرفوا الكلم عن مواضعه ولبسوا الحق بالباطل ليكسبوا بذلك عطف المشركين، وبسبب هذه المواقف من اليهود نعى القرآن عليهم قائلاً: ﴿بِسْمَا اسْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغِيّاً أَنْ يُنَزَّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بَعْضَ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ (البقرة / ٩٠).

ومن عداوتهم للمؤمنين تشكيكهم في دينهم، من خلال تظاهرهم بالإيمان أول النهار وكفرهم به في آخر النهار وذلك للصد عنه.

٣. وهذه بعض آيات القرآن الكريم تبين اليسير من الكثير، من مواقف اليهود قال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ (البقرة / ١٠٩) ﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجَهَ النَّهَارَ وَكَفَرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (آل عمران / ٧٢)، ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ﴾ (المائدة / ٥٩)، ﴿وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ﴾ (المائدة / ٦١).

٤. ولقد ذكر د. توفيق الواعي العديد من صنوف الإيذاء وطرق الشر التي اتخذها اليهود ضد الرسول ودعوته، قائلاً: "هذا من أخطر مظاهر العداة التي قام بها اليهود خصوصاً أن الذين تظاهروا بالإسلام من كبار أئمة اليهود فقالوا لبعضهم: " ادخلوا في دين محمد أول النهار وقلوا نشهد أن محمداً صادقاً، فإذا كان آخر النهار فاكفروا وقلوا إنا رجعنا إلى علمائنا وأخبارنا فسألناهم، فحدثونا أن محمداً كاذباً، وأنكم لستم على شيء وقد رجعنا إلى ديننا فهو أحب إلينا من دينكم، لعلمهم يشكون فيقولون هؤلاء كانوا معنا أول النهار فما بالهم، فأخبر الله عز وجل رسوله بذلك^(١)، قال الطبري: "أعطوهم الرضا بدينهم أول النهار، واكفروا آخره، فإنه أجدر أي يصدقكم ويعلموا أنكم قد رأيتم فيهم ما تكرهون وهو أجدر أن يرجعوا عن دينهم^(٢)، قال أبو زهرة:

(١) اليهود تاريخ إفساد وانهلال (١٣٤، ١٣٥) دار بن حزم بدون طبعة.

(٢) جامع البيان مج (٣/٣٠٩-٣١٠) مرجع سابق.

"هؤلاء المظلون الذين أكل الحسد قلوبهم دعا بعضهم بعضاً أن يظهروا الإسلام ، وكأنهم طلاب حقيقة فإن رجعوا استطاعوا أن يجتذبوا معهم بعض ضعفاء الإيمان، ويبدوا للمتأمل أن المقصود بأول النهار وآخره أنهم يريدون أن يسلموا حيناً من الزمان حتى تتم الثقة بهم والاطمئنان إليهم ثم يكفروا من بعد ذلك على ألا يستغرق إظهار الإسلام إلاّ أمداً يستطيعون فيه جلب الثقة إليهم، ويكون حينئذٍ التعبير كله من قبيل الاستعارة التمثيلية سيقت لتصوير سرعة الرجوع وإظهار الكفر" (١).

ثالثاً: الإعجاز البياني:

وفيه سبع مسائل:

المسألة الأولى: قوة التعبير في قول الله (لتجدن).

اللام للقسم والنون توكيدية، وذلك اعتناءً ببيان تحقيق مضمونها^(٢) لبيان استحالة رضى اليهود عن النبي ودعوته " وإشعاراً بصعوبة إجابتهم إلى الحق^(٣)، لتقرير ما قبلها من قبائح اليهود وبيان عراقتهم في الكفر وسائر أحوالهم الشنيعة التي من جملتها موالاتهم للمشركين. واستخدام الفعل المضارع المؤكد بالنون الثقيلة يدل على استمرار عداوة اليهود في الحاضر والمستقبل مع التأكيد على ذلك كذلك الفعل - تجد - يوحي بتحويل العداة المعنوي إلى الشيء المادي الملموس بالحواس، وكأنه من شدة وضوحه أصبح ملموساً للرسول والمؤمنين فيلمسونه بجميع حواسهم، ويرى ابن عاشور أن الوجدان قلبي وهو من أفعال العلم^(٤). وهذا القول يؤكد ما ذهبت إليه، لأن الإيجاد بالقلب مقدمة للإيجاد بالحواس، قال أبو زهرة: " هذا المعنى المادي للفعل - تجد - فيها معنى توكيد العداوة لأن النبي يجدها محسوسة وواضحة في المعاملات التي تقع بينه وبين اليهود، وبينه وبين المشركين^(٥).

المسألة الثانية: دلالة التعبير في قول الله (عداوة).

جاءت نكرة للتكثير، وليبين أن اليهود لا هم لهم إلاّ عداوة المؤمنين يبحثون عنها بأي طريقة كانت، ولا يمكن أن يكون بينهم وبين المؤمنين إلاّ العداة، قال أبو السعود: " واللام الداخلة على الموصول متعلقة بعبادة، مقوية لعملها، ووصفوا بذلك لتضاعف كفرهم، وانهماكهم في إتباع الهوى وتمرنهم على التمرد والاستعصاء

(١) زهرة التفاسير مج (٣/ ١٢٧٢، ١٢٧٣) بتصرف.

(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم مج (٢/ ٧٩) وانظر روح المعاني مج (٤/ ج١/ ٢).

(٣) البحر المحيط مج (٤/ ٥٩).

(٤) التحرير والتنوير مج (٤/ ج٢/ ٦).

(٥) زهرة التفاسير مج (٥/ ٢٣٢٤) مرجع سابق.

والتجرؤ على الأنبياء^(١)، وأضاف أبو حيان: "إشعار بصعوبة إجابتهم إلى الحق لذلك قل إسلام اليهود^(٢)."

المسألة الثالثة: دلالة تقديم اليهود على المشركين في العداوة.

قال أبو السعود: "إشعاراً بتقدمهم عليهم في العداوة من حيث الخطورة وتكرار الجرائم وخطورة الأسلوب وصعوبة استجاباتهم للحق^(٣)، قال الزمخشري: "وصف الله شدة شكيمة اليهود وصعوبة إجابتهم إلى الحق، وجعلهم قرناء المشركين في شدة العداوة للمؤمنين، بل نبه على تقدمهم فيها بتقدمهم على الذين أشركوا، وكذلك فعل في قوله ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ (البقرة/٩٦) ولعمري إنهم كذلك وأشد^(٤)، وجاءت تمييزاً، وذلك لبيان تمييز عداوة اليهود والمشركين عن غيرهم، وتقديم اليهود، لبيان إقدامهم وتمييزهم عن المشركين في عداوتهم للمسلمين^(٥)."

المسألة الرابعة: اللام في الاسم الموصول (للذين) بماذا تعلق وما فائدتها؟

قال الزمخشري: تعلقت بعداوة ومودة و على أن عداوة اليهود التي اختصت المؤمنين أشد العداوات وأخطرها، وأن مودة النصارى التي اختصت المؤمنين أقرب المودات وأدناها وجوداً وأسهلها حصولاً^(٦) فيكون المعنى، والله إن اليهود يكرهون الناس جميعاً، ولكن كرههم للمؤمنين أكثر وأشد، ويحتمل المعنى أنهم يكرهون المؤمنين أكثر من كره الناس جميعاً، بدليل نصب عداوة على أنها تمييز نسبة إلى أشد الناس^(٧)، ويرى الباحث أن تاريخ اليهود والنصارى يؤكد ما ذهب إليه الزمخشري رحمه الله لأن عدد اليهود الذين دخلوا في الإسلام قليل جداً، بالنسبة لعدد النصارى اللذين أسلموا ولا زالوا يدخلون الإسلام حتى في عصرنا الحالي، يعدون بالملايين في أمريكا وأوروبا.

المسألة الخامسة: تقديم عداوة اليهود على النصارى:

وتقديم اليهود على النصارى في النص دليل على بداية وخطورة عداوتهم، وجرأتهم في التعدي على الغير، لأنهم دائماً هم المعتدون، انظر كيف بدئوا العداوة مع الرسول في المدينة^(٨).

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم مج (٨٠/٢) بتصرف.

(٢) البحر المحيط مج (٥/٤) مرجع سابق.

(٣) المرجع السابق (ص ٨٠).

(٤) الكشاف مج (٦٣٧/١) بتصرف، مرجع سابق.

(٥) روح البيان مج (٤٣٣/٢) مرجع سابق.

(٦) الكشاف ٣٥٩/١ مرجع سابق.

(٧) التحرير والتنوير، مج (٤/٦٢).

(٨) روح البيان في تفسير القرآن مج (٨-٢/١) مرجع سابق.

المسألة السادسة: سر أفراد الهدى^(١) وجمع الهوى^(٢).

أفرد الهدى لأنه يمثل منهج الله ولا طريق للحق سواه، ولأن سالكه يسير بخطوات واضحة وسليمة توصله إلى هدفه وصلاحه في الدنيا والآخرة، قال الشعراوي: "والهدى هو الطريق المستقيم الواضح الذي يوصلك إلى الغاية من أقصر طريق لأن هدى الله طريق واحد^(٣)، وجمع الهوى أهواء لأنها تدل على تعدد أهل الباطل ومناهجهم، وسرعة تقلبهم وزوالهم، لأن اعتمادهم على هوى النفس ومزاجها سيكون سبباً في ذلك، إضافة إلى سرعة السقوط من علو إلى أسفل، وهذا ما حدث عند انهيار الإمبراطوريات خصوصاً الإتحاد السوفيتي، وهذا ما ننتظره من سقوط المعسكر الغربي، وعلى رأسه أمريكا وطفلتها المدللة المسمّاة إسرائيل.

المسألة السابعة: أدوات النفي والفرق بينهما (ن و لا).

أ- لن: أداة نفي للحاضر والمستقبل تفيد التينيس من إمكانية رضي اليهود عن المؤمنين.
ب- لا: أداة نفي للحاضر فقط دون الإشارة إلى المستقبل، لذلك استخدم القرآن مع اليهود أداة النفي لن لاستحالة رضاهم عن المؤمنين، واستخدم مع النصارى أداة النفي لا، لاحتمال رضاهم عن المسلمين ولأنهم أقلّ عداوة، إضافة لأن العديد منهم أسلموا، قال الشعراوي: "تلاحظ تكرار النفي وذلك حتى نفهم أن عدم رضي اليهود غير عدم رضي النصارى ولو عطف النصارى على اليهود بدون لا، لكان معنى ذلك أنهم مجتمعون على عدم رضئ واحد، أو متفقون لكنهم مختلفون بدليل أن الله تعالى قال: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ ﴾ (البقرة/ ١١٣) ، لذا فلو صادفت رضي اليهود فلن ترضى عنك النصارى، ولو صادفت رضي النصارى لن ترضى عنك اليهود^(٤).

رابعاً: اللطائف.

(١) الهدى: بضم الهاء وفتح الدال، الرشاد والدلالة، هداه هدى، وهدياً وهداية، وهدياً، بكسرهما: أرشده فهدى واهتدى، وهداه الله الطريق. القاموس المحيط (١٢١٠)، وقال الشعراوي: الهدى هو ما يوصلك إلى الغاية من أقصر طريق، أو هو الطريق الواضح مج (١/ ٢٦٥) مرجع سابق.

(٢) هوى: الهاء والواو والياء أصل صحيح يدل على خلو وسقوط، أصله الهواء بين الأرض والسماء، سمي الخلو، وكل خال هواء، قال تعالى: [وَأَفْنَدْتَهُمْ هَوَاءً] {إبراهيم: ٤٣} أي خالية لاتفى شيئاً، وهوى الشئ: سقط، وهواية: جهنم لأن الكافر يهوى فيها، والهواية كل مهواة، والهوة: الوهدة العميقة، والهوي: ذهب في انحدار. معجم المقاييس في اللغة (١٠٥٧) أحمد بن فارس بن زكريا المتوفي ٣٩٥هـ، حققه شهاب الدين أبو عمرو - دار الفكر للطباعة والنشر - ط الثانية ٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م، والهوى ما تريده النفس باطلاً بعيداً عن الحق، الشعراوي مج (١/ ٥٦٢) مرجع سابق.

(٣) تفسير الشعراوي مج (١/ ٥٦٢) مرجع سابق.

(٤) تفسير الشعراوي مج (١/ ٥٦١) بتصرف مرجع سابق .

١- في قوله ﴿ وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ ﴾ (البقرة/ ١٢٠)، نفي قاطع لما يسمى في هذا العصر تقارب الأديان، لأن الدين واحد لا يتعدد، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَنْ يُبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (آل عمران ٨٥).

٢- طريق الحق والصواب طريق واحد هو الإسلام لأنه هو الهدى، وما دونه من طريق باطل قائم على الهوى والأمزجة.

٣- عند الحديث عن عداوة اليهود والنصارى لابد من التفريق بينهما، لأن اليهود في عداوتهم أخطر وأشد

٤- أهوائهم: إشارة لما عليه اليهود والنصارى من أفكار وأراء باطلة وأنها من تعاليم البشر وأصحاب الهوى، وفيه أيضاً سرعة زوال هذه الأفكار وسقوطها مهما عمرت.

٥- يرى الألوسي^(١) والشوكاني^(٢) وغيرهما^(٣) أن الخطاب للرسول وغيره، وأضاف الشوكاني قائلاً: ثم أتبع ذلك بوعيد شديد لرسول الله إن أتبع أهوائهم وحاول رضاهم وأتعب نفسه في طلب ما يوافقهم ويحتمل أن يكون تعريضاً لأمتهم وتحذيراً لهم، "أن يقعوا في شئ من ذلك أو يدخلوا في أهوية أهل الملل ويطلبوا رضي أهل البدع"^(٤).

والذي يراه الباحث ما ذكره الألوسي من أن الرسول كان حريصاً على إيمان اليهود والنصارى، فكان يلاطفهم رجاء أن يسلموا فنزلت هذه الآيات، فهذا يدل على رحمته وبراعة أسلوبه الدعوي، فلا يستحق عليه التهديد والوعيد، ولا علاقة لهم بإتباع ملة اليهود ولا النصارى ولا يتطلب لا تهديداً ولا وعيداً، كما قال الشوكاني: "حتى لو كان خلاف الأولى لنزل القرآن يعاتب كعادته ولا يهدده، واعتبر الألوسي أن الخطاب من باب المبالغة في تقنيط النبي ﷺ، من إسلام مالا غاية ورائهم، فإنهم حيث لم يرضوا عنه ﷺ"^(٥).

(١) روح المعاني مج (١/ج١/٣٧١) مرجع سابق.

(٢) فتح القدير مج(١/١٨٤) مرجع سابق.

(٣) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم مج (٢/٧٩) مرجع سابق.

(٤) فتح القدير مج(١/١٨٤) مرجع سابق.

(٥) روح المعاني مج (١/ج١/٣٧٠) بتصرف.

المطلب التاسع: حب الذات وتبرير الجرائم:

وفيه فرعان:

الفرع الأول: حب الذات:

قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِيَّا مَنْ كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (البقرة / ١١١)، وقال تعالى: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (آل عمران / ٧٥) وقال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ﴾ (المائدة / ١٨) .

أولاً: التفسير الإجمالي:

تحدث هذه الآيات عن عنصرية اليهود وأنانيتهم في ادعائهم أنهم وحدهم الذين يستحقون دخول الجنة دون غيرهم، وبمثلهم قال النصارى، لكن القرآن الكريم بين أن أقوالهم هذه ليست قائمة على علم شرعي، أو عقلي وإنما هي مجرد أماني وأحلام يتمنونها، تدلل على حب ذاتهم، وهذا يدفعهم لتبرير كل ما ارتكبوه من جرائم مدعين أن الله سمح لهم بذلك لأنهم أبناء الله وأحباؤه.

قال الزمخشري رحمه الله: "وقالت اليهود لن ندخل الجنة إلا من كان هوداً وقالت النصارى لن يدخل الجنة إلا من كان نصارى، فلف بين القولين ثقة بأن السامع يرد إلى كل فريق قوله آمنة من الإلباس، لما علم من التعادي بين الفريقين وتضليل كل واحد منها لصاحبه" (١)، وأضاف النسفي: "ألا ترى إلى قوله تعالى: "وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وهي أمانيهم ألا ينزل على المؤمنين خيراً من ربهم، وأن يروهم كفاراً وألاً يدخل الجنة غيرهم" (٢)، وقال سيد طنطاوي: "حكاية لما صدر عن الفريقين من أقاويل فاسدة ودعاوي باطلة يدل على سفاهة عقولهم، وبلاغة تفكيرهم ومقصود الفريقين بقوله تعالى: حكاية عنهم نحن أبناء الله وأحباؤه، وهو المعنى المتضمن مدحاً، وحاصل دعواهم أن لهم فضلاً ومزية عند الله على سائر الخلق، والذي حملهم على هذا القول الباطل جهلهم بما اشتملت عليه كتبهم وتخبطهم في الكفر والضلال وفهمهم السقيم لمعاني الألفاظ" (٣).

(١) الكشف مج (٨٨/١) مرجع سابق وانظر إرشاد العقل السليم مج (١/١٧٥).

(٢) النسفي مج (٦٩/١) بتصرف.

(٣) التفسير الوسيط مج (٤/١٢٤، ١٢٥) مختصراً.

قال أبو زهرة: "والقول بالترتيب الجماعي، فاليهود قالوا لن يدخل الجنة إلا من كان يهودياً، والنصارى قالوا لن يدخل الجنة إلا من كان نصرانياً، وإلا فكل فريق لا يؤمن بالآخر، فاليهود لا يعترفون بالنصرانية، وهم الذين عادوا المسيح وحرصوا على قتله، وإن كان الله تعالى قد نجاه من دسّمه وشبهه عليهم^(١)."

يرى الباحث أن التاريخ يثبت ويؤكد عداوتهم لبعض فالرومان والنصارى ارتكبوا في حقهم مجازر دموية في بلاد الشام بلغت آلاف القتلى واليهود قبل ذلك مكروا وأفسدوا ضد الرومان، وأشعلوا نيران الحروب بينهم قديماً وحديثاً.

قال أبو زهرة: "الجمع يدل على أنه أمنية كل واحد بعينه، فجمعت للدلالة على عموم التمني، وذلك لأنهم يحكمون لأنفسهم بأمانيتهم، لا بأعمالهم، بما يتمنونه لا بما يتخذون لنيله الأسباب"^(٢).

قال ابن عاشور: والإخبار عنها بصيغة الجمع إما لأنها كانت أمنية كل واحد منهم، فصارت إلى أمانى كثيرة، وإما إرادة أن كل أمانيتهم كهذه، ومعتقدهم فيها، فيكون من التشبيه البليغ^(٣).

ثانياً: الإعجاز البياني:

وفيه مسألة واحدة: (استخدام حرفي العطف والنفي، واسم الإشارة).

١- حرف – الواو – حرف عطف على ما سبقها من أمانى اليهود في قوله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (البقرة/١٠٩)، والعلاقة بينهما أن هذه الآية التي تتحدث عن الحسد، بينت السبب الذي من أجله قال اليهود ليس علينا في الأميين سبيل، لأن الحسد هو الذي أعمى قلوبهم فجعلهم يقولون لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً.

٢- حرف النفي – لن – يفيد نفي الحاضر والمستقبل، والمقصود به أن قول كل منهما في حق الآخر – لن يدخل الجنة – نفي في الحاضر والمستقبل، وهذا يعني أن اليهود والنصارى القدامى والحاليين لن يدخلوا الجنة، ﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ وَإِن تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ (الأفقال/١٩).

(١) زهرة التفاسير مج (١/٣٦٥). مرجع سابق.

(٢) زهرة التفاسير مج (١/٣٦٦) مرجع سابق.

(٣) التحرير والتنوير مج (١/٦٧٤) مرجع سابق.

٣ - تلك - اسم الإشارة يستخدم للتأنيث يدل على البعد، والتهكم بهم قال البقاعي: ولما كانوا أبعد الناس عن هذه الأمانى التي تمنوها لأنفسهم لمنابتهم لما عندهم من العلم، والتي حسدوا فيها المؤمنين، لأن ذلك فضل الله يؤتية من يشاء، قال مشيراً إلى بُعدهم عن ذلك على وجه الاستئناف، معترضاً بين يدي الدعوى وطلب الدليل عليها تعجلاً لتوهيتها مستخدماً أداة البعد - تلك - تهكماً بهم^(١).

الفرع الثاني: تبرير الجرائم:

قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (آل عمران / ٧٥) .

أولاً: التفسير الإجمالي:

هذه جريمة جديدة من جرائم اليهود، تكشف عن عنصريتهم، واختلاقهم الأعذار، في تبرير الجرائم بأي طريقة كانت، إضافة إلى أن هذه الجريمة مركبة من العديد من الجرائم، منها خيانة الأمانة، والكذب على الله، وتبرير الجريمة مع علمهم المسبق أنهم كاذبون في ذلك، وأنهم محاسبون على فعلها، ومع ذلك تجرئوا على أموال المسلمين الأميين كما يسمونهم، الذين كان بينهم بيع وشراء قبل الإسلام، ولما أسلموا رفض اليهود أن يؤدوا لهم أموالهم وحقوقهم، قائلين لهم مدعين: لا لوم علينا ولا إثم في ذلك، لأننا نفذت تعاليم الله، قالوا ذلك كذباً وافتراءً، فرد الله عليهم، أن ما تدعونه كذب وافتراء، بل ستحاسبون عليه أيها الخائنون الأفاكون، قال ابن كثير: "إنما حملهم على جحود الحق أنهم يقولون ليس علينا في ديننا حرج في أكل أموال الأميين، وهم العرب، فإن الله قد أحلها لنا، وقد اختلقوا هذه المقالة وانتفكوها بهذه الضلالة، فإن الله حرم عليهم أكل الأموال إلا بحقها"^(٢)، قال السدي: "كان يقال لليهودي، ما بالك لا تؤدي أمانتك؟ فيقول ليس علينا حرج في أموال العرب، قد أحلها الله لنا، وأضاف قائلاً: بايع اليهود رجالاً من المسلمين في الجاهلية، فلما أسلموا تقاضوهم بقية أموالهم، فقالوا ليس لكم علينا حق، ولا لكم عندنا قضاء، لأنكم تركتم دينكم وتنقطع العهد بيننا وبينكم"^(٣)، وكانوا يستحلون ظلم من خالفهم في دينهم^(٤).

(١) نظم الدرر مج (ج/١/٢٢٢) بتصرف.

(٢) تفسير القرآن العظيم مج (١/٣٧٤) مرجع سابق.

(٣) رسالة دكتوراة مرويات السدي، د. زكريا الزميلي الجزء الأول (ص ٣٩١).

(٤) معالم التنزيل في محاسن التأويل مج (١/٣٠٤) مرجع سابق.

ثانياً: الإعجاز البياني:

وفيه خمس مسائل:

المسألة الأولى: قوة التعبير في قول الله (قائماً).

الجملة الاسمية الحالية، لبيان الحالة التي يجب أن يكون عليها المسلمون، من ضرورة قيامهم بكل وسائل القيام، من الرصاصة إلى أحدث ما توصل إليه العقل البشري من سلاح، للحفاظ على حقوقهم وحمايتهم من خيانة اليهود، والرباط على الثغور، لأن المسلمين إذا سهت عيونهم، أو غفلوا لحظة عن حقوقهم فإن اليهود يستغلونها وينفذوا فيها بعضاً من جرائمهم. قال معظم المفسرين: استثناء مفرغ من أعم الأحوال أو الأوقات، أي لا يؤده إليك في حال من الأحوال، أو في وقت من الأوقات، إلا في حال دوام قيامك، أو في وقت دوام قيامك على رأسه، مبالغاً في مطالبته، بالتقاضي والترافع، وإقامة البينة^(١)، قال سيد طنطاوي: "لا يؤده إليك في حال من الأحوال أو في وقت من الأوقات، إلا في حال أو في وقت مداومتك على طلبه، والإلحاح في ذلك، واستعمال كل الوسائل للوصول إلى حَقِّك"^(٢).

وعلى ضوء ما سبق يتبين للباحث أن القيام على اليهود لحفظ حقوق المسلمين، وتجنب خيانتهم، من أوجب الواجبات، يتطلب من المسلمين أمرين مهمين:

الأول: له علاقة بحال المسلمين وقيامهم على المطالبة بحقوقهم بثتى الوسائل المشروعة، ودون قيود، وأهمها فهم الواجب الشرعي، إضافة إلى الاستعداد النفسي لهذا القيام.

الثاني: له علاقة بعامل الزمن الذي يجب أن يبقى فيه المسلمون قائمون بمطالبة حقوقهم ليل نهار حتى يستعيدوها، فإن غفلت عيونهم، أو فترت همهم، ضاعت حقوقهم.

المسألة الثانية: لماذا عبر عن الحجة بقول الله (سبيل).

(١) إرشاد العقل السليم مج (٣٧٧/١) مرجع سابق، وانظر فتح القدير مج (٤٥٦، ٤٥٥) وانظر روح المعاني مج (٢/٢ج/٢٠٢).

(٢) التفسير الوسيط مج (١٩٧/٢).

وكان اليهود يقولون للأميين ليس لديكم حجة تستخدمونها ضدنا، فنلزمنا بالتوقف عن عنصريتنا، لأنها تنفيذ لتعاليم التوراة ضد من ليس من ملتنا.
قال ابن الجزري: ليس علينا في شأن من ليس من أهل الكتاب، ولمك يكونوا على ديننا عتاب^(١).

المسألة الثالثة: أهمية التعبير بالجملة الفعلية (يقولون).

الجملة الفعلية الحالية، لبيان استمرار تبرير الجرائم التي يرتكبونها ضد غيرهم من الأميين، فكلما ارتكبوا جريمة برروها، لأن العنصرية في قلوبهم، تسري في دمائهم، ملازمة لسلوكهم.

المسألة الرابعة: أهمية التعبير بالجملة الاسمية (وهم يعلمون).

١- جاءت الجملة الاسمية، تأكيداً على أن الجرائم التي يرتكبونها ضد غيرهم، عن علم مسبق مع سبق الإصرار والترصد، وليس عن جهل في الحكم أو تأويل في النص، لأنهم يعلمون التالي:

- أ- يعلمون أنهم على الباطل ، والمسلمون على الحق.
- ب- يعلمون أنه مطلوب منهم أن يكونوا أمناء وأوفياء، مثلما أمرتهم التوراة، بدليل أن منهم من إن تأمنه بقطار يؤده إليك.
- ت- يعلمون أن المبرر الذي قدموه لتبرير عنصريتهم وجريمتهم كذب على الله أولاً، وعلى المسلمين ثانياً، لا يرتقي لمستوى الحجة المقنعة، لكنه الكبر والعناد، الذي قال عنه الرسول: " وَلَكِنَّ الْكَبِيرَ مَنْ بَطَرَ الْحَقَّ وَغَمَصَ النَّاسَ ^(٢) .

قال الشعراوي: يعلمون العقوبة التي تلحق بمن يكذب على الله، ورغم ذلك كذبوا^(٣).

٢- لماذا لم يحدد ماذا يعلمون؟ لقد حذف الحق في هذه الآية المفعول به فلم يقل يعلمون كذا، وذلك ليعم الفهم، لأنه يريد أن يبلغنا بأن هؤلاء يعلمون أن قولهم كذب^(٤)، ويريد من العقل

(١) التسهيل في علوم التنزيل مج(١/ج٢/١١١) بتصريف.

(٢) ت - ك - البر والصلة عن رسول الله - ب - ما جاء في الكبر مج (٣/ ١٩٠ / رقم ١٩٢٢)، جزء من حديث عن عبد الله بن مسعود

(٣) الشعراوي مج (٣/١٥٤٩).

(٤) الشعراوي مج(٣/١٥٤٥) مرجع سابق.

أن يستحضر العديد من كذب اليهود وجرائمهم، وأقوالهم الكثيرة سواء في حق الله أو المؤمنين.

المسألة الخامسة: قوة الترابط، وجمال التعانق في آيتين:

﴿ لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ ﴾ (سورة آل عمران/ من الآية ٧٥) .

﴿ بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ (سورة آل عمران/ ٧٦).

هناك العديد من العلاقات الحميمة، والترابط القوي الوثيق بين الجمل والتعبيرات الدقيقة

تتمثل في التالي:

الآية الأولى: ادعاء كاذب من اليهود يبررون فيه جرائمهم، ويدلل على عنصريتهم.

الآية الثانية: رد من الله عليهم، بنفي ادعاءهم الكاذب، ويثبت أنهم كاذبون فيه، وأنهم ملامون على جرائمهم، وفي ذلك قوة في دحض حجة الخصوم، من خلال نفيها وإثبات نقيضها، قال الشعراوي: إن قول الحق في بداية هذه الآية " بلَى " إنما جاء لينقض القضية السابقة التي ادعاها أهل الكتاب، وكأن الحق يقول: أي عليكم في الأميين سبيل لأن المشرع هو الله، والناس بالنسبة له سواء^(١).

العلاقة بين آيتين: ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بدينار لا يُؤدّه إِلَيْكَ إِنْما ما دُمْتَ عَلَيْهِ قائماً ﴾

(آل عمران/ من الآية ٧٥) وقوله: ﴿ مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى ﴾ (آل عمران/ ٧٦).

الآية الأولى: بيان جريمة الخيانة المتجذرة في قلوب اليهود، ودناءة نفوسهم، لأتفه الأشياء ولو كان ديناراً.

الآية الثانية: بيان قيمة التقوى وأهميتها في حفظ صاحبها، من الوقوع في الإثم عامّة، والخيانة خاصة، لأن التقى هو الذي يحفظ الأمانة، وفي ذلك إشارة للصحابة الكرام، ولبعض اليهود الأمناء، ومن جانب آخر فيها لمز بالخائنين منهم، والتقوى تكون في هذا الموضع، لاتقاء المعاصي التي بين العبد وبين ربه، وبينه وبين الخلق، فمن كان كذلك فإنه من المتقين الذين يحبهم الله تعالى، سواء كان من الأميين أو من غيرهم.

ثالثاً: الفاصلة، أهميتها، جمالها:

١- **الفاصلة:** ﴿ بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ (آل عمران/ ٧٦).

(١) الشعراوي مج (٣/١٥٤٩) مرجع سابق.

٢- **أهميتها:** جاءت أهمية الفاصلة في أنها ترد على مزاعم اليهود في تبرير ارتكاب جرائمهم، فنكذب تبريرهم، وتدحض حججهم، وتقذفها في وجوههم، وتقول لهم: لا بل أنتم آثمون وملامون، وليس الأمر كما تدعون أنكم مأمورون بذلك من التوراة، أو أنكم أولياء الله كما زعمتم في موضع آخر، فإن الله لا يحب الغدارين الخائنين أمثالكم، لكنه يحب الأوفياء والأمناء الذين يؤدون ما عليهم من أمانات، وهذه صفات المؤمنين.

٣- **جمالها:** ويبدوا الجمال في الفاصلة متألقاً، مضيئاً لامعاً، يبهر العقول، ويأخذ بالأنظار من بداية الفاصلة في أداة بلى التي تفيد الإضراب، فتنفي ما قبلها، وتثبت ما بعدها، والمعنى لا ليس الأمر كما تدعون، لا لوم عليكم في خيانة المؤمنين، لكنكم محاسبون وملامون على خيانتكم، قال الشعراوي: "وساعة تأتي قضية منفية، ثم يأتي بعدها كلمة بلى، فإنها تنقض القضية التي سبقتها، ومعنى ذلك أنها تثبت ضدها^(١)، لذلك يرى الباحث أننا أمام قضية تتمثل في التالي:

* القضية، مبررات ارتكاب جرائمهم، ﴿ **لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأَمِينِ سَبِيلٌ** ﴾ (آل عمران / ٧٥).

* رد الله عليهم في حرف **— بلى —** فدحض دعوتهم، ونقض تبريراتهم، وأثبت عكسها.

* النتيجة، لا ليس الأمر كما تدعون بل أنتم تكذبون، وعليكم في الأمين سبيل.

رابعاً: اللطائف البيانية:

٤- بيان عنصرية اليهود ضد غيرهم من العرب والمسلمين وكل من خالفهم الرأي أو العقيدة.

٥- بيان قدرة اليهود على إيجاد المبررات الكاذبة عند ارتكاب الجرائم.

٦- بيان أهمية التقوى في حفظ وتحصين المجتمع من الجرائم.

٧- تعمد اليهود الكذب وارتكاب الجرائم.

(١) المرجع السابق مج (١٥٤٩/٣).

المبحث الثاني

صفات مؤمني اليهود قبل بعثة الرسول

وفيه ثلاث مطالب:

المطلب الأول: عبادة الله:

قال تعالى: [لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿١١٣﴾ (آل عمران ١١٣/ ١١٥) وقال تعالى: ﴿ وَمِنْ قَوْمٍ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾ (الأعراف ١٥٩).

أولاً: علاقة الآيات بما قبلها:

ذكر القرآن الكريم قبل هذه الآيات، صفات وجرائم العديد من أهل الكتاب، وأسهب فيها وفصل، فجاءت هذه الآيات لتتحدث عن صفات المؤمنين منهم مقابل الكافرين السابقين، وهذا مطلق العدل الإلهي، أن يبرز صفات المؤمنين من أهل الكتاب وهذا منهج القرآن الأصيل في التعامل مع الناس يبينه الله لنا.

ثانياً: أسباب النزول:

روى الواحدي عن ابن عباس قال: (لما أسلم عبد الله بن سلام وثعلبة بن شعبة وأسيد بن عبيد وأسد بن سعيد ومن أسلم من يهود، قالت أحبار اليهود: ما آمن بمحمد واتبعه إلا أشرارنا ولو كانوا من خيارنا ما تركوا دين آبائهم وذهبوا إلى غيره، وقالوا لهم لقد خنتم حين استبدلتم بدينكم ديناً غيره فأنزل الله قوله تعالى: ليسوا سواءً من أهل الكتاب ^(١)).

ثالثاً: التفسير الإجمالي:

جاءت هذه الآيات لتبين أن أهل الكتاب غير متساوين فيما يتعلق بقضية الإيمان و الكفر، فإذا كان معظمهم كفاراً ومجرمين وغادرين وخائنين وقتلة، فإن فيهم قلة مؤمنة، قلبها متعلق بالله تؤدي طاعتها لربها، بما افترضه عليها من صلاة وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر، فهؤلاء إخوة للمؤمنين من أمة محمد، وبالتالي أطلق عليهم القرآن صفة الصالحين، قال سيد قطب: "وإنصافاً للقلة المؤمنة الخيرة من أهل الكتاب، يعود السياق عليهم بالاستثناء فيقرر أن أهل

(١)، أسباب النزول للواحدي (ص ٦٦) دار الفكر - ط الأولى - ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

الكتاب ليسوا كلهم سواء فهناك المؤمنون يصور حالهم مع ربهم، فإذا هي حال المؤمنین الصادقین، ويقرر جزاءهم عنده فإذا هو جزاء الصالحین، فهذه صورة مضيئة لهم، فقد آمنوا إيماناً صادقاً عميقاً وكاملاً شاملاً، وانضموا للصف المسلم، وقاموا على حراسة هذا الدين، ونهضوا بتكاليف الإيمان، وحققوا سمة الأمة المسلمة التي انضموا إليها، خير أمة أخرجت للناس" (١).

وقال د. عبد الله شحاتة: "ليس أهل الكتاب متساويين في الكفر وسوء الأخلاق، بل منهم طائفة قائمة بأمر الله، مطيعة لشرعه مستقيمة على طريقته، ثابتة على الحق ملازمة له، لم تتركه كما تركه الأكثرون من أهل الكتاب وضيعوه، وهؤلاء هم الذين استقاموا على أمر الله وأطاعوه في السر والعلن" (٢).

رابعاً: الإعجاز البياني:

وفيه خمس مسائل:

المسألة الأولى: العدل الإلهي مع اليهود.

١- ليسوا سواء: "الضمير لأهل الكتاب، سقت لتعداد محاسن مؤمني أهل الكتاب" (٣)، "وإنصافاً لهم بعد الحكم على معظمهم بصيغة تعمّمهم تأكيداً لما أفاده قوله تعالى: ﴿ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (آل عمران / ١١٠) (٤).

٢. أمة قائمة: جملة تفسيرية مبينة لمعنى - ليسوا سواء - وما بعدها مفسر لها، قال أبو السعود: "استئناف مبين لكيفية عدم تساويهم، ومزيل لما فيه من الإبهام" (٥)، وجاءت الجملة الاسمية التي تفيد الثبوت لبيان رسوخهم في الإيمان على منهج الاستقامة الذي هم عليه فأصبح صفة ملازمة لهم، "والقيام دليل على الحرص والمواظبة" (٦)، قال سيد طنطاوي: قائمة بأمر الله مطيعة لشرعه مستقيمة على طريقته، ثابتة على الحق ملازمة له، لم تتركه كما تركه الأكثرون من أهل الكتاب وضيعوه (٧)، قال الأستاذ سعيد حوى: "يقومون الليل

(١) الظلال مج (٤٥٠/١) مرجع سابق.

(٢) تفسير القرآن الكريم مج (٦٥٤/٢) مرجع سابق.

(٣) زهرة التفاسير مج (٣٥٩/١) مرجع سابق، وانظر إرشاد العقل السليم مج (٤٠١/١) مرجع سابق.

(٤) التحرير والتنوير مج (٣/٢/٥٧) مرجع سابق.

(٥) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم مج (٤٠١/١، ٤٠٢) مرجع سابق.

(٦) التحرير والتنوير مج (٣/١/٢٨٧) مرجع سابق.

(٧) التفسير الوسيط مج (٣٠٠/٢) مرجع سابق.

* أوقاته وساعاته التفسير الوسيط مج (٣٠١/٢) مرجع سابق.

ويكثر التهجد ويتلون القرآن في صلواتهم وساعات الليل" (١)، يرى الباحث أن الأستاذ سعيد حوى رحمه الله إذا كان يقصد بكلامه القرآن المنزل على أمة محمد فقد جانب الصواب لأن الآيات تتحدث عن مؤمني اليهود، وكان الأولى أن يقول يتلون آيات الله، أما إذا كان يقصد صحابة رسول الله فالآيات لا تتحدث عنهم، وإنما تتحدث عن أهل الكتاب، ومن الممكن أن يكون هناك خطئ مطبعي أو خطئ في النقل عن الشيخ رحمه الله، قال الألوسي يعملون الأعمال الصالحة راغبين فيها غير متناقلين، لعلمهم بجلالة موقعها وحسن عاقبتها، وهذه صفة جامعة لفنون الفضائل (٢).

المسألة الثانية: دلالة استخدام الجملة الاسمية (وهم يسجدون).

الجملة حالية، والمعنى: يتهدون في الليل بتلاوة كتابهم، فقيدت تلاوة الكتاب بحالة سجودهم (٣) عبر عنها بالجملة الاسمية لبيان ثباتهم ومدامتهم على فريضة الصلاة، والتعبير يرسم في الذهن صورة لطول سجودهم للغرض نفسه، وذكر السجود لبيان مكانته وأهميته، فقد روى أبو هريرة عن رسول الله أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثر روا فيه الدعاء (٤).
قال أبو السعود: وهم يسجدون أي يصلون إذ لا تلاوة في السجود، وتخصيص السجود بالذكر من بين سائر أركان الصلاة لكونه أدل على كمال الخضوع، والتصريح بتلاوتهم آيات الله في الصلاة مع أنها مشتملة عليها قطعاً لزيادة تحقيق المخالفة وتوضيح عدم المساواة بينهم وبين الذين وصفوا أنفأ بالكفر، وإيراد الجملة الاسمية للدلالة على الاستمرار (٥).

المسألة الثالثة: دلالة استخدام الجملة الفعلية (ويسارعون) في الخيرات).

والإعجاز فيها أنها تأتي مقابلة لصفة من صفات الكافرين في قوله تعالى: ﴿يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ (المائدة/٤١)، والمعنى أن اليهود وجد فيهم من يحب الخير ويسارع إليه كما وجد فيهم من يحب الكفر ويسارع فيه، وكذلك التعبير بحرف في، يفيد الظرفية ويدل على حبهم الشديد لفعل الخير، واستعدادهم للإنغماس فيه، والتعبير بالمسارعة يدل على حبهم الشديد لفعل الخير، واستعدادهم السير فيه من مرحلة إلى أخرى، ومن درجة

(١) الأساس في التفسير مج (١٥٢/٢).

(٢) روح المعاني مج (٣٤/٢).

(٣) التحرير والتنوير مج (٣/٥٨/٢) مرجع سابق.

(٤) م - ك الصلاة - ب ما يقال في الركوع (رقم ٧٤٤) من حديث أبي هريرة، الجمع على الصحيحين مج (٣/٢١٤ رقم ٢٦٣٧) مرجع سابق.

(٥) إرشاد العقل السليم في مزايا الكتاب الكريم مج (٤٠٢/١) بتصرف.

(٦) المسارعة في الخير: فرط الرغبة فيه لأن من رغب في الأمر سارع بالقيام به ويبادرون إليه خشية الفوت، الأساس في التفسير مج (١٥٢/٢) بتصرف.

إلى أخرى، وهذه من صفات المؤمنين، قال أبو زهرة: "هذه حالة من أحوالهم المستمرة، وهي أنهم في خير مستمر، لا يجدون لحظة إلا يقومون فيها بخير ولا تلوح لهم فرصة خير إلا يقدمون عليها"^(١)، قال سيد قطب رحمه الله: "فجعلوا فعل الخير الهدف الذي يسابقون فيه، فسارعوا في الخيرات، ومن ثم هذه الشهادة العلوية لهم أنهم من الصالحين"^(٢).

المسألة الرابعة: حكم الله بصلاح هذه الطائفة (وأئلك من الصالحين).

إشارة إلى أنهم بإيمانهم بالله واليوم الآخر والعبادة التي أدوها واستقاموا عليها أصبحوا جزءاً من أمة محمد لأن هذه الصفات التي وصفوا بها أهلهم للدخول في الإسلام، قال عبد الله شحاته: والمراد بهذه الطائفة من أهل الكتاب أولئك الذين أسلموا واستقاموا على أمر الله وأطاعوه في السر والعلن"^(٣).

خامساً: اللطائف البيانية:

١. بيان أن من أهل الكتاب مجموعة أسلمت وصلاح إسلامهم، وهم قلة وإن كان أكثرهم فاسقون.
٢. بيان منهج القرآن العادل في التعامل مع أهل الكتاب، فذكر فضائلهم، مثلما ذكر رذائلهم.
٣. بيان أهمية الصلاة وطول القيام في تهذيب السلوك، وتركية النفوس.

المطلب الثاني: الأمانة في المعاملة:

قال تعالى: ﴿ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ (٤) بِقِنطَارٍ يُؤَدُّ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بدينار لا يُؤَدُّ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قائماً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قالوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (آل عمران/٧٥).

أولاً: علاقة الآيات بما قبلها:

الآيات السابقة تحدثت عن صفات الكافرين من اليهود والتي اشتملت على أقبحها وهذه الآية تحدثت عن بعض صفات المؤمنين من أهل الكتاب وفي ذلك بيان لمطلق العدل الإلهي

(١) زهرة التفاسير مج (٣/١٣٦٩) مرجع سابق.

(٢) الظلال مج (١/٤٥٠) مرجع سابق.

(٣) القرآن العظيم مج (٢/٦٥٤) انظر بعض أسماء من آمن منهم، وانظر الجامع لأحكام القرآن مج (٢/٥٣١)، وانظر روح المعاني مج (٢/٣٣).

(٤) الأمانة: هي الشيء يؤتمن فيه مؤتمن على مؤتمن ولا حجة لصاحب الشيء المؤتمن عليه إلا ذمة المؤتمن، الشعراوي مج (٣/١٥٤٤).

لأنه أنصفهم ووصفهم بالأمناء.

ثانياً: التفسير الإجمالي:

قال الطبري: "من اليهود من هم أهل أمانة يؤدونها ولا يخونونها"^(١)، وقال الدكتور شحاته: والآية تتحدث عن أهل الكتاب تنصفهم وتذكر أن منهم أمناء يؤدون الأمانة مهما كثر مقدارها^(٢)، وقال البغوي: "هم مؤمنوا أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأصحابه"^(٣) "هذان قسمان متقابلان أحدهما يبلغ الغاية في الأمانة فيؤديها لمن طلبها مهما تكن قيمتها ونفاستها، وهذا القسم الذي يكون على هذا القدر من الأمانة هو الذي يجيب داعي الحق، ويؤمن به إذا دعي إليه لأن التسليم بالحق في الماديات التي تصورها الأمانة لا تنشأ إلا عن ينبوع النفس التي تؤمن بالحق في المعنويات، وهؤلاء من أهل الكتاب الذين آمنوا برسالة محمد كما مر سابقاً^(٤).

وفيه مسألة واحدة: مقارنة بين الأمانة والوديعة.

- ١- الأمانة: مصدر آمن إذا صار أميناً ثم يسمى بها ما يؤمن عليه، وهي أهم من الوديعة لاشتراط الحفظ فيها بخلاف الأمانة، والأمانة عين، والوديعة معنى، فيكونان متباينين، وكل ما افترض على العباد فهو أمانة، كصلاة وزكاة وصيام، وأداء دين، وأوكدها الودائع، وأوكد الودائع كتم الأسرار^(٥).
- ٢- والأمانة: كل ما وقع في اليد، من غير قصد، كاللقاء الريح ثوباً فيحجر غيره.
- ٣- الوديعة: الشيء الموضوع عند غير صاحبه للحفظ^(٦).
- ٤- الوديعة: من الإيداع، وهو استئابة في الحفظ، وشرعاً استحفاظ جائز التصرف، متمولاً أو ما في معناه تحت يد مثله^(٧)، وقال الجرجاني: "هي أمانة تركت عند الغير للحفظ قصداً"^(٨).
- ٥- الفرق بين الأمانة والوديعة: يتضح من خلال التعريفات السابقة العديد من الفروق بينهما:

(١) جامع البيان في تأويل القرآن مج (٣/ ٣١٥) مرجع سابق.
(٢) تفسير القرآن الكريم مج (٥٨٩/٢) مرجع سابق.
(٣) معالم التنزيل مج (٣٠٤/١) مرجع سابق.
(٤) زهرة التفاسير مج (١٢٧٩/٣) بتصريف.
(٥) الكليات (ص ١٨٦، ١٨٧) الكفوي، مرجع سابق.
(٦) الفقه الإسلامي وأدلته مج (٤٠١٦/٥) للزحيلي - دار الفكر - دمشق - سوريا ط الرابعة معدلة ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
(٧) الفقه الإسلامي وأدلته مج (٧٢٣/٥) مرجع سابق.
(٨) التعريفات (ص ٢٥١) دار الكتب العالمية - بيروت - لبنان - ط الأولى - ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

- أ- أن الأمانة تكون بين اثنين أو أكثر، وقد تأتي للإنسان على شكل لقطة، أو تلقى إليه دون معرفة صاحبها، أما الوديعة فلا بد أن تكون بين شخصين أو أكثر ومشروطة بحفظها.
- ب- بين الأمانة والوديعة عموم وخصوص، فالأمانة أعم لأنها تشمل الأمور المادية والمعنوية، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْإِمَامُ ضَامِنٌ وَالْمُؤَدَّنُ مُؤْتَمَنٌ اللَّهُمَّ ارْشُدْ النَّائِمَةَ وَاغْفِرْ لِلْمُؤَدَّنِينَ) (١)، وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا وَدَّعَ رَجُلًا أَخَذَ بِيَدِهِ فَلَا يَدَعُهَا حَتَّى يَكُونَ الرَّجُلُ هُوَ يَدْعُ يَدَ النَّبِيِّ ﷺ وَيَقُولُ: اسْتَوْدَعْتُ اللَّهَ دِينَكَ وَأَمَانَتَكَ وَآخِرَ عَمَلِكَ) (٢)
- ت- لذلك فكل وديعة أمانة، وليس كل أمانة وديعة لاشتراط الحفظ قصداً.
- ث- الوديعة أمانة غير مضمونة، وفي حفظها ثواب، والضمان لا يجب على المودع عنده إلا بالتعدّي أو التقصير (٣).

ثالثاً: الإعجاز البياني:

وفيه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: قوة التعبير في قول الله (تأمنه).

الأمانة، هي شيء يؤتمن فيه مؤتمن على مؤتمن ولا حجة لصاحب الشيء المؤتمن عليه إلا ذمة المؤتمن، فإذا كانت العلاقة بينهما محكومة بإيصال أو عقد أو شهود فهذه ليست أمانة، إنما الأمانة ما يعطاها إنسان لآخر فيما بينهما وبعد ذلك، فالمؤتمن إما أن يقر بها وإما لا (٤)، والغرض من ذلك بيان شدة الأمانة في المعاملة والحفاظ على أملاك الغير التي كانت تستودع لدى المؤمنين من اليهود فأمانتهم لا تعتمد على عقد وشهود بل على مخافة الله وطمعاً في ثوابه.

المسألة الثانية: علاقة القنطار بالأمانة.

استخدم مصطلح القنطار للمبالغة في القدر الكبير من المال (٥)، دون تحديد الكمية، لأنه مثال للمال الكثير، يدخل فيه أكثر من قنطار وأقل (٦)، وحرف الباء أفاد الملاصقة والأمانة

- (١) ت - ك الصلاة - ب ما جاء أن الإمام ضامن والمؤذن مؤتمن (رقم ١٩١) وانظر جامه الأحاديث للسيوطي - ب - الهمزة مع الباء مج (١١/ ٣٦ رقم ١٠١٩٥).
- (٢) ت - ك الدعوات عن رسول الله - ب ما جاء في نضح بول الغلام مج (٥/ ٤٤٠ رقم ٣٤٤٢). قَالَ أَبُو عَيْسَى هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ وَقَدْ رَوَى هَذَا الْحَدِيثُ مِنْ غَيْرِ وَجْهِ عَنْ ابْنِ عُمَرَ.
- (٣) الفقه الإسلامي وأدلته مج (٥/ ٤٠٢٢) بتصرف سابق.
- (٤) الشعراوي مج (٣/ ١٥٤٤) مرجع سابق بتصرف.
- (٥) المرجع السابق مج (٣/ ١٥٤٤) بتصرف سابق.
- (٦) المحرر الوجيز مج (١/ ٤٥٨) مرجع سابق.

متعدية بحرف الباء الذي يفيد الالتصاق، قال الشعراوي: " وإيّاك ساعة الأداء أن تفصل الأمانة عن القنطار، فساعة يغريك قنطار الذهب ببريقه فعليك أن تلتصق الأمانة بالقنطار، وإيّاك أن يغريك القنطار فتترك أمانتك، لأنك إن نظرت إلى القنطار دون أن تنظر إلى الأمانة فهذه الخسارة، والمعنى: التصق القنطار بأمانته فأصبح هناك ارتباط وامتزاج، فالقنطار هو الأمانة، والأمانة هي القنطار، وكذلك التصقت الأمانة بالمؤمن عليها فلا تنفك عنه حتى يؤديها لأنها في ذمته ويتحمل تبعاتها في الدنيا والآخرة (١).

المسألة الثالثة: علاقة الأداء بالأمانة.

إذا كان القنطار أمانة لالتصاقه بها فلا يجوز الفصل بينهما أبداً، لأنه لو تم الفصل فربما سولت نفس المؤمن أن يأخذ القنطار ويترك الأمانة أو ينساها، لأن بريق الذهب ربما ينسيه أنها أمانة (٢).

رابعاً: اللطائف:

- ١- بيان منهج القرآن العادل وهو يتحدث عن اليهود وصفاتهم وجرائمهم ، فلم يغبطهم حقهم في بيان صفة الأمانة ، كما تحدث قبل ذلك عن صفة الخيانة .
- ٢- بيان أهمية الرقابة على كل شيء خصوصاً المال، للحفاظ عليه ومنعاً لضياعه.
- ٣- الأمانة كل لا يتجزأ، سواء كانت ديناراً أو قنطاراً فالخيانة في قليل ضياع، وفي كثيره أضيع للأمانة.
- ٤- كذلك خائن الأمانة، خائن سواء كان مؤمناً أو كافراً.

المطلب الثالث: الصبر والعدل:

وفيه فرعان:

الفرع الأول: الصبر:

قال تعالى: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴾ (الأعراف/ ١٣٧) وقال تعالى: ﴿ وَمِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٍ يَهُودُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾ (سورة الأعراف/ ١٥٩).

(١) الشعراوي مج (٣/١٥٤٥، ١٥٤٦) بتصريف مرجع سابق.

(٢) المرجع السابق مج (٣/١٤٥٦).

أولاً: التفسير الإجمالي:

تبين فيما سبق أن بني إسرائيل تعرضوا للأذى الشديد، من فرعون وملئه وجنده ، واستمروا على ذلك ردحاً من الزمن، تحملوا خلاله الظلم الكثير، ودفعوا ثمنه دماءً من أطفالهم وآلاماً لنسائهم، ولما طال البلاء عليهم، جاءوا إلى موسى عليه السلام يشكون له ما أصابهم، فكان يواسيهم قائلاً: استعينوا بالله واصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين، فجاءهم الفرج والنصر نتيجة لصبرهم وتتويجاً لمعاناتهم، وتحقيقاً لوعده الله، فأهلك فرعون وقومه وكل ما عمّروه وبنوه في لحظة واحدة.

ثانياً: الإعجاز البياني:

وفيه ست مسائل:

المسألة الأولى: سر استخدام حرف العطف الواو.

الواو عاطفة على ما قبلها من إغراق فرعون وجنوده، والغرض الربط بين نعمة إهلاك عدوهم وتحقيق الوعد الذي وعدهم، وتذكيرهم به، ليبقى ماثلاً أمام أعينهم، خصوصاً يهود المدينة، إضافة إلى بيان أثر عناية الله وكرمه على بني إسرائيل.

المسألة الثانية دلالة التعبير بـ (تمت).

استخدام هذا التعبير لبيان إتمام الفترة الزمنية التي قدرها الله لبني إسرائيل أن يعيشوا تحت البلاء، ولبيان اكتمال صبرهم حتى استحقوا المنحة الإلهية فكان منهم الأئمة والملوك وكانوا الوارثين، أما تمام الكلمة فيتمثل في التالي:

١- الوعد الذي وعده الله لبني إسرائيل باليمن عليهم، قال تعالى: [وَأُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ] (القصص/ ٥) من خلال إهلاك فرعون وجنوده، وكل ما صنعوا، وما كانوا يعرشون.

٢- قال الرازي: "إنجاز الوعد الذي تقدم بإهلاك عدوهم واستخلافهم في الأرض، وإنما كان الإنجاز تمام للكلام، لأن الوعد بالشيء يبقى كالشيء المعلق، فإذا حصل الموعد فقد تم لك الوعد وكمل^(١).

ويرى الباحث أن ما قاله الرازي رحمه الله لا يكون في حق الله، بل يقال في حق البشر فقط، لأن الله إذا وعد وعداً فإنه حتماً يتحقق، حتى وإن تأخر لسبب أو لآخر، ولا يجوز الفصل بين وعد الله وتحقيقه، أو تعليق تمام الوعد بتحقيقه كما قال الرازي رحمه الله.

(١) التفسير الكبير للرازي مج (١٣-١٤/ج٢/٢٢٢) بتصرف، مرجع سابق.

المسألة الثالثة: سر استخدام حرف الملاصقة (ب) مع الصبر (بما صبروا).

الباء سببية وتفيد الملاصقة، والغرض بيان قيمة الصبر عند الابتلاء، قال الشوكاني: "وتمام هذه الكلمة على بني إسرائيل بسبب صبرهم على ما أصيبوا به من فرعون وقومه^(١)، وقال الماوردي: بما صبروا على أذى فرعون وبما صبروا على طاعة الله^(٢)، وأضاف الرازي: إنما حصل ذلك التمام بسبب صبرهم، وحسبك به حائماً على الصبر ودالاً على أنّ من قابل البلاء بالجزع وكلّه الله إليه، ومن قابله بالصبر وانتظار النصر ضمن الله له الفرج^(٣)، وأما الملاصقة فأفادت أن بني إسرائيل صبروا فترة طويلة قبل هلاك فرعون حتى التصق الصبر بهم، وأصبح ملازماً لسلوكهم وحياتهم، عند ذلك استحقوا النصر على عدوهم وتحقق وعد الله لهم.

المسألة الرابعة: قوة التعبير في قول الله (دمرنا^٤).

قال الشعراوي: خربناها وجعلناها أثراً بعد عين^(٥)، وكلمة دمرنا تدل على أنّ الأشياء المدمرة كانت عالية الارتفاع ثم جاءت عوامل التعرية لتغطّيها، ويبقى الله شواهد منها لتعطينا نوع ما عمروا كالأهرام مثلاً^(٦)، ولفظ الكلمة يدل على مضمونها العميق الذي يوحى بأثر التدمير، خصوصاً حرف الميم المشدّد المصحوب بالغنة، إضافة إلى حرف الراء الذي من صفته التكرار، وضمير العظمة - نا - الذي يوحى وكأن الله هو الذي تولّى التدمير بذاته، كل هذا يؤكد ما ذهب إليه الشعراوي رحمه الله، لأن القرآن بين أن الدمار أتى على كل شيء صنعه فرعون وجنوده وما كانوا يعرشون، ويبدوا للباحث أن هناك عوامل أخرى وأحداث قد حدثت لفرعون وقومه قبل أو بعد الغرق بحيث لم تبق ولم تذر وأنت على كل شيء، بدليل أن العلماء بين الفينة والأخرى يكتشفون تحت الأرض آثاراً، يقول الشيخ الشعراوي: والعجيب أن كشف الآثار تكون تحت الأرض ولا يوجد كشف أثري جاء فوق الأرض^(٧).

المسألة الخامسة: الفرق في التعبير بين (ما كان - وما كانوا).

١ - ما كان يصنع فرعون وقومه: التعبير بالمفرد جاء ليبين أن فرعون وقومه كان لهم أعمال متفقون عليها، وكل منهما يكمل الآخر، و كأنهم شخص واحد، فرعون يفكر ويخطط

(١) فتح القدير مج (٢/٢٩٢) مرجع سابق وانظر الكشاف مج (٢/٨٧) مرجع سابق.

(٢) النكت والعيون مج (٢/٢٥٤) دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان ط الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

(٣) التفسير الكبير مج (١٢/١٢ ج ٢/٢٢٢) مرجع سابق.

(٤) التدمير هو الهلاك والاستئصال.

(٥) الشعراوي مج (١٤/٨٤٢٩) مرجع سابق.

(٦) الشعراوي مج (٧/٤٣٢٨) مرجع سابق.

(٧) المرجع السابق مج (٧/٤٣٢٨).

ويأمر، وقومه أداة التنفيذ لديه، لأنهم تبعاً له قال تعالى: ﴿ فَاسْتَحَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾ (الزخرف / ٥٤).

٢- ما كانوا يعرشون: هذه الأعمال اشترك فيها فرعون وقومه وكل من أيدهم في أفعالهم لذلك جاء التعبير بالجمع للدلالة أن العمل في الأبنية المرتفعة شمل الجميع ولم يكن محصوراً على فرعون وقومه، ومن المعروف تاريخياً أن بناء الأهرامات استغرق عشرين عاماً، واستخدم فيه عشرات الآلاف من الناس، لذا فقد استغل فرعون جهود الناس جميعاً لتحقيق ما كان يصبوا إليه.

المسألة السادسة: الفرق في التعبير بين (يصنعون – ويعرشون).

أ. يصنع: يصنعه فهو مصنوع، وصنع عمله، قال تعالى: ﴿ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ (النمل / ٨٨)، واستصنع الشيء دعا إلى صنعه، واصطنعه: اتخذه لنفسه قال تعالى: ﴿ وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴾ (طه / ٤١)، والصناعة حرفة الصانع وعمله، والصناعة والصناعة: ما تستصنع من أمر^(١).

وفرس صنيع: صنعه أهله بحسن القيام عليه^(٢)، والخالصة، أن الصناعة هي الاهتمام بالشيء ورعايته والمداومة عليه واتخاذ حرفة.

ب. يعرشون: من الفعل عرش، العرش: في الأصل شيء مسقف، وجمعه عروش ومنه قيلت عرشت الكرم وعرشته: إذا جعلته كهيئة سقف^(٣)، العرش سرير الملك قال تعالى: ﴿ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾ (٤) (النمل / ٢٣).

ويتبين من خلال المعنى اللغوي لكلا المصطلحين أن الفرق بينهما في التالي:

* يصنع يستخدم في الأشياء التي لها علاقة بالأعمال اليدوية والاهتمامات اليومية لحياتهم من زراعة وتجارة وصناعة، وبمعنى أشمل، هي الحرفة التي اتخذوها في حياتهم.

* بينما المصطلح يعرشون له علاقة بكل ما بنوه وشيدوه من عمارات وأبنية وجنات معروشات، فهو يتعلق بكل ما علا وارتفع عن سطح الأرض لأن الفراغة كانوا متقدمين ويمتازون بهندسة العمار، بدليل قول فرعون لهامان: ﴿ يَا هَامَانَ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ

(١) لسان العرب مج (٣/٤٨١، ٤٨٢) مرجع سابق.

(٢) مجمع اللغة مج (١-٢/٥٤٢) مرجع سابق.

(٣) معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم (ص ٣٢٩) مرجع سابق.

(٤) لسان العرب مج (٤/٧٣٤) مرجع سابق.

الْأَسْبَابَ أَسْبَابَ السَّيَّاتِ فَأَطَّلَعَ إِلَى إِلَهٍ مُوسَى ﴿ (غافر/ ٣٦، ٣٧)، إضافة إلى ضخامة وبراعة الأهرامات التي تشهد لهم، قال النسفي: "ما كانوا يرفعون من الأبنية المشيدة في السماء كصرح هلمان وغيره" (١).

المسألة السابعة: الأسباب التي أدت إلى دمار ملك فرعون:

حاول الباحث أن يستعرض الآيات التي لها علاقة بالتدمير الذي حل بملك فرعون فتوصل إلى الأسباب التالية:

- ١- الظلم المتمثل في مجموع الكبائر والجرائم، التي ارتكبتها فرعون في حق بني إسرائيل.
- ٢- القحط الشديد الذي أصابهم قبل الغرق، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصِ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ (الأعراف/١٣٠).
- ٣- تسليط بعض جنود الله عليهم، قال تعالى: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ ﴾ (الأعراف/ ١٣٣)، قال البقاعي: "فأرسلنا عليهم عذاباً لهم — لما يفهمه حرف الاستعلاء — الطوفان من الرعد والبرق والنار مع المطر والبرد الكبار الذي يقتل البقر فما دونها، والظلمة والريح الشديدة التي عمّت أرضهم وطافت بها، ولما كان ذلك ربما أخصبت به الأرض أخبر أنه أرسل ما يفسد ذلك فقال والجراد، ولما كان الجراد ربما طار وقد أبقى شيئاً أخبر بما يستمر لازقاً في الأرض حتى لا يدع بها شيئاً فقال والقمل، ولما كان ربما كان عندهم شيء مخزون لم يصل إليه ذلك أخبر بما يسقط نفسه في الأكل فيفسده أو ينقصه فقال والضفادع فإنها عمّت جميع أماكنهم وكانت تتساقط في أطعمتهم، وربما وثبت إلى أفواههم حين يفتحونها للأكل (٢)، وهذا التدمير الجزئي كان قبل الغرق بدليل قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بِالْغُوهِ إِذَا هُمْ يَنْكُتُونَ فَاثْتَمَرْنَا مِنْهُمُ فاعرفناهم في اليمِّ بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين ﴾ (الأعراف/ ١٣٥، ١٣٦).

(١) النسفي مج (١-٢/٢ج/٧٣).

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور مج (٣/٩٠) مرجع سابق.

٤- دعوة موسى ﷺ على فرعون عندما قال: ﴿ وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوهُمَا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ^(١) عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَأَشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾ (يونس/ ٨٨).

ثالثاً: اللطائف البيانية.

١. الفساد والظلم، مقدمات الهلاك والدمار والاستئصال.
٢. بيان فضيلة وأهمية الصبر عند الأزمات والمحن والابتلاءات.
٣. ذكّر الله بني إسرائيل بصفة الاستضعاف [وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَةَ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ] (الأعراف/ ١٣٧) إظهاراً لكمال اللطف بهم وعظيم الإحسان إليهم لأنه رفعهم من حضيض المذلة إلى أوج العزة، ولعل فيه إشارة إلى أن الله عند القلوب المنكسرة^(٢).

الفرع الثاني: العدل:

﴿ وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾ (الأعراف/ ١٥٩) ﴿ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعذِرَةٌ إلی رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ (الأعراف ١٦٤).

أولاً: التفسير الإجمالي:

هذا إنصاف آخر للقلّة المؤمنة من اليهود، الذين كانوا على عهد موسى ﷺ، وحملوا هم الدعوة، فقاموا بواجبهم خير قيام، فأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر، وكانوا يعدلون بين الناس، ويهدونهم بكلمة الحق في الأحكام الجارية فيما بينهم، " والمراد بهم الثابتون على الإيمان، القائمون بالحق من أهل زمانه، ذكرهم تعالى تنبيهاً على أن تعارض الخير والشر، وتراحم أهل الحق والباطل أمر مستمر، فمن قوم موسى أناس مهتدون وأناس ضالّون^(٣).

(١) طمس: الطموس الدروس والانمحاء، وطمس الطريق، وطمس يطمس طموساً: درس وانمّحى أثره، وطموس البصر ذهاب نوره وضوئه، وكذلك طموس الكواكب ذهاب ضوءها، والطمس: استئصال أثر الشيء، وطمس الشيء: ذهابه عن صورته، لسان العرب مج (٤/٦١٤)، وطمست الشيء: محوته مجمع اللغة للرازي (ص ٤٥٢)، ومن معنى الطمس: غطاه ومحاه وأزاله وقلع أثره. انظر المرام في المعاني والكلام (ص ٥٤٩) د. مؤنس رشاد الدين.

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور مج (٣/٩٠) مرجع سابق.

(٣) المقتطف من عيون التفاسير مج (٢/٢٨٤) بتصرف.

قال الشوكاني: "يدعون الناس إلى الهداية حال كونهم متلبسين بالحق، يعدلون بين الناس في الحكم وهم الذين آمنوا بمحمد ﷺ" (١)، وقال المنصوري: "ذكر الله لهم وصفين هما كمال في كمال:

أولهما: أنهم يهدون بالحق، أي أنهم في وسط انحراف بني إسرائيل إخوانهم وبني جلدتهم ونسبهم يدعون بالحق، وهي الكلمة الجامعة للدعوة لكل معاني الخير.

الثانية: العدل بالحق وحده يزنون كل شيء في جماعتهم من قول أو فعل بعيداً عن ميزان الهوى والشهوة، لأنهما يتناقضان مع الحق" (٢).

ثانياً: الإعجاز البياني:
وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: أهمية استخدام الجمل الفعلية (يهدون – يعدلون).

استخدام الفعل المضارع والجملة الفعلية لبيان استمرار الدور الذي قاموا به تجاه الدعوة إلى الله، حتى في الفترة التي كثر فيها الكفر بين قومهم واستشرى الفساد، لأنهم كانوا بالحق يتكلمون، وبين الناس به يعدلون، وجاء بحرف الباء الذي يفيد الملاصقة والمصاحبة لبيان أن الحق كان معهم في كل سلوكهم ملاصقاً لهم لم يفارق أحكامهم وأقوالهم وأفعالهم، قال الرازي: قيل إنهم قوم مشوا على الدين الذي جاء به موسى ﷺ، ودعوا الناس إليه وصانوه عن التحريف والتبديل في زمن بني إسرائيل وإحداثهم البدع (٣)، وقيل هم الذين آمنوا بالنبي ﷺ (٤).

المسألة الثانية: جدول يطابق بين صفات مؤمني اليهود و الصحابة ﷺ

الرقم	صفات مؤمني اليهود	صفات أمة محمد
١.	(لَيْسُوا سِوَاءَ مَنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ ﴿ آل عمران / ١١٣ ﴾ وإذا كان المقصود قيام الليل	﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا ﴾ (فصلت / ٣٠) ﴿ فَاسْتَقَمَ كَمَا أَمَرْتُ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ ﴾ (هود / ١١٢) ﴿ كَانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴾ (الذاريات / ١٧)

(١) فتح القدير مج (٢/٣١١، ٣١٢) مرجع سابق.

(٢) المقتطف من عيون التفاسير مج (٢/٢٩٧٩) بتصرف

(٣) التفسير الكبير مج (١٥/١ج/٣١) بتصرف مرجع سابق.

(٤) إرشاد الفعل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم مج (٢/٣٠٦) بتصرف مرجع سابق.

﴿ وَرَبِّلَ الْقُرْآنِ تَرْتِيلاً ﴾ (المزمّل / ٤) ﴿ فَاقْرَأُوا مَا تيسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ ﴾ (فَاقْرَأُوا مَا تيسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾ (المزمّل / ٢٠)	﴿ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ ﴾ (آل عمران / ١١٣)	.٢
﴿ التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ ﴾ (التوبة / ١١٢)	﴿ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴾ (آل عمران / ١١٣)	.٣
﴿ لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ (التوبة / ٤٤) ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ ﴾ (البقرة / ٣)	(يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ (آل عمران / ١١٤)	.٤
﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ (آل عمران / ١١٠)	﴿ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ (آل عمران / ١١٤)	.٥
﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ ﴾ (آل عمران / ١٣٣) ﴿ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَفَّسِ الْمُتَنَفِّسُونَ ﴾ (المطففين / ٢٦)	﴿ وَيَسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ ﴾ (آل عمران / ١١٤)	.٦
معظم المفسرين أن المقصود بالصالحين هم الصحابة	نتيجة كل ما سبق ﴿ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (آل عمران / ١١٤)	.٧
﴿ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ (المؤمنون / ١١١) ﴿ وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴾ (الإنسان / ١٢)	(وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا ﴾ (الأعراف / ١٣٧)	.٨
﴿ وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ (النساء / ٥٨)	(وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾ (الأعراف / ١٥٩)	.٩
(فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ) (الزلزلة / ٧) (وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا) (النساء / ١٢٤)	﴿ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴾ (آل عمران / ١١٥)	.١٠

نتائج الفصل الثاني

على ضوء دراسة الباحث للفصل الثاني، تبين له النتائج التالية:

- ١- إن اليهود أكثر المخلوقات حرصاً على أي حياة، مهما كانت دنيئة أو ذليلة، لذلك فهم يعملون كل شيء من أجل البقاء فيها، وبناءً على ذلك فهم جبناء في المعارك يحرصون على عدم خوضها، وإن خاضوها لا يثبتون، وسرعان ما يولّون الأدبار.
- ٢- إن اليهود لا يتورعون عن استخدام أي وسيلة مهما كانت، من الكذب والخداع والتضليل من أجل تحقيق مصالحهم.
- ٣- إن اليهود لا يرتجى منهم خير، بسبب قسوة قلوبهم التي لا رحمة ولا شفقة فيها، خصوصاً مع الأمميين، وأما ما نراه من بعض المواقف الإنسانية فهي إما فردية، أو من أجل تحقيق مصالحهم، أو خداع العالم ليغطوا على جرائمهم التي يرتكبونها.
- ٤- إن اليهود قوم مجادلون مطل، مراوغون، يراهنون على عامل الزمن، ولا يستجيبون لطلب الغير إلا عندما يُكرهون، خصوصاً أثناء مفاوضاتهم مع غيرهم، وهذا ما حدث مع موسى في قصة ذبح البقرة، قال تعالى: [فَدَبَّحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ] (البقرة/٧١) وكذلك عندما طلب منهم أن يأخذوا التوراة بقوة رفضوا تنفيذها، إلا عندما رفع الله جبل الطور فوق رؤوسهم، مهدداً بإسقاطه عليهم، ومع ذلك سجدوا على شق واحد!!.
- ٥- تبين للباحث أن نصوص التوراة تمنع اليهود من إبرام العهود والمواثيق مع الأمميين، ومع ذلك يخالفون نصوصها، لمصلحة يريدونها، أو إساءة يتقونها، فيبرمون العهود مع غيرهم، وفي نيتهم نقضها، لأنهم لا يولون أي اهتمام لها، والتاريخ والواقع خير شاهد.
- ٦- إن العهود والمواثيق التي أخذها الله على اليهود وورد ذكرها في القرآن الكريم كانت على أربع مراحل متدرجة، بينت فيها أن اليهود لم يلتزموا بأي منها، وأهمها الميثاق العام الذي أخذه الله على كل البشر.
- ٧- إن من خبت ومكر اليهود تبريرهم للجرائم التي يرتكبونها بأي وسيلة كانت، كالكذب وغيره، ويعتبرون ذلك مرضاه للرب وتنفيذ لتعاليم التوراة، لقناعتهم أنهم أبناء الله وأحباؤه والله لا يؤاخذهم على ذلك.
- ٨- تبين أن صفات الكافرين من اليهود أكبر بكثير من صفات المؤمنين منهم.
- ٩- تبين أن صفات الحروف لها علاقة بتجلية المعاني الخفية للقرآن الكريم، مثل صفات حرفي الفاء والسين.

الفصل الثالث

جرائم اليهود كما يصورها القرآن الكريم

وفيه خمس مباحث:

المبحث الأول: جرائم اليهود في حق الله وكتابه.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: عبادة العجل من دون الله ﷻ.

المطلب الثاني: الكذب على الله وتحريف كتابه.

المطلب الثالث: جرأة اليهود على الله ﷻ .

المطلب الرابع: استحلال محارم الله.

المبحث الثاني: جرائم اليهود في حق الأنبياء.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: إيذاء الأنبياء.

المطلب الثاني: تكذيب الأنبياء وقتلهم.

المبحث الثالث: جرائم اليهود في حق المؤمنين.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: حسد المؤمنين وكرهية الخير لهم.

المطلب الثاني: تشكيك المؤمنين في دينهم.

المطلب الثالث: العمل على ردة المؤمنين وإخراجهم من الدين.

المبحث الرابع: جرائم اليهود في حق البشرية.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ظلم الناس باستغلالهم وأكل أموالهم.

المطلب الثاني: الإفساد في الأرض وإيقاد الحرب.

المبحث الخامس: جرائم اليهود في حق أنفسهم.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: قتل العامة وإخراجهم من الديار.

المطلب الثاني: قتل العلماء العاملين.

الفصل الثالث

جرائم اليهود كما يصورها القرآن الكريم

وفيه خمسة مباحث:

يعد هذا الفصل في الرسالة بمثابة العمود الفقري لها، لأنه يجسد العنوان الرئيس الذي اختاره الباحث، هذا من جانب، ومن جانب آخر لأنه يترجم الجانب العملي لصفات اليهود في الفصل الثاني، لذلك فإن هناك علاقة وطيدة بين صفات اليهود وجرائمهم، فالجرائم التي ارتكبوها ويرتكبونها وسيرتكبونها، هي بمثابة النتيجة الطبيعية لتلك الصفات القبيحة السابقة الذكر، وهذه الجرائم ليست عارضاً في حياتهم، بل هي أصل كصفتهم، لذا فهي ليست محصورة في حق المسلمين وحدهم، لكنها في حق كل إنسان غير يهودي، وليست في زمان دون زمان، أو مكان دون مكان، بل هي في كل عصر ومصر، والأكثر من ذلك أن لديهم الاستعداد لتنفيذها حتى في حق أنصارهم، ومن يمد لهم يد العون، وهذا ما استشعر به الرئيس الأمريكي الحر بنيامين فرانكلين فحذر شعبه قائلاً: "هنالك خطر عظيم يهدد الولايات المتحدة الأمريكية ذلك الخطر هو اليهود"^(١).

واليهود عندما يرتكبون جرائمهم إنما ينطلقون من منطلق عقائدي، معتقدين بذلك أنهم يطيعون الرب، وينفذون أوامره، حتى لو كانت هذه الجرائم في حق الأطفال والنساء والشيوخ، وهذا ما حدث معهم في الحرب الأخيرة على قطاع غزة - الفرقان - فقد صدرت عدة فتاوى من مرجعيات دينية يهودية، تبارك ما يقوم به ما يسمى الجيش الإسرائيلي من أعمال قتل، وتبيح وتبرر له قتل النساء والأطفال، كعقاب جماعي للأعداء - حسب زعمهم - ويرى الحاخامات اليهود أنه لا مشكلة في القضاء على الفلسطينيين في قطاع غزة حتى لو قتل منهم مليون، أو أكثر وذلك وفقاً لما ذكرته التقارير^(٢).

لذلك فإننا نلاحظ أن القرآن الكريم كان دقيقاً وواضحاً، في التعامل معهم أثناء ارتكابهم للجرائم، وكان يسير معهم لحظة بلحظة، وخطوة خطوة ويصف أحوالهم مشهداً مشهداً، حتى وهم في صحراء التيه، لا يوجد غيرهم ليجرموا في حقه، كل ذلك ليضع للمؤمنين منهجاً قرآنياً فريداً في كيفية التعامل مع جرائمهم، فتارةً يذكرهم بأصولهم العرقية والإيمانية فيقول لهم: "يا بني إسرائيل"، وتارةً أخرى يوبخهم وينعى عليهم، وأخرى يهددهم

(١) برونوكولات حكماء بني صهيون وتعاليم التلمود، د. شوقي عبد الناصر - كلمة الناشر بتصريف، وانظر حقيقة اليهود (ص ٦٢) خطاب الرئيس الأمريكي باللغة الإنجليزية، وترجمته (ص ٦٣) محمد نمر الخطيب منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت - لبنان - بدون طبعة.

(٢) انظر ما نشره موقع دنيا الوطن الإلكتروني بتاريخ ١٧/١/٢٠٠٩م. انظر (ص ٤٠٩) ملحق رقم (١).

وهدفه من ذلك إصلاح نفوسهم، وأحوالهم وإعادتهم إلى جادة الصواب، ومع ذلك استمر اليهود في جرائمهم وأصرروا عليها، حتى كان العقاب الشديد والانتقام الإلهي أكثر من مرة تارة بالصعق وأخرى بالخسف، حتى وصل بهم الأمر إلى اللعن والطرده من رحمة الله فضرب عليهم الذلة والمسكنة، وقطعهم في الأرض أممًا، وهم على تلك الحالة مشتتين في بقاع الأرض، ينتظرون قدر الله فيهم بتحقيق وعد الآخرة.

والباحث في هذا الفصل والذي يليه سيسعى جاهدًا ليضع للمسلمين المنهج القرآني في التعامل مع جرائمهم، ويبين الواجب الشرعي على المؤمنين تجاه تلك الجرائم، التي ارتكبوها ولا زالوا، مستغلين بذلك حالة الذل والهوان التي رضيتها الأنظمة الرسمية للعرب والمسلمين إضافة لبعض الشعوب المسلمة.

المبحث الأول

جرائم اليهود في حق الله وكتابه

وفيه: مدخل وثلاث مطالب:

المدخل، وفيه:

أولاً: العقوبة لغة:

قال ابن منظور: عقب كل شيء، وعقبه وعاقبته، وعاقبه، وعقبته، وعقباه، وعقبانه: آخرته^(١).

قال الراغب: عَقَبَهُ: إذا تلاه، عَقَبًا، نحو دَبَّرَهُ وَقَفَاهُ، والعقب والعقبى، يختصان بالثواب، نحو خير [خَيْرٌ تَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا] (الكهف/٤٤)، وتستعمل في العقوبة، نحو [ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوْأَى أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ] (الروم/١٠) وقال: [فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ] (الحشر/١٧) والعقوبة والمعاقبة والعقاب يختص بالعذاب، قال تعالى: [إِنْ كُلُّ لُؤْلُؤٍ مَرْجَانٍ فَكُنَّ آلُ فِرْعَوْنَ لَهْجَةً يَخْتَصِمُونَ] (الفرقان/٢٠)^(٢) (ص/١٤)، "وعَقَبَ الرجل: مؤخر الرجل، وقيل عقب وجمعه أعقاب"^(٣).

ثانياً: العقوبة اصطلاحاً.

قال الكفوي: "العقوبة تختص بالعذاب"^(٤).

قال عبد القادر عودة: "العقوبة هي الجزاء المقرر لمصلحة الجماعة على عصيان أمر الشارع، وهو إصلاح حال البشر وحمايتهم من المفساد، واستنقاذهم من الجهالة، وإرشادهم من الضلالة، وكفهم عن المعاصي وبعثهم على الطاعة"^(٥).

قال أبو زهرة: "العقوبة في ذاتها أذى ينزل بالجاني زجراً له، وهي من الناحية الذاتية، ضرر في ظاهرها لمن وقع عليه عقاب، ولكنها في حقيقة الأمر فيها تحقيق مصلحة الأمة"^(٦).

(١) لسان العرب مج (٨٢٩/٤) مرجع سابق.

(٢) المفردات (٣٤٠) مرجع سابق.

(٣) لسان العرب مج (٨٢٩/٤) مرجع سابق.

(٤) الكلبيات (ص ٦٥٤) مرجع سابق.

(٥) التشريع الجنائي مج (٦٠٩/١) مرجع سابق.

(٦) الجريمة في العقوبة في الفقه الإسلامي (ص ٧) دار الفكر العربي بدون طبعة.

ويرى الباحث أن العقوبة هي جزاء يقع بعد ارتكاب جرم في حق الآخرين، وتكون زجراً للمذنب، وجبراً لمن وقع عليه الجرم.

المطلب الأول: عبادة العجل من دون الله.

قال تعالى: [وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاَسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ] (البقرة/٩٣) وقال تعالى: [وَأَتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوَارٌّ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يُهْدِيهِمْ سَبِيلاً اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ] (سورة الأعراف/٤٨).

أولاً: التفسير الإجمالي.

لقد أخذ الله ﷻ العديد من الموائيق بني إسرائيل، منها أوامر الله في التوراة وتنفيذها بقوة دون تلكؤ، وتأكيداً لذلك رفع الله جبل الطور فوق رؤوسهم، وقال لهم اسمعوا وأطيعوا، لكن طبعهم المجادل والمعاند غلب عليهم، فقالوا سمعنا وعصينا، فكانت النتيجة أن تغلغل حب العجل في قلوبهم القاسية، حتى وصل إلى جميع أحاسيسهم ومشاعرهم، فذمهم الله ﷻ على موقفهم هذا، قائلاً – بئسما يأمركم به إيمانكم – لكن الغريب في هذه الجريمة الكبرى، أنها تكررت مرة أخرى بعد رؤيتهم مهلك عدوهم، ونجاتهم من بطشه، بعدما سامهم سوء العذاب، ولا زالت صورة مصرع فرعون وجنوده حاضرة أمام أعينهم، وبدلاً من أن يشكروا الله على ذلك، إذا بهم وهم خارجون من البحر للتو، يمرون على قوم وثنيين عاكفين على عبادة الأصنام، فقالوا لموسى: " [اجْعَلْ لَنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ] (الأعراف/١٣٨)، فأنكر موسى عليهم جريمتهم، قائلاً: كيف تتركون عبادة من أنعم عليكم بنعم كثيرة وتعبدون من لا يسمع ولا يبصر ولا يعقل شيئاً، فأين عقولكم؟؟.

قال الطبري: "واذكروا إذ أخذنا عهدكم خذوا ما آتيناكم من التوراة التي أنزلتها إليكم واملوا بما فيها من أمري، وانتهوا عما نهيتكم فيها بجد، وأعطيتكم الميثاق على ذلك، وقلت لكم اسمعوا ما أمرتكم به وتقبلوه بالطاعة، لكنهم قالوا سمعنا قولك، وعصينا أمرك، فاشربوا حب العجل في قلوبهم" (١)، وقال بن كثير: "يعدد سبحانه وتعالى عليهم خطأهم ومخالفتهم للميثاق وعتوهم وإعراضهم عنه حتى رفع الطور عليهم حتى قبلوه ثم خالفوه، ولهذا قالوا سمعنا

(١) جامع البيان مج (١/٤٦٦/٤٦٧) مرجع سابق.

وعصينا فأشربوا حب العجل، حتى خلص ذلك إلى قلوبهم" (١).

وقال البغوي: " أي معناه: أدخل في قلوبهم حب العجل وخالطها، كإشرباب اللون لشدة الملازمة، يقال: فلان أشرب اللون إذا اختلط بياضه بالحمرة " (٢)
ذكر المفسرون أن موسى عبر بهم يوم عاشوراء (٣)، بعدما أهلك الله فرعون وقومه فصاموه شكراً لله، فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم، ويواظبون على عبادتها، وكانت التماثيل بقرآء، قالوا يا موسى اجعل لنا آلهة أصناماً نعكف عليها كما لهم آلهة أصناماً (٤)، قال الطبري: " وقطعنا ببني إسرائيل البحر بعد الآيات التي أريناها موها، والعبر التي عابنوها على يدي نبي الله موسى، فلم تزجرهم تلك الآيات، ولم تعظم تلك العبر والبيئات، حتى قالوا مع معابنتهم من الحجج، ما يحق أن يذكر معها البهائم، إذ مروا على قوم يعكفون على أصنام لهم يعبدونها من دون الله، اجعل لنا إلهاً نعبده و صنماً نتخذة، كما لهؤلاء القوم آلهة أصناماً يعبدونها (٥)، قال السعدي: " حدث هذا بعدما أنجاهم الله من عدوهم فرعون وقومه وأهلكهم الله، وبنو إسرائيل ينظرون (٦).

ثانياً: الإعجاز البياني.

وفيه أربع مسائل:

المسألة الأولى: قوة التعبير في قوله (أشربوا).

جاءت قوة التعبير في اللفظ القرآني لبيان عمق تغلغل حب العجل في قلوب بني إسرائيل كما يتغلغل الشراب إلى الجسم، من خلال سرعة امتصاص الخلايا له، ونقله إلى جميع أنحاء الجسم، وهذا الذي حدث مع بني إسرائيل، فمن شدة حبه للعجل تمردوا على أوامر الله، رغم

(١) تفسير القرآن العظيم مج (١/٢٦) مرجع سابق.

(٢) معالم التنزيل مج (١/٧٥) مرجع سابق.

(٣) روى البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء، فقال ما هذا؟ قالوا: هذا يوم صالح، هذا يوم نجى الله بني إسرائيل من عدوهم فصامه موسى قال: فأنا أحق بموسى منكم، فصامه وأمر بصيامه، - ك - الصوم - ب - صيام يوم عاشوراء، (رقم ١٨٦٥). وانظر كتاب اللؤلؤ والمرجان في ما اتفق عليه الشيخان محمد فؤاد عبد الباقي (ج ١/٣٣١).

(٤) جامع البيان مج (٦/٤٥-٤٦)، النسفي مج (١/٧٣)، معالم التنزيل مج (٢/٣١٣)، الكشاف مج (٢/١١٠) بتصرف دار المعرفة - بيروت - لبنان - بدون طبعة، مراجع سابقة.

(٥) جامع البيان مج (٦/٤٥) بتصرف.

(٦) تفسير السعدي (ص ٢٦٤) بتصرف.

رؤيتهم للعديد من الآيات والمعجزات منها: رفع جبل الطور فوق رؤوسهم، وقلق البحر، وهلاك عدوهم!!.

قال ابن عاشور رحمه الله: " والإشراب هو جعل الشيء شارباً، واستعير لجعل الشيء متصلاً بشيء وداخلاً فيه، ووجه الشبه هو شدة الإتصال والسريان، لأن الماء أسرى الأجسام في غيره، ولذا يقول الأطباء: الماء مطية الأغذية والأدوية ومركبها الذي تسافر به إلى أقطار البدن فذلك استعاروا الإشراب لشدة التداخل (1)، ويرى الباحث أن القرآن الكريم تحدث عن عبادة العجل في أكثر من آية، وأكثر من موطن، وهذا يدل على قوله تعالى: ﴿وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾ (البقرة/٩٣) لأنهم لن يستطيعوا مفارقتة وكأنهم أدمنوا عليه، وهذا إعجاز غيبي للقرآن، إن جاز تسميته بذلك، لأنهم لا زالوا يعتقدون بهذه الفكرة، فيما يعرف عنهم بالبقرة الحمراء التي ستظهر في آخر الزمان، ويحرقونها ليظهروا برمادها ساحة جبل موريا (حيث الأقصى الشريف وقبة الصخرة) ويطهروا أنفسهم ليستطيعوا دخول الساحة، لذلك ففي مستوطنة بيت شلومو توجد الآن مزرعة أبقار، وفي هذه المزرعة معهد للتجارب، يشرف عليه يسرائيل أريئيل، ووظيفة هذا المعهد إجراء البحوث الوراثية التي من شأنها التوصل إلى إنتاج بقرة حمراء — لاشية فيها — لاستخدام رمادها في تطهير منطقة الحرم القدسي، قبل إعادة بناء الهيكل المزعوم، وفي لوزيانا بالولايات المتحدة الأميركية يجري الآن أعداد قطيع من الأبقار الحمر جاهز للنقل الفوري إلى إسرائيل جوا (2).

المسألة الثانية: أهمية استخدام الجملة الفعلية (يعكفون).

يعكفون: جاءت الجملة الفعلية حال تصف حالهم المتكرر والمستمر، لأنهم كانوا كلما أقاموا على التماثيل، عادوا إليها في اليوم الثاني والثالث وهكذا، لشدة حبهم للمادية التي هي جزء من عقيدتهم.

(١) التحرير والتنوير مج (١/٦١١) مرجع سابق .

(٢) ففي الإصحاح التاسع عشر من سفر العدد في العهد القديم، يكلم الرب موسى وهارون ويفرض الشريعة التالية: (كلم بني إسرائيل " أن يأخذوا إليك بقرة حمراء صحيحة لا عيب فيها، ولم يعل عليها نير، فتعطونها لإلغازار الكاهن فتخرج إلى خارج المحلة وتذبح قدامه ويأخذ إلغازار الكاهن من دمها بإصبعه وينضح من دمها إلى جهة وجه خيمة الاجتماع سبع مرات. وتحرق البقرة أمام عينيه، يحرق جلدها ولحمها ودمها مع فرثها. ويأخذ الكاهن خشب أرز وزوفا وقرمزاً ويطرحهن في وسط حريق البقرة.

المسألة الثالثة: علاقة قوم موسى بصناعة العجل:

لماذا قال قوم موسى مع أن الذي قام بصناعة العجل هو السامري^(١)؟.

١- قال البقاعي: لأن السامري اتخذهُ برضاهم، ولأنهم لم يعتبروا شيئاً مما آتاهم موسى من تلك الآيات التي لم يروا مثلها^(٢)، ولأن الجميع منهم قدم الحلي التي يمتلكها، قال تعالى: [وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوارٌ] {الأعراف: ١٤٨}.

٢- إن اتخاذهم إلهاً من حلي قوم كفرة ظالمين، يدل على شدة غباؤهم، قال البقاعي: "لا أضل ولا أعمى من قوم كان معهم حلي، أخذوه ممن كانوا يستعبدونهم، ويأخذونهم وهم مع ذلك أكفر الكفرة، فكان جديراً بالبغض، لكونه من آثار الظالمين الأعداء، فاعتقدوا أنهم بالصوغ صار إلهاً، وبالغوا في حبه والعبودية له، وهو جسد يروونه ويلمسونه.

المسألة الرابعة: الإستفهام ودلالة نفي صفتي الهداية والكلام عن العجل:

١- ألم يروا: قال أبو حيان: الاستفهام إنكاري لأنهم عبدوا جماداً صنعوه بأيديهم، لا يتكلم ولا يعقل ولا يغنى شيئاً^(٣).

٢- لا يكلمهم ولا يهديهم، إذن فهو إله أبكم عاجز فماذا يرجون منه؟؟ أيريدونه العوبة في أيديهم، أم هو الكفر والعناد والغباؤ عند اليهود؟؟

قال أبو حيان: "سلب عنه هذين الوصفين دون باقي أوصاف الإله، لأن انتفاء التكليم يستلزم انتفاء العلم وانتفاء الهداية إلى سبيل، يستلزم انتفاء القدرة وانتفاء هذين الوصفين العلم والقدرة، انتفاء باقي الأوصاف^(٤)، وأكد ابن عطية نفي الإلوهية عن صفتي العلم والقدرة قائلاً: "وذلك أن الصامت الجماد لا يتصف بالإلوهية، والذي لا يرشد إلى خير ولا يكشف غمماً كذلك^(٥)، وأنكر البقاعي على بني إسرائيل اتخاذهم إلهاً أبكم عاجز فقال: "اتخذتم إلهاً من دون الله، فجعلتم أنفسكم متذللين لمن لا يملك شيئاً، ولمن هي أشرف منه، - النفس - فأنزلتها من

(١) ب: لم يكن من بني إسرائيل أصلاً، وبما انه كان في مصر جاز ان يكون من قرية بمصر تسمى سامرا، ثم سكن فلسطين ونسبت السامرية إليه وما زالت إلى اليوم بهذا الاسم ويقرنه اليهود بيهودا فيقولون يهودا والسامرة. تفسير سورة طه ص ١١٦ رسالة ماجستير محمود عبد الكريم احمد الحسن.

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور مج (١١٢/٣) مرجع سابق.

(٣) النهر المارء مج (٨٦٨/١) بتصرف، تقديم وضبط بدران الضناوي، وهديان الضناوي - دار الجنان،

مؤسسة الكتب الثقافية - ط الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

(٤) البحر المحيط لأبي حيان مج (٣٩١/٤) مرجع سابق.

(٥) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز مج (٤٥٥/٢) مرجع سابق.

رتبة عزّها، بخضوعها لمولاها، الذي لا يذل من ولاه ولا يعز من عاداه، إلى ذلها بخضوعها إلى من دونكم أنتم^(١)؟.

ثالثاً: منهج القرآن في التعامل مع الجريمة:

وفيه خمس مسائل:

المسألة الأولى: بيان عقوبة الجريمة:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِقَوْمِ إِتَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾ (البقرة/ ٥٤) ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيِّئًا لَهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ (الأعراف/ ١٥٢).

يتضح من النصين السابقين أن الله تبارك وتعالى قد عاقب اليهود، بثلاث عقوبات:

العقوبة الأولى: اللوم والتسفيه والتوبيخ.

وذلك عندما فعلوا بأنفسهم ما لم يكن لهم أن يفعلوه، فأوجب الله عليهم العقوبة، بسبب ظلمهم لأنفسهم، واتخاذهم العجل رباً بعد فراق موسى، وكذلك كل من يفعل فعلاً يستوجب به العقوبة من الله فهو ظالم لنفسه^(٢).

العقوبة الثانية: قتل النفس.

جعل الله توبتهم بقتل أنفسهم، لذلك فهم الوحيدون من البشر الذين طلب الله منهم قتل أنفسهم تكفيراً لجريمتهم، "فيقتل البرئ منهم المجرم"^(٣)، وقال الطبري: "أخبرهم أن توبتهم من الذنب الذي ارتكبوه أن يقتل بعضهم بعضاً، فجعل الرجل يقتل أباه ويقتل ولده فتاب الله عليهم"^(٤).

العقوبة الثالثة: الذل والغضب في الدنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيِّئًا لَهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ (سورة الأعراف/ ١٥٢).

(١) نظم الدرر مج (١٣٤/١) مرجع سابق.

(٢) جامع البيان مج (٣٢٥/١) بتصرف.

(٣) المقتطف من عيون التفسير مج (٢٧٧/٢) مرجع سابق.

(٤) جامع البيان مج (٣٢٦/١) بتصرف، وانظر التفسير المنير مج (٩-١٠/١ ج/١٠٦) مرجع سابق،

مج (١-٢/١ ج/١٦٢) بتصرف.

المسألة الثانية: جريمة يقابلها ثلاث عقوبات:

تشابهت أقوال المفسرين في الآية قائلين: "إن الله عاقبهم بسبب جريمتهم بقتلهم أنفسهم وخروجهم من ديارهم، وذكر الطبري "إن الغضب كان بتعجيل العقوبة لهم، والذلة هي الهوان لعقوبة الله إياهم على كفرهم بربهم في الحياة الدنيا في عاجل الدنيا قبل أجل الآخرة" (١)، واعتبر الدكتور وهبي الزحيلي، "أن العقوبة إنما كانت ممن اتخذ العجل قبل أن يرجع موسى ﷺ، ولمن فر منهم حين أمرهم موسى بقتل بعضهم بعضاً، وأما ذلتهم في الحياة الدنيا بخروجهم من ديارهم وتشردهم، بهوانهم على الناس واحتقارهم لهم وتهالكهم على الدنيا" (٢)، وأما الذين استمروا على عبادته كالسامري وأتباعه، سيبصيهم عذاب شديد من ربهم، بحيث لن يقبل توبتهم حتى يقتل بعضهم بعضاً، "وسينالهم أيضاً ذلة وصغار في الحياة الدنيا، فهم الماديون المنبوذون المكروهون في كل أمة، وتلك هي ذلة عظيمة المعنى" (٣)، وصدق الله العظيم إذ يقول ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ﴾ (البقرة/ ٦١).

الخلاصة: أن بني إسرائيل الذين عبدوا العجل ينقسمون إلى قسمين:

القسم الأول: هم الذين تابوا من عبادة العجل ونفذوا أمر الله، بقتل بعضهم بعضاً، ويمكن اعتبار ذلك هو العقوبة التي وقعت بهم، لأن في قتلهم لبعض ذل وهوان في الدنيا وطاعة لله.

القسم الثاني: الذين استمروا في عبادة العجل وتمردوا على تنفيذ أمر الله، كالسامري وأشياعه وهؤلاء هم الذين قال الله فيهم: ﴿ وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ﴾ (سورة البقرة/ ٩٣) حيث استمر الذل والهوان يلاحقهم طيلة حياتهم وسلط الله عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب ﴿ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (الأعراف/ ١٦٥)، ويعتبر يهود المدينة الذين لم يؤمنوا بالرسول ودعوته، من أصلابهم، لذلك استمر غضب الله عليهم، وعاشوا حياة الذل والهوان والتشرد عندما خانوا عهودهم مع رسول الله ﷺ، فأجلهم عن ديارهم في المدينة بعدما قتل ذكورهم في بني خيبر وسبى نسائهم بسبب غدرهم.

وأما قيام ما يسمى دولة إسرائيل في فلسطين فهي محنة وابتلاء للمسلمين، بسبب بعدهم عن دينهم وتقصيرهم في نصرمة المسجد الأقصى، وحكمهم بغير ما أنزل الله، وعندما يعودون إلى دينهم فسوف يتحقق وعد الله فيهم، وسيُرسل الله عليهم عباده، الذين يتبروا ما علا اليهود

(١) جامع البيان مج (٧٠/٦) بتصرف.

(٢) المرجع السابق مج (١٠٩/١٠٥، ١٠٦) مرجع سابق.

(٣) التفسير المنير مج (١٠٦/٩) .

تتبيرا^(١)، ويرى ابن عاشور أن الذلة التي حلت ببني إسرائيل اعم واشمل مما ذكره العديد من المفسرين فقال: "والذلة خضوع في النفس واستكانة من جراء العجز عن الدفع فمعنى نيل الذلة إياهم إنهم يصيرون مغلوبين لمن يغلبهم فقد تكون بتسليط العدو عليهم ، أو بسلب الشجاعة من نفوسهم بحيث يكونون خائفين العدو ولو لم يسلط عليهم، أو ذلة الاغتراب إذ حرمهم الله ملك الأرض المقدسة فكانوا بلا وطن طول حياتهم حتى انقرض ذلك الجيل كله^(٢)."

المسألة الثالثة: الجمع بين توبة الله وغضبه.

توبة الله ﴿ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ (البقرة/ ٥٤).

غضب الله ﴿ سَيِّئَالَهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ ﴾ (الأعراف/ ١٥٢).

قال الرازي رحمه الله: " إن الغضب حصل في الدنيا لا في الآخرة فأمرهم بقتل أنفسهم ففعله البعض منهم فتاب الله عليهم ، وأما الذلة في الحياة الدنيا ، أنهم ضلوا فذلوا^(٣)، ويمكن اعتبار التوبة لمن ندم على عبادة العجل، ونفذ أمر الله والغضب والخزي في الدنيا لمن أصر على عبادة العجل، قال أبو زهرة: " وينالهم مع الغضب ذلة ، وهى ذلة المبطل إذا ظهر الحق، وتضرب عليهم الذلة إلى يوم القيامة إن لم يتوبوا إلى ربهم ويرجعوا إليه^(٤)."

المسألة الرابعة: الجمع بين الفاصلتين في العقوبة للموضوع الواحد.

الفاصلة الأولى: ﴿ فاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ (سورة البقرة/ ٥٤).

الفاصلة الثانية : ﴿ سَيِّئَالَهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ﴾ (سورة الأعراف/ ١٥٢).

الفاصلة الأولى: مما لا شك فيه أن عبادة العجل من أكبر الجرائم التي وقع فيها بنو إسرائيل، وإن سبقها العديد من الجرائم، لكنها تستحق عقوبة من أقسى العقوبات، لكن الرحمن الرحيم فتح باب التوبة لهم ولكل المذنبين، فجاء بحرف الفاء الذي يفيد التعقيب والترتيب، ليقول لهم أسرعوا بالتوبة قبل أن يعاقبكم الله عقاباً شديداً بسبب عبادة العجل، وأما قتل النفس، أو أن يقتل بعضهم بعضاً، فهذا شديد جداً وصعب على النفس، ولكن جاءت العقوبة قاسية لسببين:

(١) المرجع السابق (١٠٦) بتصرف

(٢) التحرير والتنوير مج (٥/٢/١١٩) مرجع سابق.

(٣) التفسير الكبير مج (١٥-١٦/١٣).

(٤) زهرة التفاسير مج (٦/٢٩٥٩) مرجع سابق.

السبب الأول: لكثرة الجرائم التي ارتكبوها ولم يتوبوا عنها، وأهمها عبادة العجل.

السبب الثاني: ليمتنح الله من يريد التوبة من بني إسرائيل بصدق، فإن فعلوا ذلك قبل الله توبتهم، وإن لم يفعلوا دل ذلك على كذبهم وإصرارهم على المعصية، لذلك فإن الذين تابوا بعد عبادة العجل قبل الله توبتهم عندما قالوا: ﴿ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ ﴾ (سورة الأعراف/ ١٥٦) فتاب الله عليهم إنه هو التواب الرحيم.

الفاصلة الثانية: إن الغضب والذلة، إما أن يكون معناه ما ورد في الفاصلة الأولى من قتل النفس أو أن يكون الغضب والذلة في حق الذين لم يتوبوا واستمروا على عبادة العجل.

وأما قوله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ﴾ (سورة الأعراف/ ١٥٢) فهي تهديد ووعيد ليهود المدينة، الذين افتروا الكذب، وأخفوا صفات الرسول ﷺ، والعديد من الأحكام إضافة لكل من ارتكب جريمتهم أو سلك طريق المفتريين، قال الزحيلي: "ومثل ذلك الجزاء الذي نزل بالظالمين من بني إسرائيل في الدنيا، نجزي القوم المفتريين على الله في كل زمان" (١).

وبناء على ما سبق فإن الفاصلة الأولى، إما إن تكون تفسيرية للفاصلة الثانية، وإما أن تكون عقوبة منفردة وأولية للذين عبدوا العجل، لفتح باب التوبة لهم، وأما الفاصلة الثانية فهي عقوبة لمن رفض التوبة واستمر في عبادة العجل كالسامري وغيره.

المسألة الخامسة: كيفية التعامل مع الجريمة:

على ضوء ما سبق يتبين للباحث أن الله تعالى أنزل عقاباً شديداً على اليهود، لكنه كان متدرجاً، وتمثل العقاب في جانبين:

- ١- العقاب المادي المتمثل في قتلهم لبعض في الدنيا.
- ٢- العقاب النفسي المتمثل في الذلة في الحياة الدنيا، إضافة إلى ما ينتظرهم من غضب الله يوم القيامة.

رابعاً: اللطائف البيانية:

- ١- استحباب شكر الله على النعم لأن موسى صام اليوم الذي نجى الله فيه بني إسرائيل وأهلك فرعون وجنوده.

(١) التفسير المنير مج (٩-١٠/ج١/١٠٦، ١٠٧) مرجع سابق.

٢- اجعل لنا إلهًا قولهم هذا يدلل على جرأتهم ووقاحتهم عند ارتكاب الجرائم في حق الله ، وقلة أدبهم مع نبيهم عندما استخدموا فعل الأمر معه.

٣- اشتملت الآيات على قاعدتين في الحكم:

أ- العدل عند العقاب: إن من أشرك بالله كما فعل بنو إسرائيل ، فهو ظالم لنفسه ، يستحق غضب الله عليه، وتصاحبه ذلة وهوان في الدنيا ،ومن ابتدع شيئاً في دين الله فهو مفتر، يناله من الجزاء مثل جزاء الظالمين وهذه سنة من سنن الله ماضية على كل البشر في الماضي والحاضر لا تحابي أحداً.

ب. الرحمة مع العصاة: بفتح باب التوبة لهم خصوصاً إذا أرادوا ذلك، لأن الآية تحتوى على نص واضح وحكم محكم قاطع، بفتح باب التوبة أمام العصاة لا يغلقه الله أبداً، قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (الأعراف/ ١٥٣) . وهذه الأخرى سنة من سنن الله لا تتغير ولا تتبدل^(١).

المطلب الثاني : الكذب على الله وتحريف كتابه.

قال تعالى: [الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلاَّ نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِينَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِ بِالْبَيِّنَاتِ وَإِلَازِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (آل عمران/ ١٨٣) وقال تعالى: ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة/ ٧٥) وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُودُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (آل عمران/ ٧٨)، وقال: [مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمِعْ غَيْرَ مُسْمِعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنَا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمِعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا] (النساء/ ٤٦) وقال تعالى[وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَبَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدْ

(١) التفسير المنير مج (١-٩/ج١/١٠٦، ١٠٧) بتصرف مرجع سابق.

اللَّهُ فَنَسَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا حِزْبٌ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿المائدة/٤١﴾.

أولاً: أسباب النزول:

قال ابن عباس: "ومقاتل نزلت في السبعين الذين اختارهم موسى ليذهبوا إلى الله تعالى فلما ذهبوا معه سمعوا كلام الله تعالى وهو يأمر وينهى، ثم رجعوا إلى قومهم فأما الصادقون فأدوا ما سمعوا، وقالت طائفة منهم سمعنا الله من لفظ كلامه، يقول إن استطعتم أن تفعلوا هذه الأشياء فافعلوا، وإن شئتم فلا تفعلوا" (١)، (الآية ٧٥/البقرة).

قال الكلبي: " نزلت في كعب بن الأشرف ومالك بن الضيف ووهب بن يهوذا وزيد بن تابوه وفي فحاص بن عازوراء وحيي بن أخطب، أتوا رسول الله ﷺ ، فقالوا تزعم أن الله بعثك إلينا رسولاً، وأنزل عليك كتاباً، وإن الله قد عهد إلينا في التوراة ألا نؤمن لرسول يزعم أنه من عند الله حتى يأتينا بقربان تأكله النار، فإن جئتنا به صدقناك" (٢) (الآية ٧٨ آل عمران).

ثانياً: التفسير الإجمالي:

هاتان جريمتان مرتبطتان ببعضهما البعض، سواء الكذب على الله أو تحريف كتابه، لأن التحريف كذب على الله أيضاً، وهذا ما قام به اليهود، عندما جاءوا إلى الرسول زاعمين أن الله وصاهم، وأنزل إليهم في التوراة ألا يؤمنوا لرسول حتى يقدم قرباناً إلى الله، وعلامة قبوله أن تأكله النار، فإن لم يفعل ذلك أو قدم قرباناً ولم تأكله النار، فهو ليس نبياً حسب زعمهم، فوبخهم الله وكذب زعمهم بأن الله أرسل إليكم الأنبياء بالحجج الواضحات التي لا لبس فيها فقتلتموهم بدلاً من أن تؤمنوا بهم، فكفاكم كذباً على الله، وكذلك حرقتهم كلام ربكم وزعمتم أن ما حرقتموه هو الحق، وكنتم بزعمكم هذا كاذبين، وأنتم تعلمون أنكم كاذبون، فأى جريمة أشنع من ذلك، ﴿ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَيْسْتَ تُرُوا بِهِ تَمَنَّا قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ (البقرة/٧٩).

قال البغوي: "يقولون سمعنا قولك وعصينا أمرك، وسمع غير مسمع، اسمع منا ولا نسمع منك، لأنه غير مقبول منك، أو يقولون للنبي اسمع ثم يقولون في أنفسهم لا سمعت" (٣).

(١) أسباب النزول للواحد (ص ١٧) مرجع سابق.

(٢) المرجع السابق (٩٩) .

(٣) معالم التنزيل مج (٥٢/٢) مرجع سابق .

قال سيد قطب: " لقد بلغ من التواءهم وسوء أدبهم مع الله ﷻ أن يحرفوا الكلام عن المقصود به، والأرجح أن ذلك يعني تأويلهم لعبارات التوراة بغير المقصود منها، كي ينفوا ما فيها من دلائل على الرسالة الأخيرة، ثم بلغ من التواءهم وسوء أدبهم مع رسول الله ﷺ أن يقولوا له : سمعنا يا محمد ما تقول لكننا عصينا فلا نؤمن لك ولا نتبع ولا نطيع" (١).

ثالثاً: الإعجاز البياني:

وفيه سبع مسائل:

المسألة الأولى: دلالة التعبير ب (عَهْد).

عَهْدٌ: بمعنى وصّى، وهو اخص من الأمر، لأنه في كل أمر ذي بال ويبقى على مر الزمان (٢)، وأرادوا بقولهم هذا، أن يقولوا نحن الأمناء والأوفياء الذين نحافظ على وصية خصنا الله بها، والحقيقة، أنهم هم الخائنون الغادرون المضيعون لمواثيق الله وعهوده، ﴿ **أَوْكَلْنَا عَاهِدُوا عَهْدًا** نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (البقرة/ ١٠٠)، ويريدون بقولهم هذا خداع وتضليل من حولهم، والطعن في الرسول ﷺ وأخلاق الصحابة ﷺ .

المسألة الثانية: توجيه رباني:

﴿ **قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِي** ﴾ (آل عمران/ من الآية ١٨٣) أمر من الله لرسوله أن يرد عليهم، قال أبو السعود: " تنكيتاً لهم وإظهاراً لكذبهم، قد جاءكم رسل كثيرة العدد، كبيرة المقدار من قبلي بالبينات - أي المعجزات الواضحة - وبالذي قلتم بعينه من القربان الذي تأكله النار فلم تقتلتموهم إن كنتم صادقين (٣) في طلبكم القربان من محمد.

المسألة الثالثة: أهمية الإستفهام في قوله: (أفتطمعون) (٤).

معظم المفسرين يرون أن الإستفهام إنكاري هدفه التأييس ينكر على الرسول وصحابته طمعهم في إيمان اليهود، ويستبعد ذلك بسبب جرائمهم، وقسوة قلوبهم وعدم تأثرها بما شاهدته من آيات (٥)، والبعض من المفسرين يرون أن فيه معنى الإنكار، كأنه آيسهم من إيمان هذه الفرقة

(١) الظلال مج (٦٧٤/٢) مرجع سابق .

(٢) البحر المحيط مج (١٣٧/٣) بتصرف، مرجع سابق.

(٣) إرشاد العقل السليم مج (٤٥٨/١) مرجع سابق.

(٤) والطمع هو رغبة النفس بإدراك مطلوب تعلقاً قوياً، النهر المارد مج(١/٩٥) مرجع سابق. وقال الشعراوي: والطمع هو رغبة النفس في شئ غير حقها، وإن كان محبوباً لها، لذا فهذه الكلمة تحدد أنه يجب ألا نطمع إلا فيما نقدر عليه مج(١/٤٠٥، ٤٠٦) مرجع سابق.

(٥) المرجع السابق مج (١/١٤٠) بتصرف، وانظر التفسير الكبير مج(٣/٤٠٣)، وروح المعاني مج(١/٢٩٨).

من اليهود الذين كانوا في زمن محمد^(١)، وكذلك فإن في الآية أسلوب تلوين للخطاب، وإنكار الواقع، لا إنكار الوقوع وصرف له عن اليهود، بعدما ذكرت قبائحهم ونعت عليهم جرائمهم، للحديث عن النبي ومن معه من المؤمنين^(٢)، قال السعدي: " هذا قطع لأطماع المؤمنين من إيمان أهل الكتاب، فلا تطمعوا في إيمانهم وأخلاقهم لا تقاضي الطمع فيهم، فإنهم كانوا يحرفون كلام الله من بعد عقلوه وعلموه، فيضعون له معاني ما أَرادها الله، ليوهموا الناس أنها من عند الله، فإذا كانت حالهم في كتابهم الذي يرونه شرفهم ودينهم، يصدون به الناس عن سبيل الله، فكيف يرجى منهم إيمان لكم، فهذا من أبعد الأشياء" ^(٣).

المسألة الرابعة: العلاقة بين السماع والتحريف:

١- يسمعون كلام الله: "الجملة حالية لتأكيد الإنكار، حاسمة لمادة الطمع بإيمانهم" ^(٤) وكان الله يريد أن يقول للرسول ﷺ والصحابة لا تتشغلوا بدعوة هؤلاء اليهود في المدينة، فلن يؤمنوا بدينكم لأنهم من ذرية اليهود السابقين الذين قتلوا الأنبياء ونقضوا العهود والمواثيق وحرفوا كتاب الله لذا لن تتغير طباعهم عن أسلافهم .

٢- يحرفونه: التحريف: الإمالة، وتحريف الشيء: إمالته كتحريف العلم، " وتحريف الكلام أن تجعله على حرف من الاحتمال يمكن حمله على وجهين^(٥)، قال الشعراوي: " والتحريف معناه أن يأتي باللفظ الذي يحتمل معنيين، خير وشر، لكنك تريد منه الشر^(٦) .

٣- العلاقة بين السماع والتحريف.

جاء السماع والتحريف كلاهما، تأكيد من الله على قطع وحسم طمع الصحابة، من إيمان اليهود، لأنهم حرفوا كلام الله عن سبق إصرار بهدف الإضلال، وتحقيق مصالحهم، خصوصاً بعدما فهموه على وجهه الحقيقي، لأنهم حرفوه بعد سماعه، وأدراكوا بأنه لو تركوه دون تحريف، سيؤثر في سامعيه ويجعلهم مطيعين لله ﷻ ، على خلاف اليهود ولو بقي دون تحريف لفضحهم، وكشف فسادهم.

(١) فتح القدير مج(١/١٤٣).

(٢) إرشاد العقل السليم مج (١/١٤٠) بتصرف

(٣) تفسير الكريم المنان (ص٣٨) مرجع سابق.

(٤) إرشاد العقل السليم مج (١/١٤٠) بتصرف.

حرف، يحرف حرفاً، وانحرف: عدل، وإذا مال الإنسان عن شيء يقال: تحرف وانحرف، حرف حرفاً الشيء عن وجهه حرفه وأماله، المرام في المعاني والكلام (ص٣١٣) مرجع سابق، وتحريف الكلام عن مواضعه: تغييره، والتحريف في القرآن والكلمة: تغيير الحرف عن معناه، والكلمة عن معناها، لسان العرب مج (١/٦١١)، دار الجبل - بيروت - ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

(٥) التوقيف على مهمات التعاريف الميناوي ت٩٥٢ - ١٠٣١ هـ (ص١٦٣) ، تحقيق د. محمد رضوان الداية - ط الأولى - ١٩٩٠ م.

(٦) الشعراوي مج (٤/٢٢٨٠) مرجع سابق .

المسألة الخامسة: ثلاثة حرام، بثلاثة حلال.

قال بن الجزري رحمه الله: " يُحَرَّفُونَ الكلم، يحتمل تحريف اللفظ أو المعنى، وقيل: الكلم هنا التوراة، وقيل: كلام النبي ﷺ وغيرَ مُسْمَعٍ لا سمعت، وقوله: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا، عوض من قولهم: راعنا، وهو النظر، أو الانتظار، فهذه الأشياء الثلاثة في مقابلة الأشياء الثلاثة التي ذمهم الله ﷻ على قولها، لما فيها من سوء الأدب مع رسول الله ﷺ، ولو أنهم قالوا الثلاثة الأخرى عوضاً عن تلك، لكان خيراً لهم^(١)، ويرى الباحث أن تحريف اليهود لكلام الله يشمل الجميع، سواء كان التوراة، أو أحكامها، أو صفة النبي ﷺ، أو غير ذلك.

الثلاثة الحرام هي: قولهم: سمعنا وعصينا، وسمع غير مسمع، راعنا.

الثلاثة الحلال هي: سمعنا وأطعنا، اسمعنا، وانظرنا.

المسألة السادسة: أهمية استخدام الجمل الفعلية: (يقولون – يلوون).

- ١- يقولون هو من عند الله: الجملة الفعلية الحالية، لبيان الحالة التي عليها اليهود من التحريف المستمر والدائم في التحريف بعد السماع، وأكدوا كلامهم المحرف وزادوا في التأكيد عندما قالوا: هو من عند الله، وكل هذه التأكيدات منهم لتمرير جريمة التحريف التي ارتكبوها وهم يعلمون أنهم كاذبون محرفون ويعلمون عقوبة هذه الجريمة، قال الشعراوي: " هذه معصية مركبة سمعوا كلام الله وعقلوه، وعرفوا العقوبة على المعصية ثم بعد ذلك حرفوه^(٢)، فأى جريمة هذه التي يتم التجراً والكذب على الله بهذه الطريقة، وهل ينتظر بعد ذلك منهم صدق ووفاء واحترام لدين أو كتاب؟!".
- ٢- يلوون^(٣): قال البقاعي: يفتلون ويحرفون ألسنتهم بالكتاب، بأن ينقلوا اللسان لتغير الحرف من مخرج إلى آخر، مثلاً: بأن يقولوا في - اعبدوا الله - ابدوا اللات، وقوله ولا تقتلوا النفس إلا بالحق، يقولون بالجد، ومن زنى فارحموه^(٤)، وقال القرطبي: يحرفون الكلم: يعدلون به عن القصد، وأصل اللى: الميل، لوى بيده ولوى برأسه، قال تعالى: ﴿لِيَأْ بِأَلْسِنَتِهِمْ﴾ (النساء/ من الآية ٤٦)، وقال: ﴿لَوْأ رُؤُوسُهُمْ﴾ (المنافقون/ من الآية ٥)، عناداً من الحق وميلاً عنه إلى غيره^(٥)، قال السعدي: "يميلونه ويحرفونه عن المقصود به، وهذا

(١) التسهيل لعلوم التنزيل مج (١/٤٤٤) مرجع سابق.

(٢) الشعراوي مج (١/٤٠٦) مرجع سابق.

(٣) يلوون: لوى يده، لوى برأسه إذا أماله - مجمل اللغة لابن فارس مج (٣-٤/٧٩٧)، ولوى ليا ولويا، ولويًا الحبل: قتله وثناه، المرام (ص٧٣٨) مرجع سابق.

(٤) نظم الدرر مج (٢/١١٦) مرجع سابق.

(٥) الجامع لأحكام القرن مج (٢/٤٨٤) مرجع سابق.

يشمل اللّي والتحرّيف اللفظي والمعنوي" (١)، وقال سيد قطب: "يأولون نصوصه لتوافق أهواء معينة، ويشترون بهذا كله ثمنا قليلاً" (٢).

وبناء على ما سبق فإن الباحث يرى أن معنى يلوون: يتعمدون تغيير الحروف أو المعاني بتأويل النصوص، وصرفها عن معناها الحقيقي لتوافق أهواءهم.

المسألة السابعة: أنواع التحريف واللي:

١- التحريف اللفظي.

القرآن الكريم: قوله تعالى: - قولوا حطة - فقالوا: حنطة، قال النسفي: واللي: الفتل وهو الصرف والمراد تحريفهم أية الرجم ونعت محمد □ (٣).

السنة النبوية: وهذا ما فعله اليهود عندما دخلوا على رسول الله □، (عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ: دَخَلَ رَهْطٌ مِنَ الْيَهُودِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالُوا السَّامُ عَلَيْكُمْ قَالَتْ عَائِشَةُ فَفَهَمْتُهَا فَقُلْتُ وَعَلَيْكُمْ السَّامُ وَاللَّعْنَةُ قَالَتْ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَهَلًا يَا عَائِشَةُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرَّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَدْ قُلْتُ وَعَلَيْكُمْ) (٤).

٢- التحريف في المعنى:

القرآن الكريم: إيا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرننا واسمعوا وللكافرين عذاب أليم] (البقرة/١٠٤)، وهدفهم من ذلك نزع ثقة الناس منه ومن كل الكتب المقدسة، لأنها ضد أهدافهم ومصالحهم، قال د محمد عثمان شبير: "وتحريف النصوص، وتأويلها تأويلاً فاسداً لأنهم لا ينقضون العقائد من أساسها ويكذبونها، وإنما يفسرونها تفسيراً يحرفها عن معانيها الحقيقية، كما جاء في البروتوكولات" لا تكذبوا نصوص الجويم (٥)، بل فسروها تفسيراً يزيل مفهومها" (٦)، وتحريف اليهود ليس محصوراً لكتب الله فقط، بل إنهم في العصر الحديث قاموا بتحريف قرار الأمم المتحدة ٢٤٢ الذي ينص على الإنسحاب من الأراضي المحتلة، إلى الإنسحاب من أرض محتلة !!.

(١) تفسير الكريم الرحمن (ص ١١٠) بتصرف.

(٢) الظلال مج (٤١٨/١) مرجع سابق.

(٣) النسفي مج (١٦٥/١) وانظر الكشف مج (٤٣٩/١) بمعناه.

(٤) خ - ك - الأدب - ب - الرفق في الأمر كله مج (٨/ص ١٢ رقم ٦٠٢٤).

(٥) هم الأمميون، والمقصود بهم غير اليهود من البشر مرجع سابق .

(٦) مخاطر الوجود اليهودي على الأمة الإسلامية (ص ٢٩)، دار النفائس - ط - الأولى ١٤١٢ هـ - ١٩٨٩ م.

ومن صور محاربة الله وكتابه ما قام به اليهودي الخبيث "جولد تسيهر" حيث طعن في القرآن الكريم، ووصفه بالنقص والتناقض فقال (ومن العسير أن نستخلص من القرآن نفسه مذهباً عقدياً موحداً متجانساً وخالياً من التناقضات^(١)).

المسألة الثامنة: الفرق في التعبير [يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ] (النساء/٤٦).

[يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ] (المائدة/٤١).

قال ابن سيده: "والوَضْعُ ضربٌ من السيرِ وَضَعَ يَضَعُ وَأَوْضَعَ وَأَوْضَعْتُهُ حَمَلْتُهُ عَلَى الْوَضْعِ^(٢)".

والمعنى: أن مواضعه في الآيتين تعنى بيان وثبات المعاني الحقيقية والثابتة لكلام الله، فيأتي اليهود، ويحرفون الكلام بتحميله معنى غير المعنى الحقيقي له. قال الشعراوي: " يحرفون الكلم عن مواضعه، فكأن المسألة لها أصل عندهم، والكلام المنزل من الله وضع أولاً وضعه الحقيقي، ثم أزالوه وبدلوه، ووضعوا مكانه كلاماً غيره، مثل تحريفهم الرجم، بوضع الحد مكانه.

واضاف، أما قوله:، فتفيد أنهم رفعوا الكلام المقدس، من موضعه الحق، ووضعوه موضع الباطل، بالتأويل والتحريف، حسب أهوائهم، بما اقتضته شهواتهم، فكانه كانت له مواضع، وهو جدير بها وحين حرفوه تركوه منقطع لا موضع له^(٣).

الفرق بينهما: على ضوء ما سبق يتبين للباحث أن الفرق بينهما كالتالي:

يحرفون الكلم عن مواضعه، تبديل كلام الله بكلام غيره من عندهم، وهدفهم من ذلك طمس أحكام الله لأنها تكشف أكاذيبهم، وتتعارض مع أهوائهم.

يحرفون الكلم من بعد مواضعه، استخدموا كلام الله في غير موضعه الذي كان فيه، وهدفهم من ذلك استغلال كلام الله لتحقيق مصالحهم، وخداع من حولهم بأنهم متمسكون بتعاليم الله.

رابعاً: الفواصل: أهميتها، جمالها.

(١) نقلا عن كتاب العقيدة والشريعة في الإسلام في تاريخ التطور العقدي و التشريع في الدين الإسلامي وهو مجموعة من الأبحاث للمؤلف جولد تسيهر ترجمة وتعليق محمد محمود موسى، عبد العزيز عبد الحق (٧٩،٧٨) دار الكتب الحديثة - مصر مكتبة المثني - بغداد مطابع دار الكتاب العربي - مصر ١٩٥٩م.

(٢) المخصص لابن سيده ب - ورد الإبل مج (١٩٢/٢) لأبي الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي المعروف بابن سيده، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، دار النشر - دار إحياء التراث العربي - بيروت - ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م - الطبعة - الأولى.

(٣) الشعراوي مج (٤/٢٢٨٢) مرجع سابق .

الفاصلة الأولى: ﴿ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (آل عمران/ من الآية ١٨٣).

١- أهمية الفاصلة: جاءت أهمية الفاصلة بعد كذب اليهود وزعمهم زوراً وبهتاناً أن الله وصاهم في التوراة ألا يؤمنوا لنبي إلا بالقربان، فرد الله عليهم مكذباً وداحضاً كذبهم، إن أنبياءكم جاءوكم بالبينات، ولم تؤمنوا بهم لكنكم قتلتموهم، وهذا يدل على كذبكم، في ادعاءكم، قال الطبري: " فلم قتلتموهم وأنتم مقرّون بأن الذي جاؤوكم به من ذلك كان حجة لهم عليكم^(١) "، ومع ذلك قتمت بقتلهم.

٢- جمال الفاصلة: ويأتي جمال الفاصلة من خلال النقاط التالية:

أ- الفاء معطوف على ما قبله أفاد التعقيب والترتيب، وفيه رد قوي وسريع على ادعائهم الكاذب، بعهد الله لهم ألا يؤمنوا حتى يأتيهم القربان.

ب- الإستفهام الذي أفاد التوبيخ لهم، على جرأتهم في الافتراء على الله، وجرأتهم على قتل أنبيائهم.

ت- قتلتموهم، جملة احتوت على فعل الجريمة - قتل- والفاعل- ميم الجماعة، ضمير المخاطب - أنتم- والمفعول به ضمير الغائب-هم-، وفي ذلك تأكيد على جريمة الافتراء من خلال القتل، قال أبوحيان: " هذا منكم معشر يهود تعطل وتعنت، ولو جاءهم بالقربان لتعللوا بغير ذلك مما يقترحونه، والافتراح لا غاية له، ولا يجب طالبه إلا إذا أراد الله هلاكه^(٢)، وضمير المخاطب في قوله: قتلتموهم-ميم - يدل على " أن المتأخرين من يهود المدينة راضون بأفعال المتقدمين ومصوبون لهم في كل ما فعلوه^(٣) ".

ث- صادقين، تبيحت لهم وتكذيب لدعواهم، لأن الإيمان يلزم بإتيان البينات، أو إن كنتم صادقين في أن الله عهد إليكم ألا تؤمنوا بقربان تأكله النار^(٤)، لأنهم قالوا هذه الفرية لصاحب الرسالة الخاتمة قاصدين منها أن إيمان اليهود بالإسلام، وعدم إيمانهم متوقف على هذه المعجزة، والله يعلم إنهم غير صادقين في ما يقولون، فلا الله وصاهم بهذا ولا هم سيؤمنون إذا آتاهم محمد بهذا الاقتراح الذي عرضوه^(٥).

الفاصلة الثانية: ﴿ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (آل عمران/ من الآية ٧٥).

(١) جامع البيان مج (٥٣٩/٣) مرجع سابق.

(٢) البحر المحيط مج (١٣٨/٣) مرجع سابق.

(٣) التفسير الكبير مج (٩ - ١٠/ج١/١٢٢) مرجع سابق.

(٤) البحر المحيط مج (١٨٤/٣) مرجع سابق.

(٥) . التفسير البلاغي الإستفهام في القرآن الكريم مج(١/١٩٧) د. عبد العظيم إبراهيم المطغي - جامعة الأزهر - مكتبة وهبة - ط - الأولى ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م .

١ - **أهميتها:** وتأتي أهمية الفاصلة بعد دحض حجة اليهود الكاذبة، والرد عليها من خلال بيان قتلهم لأنبياهم وإثبات كذبهم، والتأكيد على أن القول الذي قالوه، قالوه وهم عالمين بكذبه.

٢ - **جمال الفاصلة:** ويأتي الجمال فيها من خلال النقاط التالية:

أ- الجملة الفعلية - **يقولون** - حالية تفيد استمرارهم على تلك الحالة في الكذب على الله، إضافة إلى أن ما قالوه ليس له مستند من الحق والحجة بل هو مجرد أقوال من افتراءاتهم، وكذلك أفادت أنهم عملوا على نشره بين الناس، قال الشوكاني رحمه الله: " فهؤلاء الكتبة لم يكتفوا بالتحريف ولا بالكتابة لذلك المحرف حتى نادوا به في المحافل بأنه من عند الله ليقع عليهم القول والهلاك^(١) .

ب- وهم يعلمون، جاءت الجملة الاسمية مؤكدة لكل ما سبق، ولبيان أن كل ادعاءاتهم يقولونها وهم يعلمون أنهم كاذبون فيها، مع إصرارهم على الكذب، قال أبو فرج البغدادي " وهم يعلمون أنهم حرفوه، ويعلمون عقاب تحريفه^(٢) "، ومع ذلك أصرروا على جريمتهم.

الفاصلة الثالثة: ﴿ **فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ** ﴾ (البقرة / ٧٩).

١ - **أهميتها:** جاءت الفاصلة للذين ارتكبوا جريمة الكذب على الله، تهددهم بالويل والهلاك في الدنيا قبل الآخرة، وكشفت أساليبهم، وفضحت سريرتهم وتفاهة نفوسهم الرخيصة، لأنهم اشتروا الرخيص بالنفيس فبئس ما يشترون.

٢ - **جمال الفاصلة:** ويأتي جمال الفاصلة في النقاط التالية:

أ- حرف الفاء للتعقيب والترتيب، وهذا يعني أن الذم جاء بعد التحريف مباشرة.

ب- كلمة ويل المكررة في الآية ثلاث مرات أفادت التالي:

* تأكيد وقوع عقوبة الهلاك، والخسران لمن حرفوا كلام الله وهم يعلمون أنه كلامه، ويعلمون أن التحريف جريمة في حق الله وكتابه، يترتب عليها عقاب من الله، ومع ذلك تعمدوا فعلها.

* لبيان أن الويل لكل جريمة فعلوها في الآية، الذين كتبوا في الماضي لهم ويل وعذاب، والذين يكتبون في الحاضر والمستقبل لهم ويل وعذاب، والذين عقدوا الصفقات لهم ويل وعذاب ، قال تعالى: ﴿ **وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ** ﴾ (البقرة/ من الآية ٧٩)^(٣)، قال الشوكاني: "وكرر الويل

(١) فتح القدير مج (١/٤٧) مرجع سابق.

(٢) زاد المسير مج (١/٨٩) بتصرف.

(٣) الشعراوي مج (١/٤٢١) بتصرف.

تغليظا عليهم وتعظيما لفعالهم وهنكاً لأستارهم" (١)، والويل يلاحق بعدهم كل من سلك مسلكهم، ولف لفهم وأراد كسبهم، وحرف المعاني بإصدار الفتاوى، التي توافق هوى أو تنصر ظالمًا أو تضيع حقًا.

* بأيديهم: الباء للمصاحبة، "ولبيان أنهم كتبوها بأيديهم هم لا بيد غيرهم، وذكر أيديهم للتأكيد لأن الكتابة لا تكون إلّا باليد" (٢) "قال سيد طنطاوي " ليؤكد أنهم باشروها عن تعمد وقصد، وليدفع توهم أنهم أمروا غيرهم بكتابتها، ولتصور حالتهم في النفوس كما وقعت، حتى ليكاد السامع لذلك يكون مشاهدا لهيئتهم" (٣)، وأضاف الشعراوي، " لبيان اهتمامهم بتزييف كلام الله وتزويره عن سبق إصرار وترصد، وقد قاموا بذلك ليتأكدوا أن الأمر قد تم كما يريدون" تمامًا (٤)، لأنهم لا يؤمنون لأحد، كما قال بعضهم لبعض، ﴿ وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ ﴾ (آل عمران/ من الآية ٧٣).

* مما يكسبون: الجملة سببية، بينت سبب العقاب الذي قضى الله به على اليهود الذين حرفوا كلامه.

خامسا : منهج القرآن في التعامل مع الجريمة:

وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: بيان العقوبة.

قال تعالى: [فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ] (آل عمران / ١٨٣)، [أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ] (البقرة / ٧٥)، وقال تعالى: [فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ] (القرة/٧٩).

من خلال استقراء النصوص السابقة التي تحدثت عن جرائم اليهود في حق الله وكتابه،

تبين للباحث أن العقوبات التي نزلت بهم اثنتين:

العقوبة الأولى: كشفت جريمتهم، فضحت سريرتهم وألأعييهم، وتم توبيخهم وتوجيه اللوم لهم أمام الجميع.

العقوبة الثانية: الحكم عليهم بالهلاك والعذاب في الدنيا قبل الآخرة.

(١) فتح القدير مج (١/١٤٧) مرجع سابق.

(٢) المرجع سابق (١٤٦).

(٣) الوسيط في التفسير مج/١/٢٣٥) مرجع سابق.

(٤) الشعراوي مج (١/٤٢٠) بتصرف، مرجع سابق .

المسألة الثانية: كيفية التعامل مع الجريمة.

من خلال استقراء العقوبات التي نزلت ببني إسرائيل يتضح للباحث أن القرآن الكريم تعامل مع جريمتهم على النحو التالي:

- ١- إن هذه العقوبات كانت تنزل متدرجة، من خلال كشف جريمتهم في البداية وفضحهم لعلمهم يرتدعون، لكنه بعد ذلك كان التهديد والهلاك، بالويل.
- ٢- إن الله عاقبهم على جريمتهم بأكثر من عقوبة.
- ٣- كشف الجريمة بكل حيثياتها وفضح ممارسات اليهود.
- ٤- التوبيخ والذم من خلال الاستفهام.
- ٥- العذاب والهلاك في الدنيا قبل الآخرة.

سادسا: اللطائف البيانية:

- ١- تحذير العلماء من تحريف النصوص، وإصدار الفتاوى السياسية من خلال التأويلات الباطلة لإرضاء السلطان .
- ٢- بيان خبث اليهود ومكرهم وجرأتهم في الاعتداء على كتاب الله وتحريفه، ومن أكبر الجرائم وأخطرها، ما نقلته الصحف العالمية والعربية في أواخر شهر مايو عام ١٩٨٩م خبر الجريمة اليهودية النكراء، بشأن القرآن الكريم، حيث قام عدد من الجنود الصهاينة بتمزيق المصحف، وتلويثه بالأقذار واستخدامه في المهانات، بدل ورق التواليت وهذا ما أكدته مراسل - صحيفة الأندبندت البريطانية - كذلك اعترفت بالجريمة صحيفة - جيروزلم بوست الإسرائيلية - التي قالت: إن صفحات من القرآن الكريم الملطخة كانت تكسوا أرض الحمامات وملعب المدرسة الذي حوله الجنود إلى مراحيض^(١).
- ٣- بيان أن اليهود هم أبعد الناس عن قبول الحق وإنكاره بعد معرفته^(٢).

المطلب الثالث: جرأة اليهود على الله.

وفيه أربعة أفرع:

الفرع الأول: اتهام الله بالفقر.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلُهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَتَقْوُلُ دُفُوقًا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ (آل عمران/ ١٨١).

(١) مخاطر الوجود اليهودي على الأمة الإسلامية (ص ٢٤) مرجع سابق.

(٢) أيسر التفاسير مج (٥٩/١) مرجع سابق.

أولاً: أسباب النزول.

دخل أبو بكر الصديق - ﷺ - على يهود وهم يتدارسون التوراة عند أحد علمائهم يقال له فنحاص بن عازوراء ، فقال له: ويحك يا فنحاص اتق الله وأسلم، فوالله إنك لتعلم أن محمد رسول الله قد جاءكم بالحق من عند الله تجدونه مكتوباً عندكم في التوراة فأمن وصدق وأقرض الله قرضاً حسناً ، يدخلك الجنة ويضاعف لك الثواب ، قال فنحاص والله يا أبا بكر ما بنا إلى الله من فقر وما نتضرع إليه كما يتضرع إلينا، وإنما عنه لأغنياء ولو كان عنا غنيا ما استقرض منا كما يزعم صاحبكم ينهاكم عن الربا ويعطيناه، ولو كان غنيا عنا ما أعطانا الرب فغضب أبو بكر وضرب وجه فنحاص ضربة شديدة ، وقال والذي نفسي بيده لولا العهد الذي بيننا وبينك لضربت عنقك يا عدو الله ، فأكذبونا ما استطعتم إن كنتم صادقين ، فذهب فنحاص إلى الرسول وشكى أبا بكر، فقال الرسول لأبي بكر ما حملك على ما صنعت ؟ فقال إن عدو الله قال قولاً عظيماً ، فأنكر فنحاص ذلك قائلاً : ما قلت ذلك فأنزل الله الآية السابقة (١).

ثانياً: التفسير الإجمالي:

جاءت هذه الجريمة لليهود بعدما سمعوا قول الله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقرضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (البقرة/٢٤٥)، فانتهزوها فرصة ليشككوا عامة المؤمنين واليهود الضعفاء في الله ورسوله، فرد الله عليهم مهدياً متوعداً إن الله سمع افتراءكم وتجرئكم عليه، باتهامه بالفقر وهو الذي خلقكم، وسوف تسجل الحفظة الكاتبون قولكم هذا ليحاسبكم عليه يوم القيامة، كما سجل جريمة قتلكم لأنبيائكم.

قال المفسرون: إن اليهود قالوا ما قالوه في حق الله لما أنزل - من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً - (٢)، وهدفهم التشكيك في الله وتكذيب النبي ﷺ ، قال القرطبي: " وإنما قالوا هذا تمويهاً على ضعفائهم، لا يعتقدون هذا لأنهم أهل كتاب، ولكنهم كفروا بهذا القول، لأنهم أرادوا تشكيك الضعفاء منهم، ومن المؤمنين وتكذيب النبي ﷺ " (٣).

(١) أسباب النزول للواحد (ص ٧٤) بتصرف.

(٢) الجامع لأحكام القرآن مج (٦٣٤/٢) بتصرف، فتح القدير مج (٥٢٠/١)، إرشاد العقل السليم مج (٤٥٦/١) بتصرف.

(٣) الجامع لأحكام القرآن مج (٦٣٤/٢).

ثالثاً: الإعجاز البياني.

وفيه ثمانى مسائل:

المسألة الأولى: أهمية القسم في قوله: (لقد سمع).

١- اللام موطئة لقسم مقدر تقديره، والله قد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير.

٢- قد: حرف يفيد التوكيد عند دخوله على الفعل الماضي، وجاء القسم والتوكيد لأن ما قالوه كلمة عظيمة، أدت إلى الكفر بالله، والاستهزاء بالقرآن والرسول ﷺ، من أجل هذا جاء نكرها مع جريمة قتل الأنبياء ﷺ^(١).

٣- سمع: جاءت مؤكدة بالقسم وحرف التوكيد، لبيان قرب الله منهم وتوجيه تهديد شديد لهم قال تعالى: ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾ (ق/ من الآية ١٦).

وهذا ما قاله الزمخشري رحمه الله: "وجود السماع مؤكّد بالقسم، ثم قال سنكتب على جهة الوعيد، بمعنى لن يفوتنا أبداً ثباته وتدوينه كما لن يفوتنا قتلهم الأنبياء^(٢)"، قال سيد طنطاوي: "أفادت أن الله مطلع عليهم ومراقب لهم مراقبة من يستمع إليهم، ومحيط بما يرتكبونه من أقوال وأفعال، ومحاسبهم على سوء أدبهم وقبح أقوالهم والتعبير فيه تهديد لهم على ما ارتكبوا^(٣)".

المسألة الثانية: دلالة التعبير في قوله: (سنكتب ما قالوا).

١- السين في - سنكتب - لتأكيد الكتابة، وأنه لم يفوتنا تدوينه وإثباته^(٤).

٢- الكتابة، فيها تبيكيت لعملهم، وأن الله سيحاسبهم عليه، والمراد الكتابة في صحائف أعمالهم، وهذا يعني عدم الصفح عنهم، ولا العفو، بل المحاسبة، فالكتابة أوكد للحجة^(٥).

لقد ارتكب اليهود جريمة عظيمة بقولهم تستحق عقاباً شديداً، ولما كان اليهود خبيثاء وكذابين ومتهربين من أي استحقاق عليهم، وحتى لا ينكرون ما قالوه في الدنيا يوم القيامة، كتبه الله من خلال الحفظة كما قالوه حرفياً، ليثبتته موثقاً، قال البيضاوي: "سنكتبه في صحائفكم،

(١) أنوار التنزيل مج (١/١٩٢) دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط - الأولى - ٢٠٠٣ م / ١٤٢٤ هـ.

(٢) الكشف مج (١/٤٨٤) مرجع سابق بتصرف.

(٣) بنو إسرائيل في القرآن والسنة (ص ٤١٨، ٤١٧) مرجع سابق.

(٤) التفسير الوسيط مج (١/٨١٤) مرجع سابق.

(٥) التحرير والتنوير مج (٤/١٨٤) مرجع سابق.

أو سنحفظه في علمنا لا نهمله، لأنه كلمة عظيمة، لأنه كفر بالله عزوجل، واستهزاء بالقرآن والرسول، لذلك نظمه مع قتل الأنبياء، وفيه تنبيه على أنه ليس أول جريمة ارتكبوها^(١)، قال الرازي رحمه الله: هذا وعيد على ذلك القول، كتبه الله عليهم ليثبته وألا يلغى ولا يطرح، وذلك لأن الناس إذا أرادوا إثبات الشيء على وجه لا يزول ولا ينسى ولا يتغير، كتبوه^(٢)، قال أبو حيان: " سنكتب ما قالوا في القرآن حتى يعلم القوم شدة تعنتهم وحسدهم في الطعن عليه ﷺ"^(٣)، قال الشعراوي رحمه الله: "حتى عندما يحاسبهم الله ويعاقبهم يوم القيامة، يؤاخذهم بقولهم لا بما سيقوله عنهم هو ولكن بما كتبه عليهم، ليقال لليهودي عند الحساب: ﴿أَقْرَأَ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾"^(٤) (الإسراء/ ١٤).

تبين فيما سبق أنها نزلت في يهود المدينة، وهل قتل اليهود في المدينة أحد من الأنبياء؟!، فلماذا عبر عن القتل بالمصدر؟.

المسألة الثالثة: سر استخدام المصدر، في قوله تعالى: (قتلهم الأنبياء).

- ١- لبيان أن صفة القتل أصل لدي اليهود، وأن يهود المدينة كانوا راضين عن الجرائم التي ارتكبوها أسلافهم في الماضي، وأبشعها قتل الأنبياء^(٥).
- ٢- بيان أن اليهود في المدينة لديهم الاستعداد الكامل، النفسي والعملية لارتكاب جريمة القتل ضد النبي ﷺ .
- ٣- جاءت هذه الجملة تحذيراً للنبي ﷺ من تأمر اليهود على قتله، قال أبو السعود: عطف عليه - على قولهم - وقتلهم الأنبياء إيذاناً بأنهما في الجرم والعظم سواء، وتنبهاً على أن جريمة اتهام الله بالفقر ليست أول جريمة ارتكبوها، بل لهم سوابق، وأن من تجرأ على قتل الأنبياء لم يستبعد منه أمثال هذه الجريمة^(٦).

المسألة الرابعة: دلالة التعبير في قوله: (بغير حق).

قال سيد طنطاوي: " ووصف سبحانه قتلهم الأنبياء بغير حق، مع أن الإجماع لا يكون بحق أبداً، للإشارة إلى شناعة أفعالهم وضخامة شرورهم، وأنهم لخبث نفوسهم وقسوة قلوبهم لا يباليون أكان فعلهم في موضعه أم في غير موضعه^(٧).

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل مج (١/١٩٣) مرجع سابق بتصريف.

(٢) التفسير الكبير مج (٩-١٠ ج/١١٨).

(٣) البحر المحيط مج (٣/١٣٦) مرجع سابق.

(٤) تفسير الشعراوي مج (٣/١٩١١) مرجع سابق.

(٥) الجامع لأحكام القرآن مج (٢/٦٣٥) بتصريف

(٦) إرشاد العقل السليم مج (١/٤٥٧) بتصريف، وانظر أنوار التنزيل وأسرار التأويل مج (١/١٩٢)

مرجع سابق.

(٧) التفسير الوسيط مج (٢/٤٧٣).

المسألة الخامسة: قوة التعبير في (ذوقوا).

استخدام هذا التعبير لما فيه من السخرية والاستهزاء والوعيد، وشدة العذاب الذي ينتظرهم، قال سيد طنطاوي: "والذوق حقيقته إدراك المطعومات، والأصل أن يكون في أمر مرغوب تذوقه وطلبه فالتعبير هنا بذوق العذاب، فيه تهكم واستهزاء، كما قال الله: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ (الدخان/٤٩).

ويرى الباحث أن تحويل العذاب المعنوي إلى أمر مادي يمكن تذوقه بحاسة الذوق، للمبالغة في الوعيد وشدة الألم، لأن حاسة الذوق أكثر الحواس إيلاماً عند العذاب، كذلك لما كان الطعام يتذوق باللسان ويتغلغل عند أكله في جميع خلايا الجسم، أراد الله استخدام لفظ ذوقوا ليقول لنا إن العذاب الأليم الذي جعله بسبب جريمتهم سيتغلغل إلى جميع خلاياهم، قال الشوكاني: وإطلاق الذوق على إحساس العذاب فيه مبالغة في الوعيد^(١)، قال الشعراوي: "واستخدام لفظ الذوق لأنه حاسة لا تختفي من أي إنسان، ولأنه نابع من داخله، لذا فهو أبلغ في الإيلاام"^(٢).

المسألة السادسة: قوة التعبير في قوله: (ذلك بما قدمت أيديكم).

١- اسم إشارة يدل على البعد المكاني، ولكنه هنا أراد بيان بشاعة الجريمة التي ارتكبتها يهود، قال أبو السعود: إشارة إلى العذاب المذكور، وما فيه من معنى البعد، للدلالة على عظم شأنه وبعد منزلته في الهول والفظاعة^(٣)، ويرى الباحث أن اسم الإشارة يفيد استبعاد ارتكاب الإنسان العادي مثل هذه الجريمة لبشاعتها وسوء عاقبتها، ولا يقدم عليها إلا مجرم متمرس في عالم الجريمة والإجرام!!

٢- بما: الباء سببية لبيان سبب العذاب الذي ذاقوه، أفادت الالتصاق بما فعلوه، وهذا يعني أن الفعل قد التصق بفاعله وأصبح ملازماً له، لكثرة ارتكابه.

٣- أيديكم: قال أيديكم مع أنهم ارتكبوا جريمتهم بالقول لا بالفعل لبيان التالي:

أ- لأن من أكثر الجرائم التي يرتكبها الإنسان بيده ولسانه، وخصوصاً الظاهرة منها.

ب- لأن العذاب الذي نزل بكم كان بسبب جرائمكم بأيديكم أنتم لا بيد غيركم.

ت- لبيان أن هناك جرائم سيرتكبها اليهود بالأيدي، غير جريمة قتل الأنبياء.

ث- إشارة إلى جريمة قتل الأنبياء في الآية، وتحذيرهم من مغبة الإقدام على المزيد من الجرائم في المدينة.

(١) فتح القدير مج (١/٥٢٠) بتصرف .

(٢) الشعراوي مج (٣/١٩١٢) بتصرف.

(٣) إرشاد العباد مج (١/٤٥٧) بتصرف.

المسألة السابعة: شبهة الرد عليها:

١- الشبه في فهم الآية: [وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ] (آل عمران/١٨٢).

أثار البعض هذه الشبه مدعين أن نفي الصفة عن الذات يقتضى بقاء الذات، فنفي صفة المبالغة عن الظلم، يقتضى بقاءه، فإذا كان الله نفي عن ذاته الظلم الكثير، فهذا يعنى بقاء صفة الظلم !!.

٢- الرد على الشبهة، إن الآية فيها نفي لمطلق الظلم عن الله لعباده، حتى لو كان العبد كافراً، فإن الله لا يظلمه، قال ابن أبي حاتم "ما أنا بمعذب من لم يجرم عندي" (١)، وقال السعدي: "ذوقوا عذاب الحريق: العذاب المحرق النافذ من البدن إلى الأفتدة، وأن عذابهم هذا ليس ظلماً من الله لهم، فإنه ليس بظلام للعبيد، لأنه منزّه عن ذلك، وإن ما نزل بهم من العذاب بما قدمت أيديهم من المخازي والقبائح" (٢).

٣- ومن خلال دراسة أقوال العلماء في الرد على هذه الشبهة، يتبين للباحث هذه القاعدة في الثواب والعقاب، إنه من مقتضى العدل الإلهي، أن من يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره، فاليهود الذين اتهموا الله بالفقر ارتكبوا جريمة من أبشع الجرائم، لأنها في حق الذات الإلهية، فاقضى العدل الإلهي أن ينزل بهم عقاب شديد من الله ﷻ، تمثل في عذاب الحريق، بسبب ما ارتكبته أيديهم، لذلك عقب القرآن قائلاً لهم: ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ (آل عمران/ من الآية ١٨٢)، بما فيهم أنتم أيها اليهود، لأن الله ما ظلم أحداً من خلقه، وإن نفيه لصفة الظلم الكثيرة عن ذاته، تأتي في سياق أن الله ما ظلم يهودياً أبداً، ولا أي من مخلوقاته، وأما صيغة المبالغة في نفي الظلم جاءت لتأكيد هذا المعنى (٣)، أو جاءت للنسب بمعنى لا ينسب إليه الظلم أصلاً (٤).

٤- لماذا نفي الظلم ولم يثبت العدل؟

لأن العقاب الذي فرضه الله على اليهود شديد مؤلم، فهو حرق بالنار، مؤكداً بالعذاب مع أن الحريق وحده مؤلم، حتى لا يقول قائل من اليهود هذا ظلم لما فيه من الألم والإحراق، فجاء النفي ليقول لهم هذا ليس ظلماً بل هو العدل المطلق لأنه جاء

(١) تفسير القرآن العظيم مسنداً عن رسول الله والصحابه والتابعين مج (٣/٨٣٠) عبد الرحمن بن محمد الرازي ابن أبي حاتم، تحقيق أسعد محمد الطيب، دار الفكر للطباعة والنشر ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

(٢) تفسير السعدي (ص ١٢٦) بتصرف.

(٣) راجع ما ذكره الشعراوي مج (٣/١٩١٣-١٩١٥) بتصرف، والتفسير الوسيط مج (٢/٤٧٤).

(٤) تفسير الشعراوي مج (٣/١٩١٤) بتصرف.

نتيجة ما قدمت أيديكم، قال الشعراوي: "لم يقل إنه ليس بظلام للعبد، وهذا يعنى أنه نفي المبالغة في الظلم عن عباده، من آدم ﷺ إلى أن تقوم الساعة، لأنه لو ظلم هؤلاء لكان ظلاماً شديداً الظلم، لأنه تكرر من الله في حق العبيد، فنفاه سبحانه عن ذاته" (١).

إن نفي الظلم عن الله ﷻ يتضمن كمال عدله، لأن النفي الصرف ليس مدحاً لله تعالى، لذا فإن السلف الصالح ﷺ يقولون كل صفة نقص نفاها الله تعالى عن نفسه، تضمنت كمال ضدها.

المسألة الثامنة: العلاقة بين (ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ) وبين (بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيديكُمْ).
العلاقة بينهما سببية، لوجود الحرف بما، ولأنه لما ذكر العذاب الشديد - عذاب الحريق - ذكر سببه قائلاً - بما قدمت أيديكم - لبيان أن العذاب الذي نزل بهم عدل مطلق، لا جور فيه، قال سيد طنطاوي: "تلك العذاب الذي حاق بكم أيها اليهود، بسبب ما قدمته أيديكم، من جرائم وما نطقت به أفواهكم من منكر" (٢).

رابعاً: منهج القرآن في التعامل مع الجريمة:

وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: بيان عقوبة الجريمة.

[لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلُهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ] [آل عمران/١٨١].

يتضح للباحث أن الله عاقب اليهود على جريمتهم بعقوبتين:

العقوبة الأولى: التبكيت والتهديد والوعيد في الدنيا.

العقوبة الثانية: عذاب الحريق في الآخرة.

المسألة الثانية: كيفية التعامل مع الجريمة.

وبناء على ما سبق يتضح للباحث أن القرآن تعامل مع جريمتهم على النحو التالي:

- ١- عاقبهم بأكثر من عقوبة.
- ٢- تدرج في التعامل معهم عندما أنزل العقوبات عليهم.

(١) تفسير الشعراوي مج (٣/١٩١١) بتصرف.

(٢) الوسيط في التفسير مج (٢/٤٧٣) بتصرف.

٣- استخدم التهديد والوعيد في الدنيا، وحذرهم من عذاب الحريق وسوء العقاب في الآخرة.

خامساً: اللطائف:

- ١- سمع الله: أفادت غرس الرقابة الإلهية في القلوب، وتخويف كل من يحاول التناول على الذات الإلهية، وتهديد ليهود المدينة وغيرهم.
- ٢- سنكتب ما قالوا وفيها:
- أ- بيان الدقة في السماع والنقل والكتابة، دون زيادة أو نقصان، وهذا ما نطالب به كتبة التقارير عن الآخرين.
- ب- العمل على توثيق المعلومات وأرشفة الملفات والتقارير بأمانة، للإنتفاع بها عند الحاجة.
- ت- فيها مواساة وتسليية للرسول، قال الشعراوي: "لا تحزن يا محمد أنت وأصحابك بسبب أقوال اليهود أشياءً أساءت إليك، فسوف يجزون بما كتبناه عليهم بشهادة أنفسهم، ونقول ذوقوا عذاب الحريق" (١)

الفرع الثاني: اتهام الله بالبخل.

قال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ^(٢) غَلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلَعْنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلِيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (المائدة/ ٦٤) .

أولاً: التفسير الإجمالي.

قال الطبري: "هذا خبر من الله تعالى، ذكره عن جرأة اليهود على ربهم، ووصفهم إياه بما ليس من صفته، توبيخاً لهم بذلك، وتعريفاً منه قديم جهلهم، واغترارهم وإنكارهم جميع جميل أياديه عندهم (٣)" - قلت يديه، وليس أياديه - قال البغوي نقلاً عن ابن عباس وعكرمة والضحاك: "إن الله بسط على اليهود حتى كانوا من أكثر الناس

(١) التفسير الوسيط مج (٤/٢٠٨) مرجع سابق .

(٢) قال الراغب الأصفهاني: فالغل مختص بما يقيد به فيجعل الأعضاء وسطه، وجمعه أغلال، وغل فلان: قيده وقيل للبخل هو مغلول اليد، وقالت اليهود يد الله مغلولة: أي ذممه بالبخل، المفردات في غريب القرآن (ص٣٦٣) دار المعرفة - بيروت - لبنان.

(٣) جامع البيان مج (٤/٦٣٩).

مالا، وأخصهم ناحية فلما عصوا الله في أمر محمد وكذبوا به، كف عنهم ما بسط عليهم من السعة" (١)، فاتهموا الله بهذه الفرية الكاذبة والجريمة البشعة قائلين: يد الله تمنع عنا الخير والرزق، فجاء الرد الإلهي في أبلغ صورة وأقواها دعاء عليهم بالبخل مبينة أنهم هم البخل لأنهم لا يؤتون الناس نقيرا وأما الجواد الكريم فعطاؤه لعباده دائم، وخيره إليهم نازل، يرزق من يشاء بغير حساب، خزائنه مألئ لا تنفد أبداً، أما اليهود بسبب موقفهم هذا لا يزيدهم القرآن إلا كفرا وعنادا فوق عنادهم وضلالا فوق طغيانهم فعاقبهم الله ﷻ بتشتيت قلوبهم فلا يجتمعون على رأي، وألقى بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (يَدُ اللَّهِ مَأَى لَنَا يَغِيضُهَا نَفَقَةٌ سَحَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَقَالَ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مِنْذُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فَإِنَّهُ لَمْ يَغِضْ مَا فِي يَدِهِ وَقَالَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ وَبِيَدِهِ الْأُخْرَى الْمِيزَانَ يَخْفِضُ وَيَرْفَعُ) (٢).

ثانيا : الإعجاز البياني.

وفيه أربعة مسائل:

المسألة الأولى: سر التعبير بالجمع – اليهود – مع أن القائل مفرد:

لأن الآخرين عندما سمعوه يتهم الله، لم يمنعوه، لأنه قال منكرًا من القول وزورًا ورضوا بقوله، لذلك فهم شركاء في الجريمة، فدعا عليهم غلت أيديهم فمنعت عن الخير، قال الشعراوي: "ومعنى ذلك أن فحاص عندما قال ذلك سمعوه فسرهم ما قال، ووافقوا على مقولته" (٣).

المسألة الثانية: التحقيق في قول الله: (غلت أيديكم).

ذهبت أقوال المفسرين في ذلك إلى ثلاثة معاني:

المعنى الأول: أن يكون الغل بمعنى الدعاء عليهم بالبخل في الدنيا، بسبب جريمتهم (٤).

المعنى الثاني: إخبار عن حالهم يوم القيامة وهم في النار قال تعالى: ﴿إِنَّ الْأَعْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ﴾ (٥) (غافر/ ٧١).

(١) معالم التنزيل في التفسير والتأويل مج (١٦٥/٢) بتصرف.

(٢) خ-ك-ب- التوحيد - ب- قول الله تعالى لما خلقت بيدي (رقم ٦٨٦٢)، الجمع بين الصحيحين ب- المتفق عليه من مسند أبي (ج ١٦٥/٣) مرجع سابق.

(٣) الشعراوي مج (٣٢٦٢/٦).

(٤) التفسير المنير مج (٥-٦/٢٥٠) بتصرف.

(٥) معالم التنزيل مج (١٦٥/٢) بتصرف مرجع سابق .

المعنى الثالث: جمع بين ابن عطية الأندلسي بين المعنيين فقال: " ويصح على كلى الاحتمالين أن يكون ذلك في الدنيا، وأن يراد به الآخرة، وإذا كان خبراً عن الدنيا، فالمعنى غلت أيديهم عن الخير والأنفاق في سبيل الله ونحوه، وإن كان خبر الآخرة فالمعنى غلت في نار جهنم" (١)، ويميل الباحث إلى ما ذهب إليه ابن عطية رحمه الله.

قال البغوي: غلت أيديهم: أمسكت أيديهم عن الخيرات (٢).

قال السّدي: هذا دعاء عليهم من جنس مقاتلتهم، فإن وصفهم الله بالبخل وعدم الإحسان، وهو الكريم المنان، جزاهم بأن كان هذا الوصف منطبق عليهم، فكانوا أبخل الناس وأقلهم إحساناً (٣)، ورد الشعراوي على من فسر الغل بالدعاء، فقال متسائلاً: فهل يدعوا الحق عليهم؟، أجاب قائلاً: لا، لأنه هو الذي يلجأ إليه الخلائق بالدعاء ليقضى حوائجهم، ولكن الله رد عليهم بقوله غلت أيديهم، إنما أراد أن ينبه الذهن الإيماني الذي يستقبل كلامه أنه ساعة يجد وصفاً لا يناسب الله فعليه أن يدفع هذا الكلام، لأن الله لا يدعوا على عبده، لأن الدعاء هو أن يرفع العاجز طلبه إلى قادر لينفذ له المطلوب (٤).

وعلى ضوء ما سبق فإن رد الشعراوي يتلخص في نقطتين:

الأولى: إن قول الله غلت أيديهم، هو تعليم لنا إذا رأينا أو سمعنا أن إنساناً وصف الله بصفة لا تليق به فيجب علينا أن نرد عليه، والباحث يتفق مع فضيلته في هذه النقطة.

الثانية: إن الله لا يدعوا على عبده، لأن الدعاء يكون عادة من عاجز يرفعه إلى قادر، وهذه الأخرى اتفق معه إذا كانت من الخلق للخالق، أما عندما يدعوا الله على خلقه فلها حالات خاصة تتلخص في التالي:

- ١- إن الله لا يدعوا على عباده ابتداءً، وإنما جاء الدعاء بعدما ارتكب اليهود جريمة من أبشع الجرائم في حق الله، وأصبح لا فائدة منهم ولا رجاء في إيمانهم، مهما رأوا من المعجزات.
- ٢- قال القرطبي قد دعى الله على أبي لهب، عندما قال: ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ (المسد/١) (٥)، وقد ذكر ابن عاشور وغيره من المفسرين العديد من أمثلة دعاء الله على

(١) المحرر الوجيز مج (٢/٢١٥) - تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط الأولى - ١٩٩٣م، وأنظر التسهيل لعلوم التنزيل مج (١/٢٤٣)، ضبطه وصححه محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان ط الأولى - ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥م.

(٢) معالم التنزيل مج (٢/١٦٤) مرجع سابق.

(٣) تيسير الكريم الرحمن (ص ٢٠٠) مرجع سابق.

(٤) الشعراوي مج (٦/٣٢٦٢) مرجع سابق.

(٥) الجامع لأحكام القرآن مج (٣/٥٨٤) مرجع سابق بتصرف.

الكافرين منها: قوله تعالى: ﴿ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ (البقرة/ من الآية ٨٩)، قال: "جملة دعاء عليهم وعلى أمثالهم، والدعاء من الله تقدير وقضاء، لأنه تعالى لا يعجزه شيء، وهذا كقوله وقالت اليهود يد الله مغلولة، وقوله: قاتلهم الله أنى يؤفكون" (١)، وجملة عليهم دائرة السوء دعاء عليهم وتحقير، والدعاء من الله على خلقه تكوين وتقدير مشوب بإهانة، لأنه لا يعجزه شيء فلا يحتاج إلى تمنى ما يريد" (٢).

٣- إن الدعاء من الله يكون لإحقاق العقوبة وتثبيتها، وهذا ما كان عليه حال اليهود من البخل بعد دعاء الله عليهم، فأيديهم عن الخير ممنوعة، وللشر مدفوعة، قال تعالى: ﴿ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا ﴾ (النساء/ ٥٣).

ويرى الباحث: أن الدعاء في قوله تعالى: - غلت أيديهم - خرج عن معناه الأصلي الذي ذهب إليه الشعراوي - وهو أن يرفع العاجز طلبه إلى قادر لينفذ له المطلوب - إلى غرض بلاغي، هو التعليم وإحقاق العقوبة، وهذا ما ذهب إليه صاحب تفسير السراج المنير فقال: في قوله تعالى: قل موتوا [قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ] (آل عمران ١١٩) بأنه يجوز أن يكون معناه الدعاء عليهم بالبخل والنكد، ومن ثم كانوا أبخل خلق الله وأنكلهم، والمطابقة على هذا ظاهرة وحاصلة، من حيث لفظ غلت لأن الأصل في القول الشنيع أن يقابل بالدعاء على قائله (٣)، قال الطبري: "وخرج هذا الكلام مخرج الأمر وهو دعاء من الله نبيه محمد ﷺ بأن يدعوا عليهم، بأن يهلك الله اليهود كمداً مما بهم من الغيظ على المؤمنين، قبل أن يروا فيهم ما يتمنون لهم من العنت في دينهم" (٤).

المسألة الثالثة: دلالة التعبير ب (لعنوا).

طردوا، لعنهم الله: طردهم (٥)، قال الشعراوي: "اللعن: الطرد من رحمة الله لأنهم هم الذين بشروا على أنفسهم، وقالوا: إن يد الله مغلولة، وسبحانه

(١) التحرير والتنوير مج (١/ج/٢/٦٠٢-٦٠٣).

(٢) المرجع السابق مج (٦/ج/٢/١٤).

(٣) السراج المنير مج (١/٣٨٥) بتصرف، الشيخ الخطيب الشربيني - دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت - لبنان - ط الثانية.

(٤) جامع البيان مج (٣/١١٩، ١٢٠) مرجع سابق.

(٥) لعن فلانا : أخزاه وسبه ، وأبعده من الخير وطرده . المعجم المفصل في تفسير غريب القرآن الكريم

إعداد د. محمد التويجي - دار الكتب - بيروت - لبنان - ط - الأولى - ٢٠٠٣م - ١٤٢٤ هـ -

وقال ابن منظور واللحن هو الإبعاد والطرد من الخير أو من الله ، وكل من لعنه الله فقد أبعدته عن رحمته.

لسان العرب مج (٥/٣٧٤).

قادر على أن يمنع عطاءه عنهم^(١)، قال البغوي : فمن لعنهم أنهم مسخوا قردة وخنزير، وضربت عليهم الذلة والمسكنة في الدنيا، وفي الآخرة بالنار^(٢).

المسألة الرابعة: العلاقة بين قوله تعالى: [يَدُ اللَّهِ مَغْلُوبَةٌ - بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ] (المائدة/ ٦٤).
أولاً مغلوبة: اتهام باطل من اليهود وافتراء معناه البخل.

ثانياً: بل يدها مبسوطتان: رد على باطلهم وأثبت عكسه، معناه الكرم والسخاء دون عطاء وجاء الرد قوياً متمثلاً بالتالي:

أ- بل: للإضراب، بمعنى لا ولكن، أداة نفي لزعمهم، وإثبات الجود والكرم لله ﷻ، والمعنى لا ليس الأمر كما زعمتم، ولكن الله كريم وعطاؤه دائم يرزق من يشاء بغير حساب.

ب- يدها: هم قالوا يد وجاء الرد - بيدها - كناية عن سعة الجود ببسط اليدين لأن الجواد يعطى بكلتا يديه، والعقيدة في هذا المعنى نفي التشبيه عن الله تعالى^(٣).

ثالثاً: منهج القرآن في التعامل مع الجريمة:
وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: بيان عقوبة الجريمة.

قال تعالى: [عَلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلِيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَالْفَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ] (المائدة/ ٦٤)

يتضح للباحث من خلال استقراء الآية، أن الله تعالى عاقب اليهود على جريمتهم تلك بأربع عقوبات عقوبات:

العقوبة الأولى: الدعاء عليهم بالبخل طيلة حياتهم، وهذا هو حالهم لا يؤتون الناس نقيراً، قال تعالى [أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيراً] (النساء/ ٥٣).
العقوبة الثانية: أن يساقوا إلى النار يوم القيامة، وأيديهم مغلولة إلى أعناقهم، لأن الجزاء من جنس العمل، وكفي بهذه العقوبة ذل وهوان، [عَلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا] (المائدة/ من الآية ٦٤)

(١) الشعراوي مج (٦/٢٢٦٤).

(٢) معالم التنزيل مج (٢/١٦٥).

(٣) التفسير المنير مج (٥-٦/٥٢٠٢) مرجع سابق.

ومن معناها أن تغل أيديهم يوم القيامة عند دخولهم النار، قال تعالى [إِذِ الْأَغْطَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّاسِلُ يُسْحَبُونَ] (١) (غافر/٧١)

العقوبة الثالثة: اللعن والطرده من رحمة الله والبعد عن كل خير .
العقوبة الرابعة: إلقاء العداوة والبغضاء في قلوبهم، إلى يوم القيامة.

المسألة الثانية: كيفية التعامل مع الجريمة.

بناء على ما سبق يتبين للباحث أن القرآن الكريم ركّز العقوبات على الجانب النفسي لدى اليهود وكانت على النحو التالي:

١- عاملهم بالمثل وزيادة.

٢- التنكيل والتحقير بهم وهم على أشنع صورة وأسوأ حال.

٣- العمل على تشتيت قلوبهم، لتفريق جموعهم.

٤- عزلهم عن غيرهم من خلال لعنهم.

رابعاً: اللطائف البيانية.

١- علمنا القرآن قوة الرد على جرائم اليهود عند ارتكابهم لأي جريمة، فقد يكون الرد بالمثل، غلت أيديهم، وقد يكون بأشد منه، ولعنوا بما قالوا، قال تعالى: ﴿فَمَنْ أَعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ (البقرة/ من الآية ١٩٤).

٢- بيان سعة رحمة الله وخيره النازل لعباده، الذي لا ينقطع أبداً قال تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ (المائدة/ من الآية ٦٤).

الفرع الثالث: طلبهم رؤية الله كشرط للإيمان .

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ (البقرة/٥٥) وقال: ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرْنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَأَتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَانًا مُبِينًا﴾ (النساء/١٥٣).

(١) انظر معالم التنزيل مج (٢/١٦٥) بتصرف مرجع سابق .

أولاً: التفسير الإجمالي:

يأتي هذا الطلب من بني إسرائيل جريمة جديدة في سياق جرأتهم وقلة أدبهم مع الله ونبيه، بعدما رأوا العديد من المعجزات عياناً أكثر من مرة، كفلق البحر الذي أصبح يبساً، وإغراق فرعون وجنوده، ومع ذلك استمروا في كفرهم يعمهون، فطلبوا من موسى عليه السلام أن يريهم الله جهرة عياناً بدون حجاب، كشرط لإيمانهم، وإلا لن يؤمنوا به، ولا بدعوته، ولا بالتوراة التي أنزلها الله عليه.

قال الطبري رحمه الله: "واذكروا أيضاً - يا يهود المدينة - إذ قلتُم يا موسى لن نصدقك ولن نفر بما جئتنا به حتى نرى الله جهرة عياناً، يرفع الساتر بيننا وبينه ويكشف الحجاب دوننا ودونه، حتى ننظر إليه بأبصارنا"^(١).

ثانياً: الإعجاز البياني:

وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: (قولهم: لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً).

١- لَنْ نُؤْمِنَ - أداة نفي للحاضر والمستقبل، تقيد نفي التأبيد، لأنهم علقوا الإيمان بالرؤيا، والرؤيا محالة في الدنيا، وهي دليل على إصرارهم وعنادهم بعدم الإيمان حتى تتحقق الرؤيا.

٢- لَكَ - قال الكلبي: تعدى باللام لأنه تضمن معنى الانقياد^(٢)، والمعنى لن ننقاد ونسمع ونطيع إلا بشرط الرؤيا، أما بدونها سنبقى على حالنا من الجدل والعناد والمراوغة.

٣- حَتَّى نَرَى - حتى الغائية، بمعنى إلي أن نرى، وفيها معنى الشرط، والمعنى أننا لن نُؤْمِنَ لَكَ إِلى أَنْ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً، فإن لم نره فلن نُؤْمِنَ لَكَ، قال الألويسي: حتى هنا حرف غاية^(٣)، وكلمة نرى أفادت إجماعهم على الطلب.

٤- جَهْرَةً - قال الشعراوي: " جاءت كلمة جهرة لتتفي العلم فقط، وتطالب بالرؤيا مجهورة واضحة يدركونها بحواسهم، وهذا دليل على أنهم متمسكون بالمادية التي هي قوام حياتهم وجاءت كلمة جهرا لتتفي العلم فقط وتطالب بالرؤيا مجهورة واضحة يدركونها بحواسهم^(٤)، وإنما قالوا جهرة توكيداً للرؤيا لئلا يتوهم متوهم أن المراد بالرؤيا العلم^(٥).

(١) جامع البيان مج (٣٢٨/١ بتصرف)

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل مج(٤٨/١) دار الفكر - بدون طبعة .

(٣) روح المعاني مج(٢٦٢/١) مرجع سابق.

(٤) تفسير الشعراوي مج (٣٤٦/١) بتصرف).

(٥) الخازن مج (٦٢/١) دار الفكر.

المسألة الثانية: هل كانوا صادقين في طلب الرؤيا.

إن الذي يطلب رؤية الشيء، إنما يريد أن يتأكد من وجوده، وبنو إسرائيل يعلمون أن الله موجود، لا يشكون في ذلك، لأنهم رأوا العديد من المعجزات والآيات الباهرة الدالة على وجوده، وتكفي لإيمانهم، كذلك أنعم الله عليهم بالعديد من النعم، وكان أكبرها نعمة إتيانهم الملك والتفضيل على العالمين، ومع ذلك لم يؤمنوا، إنما طلبوا الرؤيا من موسى استمراراً لصفة الجدل والعناد والمراوغة، وربما تكون للتعجيز وإحراج موسى ﷺ، قال الشعراوي: والذي شجعهم على أن يقولوا ما قالوه.. طلب موسى ﷺ من الله سبحانه وتعالى أن يراه^(١)!!!؟

يرى الباحث أن هذا القول فيه اتهام مبطن لموسى، لم يقصده الشعراوي رحمه الله، وكأن موسى ﷺ عندما طلب الرؤيا، طلبها أمام بني إسرائيل ليثجعهم ولو كان قول الشعراوي إن بني إسرائيل استغلوا طلب موسى الرؤيا، فذهبوا إليه وطلبوا ما طلبه موسى، لكان مقبولاً، ومع ذلك فهناك فريق كبير بين طلب موسى المؤدب الذي يأتي في سياق زيادة الإيمان، وعمق اليقين، كطلب إبراهيم من ربه أن يريه كيف يحيي الموتى، وطلب بني إسرائيل الذي جاء في سياق العناد والجرأة، ووضعه شرطاً مقدماً للإيمان بموسى، وبدونه لن يؤمنوا له.

ثالثاً: منهج القرآن في التعامل مع الجريمة:

وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: بيان عقوبة الجريمة.

قال تعالى: ﴿ فَأَخَذْتُمْ الصَّاعِقَةَ وَأَنْتُمْ تُنظَرُونَ ﴾ (البقرة/٥٥).

لقد عاقب الله اليهود على هذه الجريمة بعقوبة واحدة لكنها بداخلها تحتوي على العديد من العقوبات بسبب قوتها، لذلك تأتي البلاغة القرآنية، والقوة في التعبير القرآني، من خلال النقاط التالية:

- ١- إن العقوبة جاءت فاصلة في الآية، وذلك للفت الانتباه إلى ما سبق من الجريمة البشعة التي ارتكبتها يهود.
- ٢- جاء حرف — الفاء — الذي يفيد التعقيب والترتيب، لبيان أن العقوبة جاءت مباشرة بعد الجريمة، وذلك لتناسب قوة العقوبة مع حجم الجريمة.

(١) تفسير الشعراوي مج (١/٣٤٦) مرجع سابق.

٣- أخذتكم -^(١): أسرتكم بسبب ذنوبكم فأصابكم حالة من الجنون نتيجة هذه الأخذة الشديدة المؤلمة.

٤- الصاعقة^(٢) - هي صيحة مصحوبة بنار، ورعد شديد، وتصعق المجرم فيغشى عليه أو يموت، وبناء على ما سبق من معنى الأخذ والصاعقة، تتضح قوة العقوبة في الفاصلة في اللفظ القرآني، فيكون المعنى، فأخذتهم صيحة شديدة، مصحوبة بنار ورعد شديد فأسرتهم، فمنهم من غشي عليه ومنهم من مات بسببها، ولنا أن نتصور هذا المشهد المفزع المخيف المؤلم، والذي يتكون من العديد من المشاهد واللقطات العنيفة التي تلف هؤلاء المجرمين لفاً.

٥- إضافة الأخذ للصاعقة: لبيان شدة العذاب وملازمته للصعقة، وكأن لها إرادة تأخذ وتأسر وتعذب، وهذا يدل على قوتها في العقاب، وهذه هي العلاقة بين الأخذ والصعقة في الفاصلة.

٦- تنظرون - جاءت الجملة الفعلية الحالية، لبيان شدة الحالة النفسية المؤلمة التي عاشوها وهم ينظرون لبعضهم البعض، والصعقة تأخذهم واحداً واحداً، وكل منهم ينتظر دوره المحتوم، وتلفهم برعدها ونارها، فيغشى على البعض منهم، والآخر يخرب ميتاً وهم ينظرون، كل منهم ينتظر دوره، ولا يستطيع الهروب، والصاعقة لا تستثنى منهم أحداً....! هكذا ينظرون وكأنهم أمام العشرات من اللقطات المفزعة والمخيفة التي تخلع القلوب وتهزها هزاً عنيفاً والتعبير يصور لنا الحالة النفسية المضطربة التي عاشوها وكل منهم ينظر وينتظر دوره في الصعق.

(١) أخذ الخطام، وخذ بالخطام: وأخذه بذنبه مؤاخذه، المختار الصحاح (ص٩) الرازي، عنى بترتيبه محمود خاطر راجعه وحققته لجنة من العلماء - دار الفكر بيروت، والأخذ شبه الجنون، وأخذ البعير أخذاً وهو أخذ: أخذه مثل الجنون يعتريه، لسان العرب مج (٢٩/١١) مرجع سابق، ويقال: أخذ فلان بذنبه حبس وجوزي عليه وعوقت به، النهاية في غريب الحديث ب - الهمزة مع الخاء مج (٢٨/١) لابن الأثير، المكتبة العلمية - بيروت - ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م. ومن معاني الأخذ الأسر، وقد ورد في الحديث قول الأعرابي: من يمنعك مني، ؟ فقال كن خيراً أخذ: يعني أسر، وقيل للأسير أخيد وقد أخذ فلان: إذا أسر، لسان العرب مج (٢٨/١).

(٢) الصاعقة: نار تسقط من السماء في رعد شديد، يقال صعقتهم السماء، إذا ألقت عليهم الصاعقة. الصاعقة: صيحة العذاب وصعق الرجل صعقة: غشي عليه، مختار الصحاح (ص ٣٦٣). الصاعقة: الصيحة يغشى منها كل من يسمعها أو يموت، والصاعقة الموت، وقال آخرون كل عذاب مهلك، وهي الصوت الشديد من الرعدة، يسقط معها قطعة نار، لسان العرب مج (٤٤٢/٣).

المسألة الثانية: كيفية التعامل مع الجريمة.

وبناء على ما سبق يتبين للباحث أن العقوبة التي عاقب الله بها بني إسرائيل على جريمتهم كانت قوية وشديدة وعنيفة جداً، تتناسب مع حجم الجريمة التي ارتكبوها فكانت مؤلمةً بدنياً ونفسياً.

الفرع الرابع: التحايل على استحلال المحرمات.

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾ (البقرة/ ٦٥) وقال تعالى: ﴿ فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ (البقرة/ ٦٦) وقال سبحانه: ﴿ وَأَسَاءَلُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ (الأعراف/ ١٦٣) .

أولاً: التفسير الإجمالي:

يقسم الحق تبارك وتعالى أن يهود المدينة خصوصاً الأحرار منهم كانوا على علم ودراية بجرائم أسلافهم السابقين، لأن أحرارهم كانت منتشرة بينهم يتدارسونها، ومن أهم تلك الجرائم استحلال ما حرم الله عليهم يوم السبت الذي جعله الله يوم عبادة ينقطعون فيه عن أعمالهم، فأرد أن يختبرهم فأغراهم بالحيتان تظهر لهم وأمرهم ألا يصطادوها، فعصوا أمره فعاقبهم الله بمسحهم قرده وخنازير وجعلهم عبرة لغيرهم.

ثانياً: الإعجاز البياني:

وفيه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: دلالة التعبير في قوله: (ولقد علمتم):

١- اللام في قوله تعالى: - ولقد - موطئة للقسم، وقد حرف توكيد لدخوله على الفعل الماضي، وجاء القسم والتوكيد، بهدف التهديد والتحذير ليهود المدينة، الذين يعادون الدعوة فيها، قال ابن عطية: "اللام في لقد، لام توكيد وتسمى لام الابتداء، وجاء التوكيد لأن مثل هذه القصة يمكن أن يبهتوا في إنكارها، وذلك لما نال في عقبي أولئك المعتدين من مسخهم قرده فاحتيج في ذلك إلى توكيد، لأنهم علموا ذلك حقيقة"^(١)، قال الطبري: "حذر الله المخاطبين من أن يحل بهم بسبب كفرهم وإصرارهم، وجحودهم نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، مثل ما حل بأوائلهم من المسخ والرجف والصعق، وما لا قبل له به، من غضب الله وسخطه"^(٢).

(١) البحر المحيط مج (٤٠٨/١) مرجع سابق.

(٢) جامع البيان مج (٣٧٠/١) مرجع سابق.

٢- **علمتم** -^(١): أكدت الغرض البلاغي للقسم والتوكيد، وقال علمتم ولم يقل عرفتم، وأما الفرق

بينهما فقد جاء على النحو التالي:

* علمتم: عرفتم أعيانهم، وعلمتم أحكامهم، وأحوالهم.

* عرفتم: مسماهم وهي توجه إلى ذات المسمى^(٢).

* **الفرق بينهما:**

قال القرطبي: والفرق بينهما أن المعرفة متوجهة إلى ذات المسمى والعلم متوجه إلى أحوال المسمى^(٣)، وقال أبو هلال العسكري رحمه الله: "إن المعرفة أخص من العلم لأنها علم بعين الشيء مفصلاً عما سواه، والعلم يكون مجملاً ومفصلاً، فكل علم معرفة، وليس كل معرفة علم،" ^(٤) وبناء على ما سبق يتبين للباحث أن العلم أعم وأشمل من المعرفة، لأنها خاصة بالذات، والعلم: معرفة بالذات والأحوال، والعلاقة بينهما عموم وخصوص.

وعليه فإن يهود المدينة كانوا على علم ودراية بأحوال وأخلاق وجرائم السابقين من أجدادهم، وما حل بهم من عقوبات، ومع ذلك فقد عادوا الرسول ﷺ ودعوته، فحل بهم على يديه ما حل بأسلافهم من غضب ولعن في المدينة بطردهم منها.

قال الرازي: "فكأنه يقول لهم: "أما تخافون أن ينزل عليكم بسبب تمردكم ما نزل عليهم من العذاب، فلا تغتروا بالإمهال الممدود لكم" ^(٥).

المسألة الثانية: التحقيق في فعل الكينونة (كونوا) :

كونوا: ليس المقصود به الأمر أي افعلوا، وإنما المراد به بيان قدرة الله في سرعة " أمر تحويل وتكوين بني إسرائيل^(٦) "، إلى قردة وخنازير، وأنهم صاروا كذلك كما أراد بهم ربهم ويلخص الباحث رأي الشعراوي الذي يتساءل فيه، "هل الأمر للتنفيذ، أم للتسخير وبيان القدرة الإلهية؟، ولو كان الأمر للتنفيذ ما فعلوه، لسبيين:

الأول: لأن طبيعة اليهود المتمردة على أوامر الله، وتلكؤهم، يحول دون ذلك.

الثاني: لأن التنفيذ هنا ليس في مقدور اليهود، ولا أحد من الخلق.

(١) علمت الشيء: بمعنى عرفته وخيرته، وعلم الرجل خبره، وأحب أن يعلمه، أي يخبِّره. لسان العرب مج (٨٧١/٤).

(٢) الجامع لأحكام القرآن مج (٣٩٧/١) بتصرف مرجع سابق، وانظر زهرة التفاسير مج (٢٦١/١) بتصرف.

(٣) التفسير الوسيط مج (٢٠٨/٤) مرجع سابق .

(٤) الفروق في اللغة (ص ٢٤٩) .

(٥) التفسير الكبير مج (٣-٤/ج/١١٠/١) مرجع سابق.

(٦) معالم التأويل مج (٦٠/١) مرجع سابق بتصرف.

الخلاصة : كونوا، بمعنى تحولوا بقدرة الله الخالق وإرادته إلى قردة، يؤكد هذا المعنى حرف الفاء في قوله تعالى:(فقلنا) الذي يفيد التعقيب والترتيب، قال ابن حيان: "أمر من الكون، وليس بأمر حقيقة، لأن صيرورتهم إلى ما ذكر ليس فيه تكسب لهم لأنهم ليسوا قادرين على قلب أعيانهم قردة، بل المراد منه سرعة الكون على هذا الوصف^(١) قال الشعراوي: "وهذا الأمر يسمى أمرًا تسخيريًا ولم يقل لهم كونوا قردة، ليكونوا بإرادتهم ولكن بمجرد أن قال كونوا قردة كانوا، وهذا يدلنا على انصياع المأمور للأمر وهو غير مختار"^(٢).

المسألة الثالثة: حقيقة المسخ إلى قردة:

- ١- قردة: لماذا هذا الحيوان دون غيره من الحيوانات؟!
 - أ- لأن القردة هي الحيوانات المفصوحة العورة دائما فهذه طبيعتها، وكذلك اليهود.
 - ب- لأن القردة هي التي لا تتأدب إلا بالعصا، وهذا ما حدث مع اليهود لم ينفذوا منهج الله إلا عندما رفع فوقهم جبل الطور، وهم كذلك على مدار التاريخ سيف النذل سلط عليهم.
 - ت- لأن القردة لا يغارون على أعراضهم، وهذه صفة ملازمة لليهود، ويسعون لترويجها في بلاد المسلمين من خلال العري والجنس^(٣).
 - ث- خاسئين: "الخسأ: الطرد والإبعاد"^(٤)، والخاسئ: الصاغر، والخاسئ من الكلاب: البعيد الذي لا يترك أن يدنو من الإنسان وخسئت الكلب: طردته، وخاسئين: مبعدين أدلاء صاغرين، كما يقال للكلب وللمطرود خسأ والجملة حالية، فأصبحوا بعد المسخ يزجرون ويطردون من المجالس كما تطرد الكلاب والعياذ بالله، إضافة إلى مسخ أشكالهم.

- ٢- حقيقة المسخ: اختلف المفسرون في ذلك، بين الحقيقة والمجاز، والتحقيق عند القرطبي أن مسخهم كان حقيقة، قال: "وقال الجمهور: الممسوخ لا ينسل، وإن القردة والخنازير، وغيرهما كانت قبل ذلك، والذين مسخهم الله، قد هلكوا ولم يبق لهم نسل، لأنه قد أصابهم السخط والعذاب، فلم يكن لهم قرار في الدنيا بعد ثلاثة أيام، وهذا هو الصحيح"^(٥).

(١) البحر المحيط مج (٤٠٩/١) مرجع سابق.

(٢) تفسير الشعراوي مج (٣٨٤/١) مرجع سابق.

(٣) انظر تفسير الشعراوي مج (٣٨٥/١)

(٤) البغوي مج (٣٧٤/١) بتصرف.

(٥) الجامع لأحكام القرآن مج (٣٩٨ /١) مرجع سابق، وانظر الحر المحيط مج (٤٠٩/١) مرجع سابق.

٣- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ قَالَتْ أُمُّ حَبِيبَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ : (.....وَأَرَاهُ قَالَ وَالْخَنَازِيرُ مِنْ مَسْخٍ فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَجْعَلْ لِمَسْخٍ نَسْلًا وَلَا عَقَبًا وَقَدْ كَانَتْ الْقِرْدَةُ وَالْخَنَازِيرُ قَبْلَ ذَلِكَ^(١))، والذي يؤكد أن المسخ كان حقيقة، وجود الفاصلة في قوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا^(٢) لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة/٦٦)، لأن المسخ لو كان مجازيا لما كانت العقوبة رادعة للغير، ولما جاءت الفاصلة بهذا التعبير والقوة، حرف الفاء الذي يفيد التعقب والترتيب، وضمير العظمة في ناء الفاعلين، لأن المسخ على حقيقته لا يقوى عليه إلا العظيم، وهاء الضمير العائدة على العقوبة " نكالا" !!!! اقتضى نكرها في الفاصلة ليظهر أثرها على يهود المدينة، فتمنعهم عن تكذيبهم للرسول، وكذلك لإظهار قدرة الخالق سبحانه، وتسلية للرسول ﷺ والصحابة ؓ في المدينة المنورة.

ثالثاً: منهج القرآن في التعامل مع الجريمة:

وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: بيان عقوبة الجريمة:

قال تعالى: [فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ] (البقرة/٦٥) وقال: [فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ] (البقرة/٦٦).

وعلى ضوء ما سبق، تبين للباحث أن الله تبارك وتعالى عاقب اليهود على جريمتهم بعقوبة واحدة هي الخسف والتحول من جنس البشر إلى القردة.

المسألة الثانية: كيفية التعامل مع الجريمة.

١- أنزل العقاب الشديد بهم والذي يتناسب مع جريمتهم.

٢- ترتب على ذلك العقاب قطع نسلهم بسبب موتهم، لأن الله أراد أن يطهر الأرض منهم ومن نسلهم ويستبدلها بغيرهم.

٣- تبين أن العقاب كان مادياً ونفسياً، كي يكون أكثر إيلاماً لهم.

(١) م - ك - القدر - ب - أن الآجال والأرزاق لغيرا سولا تنقص، (١٣٨/١).

(٢) النكال: الزجر والعقاب، والنكل والأنكال: القيود وسميت القيود بنكالا، لأنها ينكل بها: أي يمنع، ويقال للجام الثقيل نكل، لأن الدابة تمنع به، الجامع لأحكام القرآن مج (٤٠١/١)، والنكال هو العقوبة الشديدة، وجعلناها نكالا: زجرا وعقابا قويا، الشعراوي مج (٣٨٦/١)

المبحث الثاني جرائم اليهود في حق الأنبياء

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: إيذاء الأنبياء:

وفيه فرعان:

الفرع الأول: إيذاء الرسول محمد ﷺ .

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَّا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ {البقرة: ١٠٤}، وقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصَلُّونَهَا فَيَنسَوْنَ الْمَصِيرَ ﴾ (المجادلة/٨).

أولا أسباب النزول.

قال ابن عباس: (في رواية عطاء وذلك أن العرب كانوا يتكلمون بها، فلما سمعهم اليهود يقولونها للنبي أعجبهم ذلك، وكان راعنا في كلام اليهود سبا قبيحا، فقالوا إنا كنا نسب محمدا سرا فالآن أعلنوا السب لمحمد فإنه من كلامه، فكانوا يأتون نبي الله فيقولوا يا محمد راعنا ويضحكون، ففطن بها رجل من الأنصار، وهو سعد بن عباد وكان عارفا بلغة اليهود، وقال يا أعداء الله عليكم لعنة الله، والذي نفس محمد بيده لئن سمعتها من رجل منكم، لأضربن عنقه فقالوا: أستم تقولونها؟ فأنزل الله يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا (١) (البقرة/١٠٤).

ثانيا: التفسير الإجمالي:

هذه جريمة من نوع جديد قام بها اليهود بلسانهم، من خلال إيقاع الأذى بالنبي مستغلين ما كان يطلبه الصحابة من الرسول قائلين له: "راعنا" يعني اهتم بنا ولمطالبنا، أو اسمع لنا ولقولنا، فسمعهم اليهود فاستهوتهم هذه الكلمة ووجدوا فيها جزءاً من بغيتهم، لأن معناها بلغتهم الرعونة والهوج ونظائرها، فجاء النهي الإلهي بعدم قولها سداً للذرائع، يا أيها الذين آمنوا لا تتادوا النبي بهذه الكلمة، لأن اليهود يتخذونها وسيلة لإيذاء نبيكم، واستبدلهم بكلمة (انظرونا) مهدداً اليهود بالعذاب، واستمراراً لجرائمهم فإنهم كانوا يسارون بعضهم بالغمز واللمز ضد الرسول، وإذا مروا عليهم بدلاً من أن يحييهم، دعوا عليهم بالموت قائلين: السَّامُ عَلَيْكُمْ (٢).

(١) أسباب النزول (ص ٢٢) مرجع سابق .

(٢) الأدب المفرد للبخاري - ب - الرفق (ج ١/ ١٦٤) جزء من حديث، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية - بيروت - لبنان ط الثالثة ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م.

ثالثاً: الإعجاز البياني.

وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: آية جمعت سبع أساليب بيانية، النداء، والتنبيه، والمدح، والنهي، والأمر والتوجيه، والتأكيد للأمر، والتهديد:

جاءت هذه الآية بهذه القوة، بحيث جمعت بين الأساليب الثمانية، ردًا على الجريمة التي ارتكبتها اليهود في حق النبي محمد ﷺ، لبيان ألعابهم، وكشف خفاياهم، وهذه الأساليب كالتالي:

- ١- يا أيها: نداء وتنبيه للاستماع، لخطورة الأمر بعد النداء.
- ٢- الذين آمنوا: مدح للصحابة بأحب صفة إلى قلوبهم، حتى يثيرهم ويهيجهم لاستقبال الأمر.
- ٣- لا تقولوا راعنا: نهي عن قول راعنا، لسد الذرائع في وجه اليهود، كي لا يتخذونا مبررًا لجريمتهم، قال ابن كثير: نهي الله تعالى عباده المؤمنين أن ينتشبهوا بالكافرين في مقالهم وفعالهم^(١)، وأمر الله المؤمنين أن يتخيروا من الألفاظ أحسنها ومن المعاني أرقها^(٢).
- ٤- وقولوا انظرونا: أمر وتوجيه، هدفه سد الذرائع مع بقاء المنافع.
- ٥- واسمعوا: تأكيد على الأمر والتوجيه، فيه معنى التحذير.
- ٦- وللكافرين عذاب أليم: تهديد محقق وواقع لليهود الذين أجزموا في حق الرسول سواء بعدم الإيمان به أو بوصفه بالرعونة والجهل.

المسألة الثانية: دلالة التعبير في قوله: (راعنا):

قال القرطبي: "وحيث راعنا، أرعنا وليرعك، لأن المفاعلة من اثنين فتكون من رعاك الله، أي احفظنا ولنحفظك، وارقبنا ولنرقبك، ويجوز أن تكون من أرعنا سمعك: أي فرغ سمعك لكلامنا"^(٣)، قال البيضاوي: "الرعي: حفظ الغير لمصلحته، وكان المسلمون يقولون للرسول راعنا، أي راقبنا، وتأن بنا فيما تلقننا حتى نفهمه"^(٤)، قال أبو السعود: "المراعاة: المبالغة في الرعي وهو حفظ الغير وتدبير أموره وتدارك مصالحه"^(٥)، وقال السعدي: راع أحوالنا"^(٦).

(١) تفسير القرآن العظيم مج (١٤٨/١) مرجع سابق.

(٢) الجامع لأحكام القرآن مج (٤٧٥/١).

(٣) المرجع السابق مج (٤٧٥/١).

(٤) أسرار التنزيل مج (١ ص ٨٠) بتصرف.

(٥) إرشاد العقل السليم مج (١٦٨/١) مرجع سابق.

(٦) تيسير الكريم الرحمن (ص ٤٣) مرجع سابق.

خلاصة المعنى.

بناء على ما سبق من أقوال المفسرين فإن راعنا لها معنيان:

الأول: خذ بالك منها واهتم لمطلبنا.

الثاني: انتبه لنا لتسمع قولنا.

الجمع بين المعنيين:

١- كلا المعنيين يأتي في سياق الطلب والأدب.

٢- أرادوا من الرسول ﷺ أن يهتم بهم، فيسمع لهم لتحقيق مصالحهم في الدنيا والآخرة.

المسألة الثالثة: أهمية التعبير ب (انظرنا):

قال البغوي: "انظر إلينا نظرة اهتمام ومراعاة، وقيل انتظرنا، وتأن وترفق بنا"^(١)،

قال البيضاوي: "انظر إلينا، أو انظرنا، أو أمهلنا لنحفظ"^(٢).

المسألة الرابعة: أهمية الإستفهام ومعنى النجوى وعودتهم إليها:

١- ألم تر: "الإستفهام للتعجب من حالهم، والمضارع للدلالة على تكرار النجوى منهم واستحضار صورتهم العجيبة"^(٣).

٢- النجوى^(٤): قال أبو بكر الجزائري: "أي المسارة الكلامية، والمنهيون هم اليهود والمنافقون"^(٥)، قال السعدي: "النجوى هي التناجي بين اثنين أو أكثر، فقد تكون في الخير، وتكون بالشر"^(٦).

٣- ثم يعودون: نفيد التعقيب والتراخي، وهذا يدل على أنهم بعد نهيهم توقفوا فترة، لكنهم عادوا للنجوى لأن إيذاء الرسول يجرى في دمائهم والجملة الفعلية - يعودون - حالية لبيان حالهم المتجددة والمتكررة في التناجي، وسبب ذلك تأجيل العقوبة لهم، قال تعالى: ﴿لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصَلُّونَهَا فَيُبْسِ الْمَصِيرُ﴾ (المجادلة/ ٨) .

(١) معالم التنزيل مج (٨٣/١) بتصرف .

(٢) أسرار التنزيل مج (١ص٨٠)

(٣) إرشاد العقل السليم مج (٦٩٦/٥) بتصرف.

(٤) ناجى الرجل مناجاة: ساره، وفلان ناجى فلان: يناجيه دون فلان، تناجوا:تساروا، قال أبو اسحق معنى النجوى في الكلام، ما ينفرد به الجماعة والاثنتان سرا، كان أو ظاهرا، لسان العرب مج (قال الراغب ناجيته: أي ساررته، وأصله أن تخلو به في نجوى من الأرض ، المفردات في غريب القرآن (ص٤٨٤)

(٥) أيسر التفاسير مج (٢٢٣/٥) .

(٦) تيسير الكريم الرحمن (ص ٧٨٤).

٤- ويتناجون بالإثم^(١) والعدوان: تأكيد واستمرار وإصرار من اليهود على جريمتهم من خلال التناجي، فهي جرائم متعددة بوسيلة واحدة، قال أبو السعود: ويتناجون بالإثم والعدوان ومعصية الرسول: عطف عليه داخل في حكمه، أي بما هو إثم في نفسه وعدوان على المؤمنين، وتواصى بمعصية الرسول عليه الصلاة والسلام^(٢)، وكأن كل واحد منهم كان يوصى الآخر بالاستمرار على ذلك، قال الزمخشري: "كانت اليهود والمنافقون يتناجون فيما بينهم ويتغامزون بأعينهم إذا رأوا المؤمنين يريدون أن يغيظوهم فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فعادوا لمثل فعلهم وكان تناجيهم بما هو إثم وعدوان للمؤمنين وتواص بمعصية الرسول ومخالفته^(٣)."

رابعاً: منهج القرآن في التعامل مع الجريمة: وفيه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: بيان عقوبة الجريمة:

يتضح للباحث من خلال استعراض الآيات القرآنية أن الله عاقب الذين آذوا الله ورسوله في الآيات بثلاث عقوبات:

العقوبة الأولى: العذاب الأليم: قال تعالى: ﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ {البقرة/١٠٤}.

العقوبة الثانية: اللعنة في الدنيا والآخرة: قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾ {الأحزاب/٥٧}.

العقوبة الثالثة: التأبيد في جهنم: قال تعالى: ﴿حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ {المجادلة/٨}، هذه العقوبات الثلاث لكل من آذى الله ورسوله سواء بالقول أو الفعل ، ولقد رتبها الباحث ترتيباً لوجود العلاقة القوية بينهم، ذلك لأن سببهم واحد.

المسألة الثانية: العلاقة بين العقوبات:

يتضح للباحث أن بين هذه العقوبات علاقة تدرج، لأنها مرت بثلاث مراحل، سارت على النحو التالي:

(١) فسره الرسول بقوله: "وعن وابصة بن معبد رضي الله تعالى عنه قال: أتيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: جئت تسأل عن البر؟ قلت: نعم وقال: استفت قلبك البر ما اطمأنت إليه النفس واطمأن إليه القلب والإثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر وإن أفتاك الناس وأفتوك الأربعون النووية . مج (٩١/١ رقم ٢٧)، حديث حسن رويناه في مسندي الإمامين أحمد بن حنبل والدرامي بإسناد حسن.

(٢) إرشاد العقل السليم مج (٦٩٥/٥) مرجع سابق.

(٣) الكشاف مج (٧٤/٤) مرجع سابق.

١- العذاب الأليم لمن يؤذ رسول الله ﷺ : مع بقاء باب التوبة مفتوح، رجاء عودته عن ذلك، قال الرازي: "والتعذيب جزاء إيذاء الرسول، لأن الملوك إذا أؤذي بعض عبده الذي له مكانة عنده يقتص الملك ممن إذاه، ولأن في أذى الرسول غضب الله ومعصيته^(١) .

٢- إن من أصر على جريمته وتمادى فيها، ورفض التوبة بعد النهي عن التناجي بالإثم والعدوان ومات على ذلك، استحق اللعنة في الدنيا والآخرة، قال الشوكاني رحمه الله: "وأما اللعنة فهي الطرد والإبعاد من رحمة الله، وجعل ذلك في الدنيا والآخرة، بحيث لا يبقى وقت من أوقات حياتهم ولا مماتهم إلا واللعنة واقعة عليهم، ومصاحبة لهم وأعد لهم مع ذلك اللعن عذاباً مهيناً في الدار الآخرة^(٢)"، قال الرازي: "واللعن أشد المحذورات لأن البعد عن الله لا يرجى معه خير بخلاف التعذيب بالنار وغيره"^(٣)، قلت: لأن المعذب يمكن أن يخرج من النار ويدخل الجنة إذا استوفي عذابه، طالما أنه مات على الإيمان، وأضاف الرازي وهو يبين أن الطرد أشد على النفس من العذاب قائلاً: "إن المجرم لو خير بين أن يضرب، أو يطرد من حضرة ملك، يكون في غاية الكرم والعفو والعظيمة، فإنه يختار الضرب على الطرد، لاسيما إذا لم يكن له غيره في الدنيا والآخرة"^(٤)، وما بعد اللعنة إلا إغلاق باب التوبة، لعدم إمكانية الرجوع إلي باب الملك، لأن الذي يُطرد من رحمة الله في الآخرة يكون قد مات على الكفر والعياذ بالله.

التأبيد في جهنم، وهذه نتيجة حتمية بعد الطرد من رحمة الله في الدنيا والآخرة، لمن مات مصراً على جريمته التي أدت لكفره، قال تعالى: ﴿حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصَلُّونَهَا فِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ (المجادلة/٨).

المسألة الثالثة: كيفية التعامل مع الجريمة:

- ١- إنزال العقوبات النفسية والمادية القاسية بالمجرمين.
- ٢- تنوعت العقوبات ونزلت متدرجة على أمل إصلاح نفوسهم، أو لينال كل من المجرمين عقوبته حسب حجم جريمته.
- ٣- من نجا من العقوبة في الدنيا، فإن عقاب الآخرة في انتظاره.

(١) التفسير الكبير مج (٢٥-٢٦/ج١/٢٢٨).

(٢) فتح القدير مج (٤/٣٦٦).

(٣) التفسير الكبير مج (٢٥-٢٦/ج١/٢٢٨).

(٤) المرجع السابق مج (٢٥-٢٦/ج١/٢٢٨).

فهو مصير مذموم، استحقه من آذى الله ورسوله ومات دون توبة، خصوصاً إن اليهود استهزؤوا واستمروا وأصروا على جريمتهم فقالوا: — لولا يعذبنا الله بما نقول — فكان الرد إن عذاباً في انتظاركم، سيكفيكم ويردكم عن غيكم وعنادكم واستهزاءكم، فمصيركم بئس بسبب جريمتكم.

والخلاصة: عذاب أليم مصحوب بالبؤس والذل والإهانة، في الدنيا قبل الآخرة.

خامساً: اللطائف.

- ١- الابتعاد عن المواقف والألفاظ التي يمكن أن يستغلها الخصوم ضد المسلمين.
 - ٢- عدم التشبه بالكافرين في أقوالهم وأفعالهم.
 - ٣- وجوب الغضب لله عند الاعتداء على الدين، والدفاع عنه بالكيفية التي تحول دون النيل منه أو من شعائره، وهذا ما قام به سعد بن معاذ عندما سمع اليهود قالوا راعنا، فعلم أنهم يسيئون للرسول فقال لهم: عليكم لعنة الله لئن سمعتها من رجل منكم يقولها لأضربن عنقه^(١).
 - ٤- النهي عن الجائر إذا كان سيستغل وسيلة إلى محرم، وضرورة استخدام الألفاظ التي لا تحمل إلا المعنى الحسن^(٢).
 - ٥- النهي عن التناجي بالإثم والعدوان، وكل ما من شأنه إيقاع الأذى أو الضرر بالمسلمين، (عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: " إِذَا كَانُوا ثَلَاثَةً فَلَا يَتَنَاجَى اثْنَانِ دُونَ الثَّلَاثِ ")^(٣).
- جواز التناجي بالبر والتقوى ، وكل ما فيه مصلحة للإسلام والمسلمين.

الفرع الثاني: إيذاء موسى عليه السلام .

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴾^(٤) (الأحزاب/٦٩)، وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ (الصف/٥).

(١) الجامع لأحكام القرآن مج (٤٧٥/١) مرجع سابق.

(٢) السعدي (ص ٤٣) . مرجع سابق.

(٣) خ — ك الاستئذان — ب لا يتناجى اثنان دون الثالث — مج ١ / (٤٠٠) الأدب المفرد.

(٤) الوجيه عند الله: العظيم القدر الرفيع المنزلة فتح القدير مج (٣٧٣/٤) مرجع سابق، وقال الرازي هو الرجل الذي يكون له وجه، أي يكون معروفًا بالخير،.التفسير الكبير مج (٢٦،٢٥ /ج/١/٢٢٣).

أولاً: التفسير الإجمالي.

ينهي الحق تبارك وتعالى المؤمنين عن التشبه بالذين آذوا موسى ﷺ من بني إسرائيل، (عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: لَمَّا كَانَ يَوْمُ حُنَيْنٍ أَثَرَ النَّبِيِّ ﷺ أَنَسًا فِي الْقِسْمَةِ فَأَعْطَى الْأَفْرَعَ بْنَ حَابِسٍ ^(١) مِائَةً مِنَ الْإِبِلِ، وَأَعْطَى عِيْنَةَ مِثْلَ ذَلِكَ، وَأَعْطَى أَنَسًا مِنْ أَشْرَافِ الْعَرَبِ، فَأَثَرَهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْقِسْمَةِ؛ قَالَ رَجُلٌ: وَاللَّهِ إِنَّ هَذِهِ الْقِسْمَةَ مَا عُدِلَ فِيهَا، وَمَا أُرِيدَ بِهَا وَجْهَ اللَّهِ فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لِأَخْبِرَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، فَأَتَيْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: فَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ يَعْدِلِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ رَحِمَ اللَّهُ مُوسَى، قَدْ أُوْذِيَ بِأَكْثَرٍ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ ^(٢)، وأما تهمة موسى فقد برأه الله منها لماله من مكانة عالية وشأن عند الله ﷻ، حيث أنكر موسى ﷺ على قومه هذه الفريضة قائلاً: لم تؤذوني؟، وأنتم تعلمون علم اليقين أني نبي منزله عما آذيتموني به، فكانت هذه الكذبة من أسباب انحرافهم عن جادة الحق.

قال الطبري رحمه الله: "يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله، لا تؤذوا رسول الله بقول يكرهه منكم، ولا بفعل لا يحبه، ولا تكونوا أمثال من آذوا موسى قبلكم عندما رموه بصيب كذبا وباطلا فبرأه الله مما قالوا من الكذب والزور، لأن له مكانة وقدرًا عاليين عند الله" ^(٣).

ثانياً: الإعجاز البياني:

وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: حقيقة الأذى الذي وقعوا فيه:

اختلف المفسرون في الأذى المشار إليه في الآيتين السابقتين، منهم من جاء بالدليل ومنهم من لم يأت بالدليل وأقوى هذه الأقوال ما رواه البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ يَغْتَسِلُونَ عَرَاةً يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ وَكَانَ مُوسَى ﷺ يَغْتَسِلُ وَحْدَهُ فَقَالُوا: وَاللَّهِ مَا يَمْنَعُ مُوسَى أَنْ يَغْتَسِلَ مَعَنَا إِلَّا أَنَّهُ أَدْرُ ^(٤) فَذَهَبَ مَرَّةً يَغْتَسِلُ

(١) الأفرع بن حابس بن عقاب المجاشعي الدارمي التميمي ٣١هـ — ٦٥١م صحابي من سادات العرب في الجاهلية، قدم على رسول الله ﷺ في وفد من بني دارم من تميم فاسلموا^١ شهد حنيناً وفتح مكة والطائف، وسكن المدينة، وكان من المؤلفات قلوبهم، استشهد بالجوزان، ويرى بعض المؤرخين أن اسمه فراس والأفرع له لقب. الأعلام للزركلي مج (٥/٢).

(٢) م — ب ما كان النبي يعطي المؤلفات قلوبهم وغيرهم من الخمس ونحوه مج (٣/١٠٩ رقم ٢٩١٥). اللؤلؤ والمرجان ب — إعطاء ما يخاف على إيمانه مج (٣٠٦/١)، خ — كتاب فرض الخمس: ١٩ باب ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يعطي المؤلفات قلوبهم وغيرهم من الخمس ونحوه.

(٣) جامع البيان مج (٣٣٦/١٠) مرجع سابق.
(٤) خ — ك — ب من اغتسل عريانا وحده في الخلوة . اللؤلؤ والمرجان مج (١٠٧/١) أدر: عظيم الخصيتين، زاد المسير مج (٢١٨/٦)، (أدر): بالمد وفتح الدال المهملة وتخفيف الراء قال الجوهري: الأدره نفخة في الخصية — مقدمة فتح الباري مج (٧٢/١).

فَوَضَعَ ثَوْبَهُ عَلَى حَجَرٍ فَفَرَّ الْحَجَرُ بِثَوْبِهِ فَخَرَجَ مُوسَى فِي إِثْرِهِ يَقُولُ ثَوْبِي يَا حَجَرُ حَتَّى نَظَرْتُ بَنُو إِسْرَائِيلَ إِلَى مُوسَى فَقَالُوا وَاللَّهِ مَا بِمُوسَى مِنْ بَأْسٍ وَأَخَذَ ثَوْبَهُ فَطَفِقَ بِالْحَجَرِ ضَرْبًا فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ وَاللَّهِ إِنَّهُ لَنَدَبٌ بِالْحَجَرِ سِنَّةٌ أَوْ سَبْعَةٌ ضَرْبًا بِالْحَجَرِ (١).

وأدى الرسول ﷺ يشتمل كل قول أو فعل يؤدي به ﷺ من سب أو شتم أو تقليل من شأنه أو إساءة لدينه، مع أن اليهود قد آذوا موسى الكثير، من ذلك أنهم اتهموه بالسحر قائلين: ﴿يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّا لَمُهْتَدُونَ﴾ (الزخرف/٤٩)، وغير ذلك من أنواع الأذى.

المسألة الثانية: براءة موسى من الأذى:

١- يا قومي - استعطافا لهم واستنهاضا إلى رضى ربهم، لأن موسى يعلم أن همتهم ضعيفة ونفوسهم مريضة لا تنقاد إلى شيء (٢).

٢- مما قالوا - لماذا لم يذكر القرآن ما قالوه؟؟ وجعله اسمًا موصولًا، لأن القول الذي قالوه في الأصل كذب وافتراء، ولا يستحق ذكره في القرآن، وذلك تحقيرًا لهم ولقولهم، "وذلك بما أظهره من البرهان على صدقه فخسف من آذاه" (٣)، وقال النسفي: "والمراد البراءة عن مضمون القول ومؤذاه، وهو الأمر المعيب" (٤)، "وأما الأوسى رحمه الله: "قبرى أن الله أظهر براءة موسى من الأمر المعيب الذي نسبوه إليه، وقيل لا حاجة إلى ما ذكر، فإنه تعالى لما أظهر براءته مما افتري عليه انقطعت كلماتهم فيه فبرى من قولهم" (٥).

٣- عند الله - ظرفيه أفادت بيان المكانة العالية لموسى، وفيها رد على الذين رموه بالفرية الكاذبة، وكان الله يقول لهم، إذا كانت مكانة موسى عندكم بما وصفتموه، فإنه عند الله ذو مكانة عالية ورفيعة، قال الزمخشري رحمه الله: ذا جاه ومنزلة عند الله، فلذلك كان يميظ عنه التهم ويدفع الأذى، ويحافظ عليه لئلا يلحقه وصف بنقيصة كما يفعل الملك بمن له عنده قرينة ووجاهة (٦).

٤- وجيها - جاءت تفسيرية وتأكيدًا لما أفاده الظرف، وجاءت ردًا على فريتهم النكراء وتبرئة من اتهامهم لموسى ﷺ، لأنه أكبر مما رموه به، قال البقاعي: "كان موسى عند الله معظمًا رفيع القدر إذا سأله أعطاه، وإذا كان بهذه المنزلة، كان عند الناس بها لما يرون من إكرام الله له، والجملة للتعليل لأنه لا يبرأ الشخص إلا من كان بريئًا عنده" (٧).

(١) صحيح ابن حبان، ب بدء الخلق، (ج١٤، ص ٦٢١١).

(٢) نظم الدرر مج (٥٧٤/٧).

(٣) المرجع السابق مج (١٤٠/٦) بتصرف.

(٤) تفسير النسفي مج (٣١٥/٣).

(٥) روح المعاني مج (٩٤/٥).

(٦) الكشف مج (٢٧٦/٣) بتصرف.

(٧) نظم الدرر مج (١٤٠/٦) مرجع سابق.

المسألة الثالثة: إصرارهم على الأذى رغم علمهم نبوة موسى:

١- وقد تعلمون - قد حرف توكيد، والجملة الفعلية حالية، مؤكدة بما قبلها، لبيان أن أذاهم لموسى كان متعمداً وعن علم، وأن موسى برئ مما قالوا، لأن مكانته تقتضي منهم توقيره واحترامه ونصرتة، وحالتهم هذه متجددة مع موسى فقد آذوه في كثير من المواقف، وأكد هذا الكلام عبد الكريم الخطابي فقال: "الواو حالية، وقد حرف تحقيق، يفيد التوكيد والجملة حالية، وقد جئ بالفعل المضارع بدل الماضي للدلالة على أن هذا العلم قائم بينهم، وأن الآيات والمعجزات لا تزال تنزل عليهم، وفي هذا ما يشير إلى ما في طباع القوم من عناد وجماح عن الانقياد للحق والاستقامة على طريق الهدى" (١)، قال الشوكاني: "كيف تؤذونني مع علمكم بأني رسول الله، والرسول يحترم ويعظم ولم يبق معكم شك في الرسالة" (٢). قال الكلبي رحمه الله: "هذه لإقامة الحجة عليهم، ولتوبيخهم وتثبيتاً لجريمتهم مع نبيهم بعلمهم أنه نبي" (٣).

المسألة الرابعة: حقيقة زوغان القلب:

أزاع الله قلوبهم: جاءت عقوبة على أذاهم لموسى الذي وقعوا فيه، عالمين بنبوته من جانب، وعالمين أنهم على باطل، بدليل قوله تعالى: - فلما زاغوا - عن الحق أزاع الله قلوبهم، قال سيد: "وقد ضرب بنو إسرائيل مثلاً للالتواء والانحراف في مواضع من القرآن كثيرة" (٤)، ويرى الباحث أن مواقفهم في معظمها مع موسى ﷺ سارت على هذا المنوال، فهذه هي حياتهم وحقيقتهم، وتلك طباعهم وهذا أسلوبهم ولا مجال لتغييرهم!!.

المسألة الخامسة: العلاقة بين الآيتين:

[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا] (الأحزاب/٦٩) وقال الله: [وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تَأْتُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاعَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ] (الصَّف/٥).

يلاحظ الباحث أن بين الآيتين علاقة واضحة، بيانية تفسيرية، وذلك من خلال

النقاط التالية:

(١) التفسير القرآني للقرآن مج (٩١٩/٧) دار الفكر العربي مطبعة السنة المحمدية.

(٢) فتح القدير مج (٢٦٦/٥) .

(٣) التسهيل في علوم التنزيل مج (٤٤٢/٢) مرجع سابق.

(٤) الظلال مج (٢٨٨٤/٥).

- ١- الآية الأولى في سورة الأحزاب ذكرت الأذى الذي تعرض له موسى دون أن تذكر القوم الذين آذوه، والآية الثانية في سورة الصف بينت أن الذين آذوه هم قومه.
- ٢- الآية الأولى في سورة الأحزاب برأت موسى من الفرية التي رموه بها، من خلال بيان صفاته ومكانته الوجيهة عند الله، والآية الثانية من سورة الصف أوضحت أن قومه آذوه وهم يعلمون صفة الوجاهة والمكانة العالية عند الله.
- ٣- الآية الأولى من سورة الأحزاب نهت الصحابة وحذرتهم من الوقوع فيما قام به بنو إسرائيل من الأذى لموسى، والآية الثانية بينت عقوبة الجريمة التي قام بها بنو إسرائيل، قال تعالى [وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُوذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ] (الصف/٥).

ثالثاً: منهج القرآن في التعامل مع الجريمة:

وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: بيان عقوبة الجريمة، [أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ] (الصف/٥).

المسألة الثانية: كيفية التعامل مع الجريمة:

يتضح للباحث أن القرآن الكريم تعامل مع الجريمة علي النحو التالي:

- ١- فضح القرآن المجرمين وبين أنهم ارتكبوا جريمتهم على علم من وجاهة موسى عليه السلام قال تعالى [وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ] (الصف/٥).
- ٢- لما فعلوا جريمتهم وهم علي علم من وجاهة موسى عند الله ومما قالوه فرية عليه فيكونوا قد اختاروا طريق الانحراف لذلك حرمهم الله معيته ورعايته وتوفيقه، وتركهم لأنفسهم المنحرفة الضالة الخبيثة.

رابعاً: اللطائف البيانية:

- ١- لا تكونوا - نهي أفاد تأديب المؤمنين وتحذيرهم من الوقوع في أي شيء يؤذى النبي.
- ٢- وإذ قال موسى - أفاد التوبيخ لهم على صنيعهم ومقرعاً لهم على إذاهم.
- ٣- والله لا يهدي القوم الفاسقين - أفادت أن إضلال الله لعباده ليس ظلماً منه ولا حجة لهم عليه وإنما ذلك بسبب منهم، فإنهم الذين أغلقوا على أنفسهم باب الهدى بعدما عرفوه فيجازيهم بالإضلال^(١).
- ٤- إشارة إلى مطالبة المجتمع المؤمن بالعزلة الشعورية والسلوك لأفعال وأقوال اليهود.

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص ٧٥٦) .

٥- إيقاع الأذى بالقيادة وسيلة يسعى إليها اليهود لأن القيادة هي الدرع الواقي والحصن الحصين لتماسك الأمة والدفة التي توجهها إلى بر الأمان.

المطلب الثاني: تكذيب الأنبياء وقتلهم:

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَقَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾ (البقرة/٨٧) وقال: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصِلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ (البقرة/٦١)، وقال: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَسُّهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتِ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴾ [آل عمران/٢١، ٢٢].

أولاً: التفسير الإجمالي.

هذه الآيات تتحدث عن عدد من الرسل أرسلهم الله إلى بني إسرائيل يتبع بعضهم بعضاً وكل منهم أيده الحق بالمعجزات، لكن القوم كعادتهم قابلوا أنبياءهم بالعناد والتكذيب والقتل، دون مراعاة لحرمتهم ومكانتهم، والرسالة التي جاءوا بها، فعاقبهم الله بالعديد من العقوبات التي تتناسب مع جريمتهم، من أهمها حياة الذل والمهانة في الدنيا والعذاب الأليم في الآخرة.

ثانياً: الإعجاز البياني:

وفيه ثماني مسائل:

المسألة الأولى: أهمية القسم في قوله: (ولقد):

اللام للقسم دخلت على حرف التوكيد قد، وتصدرت الجملة بهما لإظهار كمال الاعتناء بما سيأتي^(١).

المسألة الثانية: دلالة التعبير بقول الله (وقفينا):

قال الشعراوي أتبعنا بعضهم بعضاً كل يخلف الذي سبقه^(٢)، وهذا يعني أن كل رسول جاء برسالة التوحيد، وعبادة الله ﷻ، كذلك فإن التلفية تبين أن بني إسرائيل أرسل لهم عدد كبير من الرسل، منهم داوود وسليمان وزكريا ويحيى عليهم السلام وغيرهم، قال تعالى: ﴿ وَرُسُلًا قَدْ

(١) إرشاد العقل السليم مج (١/١٥٢) مرجع سابق.

(٢) الشعراوي مج (١/٤٤٣) مرجع سابق.

قَصَصْنَا هُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرَسُولًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴿النساء/١٦٤﴾^(١)، وهذا يدل على سرعة تقلب قلوبهم القاسية المغلفة لأنهم أعلنوها بكل تبجح قلوبنا غلف، لا نسمح بدخول شئ فيها، لأنها امتلأت هوى، فهوى بهم من سمو الإيمان، إلى درك الكفر والعصيان، وهذا ما أكدته القرآن بقوله: [أَفَكَلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ] (البقرة/٨٧) .

المسألة الثالثة: دلالة التعبير بالاستفهام والتكرار (أفكلما):

- ١- الإستفهام أفاد التوبيخ والإنكار والتعجب من حالهم، وموقفهم ضد أنبيائهم^(٢).
- ٢- كلما: ظرف أفاد التكرار، والعامل فيه استكبرتم وظاهر الكلام الاستفهام، أفاد التوبيخ والتقدير ويتضمن الخبر عنهم^(٣)، تقديم المفعول على الفعل - ففريقًا كذبتهم - وتقديم فريقًا في الوضعين للاهتمام وتشويق السامع إلى ما فعلوه بهم^(٤)، وكأنه يستمر في توبيخهم ليقول لهم أن هؤلاء أنبياءكم رسل الله إليكم فأى جريمة ارتكبتم في حقهم، بدلًا من أن تصدقوهم تكذبونهم، وبدلًا من نصرتهم وحمائيتهم تقتلونهم؟! ما لكم كيف تفعلون؟.

المسألة الرابعة: أهمية استخدام الجملة الفعلية (تقتلون):

- عبر عن جرائم الغائبين بضمير المخاطبين، واستخدم الفعل المضارع لبيان الآتي:
- ١- رضي المخاطبين عن جرائم الغائبين.
 - ٢- لأن جرائم الغائبين استهوت المخاطبين وأعجبوا بها، فاليهود قديمًا وحديثًا طباعهم واحدة، ونفوسهم جمعها الحقد والحسد على الإسلام، وأهدافهم التي يسعون لتحقيقها واحدة، فأى تاريخ مخزي، وحافل بالإجرام، هذا الذي يجمع بين سلفهم وخلفهم، وماضيهم وحاضرهم وحتى مستقبلهم، سوى الكفر وحب الإجرام، فإذا كان هذا حالهم مع أنبيائهم فكيف يكونون مع المؤمنين من أمة محمد ﷺ بعد ذلك؟؟!!.
 - ٣- لبيان استعداد المخاطبين ارتكاب مثل جرائم الغائبين، وهذا ما حدث بالفعل عندما حاولوا قتل الرسول ﷺ في المدينة أكثر من مرة، قال النسفي: "لأنكم تحومون حول قتل محمد ﷺ"

(١) المرجع السابق مج (٤٤٣/١) مرجع سابق.

(٢) إرشاد العقل السليم مج (١٥٣/١). بتصرف وانظر النسفي مج (٦١/١).

(٣) المحرر الوجيز مج (١٧٦/١) .

(٤) النسفي مج (١٥٣/٢-١)، إرشاد العقل السليم مج (١٥٣/١).

لولا أنى أعصمه منكم، لذلك سحرتموه وسمتم له الشاة^(١)، " بل ولا زال اليهود يرتكبون القتل تلو القتل في عصرنا هذا، بل أصبح القتل صفة ملازمة لهم. ٤- أراد القرآن استحضار الصور الهائلة المروعة التي حدثت منهم، وكأنها لا زالت ماثلة أمام الأعين لعظمتها وخطورتها، وهم يقتلون فريقاً من الأنبياء، قال الزمخشري: "لأن الأمر فظيع فأريد استحضاره في النفوس وتصويره في القلوب"^(٢).

المسألة الخامسة: استهزاء بالمجرمين (فبشرهم)^(٣):

لفظ البشارة عادة تكون في الأخبار السارة، وسميت بهذا الاسم لأنها تترك أثراً طيباً على بشرة سامعها، فتكسوا الوجه نضرة وسروراً، ومع ذلك فلها استخدام آخر خرج عن المعنى الأصلي للاستخدام يفيد السخرية والاستهزاء بالكافرين والعصاة، كما قال القرآن الكريم [فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ] (آل عمران/٢١).

المسألة السادسة: قوة التعبير في قول الله: (حبطت)^(٤):

قال الشوكاني: "وحبط معناه: بطل وفسد ومنه الحبط: وهو فساد يلحق المواشي في بطونها من كثرة أكلها للكلى، فتنتفخ أجوافها وربما تموت"^(٥)، وهذا يعني إن الكافر ربما يكون قد عمل أعمالاً للخير كثيرة أعجبتة، كما يأتي صاحب الإبل فيرى بطونها المنتفخة من كثرة أكل الكلى فيسر بها ويظن أنها قد سمنت، لكنها سرعان ما تمرض أو تموت، كذلك الكافر يكون قد أتى بشيء أحبب عمله الكثير وأضاع ثوابه، قال تعالى: [وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فُوقَاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ] (النور/٣٩).

المسألة السابعة: دلالة التعبير في قول الله (بغير حق):

قال ابو حيان: " حال مؤكدة إذ لا يقع قتل نبي إلا بغير حق، فقتلهم الأنبياء مؤكد وهو قبيح، وكونه بغير حق هو أشد قبحاً"^(٦) والمقصود من هذه الحال زيادة تشويه فعلهم^(٧) والآية

(١) النسفي (١-٢/ص ٦١).

(٢) الكشاف مرجع سابق.

(٣) يقال بشرت، وبشرت، وأبشرت، وبشرت بكذا وكذا، وبشرت وأبشرت: إذا فرحت به، وبشرت الرجل أبشره: إذا أفرحته، وقال الزجاج: معنى يبشرك: يسرك ويفرحك، وأصل هذا كله إن بشرة الإنسان تتبسط عند السرور، لسان العرب، مج (١/٢١٧).

(٤) والحبط: وجع يأخذ البعير في بطنه من كلاً يستبوله، وقد حبط حبطاً فهو حبيط، وحبطت الشاة حبطاً، انتفخ بطنها عن أكل الذرق، والحبط أن تأكل الماشية فتكثر حتى تنتفخ لذلك بطونها ولا يخرج عنها ما فيها، لسان العرب مج (١/٥٥٣).

(٥) لسان العرب مج (٣/٥٢١).

(٦) البحر المحيط مج (٢/٤٣٠) مرجع سابق.

(٧) التحرير والتنوير مج (٣/٢٠٦) مرجع سابق.

تشجيع لأفعالهم القبيحة وكأن هناك سؤال مقدر، بأي ذنب قتلوا؟ الجواب: بغير حق، قال سيد طنطاوي: "جاءت بصيغة التنكير لعموم النفي بحيث يتناول أي حق، وهي في موضع الحال المؤكدة لمضمون جملة يقتلون النبيين، إذ لا يقتلون نبيًا، إلا بغير حق^(١) .

المسألة الثامنة: قوة التعبير في قول الله (ضربت)^(٢):

قال د. صلاح الخالدي: "وهذه الكلمة - ضربت - توحى بالحالة الدائمة التي لا تفارقهم وكأن نفوسهم أعيد تكوينها من جديد، حيث مزجت بالذلة والمسكنة مزجا، وخلطت بها خلطا وعجنت بها عجينا، ثم أعيد تشكيل هذه الشخصية اليهودية فأخرجت إلى الخارج والواقع فكانت مصنوعة من الذلة والمسكنة وتغلغت في كافة حناياها وتداخلت في جوانبها وسرت في دماغها وأعصابها ومشاعرها وأعضائها"^(٣)، قال البيضاوي: "فهي محيطة بهم إحاطة البيت المضروب علي أهله"^(٤).

الضرب له عدة معاني:

- ١- **الخلط:** ضربت الشيء بالشيء وضربته: خلطته.
 - ٢- **الإغراء:** والتضريب بين القوم: الإغراء^(٥).
 - ٣- **الوجوب:** ضرب على العبد الإتاوة: أوجبها عليه^(٦)، قال سيد طنطاوي: "وأصل الضرب في كلام العرب يرجع إلى معنى التقاء ظاهر جسم بظاهر جسم آخر بشدة، يقال ضرب بيده الأرض إذا الصقها بها، وتفرعت عن هذا معاني مجازية ترجع إلى شدة اللصوق"^(٧)، وبناء على ما سبق فإن الضرب يتحمل كل المعاني السابقة فنتيجة الجريمة التي وقع فيها اليهود كانت العقوبة المفروضة عليهم قد وجبت حتما والتصقت بهم التصاق الغراء بالشيء بحيث لم يستطع أحد أن يفصل بين العقوبة وبينهم.
- والذلة والمراد بها الصغار والهوان والحقارة، المسكنة: مفعلة من السكون، ومنها أخذ لفظ المسكين لأن الهم قد أثقله^(٨)، فجعله قليل الحركة والنهوض لما به من الفاقة، والمراد بها

(١) الوسيط في التفسير مج (٨٤/٢) مرجع سابق.
(٢) الدق: ضرب الوند يضربه ضربا: دقه حتى رسب في الأرض، لسان العرب مج (٥١٩/١)، قال الراغب: الضرب: إيقاع الشيء على شيء، وضرب الخيمة، يضرب أوتادها بالمطرقة، قال تعالى [ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ] {آل عمران: ١١٢} أي التحفتهم الذلة التحاف الخيمة بمن ضربت عليهم، المفردات (ص ٢٩٥).
(٣) الشخصية اليهودية (ص ٣٠٦).
(٤) أنوار التنزيل مج (١٧٥/١) مرجع سابق.
(٥) لسان العرب مج (٥٢١/٣) مرجع سابق.
(٦) المرجع السابق مج (٥٢٢/٣).
(٧) التفسير الوسيط مج (١٩٥/١) مرجع سابق.
(٨) المرجع السابق مج (١٩٥/١).

في الآية الضعف النفسي.

المسألة التاسعة: دلالة التعبير في قول الله: (حبل الناس):

١- قال حبل الناس ولم يقل حبال الناس، أفرد الحبل إشارة إلى أن حبال الناس في قوتها كحبل واحد، فهي ضعيفة وقصيرة، زمنها قليل، وزوالها سريع^(١).

٢- جعل الله حبلًا، وللناس حبلًا: لاختلافهما في المعنى والمضمون، فانقطع حبل الله عنهم الذي أنقذهم من حالة الذل والهوان التي عاشوها زمن فرعون، بسبب رفضهم ذلك الحبل، وبقي حبل الناس الذي يمتد إليهم ليعيشوا عالة عليه، لذلك فإن اليهود ليس لديهم مقومات تمكنهم من البقاء والاستمرار، فضلًا عن القوة في هذه الحياة الدنيا، وقد بينت الآية أن أسباب مقومات بقائهم خارجية عنهم، تتمثل في حبل الله وحبل الناس، وهو استثناء طارئ على حياتهم، لأن الأصل فيهم حياة الذل والإهانة، فقطع الله حبله عنهم، فمن يقطع حبل الناس سوى المجاهدين، قال البيضاوي: استثناء من أعم عام الأحوال أي ضربت عليهم الذلة في عامة الأحوال، إلا معتصمين أو ملتبسين بذمة الله أو كتابه الذي آتاهم وذمة المسلمين^(٢)، وكلمة الناس تشمل المؤمنين والكافرين، قال سيد: فهم في كل أرض يذلون، لا تعصمهم إلا ذمة الله وذمة المسلمين حين يدخلون فيها، فتعصم دماؤهم وأموالهم إلا بحقها، وينالهم الأمن والطمأنينة، لذلك لم تعرف اليهود منذ ذلك الحين الأمن إلا في ذمة المسلمين^(٣)، وأما في زماننا هذا فإن حبل الكافرين المتمثل في أمريكا وأوروبا، إضافة إلى تأمر بعض المسلمين من خلال الاتفاقيات الموقعة، يشكل حبل نجاة لهم من طوفان يمكن أن يغرق يهود ليعيدهم إلى حالتهم التي من المفروض أن يعيشوها، حياة الذل والهوان، ولقد ذكر الأستاذ الخالدي العديد من حبال الناس الممدودة إليهم في هذه الأيام^(٤).

المسألة العاشرة: الفرق في التعبير بين آيتين متشابهتين:

[وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ] (البقرة/٦١).

﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ أَيَّنَ مَا تُقْفُوا (٥) إِلَّا بِحَبْلِ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلِ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ ذَلِكَ ﴾

(١) الشخصية اليهودية (ص ٣١٠).

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل مج (١/١٧٥).

(٣) الظلال مج (١/٤٤٩).

(٤) الشخصية اليهودية (ص ٣١٢-٣١٤).

(٥) قال الراغب ثقفت كذا: إذا دركته ببصرك لحق في النظر، ثم يتجاوز به فيستعمل في الإدراك، وإن لم يكن معه ثقافة، قال تعالى [وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقْتُلُوهُمْ] {البقرة: ١٩١}، وقال تعالى [مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا تَقْتُلُوا أَخْتَلُوا وَقْتُلُوا تَقْتِيلًا] {الأحزاب: ٦١}، المفردات (ص ٧٩) مرجع سابق.

بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ] (آل عمران/١١٢).

يلاحظ الباحث أن الفرق في النصين السابقين قد جاء في نقطتين، على النحو كالتالي:

١- إن العقاب في آية سورة البقرة، والمتمثل في ضرب الذلة والمسكنة على اليهود، جاء من الله مباشرة، دون ذكر حبل الناس الذي يعتبر حبل النجاة المؤقت الممدود لليهود، أما في سورة آل عمران، فإن حبل الناس قد مد إليهم، لذلك فيها إشارة للمؤمنين بالعمل على ملاحقة اليهود في كل مكان لقطع هذا الحبل، بدليل وجود ظرف المكان - أينما - في قول الله - أينما تقفوا - حتى يبقى عقاب الله نازل بهم، وإلا فالمؤمنون آثمون، لأن تقفوا تفيد معنى الإدراك والإحاطة والقدرة على الشيء والتمكن منه، وفي ذلك إغراء للمؤمنين.

٢- الآية في سورة البقرة قوله - **بغير الحق** - وفي سورة آل عمران - **بغير حق** - .

قال الرازي: " ذكر الحق بالألف واللام معرفة، وفي آل عمران - **حق** - نكرة.

الفرق بينهما: الحق المعلوم فيما بين المسلمين الذي يوجب القتل، قال عليه الصلاة والسلام: " لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث، كفر بعد إيمان وزناً بعد إحصان وقتل نفس بغير حق، فالحق المذكور بحرف التعريف إشارة إلى هذا، وأما الحق المنكر فالمراد به تأكيد العموم، أي لم يكن هناك حق لا هذا الذي يعرفه المسلمون ولا غيره البتة" (١)، قال أبو زهرة "هذا تصريح بموضع الاستنكار، لأن اعتدائهم على الحق، بالاعتداء على النبيين وللإشارة إلي أنهم صاروا أعداء للحق، لا يألفونه ولا يريدونه، وجاءت كلمة حق بصفة التنكير، لعموم النفي بحيث يشمل الحق الثابت والحق المزعوم والحق الموهوم، أي لم يكونوا معذورين بأي نوع من أنواع العذر في هذا الاعتداء، لا عذر زعموه أو توهموه بل فعلوا ذلك وهم يعلمون أنهم علي الباطل" (٢).

وهناك العديد من الأنبياء الذين ارتكب اليهود الجرائم في حقهم مثل داوود عليه السلام فاتهموه بأفبح الإتهامات كالزنا والقتل، فقد ورد في أسفارهم نص يقول: وفي المساء قام داوود عن سريرته وتمشى على سطح بيت الملك فرأى من على السطح امرأة تستخدم للطهارة من طمئتها، وكانت جميلة المظهر جداً، فأرسل لها داوود وأخذها، ودخل بها (٣) كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً وإفتراءً، وكذلك نبي الله سليمان عليه السلام الذي أظهره وكأنه ليس له هم في الدنيا إلا التمتع بالنساء والإنجرار وراء شهوته، وهذا نص في توراتهم المحرفة يقول: وأحب الملك سليمان نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون مؤابيات،

(١) التفسير الكبير مج (٣-٤/ج/٣/١٠٣).

(٢) زهرة التفاسير مج (٣/١١٥٧) بتصرف.

(٣) سفر صموئيل الثاني الإصحاح ١١: ٢-٢٦.

وعمونيات، وأدوميات، وحبرونيات^(١)، وكذلك ورد في حق نبي الله لوط عليه السلام أنه قد زنى بابنتيه اللتين سقته خمرًا وحملتا منه، يقول سفر التكوين: وصعد لوط من صوغر وسكن في الجبل وابناه معه لأن خاف أن يسكن في صوغر غسكن في المغارة هو وابنتاه، وقالت البكر للصغيرة أبونا قد شاخ وليس في الأرض رجل ليدخل علينا كعادة كل الرض، هلم نسقي أبانا خمرًا ونضع معه، فنحي من أبينا نسلًا، فسقتا أباهما خمرًا في تلك الليلة ودخلت البكر واضجعت مع أبيها، ولم يعلم باضجاعها ولا بقيامها، وحدث في الغد أن البكر قالت: للصغيرة إنني قد اضجعت البارحة مع أبي، نسقيه خمرًا الليلة أيضًا فادخلي اضطجعي معه فنحي من أبينا نسلًا، فسقتا أباهما خمرًا في تلك الليلة أيضًا وقامت الصغيرة واضطجعت معه ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها فحبلت ابنتا لوط من أبيهما^(٢)، وهذا غييض من فيض من جرائم اليهود في حق الأنبياء.

ثالثًا: منهج القرآن في التعامل مع الجريمة:

وفيهما مسألتان:

المسألة الأولى: بيان عقوبة الجريمة:

قال تعالى: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ أَيْنَ مَا تُفَفُوا إِنَّا بَحْبُلٌ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٌ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ (آل عمران/ ١١٢)، وقال تعالى: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ (سورة البقرة/ ٦١).

تبين من خلال الآيات السابقة أن الله عاقب اليهود علي جرائمهم بثلاث عقوبات لحقت بمن كذبوا الأنبياء وارتكبوا جريمة قتلهم، يسجلها الباحث حسب ترتيبها في القرآن الكريم.

العقوبة الأولى: إصاق الذلة والمسكنة مصحوبة بغضب الله عليهم وهذه العقوبة ألحقها الله بهم.

العقوبة الثانية: العذاب الأليم المصحوب بالسخرية.

العقوبة الثالثة: حبوط العمل.

(١) سفر الملوك الأول: الإصحاح ٣: ٢٨.

(٢) انظر سفر التكوين الإصحاح ١٩: ٢١-٢٧.

المسألة الثانية: كيفية التعامل مع الجريمة:

- ١- تبين للباحث أن هذه العقوبات غلب عليها البعد النفسي من خلال ضرب الذلة والمسكنة على اليهود من قبل الله ﷻ، إضافة إلى العذاب الأليم المصحب بالسخرية الذي ينتظرهم يوم القيامة.
- ٢- إن المؤمنين لهم دور في عقاب اليهود لا بد أن يقوموا به في ضرب الذلة والمسكنة، من خلال رفع راية الجهاد في سبيل الله، لقطع حبل الناس عن اليهود، حتى يعودوا إلى الحالة التي أرادها الله لهم كي يعيشوا أذلاء يسامون سوء العذاب طيلة حياتهم.

رابعاً: اللطائف:

- ١- بيان جراءة اليهود في ارتكاب الجرائم بدليل قتلهم الأنبياء.
- ٢- بيان العدل الإلهي في عقاب اليهود حتى ولو كان العقاب قاسياً، وذلك عند ذكر أسباب العقوبة، قال تعالى: ﴿ ذَلِكُمْ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ (البقرة/ من الآية ٦١).
- ٣- حياة الذلة والمسكنة التي عاقب الله بها اليهود، وهي أصل مضروب عليهم بعد ما قطع الله حبله عنهم بسبب جرائمهم، لأن ما يحيونه في هذا الزمان في ظل ما يسمى دولة إسرائيل، هي حالة طارئة، مطلوب من المسلمين قطع حبل الناس عنهم، حتى يعودوا لأصلهم، وإلا فالمسلمون آثمون.
- ٤- إن العمل الجاد على إذلال اليهود وإهانتهم عبادة وطاعة وقرىبي إلى الله، لتحقيق قوله تعالى: ﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبِ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ (البقرة/ من الآية ٦١).
- ٥- إن قيام دولة اليهود، لا يصادم هذه الآية التي تقرر إلحاق الذل والهوان بهم، لأن مقومات الدولة الحقيقية غير متوفرة لديهم، وأهمها عامل الأمن، لذلك فهم يشعرون دائماً أنهم في أمس الحاجة إلى المساعدات المالية والعسكرية من الدول الكبرى وخصوصاً أمريكا^(١).
- ٦- الآيات فيها تحذير للمسلمين من جرائم اليهود، خصوصاً الاغتيالات، فهم لا يتورعون عن ارتكابها، خصوصاً في حق أبناء الشعب الفلسطيني وقياداته ومجاهديه.

(١) التفسير المنير مج (١/١٧٤) مرجع سابق.

المبحث الثالث

جرائم اليهود في حق المؤمنين

وفيه ثلاث مطالب:

المطلب الأول: حسد المؤمنين وكرهية الخير لهم:

قال تعالى: ﴿ مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ (البقرة/١٠٥)، وقال: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْتَدُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (البقرة/١٠٩) وقال: ﴿ إِنْ تَسْسَكُمُ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ (آل عمران/١٢٠).

أولاً: أسباب النزول:

(قال ابن عباس: نزلت في نفر من اليهود قالوا للمسلمين بعد وقعت بدر - قلت أحد - ألم تروا إلى ما أصابكم ولو كنتم على الحق ما هزتمتم فارجعوا إلى ديننا فهو خير لكم ^(١)، (البقرة/١٠٩).

ثانياً: التفسير الإجمالي:

هذه الآيات تتحدث عن نوع جديد من جرائم اليهود، له علاقة بالبعد النفسي لديهم، خصوصاً إنهم كانوا يعلمون علم اليقين، أن المؤمنين على حق، وهم على باطل، لأنهم كانوا يستفتحون عليهم قبل البعثة فيهددونهم بقدوم النبي الجديد، على أمل أن يكون من نسلهم، ولكن عندما بعث من العرب ثارت ثائرتهم وهاجت نفوسهم، وكرهوا من أعماق قلوبهم ذلك الخير معتبرين أن العرب اعتدوا عليهم، وسلبوهم ميراث النبوة، ولم يقف الأمر عند هذا الحد، لكنهم أحبوا من أعماق قلوبهم ألو قاموا بردهم عن دينهم إلى الكفر ليكونوا سواء فيه، بسبب الغيظ والحنق الذي أصاب قلوبهم، فأصبحوا من شدة غيظهم وحسدهم يعضون على أناملهم، فهذه صورة بشعة قبيحة يصورها القرآن الكريم وهو يكشف عن خفايا قلوب اليهود.

(١) أسباب النزول للواحد (ص ٢٣).

قال الطبري: "فتأويل الكلام ما يحب الكافرون من أهل الكتاب ولا المشركين بالله من عبدة الأوثان أن ينزل عليكم من الخير الذي كان عند الله ، منزله عليكم مما أوحاه إلى محمد ﷺ من آياته، وإنما أحب اليهود وأتباعهم من المشركين ذلك حسداً وبغياً على المؤمنين^(١)." قال الشوكاني: "وهذه الآية فيها أخبار للمسلمين بحرص اليهود على فتنهم وردهم عن الإسلام والتشكيك عليهم في دينهم"^(٢)، قال أبو فرج البغدادي: "والحسد هو تمنى زوال النعمة عن المحسود، وإن لم يصر للحاسد مثلها، وتقارقه الغبطة فإنها تمنى مثلها، من غير حب زوالها عن المغبوط"^(٣).

ثالثاً: الإعجاز البياني:

وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: دلالة التعبير بكلمة (وَدَّ).

وَدَّ: كلمة محلها القلب، المودة والودُدُ: هي صفة المحبة وخالصها ولبها، قال تعالى: سيجعل لهم الرحمن وداً^(٤).

وهذا يعني أن ما يتمناه اليهود ضد المؤمنين ليس أمراً ظاهراً بسيطاً، ولكنه نابع من أعماق قلوبهم وسريرة نفوسهم ومن كل أحاسيسهم، لا بل من كل خلية في أجسادهم، قال تعالى: ﴿ وَدُّوا مَا عَشْتُمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (آل عمران / ١١٨).

المسألة الثانية: الدقة في استخدام المصطلحات بين (تمسككم - تصبكم).

١- إن تمسككم^(٥) حسنة تسؤهم، وإن تصبكم^(٦) سيئة يفرحوا بها:

-
- (١) جامع البيان مج (٥٢٠/١) بتصريف.
(٢) فتح القدير مج (١٧٤/١) مرجع سابق.
(٣) زاد المسير مج (١١٣/١، ١١٤) مرجع سابق.
(٤) شرح العقيدة الطحاوية مج (١٦٦/١) للإمام الفاضل علي بن علي دمشقي - حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه وقدم له الدكتور عبد الله التركي، شعيب الأرنؤوط - مؤسسة الرسالة - ط التاسعة ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
(٥) مس: الميم والسين أصل صحيح واحد يدل على جس الشيء باليد، معجم المقاييس في اللغة (٩٦٤). والمس: فيما يكون معه إدراك بحاسة اللمس، وكني به عن الجماع، ويقال في كل ما ينال الإنسان من أذى نحو قوله "لن تمسنا النار"، "رب أني مسني الضر"، المفردات (ص ٤٦٧) مرجع سابق. قال الكوفي: والمس يقال فيما معه إدراك بحاسة السمع، ويقال في كل ما ينال الإنسان من أذى مس، ولا اختصاص له باليد لأنه لصوق فقط. الكليات (ص ٧٩٩) بتصريف.
(٦) صب: الصاد والباء أصل واحد وهو إراقة الشئ وإليه ترجع فروع الباب كله، ومن ذلك صببت الماء أصبه صبا، ويحمل على ذلك فيقال لمن حضر من الأرض صبا، وجمعه أصباب، كأنه شئ منصب في اندحاره، وكذلك إذا تصاببت الشئ إذا نلته قليلا، معجم المقاييس في اللغة (ص ٥٦٤) مرجع السابق. صبب: صب الماء، إراقة من أعلى، يقال: صبه فانصب، وصببته فتصبب، قال تعالى: "فصب عليهم ربك سوط عذاب" وقال: "إنا صببنا الماء صبا". مفردات ألفاظ القرآن (ص ٤٧٣) الراغب الأصفهاني. تحقيق صفوان عدنان داوودي - دار القلم دمشق - ط الثالثة ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

- أ - **المس**: بناء علي ما سبق من أقوال أهل اللغة فإن المس له عدة معاني متعددة أهمها: **جس**
الشئ باليد أو التصاق الشئ بالشئ.
- ب - **الصب**: هو إراقة الشئ من أعلى إلى أسفل.

٢- الفرق بينهما:

- أ- **تبيين أن المس أقل أثراً وتأثيراً من الصب**.
ب- **الصب**: فيه قوة عند نزوله وهو أكثر أثراً، وتأثيراً من المس.
ت- بينهما عموم وخصوص لأن الصب أعم من المس، قال الكوفي: والمس هو لصوق بإحساس، وهو أقل تمكناً من الإصابة وأقل درجاتها^(١)، قال الزمخشري: "المس أقل تمكناً من الإصابة، وكأنه أقل درجاتها^(٢)".

٣- دلالة التعبير: على ضوء ما سبق تبين للباحث سر استخدام القرآن الكريم للألفاظ ودقة انتقائها في مواضعها على النحو التالي:

- أ- استخدم المس مع الحسنة لشدة كراهية اليهود لحلول الخير أو وجوده في المؤمنين فإن ذلك يسيئهم، قال ابن عطية: "وذكر تعالى المس في الحسنة، ليبين أنه بأدنى طرود الحسنة تقع المساءة لنفوس هؤلاء المبغضين"^(٣)، بحيث إن أي حسنة ولو كان مسها للمؤمنين خفيفاً وليس غامراً عاماً، فإن هؤلاء اليهود يحزنون لذلك، لأنهم يستكثرون كل خير للمؤمنين حتى ولو كان هذا الخير ضئيلاً^(٤)، وقال الشوكاني: "عبر بالمس في الحسنة للدلالة على أن مجرد مس تحصل بها الإساءة"^(٥).

- ب - استخدم الإصابة في جانب الضرر، لأنهم يريدون بالمؤمنين إصابة متمكنة مؤذية وضرراً مؤلماً بالغاً، لأن الضرر القليل لا يفرحهم، لذلك استخدم القرآن - **تصبكم** - قال ابن عطية: "ثم عادل ذلك بالسيئة بلفظ الإصابة، وهي عبارة عن التمكن، لأن الشئ المصيب للشئ متمكن منه أو فيه، فدل هذا المنزع البليغ على شدة العداوة"^(٦)، قال سيد طنطاوي: "أما بالنسبة لما يصيب المؤمنين من مكاره، فإن هؤلاء المنافقين لا يفرحون بالمصيبة التي تمس المؤمنين مساً خفيفاً، لأنها لا تشفي غيظهم وحقدهم، وإنما يفرحون بالمصائب الشديدة التي تؤذي المؤمنين في دينهم ودنياهم أذى شديداً^(٧)، وأضاف، تصبكم سيئة يفرحوا

(١) الكليات (ص ٧٩٩) مرجع سابق.

(٢) الكشاف مج (٤٥٩/١) مرجع سابق .

(٣) المحرر الوجيز مج (٤٩٨/١) مرجع سابق.

(٤) التفسير الوسيط مج (٣١٧/١) مرجع سابق .

(٥) فتح القدير مج (٤٨٥/١) مرجع سابق.

(٦) المحرر الوجيز مج (٤٩٨/١) مرجع سابق.

(٧) التفسير الوسيط مج (٣١٧/١) مرجع سابق .

بها ثم عاد ذلك بالسيئة بلفظ الإصابة وهي عبارة عن التمكن الآن الشيء المصيب لشيء فهو متمكن منه أو فيه، فدل هذا المنتزع البليغ على شدة العداوة، إذ هو حقد لا يذهب عند الشدائد بل يفرحوا بنزولها بالمؤمنين وهكذا هي عداوة الحسد^(١)، قال الزمخشري: "هذا بيان لفرط معاداتهم حيث يحسدونهم على ما نالهم من خير ويشمتون بهم فيما أصابهم من الشدة" ^(٢).

رابعاً: الفاصلة: أهميتها، جمالها.

١- الفاصلة: (إن الله بما يعملون محيط).

٢- أهميتها: جاءت أهمية الفاصلة كون هذه الآيات تتحدث عما تخفيه نفوس اليهود المنطوية على المكر والخبث وشدة عدائهم للمؤمنين وعدم تمنى الخير لهم، إضافة إلى صفة النفاق المصحوبة بالقهر والغيط قال تعالى ﴿وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ﴾ (آل عمران/١١٩) كل هذا وغيره أمر خفي في نفوس اليهود، يسعون جاهدين لإخفائه عن المؤمنين حتى يحققوا أهدافهم، فجاءت الفاصلة لتميط اللثام عن كل ذلك، وتكشف للمؤمنين هذه الخفايا الخطيرة، وكأن الله يقول لليهود إذا كنتم تخفون عداوتكم عن المؤمنين وتظهرون مودتكم لهم، فإنني مطلع عليكم ومحيط بكم فاحذروا انتقامي وغضبي إن لم تتوبوا، هذا من جانب، ومن جانب آخر أراد الله تحذير المؤمنين من خطورة اليهود وكشف خفاياهم لئلا يتخذونهم بطانة، فاليهود أعداء ولا يستحقون الولاء.

٣- جمالها: ويأتي الجمال في الفاصلة في النقاط التالية:

- أ- حرف التوكيد - إن - الذي يؤكد ما بعده من الكلام.
- ب- لفظ الجلالة - الله - الذي يلقي الرهبة والهيبة في القلوب ليطرد الحقد والحسد والنفاق منها لكن قلوب اليهود المغلفة حالت دون وصول هذه الرهبة إلى أعماقهم.
- ت- بما - حرف الباء، يفيد المصاحبة والملاصقة، وما اسم موصول بمعنى الذي ويفيد الشمول فيكون المعنى بكل الذي يعملونه، سواء في الليل أو في النهار سراً أو جهرة.
- ث- يعملون - جاءت الجملة الفعلية الحالية، لبيان استمرار حالة الحقد والحسد والعداء ضد المسلمين، في كل زمان ومكان، وقدم الجملة الفعلية - يعملون - على صفة الإحاطة لبيان خطورة جرائم اليهود، لأنها مخفية عن أعين المؤمنين، ويظنون أنها ستبقى كذلك، لا يطلع

(١) المرجع السابق مج (١/ ٣١٧).

(٢) الكشاف مج (١/ ٤٥٩) مرجع سابق.

عليها أحد، فأراد الله أن يقول لليهود إذا كنتم تخفون جرائمكم عن المؤمنين وتخدعونهم إذا لقيتموهم، فإني مطلع على خفاياكم، عليم بجرائمكم، محيط بجميع جوانبها.

ج- **محيط** - بما عملوه صغيراً كان أو كبيراً، ظاهراً أو باطناً، ومطلع على خفاياه، أحاط علمه بأعمالهم، والإحاطة هي إدراك الشيء بكماله، وهذا يعني أن الله تبارك وتعالى أراد أن يبين للمؤمنين والكافرين، أنه مدرك لكل أمانى الكافرين السيئة الخبيثة، والتي يمكن أن تدفعهم للمزيد من الكيد ضد المؤمنين، وتمنى المزيد من السوء والحسد لهم.

قال أبو فرج البغدادي: "المحيط الذي أحاطت قدرته بجميع خلقه، وأحاط علمه بالأشياء كلها^(١)، وقال السمرقندي^(٢): "والإحاطة إدراك الشيء بكماله^(٣).

قال الطنطاوي: " تذييل قصد به إدخال الطمأنينة على قلوب المؤمنين، والرعب في قلوب أعدائهم، لأنه محيط بأعمالهم وبكل أحوالهم، ولا تخفي عليه خافية منها، وسيجازيهم عليها بما يستحقونه من عذاب أليم، بسبب نياتهم الخبيثة وأقوالهم الذميمة، وأفعالهم القبيحة^(٤).

ح- جاءت الفاصلة في موضع بيان العقوبة على جريمة الحسد التي قاموا بها في حق المؤمنين.

خامساً: منهج القرآن في التعامل مع الجريمة:

وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: بيان عقوبة الجريمة، قال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ (آل عمران/١٢٠).

يتضح للباحث من خلال استقراء الآيات السابقة أن القرآن تعامل مع جرائمهم على النحو التالي:

١- التهديد الشديد والمؤكد بأن الله محيط بأعمالهم، وقادر على معاقبتهم إن استمروا في جريمتهم.

٢- تحذير المؤمنين من اليهود بسبب حقدهم وحسدهم علي أي خير ينزل بالمؤمنين، ومن جانب آخر فضح سريرة اليهود.

(١) زاد المسير (مج ٢/٢٣).

(٢) السمرقندي ٣٧٣ هـ هو أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي المعروف بإمام الهدى تفقه على أبي جعفر الهندواني، واشتهر بكثرة الأقوال المفيدة والتصانيف المشهورة، من أهم تصانيفه: تفسير القرآن المسمى ببحر العلوم، وكتاب النوازل في الفقه. التفسير والمفسرون (ص ٢٢٥، ٢٢٤) للذهبي ط الثالثة ١٣٩٦ - ١٩٧٦ هـ.

(٣) تفسير السمرقندي (مج ١/٢٩٥).

(٤) التفسير الوسيط مج (١/٣١٨) مرجع سابق.

٣- العفو عن هذه الجريمة لأن الدعوة في المدينة لازالت حديثة العهد، والقرآن كونه منهجاً للحياة، لا يريد للرسول ﷺ أن يخوض صراعاً مع اليهود، في الوقت الذي لا زالت العداء بينه وبين قريش قائماً، وإنما يريده أن ينفرد لمعركة البناء الداخلي على جميع الأصعدة للدولة الناشئة في المدينة.

المسألة الثانية: كيفية التعامل مع الجريمة:

- ١- طالب القرآن الرسول تغليب المصلحة العامة للدعوة، لكونها في بدايتها، على الانفعالات النفسية التي صاحبت المؤمنين نتيجة حسد اليهود لهم، لذلك طالبهم بالعفو بالصفح، وألا يردوا عليهم إلي حين ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (البقرة/١٠٩).
- ٢- الابتعاد عن فتح صراعات مع اليهود في بداية تأسيس الدولة، خصوصاً أن الصراع لازال محتتماً بين الرسول والمشركين في مكة.
- ٣- العمل على تقوية صف المؤمنين من خلال تربيتهم التربية العقائدية والاجتماعية والعسكرية، استعداداً للدفاع عن النفس في وجه أي اعتداء من المشركين.

سادساً : اللطائف البيانية:

١. بيان العداء اليهودي وخطورته ضد المسلمين، لأنه نابع من أعماق قلوبهم.
٢. بيان عدم تمني أي من الخير للمؤمنين من قبل اليهود لذلك فلا يرجى منهم فائدة خصوصاً فيما يتعلق بالتفاوض على حقوق المسلمين.
٣. بيان الصورة القبيحة والبشعة لليهود بسبب شدة حقدهم وحنقهم على المسلمين.
٤. بيان أهمية الصبر والتقوى عند نزول مكائد الأعداء قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (آل عمران/١٨٦).
٥. بيان أن من كانت هذه صفته من شدة العداوة الحقد والفرح بنزول الشدائد على المؤمنين ليس أهلاً لأن يتخذ بطانة لا سيما في الأمر الجسيم من الجهاد الذي هو ملاك الدنيا والآخرة^(١).
٦. محيط بالكافرين: فيه تسليه للمؤمنين بأن الله مدرك لكل كيد لليهود ومكرهم فليطمئنوا قائلاً لهم: لن يضروكم إلا أذى، ومن جانب آخر فيها تهديد ووعيد لليهود بإحاطة الله بأعمالهم ومعاقبتهم عليها.

(١) جامع الأحكام (مج ٥٣٨/٢) مرجع سابق.

٧. الآية فيها نهي المؤمنين الركون إلى أعدائهم من أهل الكتاب والمشركين والاستماع إلى قولهم وقبول شيء مما يأتونهم على وجه النصيحة لأنه سبحانه مطلع على خفاياهم من الحقد والضغينة والحسد للمؤمنين^(١).

المطلب الثاني: تشكيك المؤمنين في دينهم.

قال تعالى: ﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبَلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلِ اللَّهُ الْمَشْرُقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (البقرة/ ١٤٢)، [وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ (البقرة/ ١٤٣) وقال تعالى: [وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجَهَ النَّهَارِ وَآكُفُّوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ (آل عمران/ ٧٢).

أولاً: أسباب النزول.

(قال ابن عباس: كان رجال من أصحاب رسول الله قد ماتوا على القبلة الأولى، جاءت عشائرهم فقالوا يا رسول الله: توفي إخواننا وهم يصلون إلى القبلة الأولى وقد صرفك الله تعالى إلى قبلة إبراهيم فكيف بإخواننا؟ فأنزل الله: وما كان الله ليضيع إيمانكم، ثم قال قد نرى تقلب وجهك في السماء، وذلك أن النبي قال لجبريل عليه السلام وددت أن الله صرفني عن قبلة اليهود إلى غيرها، وكان يريد الكعبة لأنها قبلة إبراهيم، فقال له جبريل إنما أنا عبد مثل لا املك شيئاً فسل ربك أن يحولك عنها إلى قبلة إبراهيم، ثم ارتفع جبريل وجعل رسول الله يديم النظر إلى السماء رجاء أن يأتيه جبريل بما سأله، فأنزل الله هذه الآية: قد نرى تقلب وجهك في السماء)^(٢).

ثانياً: التفسير الإجمالي:

جاءت هذه الآيات لتهيئة نفوس الصحابة لحدث ضخم وخطير يمس عقيدتهم وعبادتهم حتى لا يؤثر فيهم سلباً عند وقوعه، خصوصاً إن أعداءهم من اليهود والمشركين سيستغلونه لتشكيكهم في دينهم، وهذا ما حدث معهم عندما أمر الله رسوله بالتوجه إلى بيت الله الحرام، بعد ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً من صلاتهم إلى بيت المقدس، فتساءل اليهود مستنكرين

(١) جامع البيان مج (١/٥٢٠).

(٢) أسباب النزول (ص ٢٣) مرجع سابق.

ومشككين في تحويل القبلة، ما الذي جعلكم تتحولون عن بيت المقدس في صلاتكم؟، "إن كانت هدى فقد تحولتم عنها، وإن كانت ضلالة دنتم الله بها، ومن مات منكم عليها فقد مات على الضلالة"^(١)، فجاء الرد الإلهي بأن الجهات كلها لله فهو الأمر والناهي، والعبادات كلها له سواء كان التوجه إلى بيت المقدس أو المسجد الحرام، لأن أمر التحويل إنما جاء بأمر الله لحكمة اقتضاها، وأما الذين ماتوا قبل التحويل فلن يضيع الله عبادتهم لأنهم كانوا طائعين لله متبعين لا مبتدعين، واستمر الإجماع اليهودي ضد المؤمنين، فلجئوا إلى حيلة أخرى بعد فشلهم " فسولت لهم أنفسهم ودفعهم حقدهم وحسدكم فتأمرؤا فيما بينهم على وسيلة أخرى، فاخترؤا طائفة منهم لتدخل صف المؤمنين فترة من الزمن على أمل أن تتركه بعد ذلك، وكأنها لم تقتنع به لأنها وجدته ليس هو الدين الحق، وذلك من أجل تشكيك المؤمنين ومن يريد الدخول فيه، [فَاتْلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ] (التوبة/٣٠).

ثالثاً: الإعجاز البياني.

وفيه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: دلالة التعبير بحرف السين في قول الله: (سيقول السفهاء).

عبر عن المستقبل المؤكّد بالسين، للدلالة على دوام قولهم، إذ قالوه في الماضي وسيقولونه في المستقبل، فسفه القول لا ينتهي، بل هو يمتد ويكرر ما دام السفه قائماً^(٢)، قال البيضاوي: "وفائدة تقديم الإخبار به، لتوطين النفس وإعداد الجواب وإظهار المعجزة"^(٣)، قال أبو السعود: "والإخبار بذلك قبل الوقوع مع كونه من دلائل النبوة، حيث وقع كما أخبر لتوطين النفوس، وإعداد ما يكتبهم فإن مفاجئة المكروه على النفس أشق وأشد"^(٤).

ما: الإستفهام إنكاري، وإنما قالوه استهزاءً وطعناً في القبلة، التي توجهوا إليها، لاعتقادهم أحقية الأولى – بيت المقدس –^(٥).

المسألة الثانية: تشبيهه بليغ في قوله: (ينقلب على عقبيه):

حيث مثل لمن يرتد عن دينه بمن ينقلب على عقبيه^(٦)، وقال ابن عطية الأندلسي: "عبارة عن المرتد الراجع عما كان فيه من إيمان أو شغل، والرجوع على العقب أسوأ حالات الراجع

(١) معالم التنزيل مج (١٠٥/١) مرجع سابق.

(٢) زهرة التفاسير مج (٤٣٥/١) مرجع سابق.

(٣) أنوار التنزيل مج (٩١/١) مرجع سابق.

(٤) إرشاد العقل السليم مج (٢٠٤/١) وانظر الكشاف مج (٣١٧/١) بتصرف.

(٥) المرجع السابق مج (٢٠٣/١) بتصرف.

(٦) التفسير المنير مج (٥/١) مرجع سابق.

في مشيه عن وجهته، فلذلك شبه المرتد في الدين به، وظاهر التشبيه أنه شبهه بالمتفقر، وهى مشية الحيوان الفازع من شئ قد قرب منه^(١).

المسألة الثالثة: (سر تسمية الصلاة بالإيمان):

قال إيمانكم والمقصود به صلاتكم، لكنه عبر عنها بالإيمان لبيان أهميتها ومكانتها في العبادة، ولأنها المقياس والفيصل بين المؤمن والكافر (عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشَّرْكِ أَوْ الْكُفْرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ)^(٢)، وقال د. وهبة الزحيلي: "وسمى الصلاة إيماناً، لاشتغالها على نية وقول وعمل"^(٣) وأضاف قائلاً: وتسمية الصلاة إيماناً إما مجازاً، أو أنها تسمى حقيقة إيماناً، كما قال الفقهاء: فهي من أركان الإيمان وعهد الإسلام، أي هي من الإيمان وخصائصه ولا يتم الإيمان الا بها^(٤).

رابعاً: منهج القرآن في التعامل مع الجريمة:

وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: بيان عقوبة الجريمة [سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ] (البقرة: ١٤٢) [وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيْمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَّءُوفٌ رَحِيمٌ] (البقرة/١٤٣).

المسألة الثانية: كيفية التعامل مع الجريمة

تبين للباحث من خلال استقراء الآيات السابقة أن الله ﷻ عاقب اليهود علي جريمتهم

بعقوبتين خفيفتين:

١- الذم والتوبيخ والتسفيه قال تعالى: [سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ] (البقرة/١٤٢).

٢- الرد علي كذبهم وتشكيكهم في عبادة المؤمنين، ومن جانب آخر تطمين المؤمنين علي صلاتهم تجاه بيت المقدس بقوله: [وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيْمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَّءُوفٌ رَحِيمٌ] (البقرة/١٤٣).

خامساً: اللطائف البيانية:

١- بيان أن الإيمان الحقيقي والتسليم التام لله يقتضى الإذعان لأوامره، والخضوع لمشيئته واختياره، فإذا أمر الله بالاتجاه في الصلاة نحو جهة معينة، ثم أمر بالتحول عنها إلى جهة أخرى، امتثل المؤمن تمام الامتثال^(٥).

(١) المحرر الوجيز مج (٢٢٠/١) مرجع سابق.

(٢) حم - ك - باقي مسند المكثرين - ب باقي المسند السابق (رقم ١٤٦٥٠).

(٣) التفسير المنير مج (١٢/١) مرجع سابق.

(٤) المرجع السابق مج (١٧،١٦/١).

(٥) التفسير المنير مج (١٢/١) مرجع سابق.

- ٢- بيان الحكمة التي أَرادها الله من تحويل القبلة، من بيت المقدس إلى البيت الحرام، اختباراً للمؤمنين في موضوع السمع والطاعة في كل حياتهم وأحوالهم.
- ٣- بيان حقيقة اليهود الخبيثة والماكرة التي تستغل الأحداث للتشكيك في إيمان المؤمنين، كي يردوهم عن دينهم إن استطاعوا.
- ٤- بيان قيمة وأهمية بيت المقدس بالنسبة للمؤمنين، لأنه قبلتهم الأولى، التي توجهوا إليها ستة عشر أو سبعة عشر شهراً، فهو الأهمية ثالث بيت بعد المسجد النبوي وبيت الله الحرام.
- ٥- أراد الله إعادة المسلمين لقبلة أبي الأنبياء وأبيهم إبراهيم عليه السلام.

المطلب الثالث: العمل على رَدِّة المؤمنين وإخراجهم من الدين.

قال تعالى: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَأَعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (البقرة/ ١٠٩) وقال تعالى: ﴿ وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ (آل عمران/ ٦٩) وقال تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبِعُونَهَا عَوْجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِعَاقِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (آل عمران/ ٩٩).

أولاً: أسباب النزول.

قال الواحدي رحمه الله : (نزلت في معاذ بن جبل، وعمار بن ياسر، حين دعاهما اليهود إلى دينهم) ^(١).

ثانياً: التفسير الإجمالي:

تأتى هذه الجريمة استمراراً للدور الخطير الذي أخذه اليهود على أنفسهم، بالعمل ضد الدين الإسلامي وأتباعه، لأنهم حسب زعمهم قد نزعوا منهم ما كان ينبغي أن يبقى لهم، وهو انتقال النبوة إلى أبناء إسماعيل، ولما فشلوا في كل محاولات التشكيك، وحتى الإغراء كان لا بد من بيان الغاية التي أرادوها من وراء تلك الجرائم، أن يردوا المؤمنين عن دينهم، مع العلم أنهم لم يقوموا بهذه الجرائم عن جهل، ولكن بعدما تبين لهم بما لا يدع مجالاً للشك، أن المؤمنين على الحق وهم على الباطل، لكن اليهود لا يعلمون أن الدين دين الله، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره المشركون، لذلك رد الله كيدهم إلى نحورهم وضرب جرمهم في وجوههم، وما يضلون إلا أنفسهم وما يشعرون.

(١) أسباب النزول للواحدي (ص ٧٩).

قال الطبري: "تمنت جماعة من اليهود والنصارى لو يصدونكم أيها المؤمنون عن الإسلام، ويردونكم عنه إلى ما هم عليه من الكفر فيهلكونكم بذلك، لأن الإضلال هو الإهلاك"^(١)، وقال ابن عطية: "إعلام بأن سوء فعلهم عائد عليهم، وأنهم يبعدهم عن الإسلام هم الضالون"^(٢)، قال أبو السعود: "كانوا يفتنون المؤمنين ويحتالون لصدتهم عن الدين، ويمنعون من أراد الدخول فيه بجهدهم، ويقولون إن صفته ﷺ ليست في كتبهم ولا تقدمت البشارة به عندهم"^(٣).

ثالثاً: الإعجاز البياني.

وفيه ثماني مسائل:

المسألة الأولى: دلالة التعبير في قوله: (وَدَّ)^(٤):

قال سيد رحمه الله: فهو ود النفس ورغبة القلب والشهوة التي تهفو إليها الأهواء من وراء كل كيد، وكل دس، وكل مرء، وكل جدال، وكل تلبيس^(٥).

المسألة الثانية: أهمية استخدام الجمل الفعلية (يضلونكم – يردونكم)^(٦):

- ١- يضلونكم: جملة حالية للدلالة على ثبوت قدم المؤمنين في الإيمان، فلا يعود وبال من أراد فتنتهم إلباً عليه^(٧)، والضلال، والإضلال له عدة معاني:
 - أ- يأتي نقيضاً للهدى والرشاد.
 - ب- يأتي بمعنى التوجيه بغير طريق الهداية.
 - ت- يأتي بمعنى التغيب والضياع.
 - ث- يردونكم^(٨)، يعيدونكم إلى حالة الكفر التي كنتم عليها، ولذلك سمي المرتد بهذا الاسم لأنه أعاد نفسه إلى حالة الكفر التي كان عليها.

(١) جامع البيان مج (٣/٣٠٦) بتصرف.

(٢) المحرر الوجيز مج (١/٤٥٢) مرجع سابق.

(٣) إرشاد العقل السليم مج (١/٣٩١) مرجع سابق.

(٤) راجع ص ٢٥٧ في بيان معنى ود.

(٥) الضلال مج (١/٤١٤) مرجع سابق.

(٦) ضل: الضلال والضلالة: ضد الهدى والرشاد، وأضله: جعله ضالاً، والإضلال في كلام العرب، ضد الهداية والإرشاد، يقال: أضللت فلان: إذا وجهته للضلال عن الطريق، وأضللت الشيء: إذا غيبته، وأضللت الميت: إذا دفنته، وضللت الشيء: وضللت: إذا جعلته في مكان ولم يدر أين هو، وضللته إذا ضيعته. لسان العرب مج (٣/٥٥٤).

(٧) فتح القدير مج (١/٤٥٢)، وانظر إرشاد العقل السليم مج (١/٣٧٥) بتصرف.

(٨) رد: قال ابن فارس: رددت الشيء رداً، وسمى المرتد لأنه رد نفسه إلى كفره، مجمل اللغة مج (٢-٣/٣٧٢) وقال الراغب: "الرد صرف الشيء بذاته، أو بحالة من أحواله، يقال: رددته فارتد، قال تعالى: ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين، ومن الرد إلى حالة كان عليها، قوله: يردوكم على أذباركم، وقوله: يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً: أي يرجعونكم إلى حالة الكفر بعد ان فارقتموه. المفردات في غريب القرآن (ص ١٩٢).

٢- لم تصدون^(١)، لم: الإستفهام للإنكار والتوبيخ، وتصدون: الجملة الفعلية حالية مؤكدة للإنكار والتوبيخ لبيان حالهم المتجددة في كل زمان ومكان وهم مستمرين على جريمة الصد عن سبيل الله^(٢)، وأضاف الألوسي: إن التوبيخ والتقريع لهم على قبائحهم وجرائمهم^(٣)، قال الرازي: "وكان صدهم عن سبيل الله بإلقاء الشبه والشكوك في قلوب الضعفة من المسلمين وينكرون كون صفته ﷺ في كتابهم^(٤)، وتصدون: تمنعون المؤمنين عن طريق الدين بشتى الوسائل وتصرفونهم إلى غيره.

المسألة الثالثة: الفرق بين رد - وصد - وضل والعلاقة بينهم):

ج- وبناء على ماسبق، فإن هذه الجرائم التي ارتكبتها اليهود، هي عبارة عن خطة محكمة ومدروسة، لها عدة مراحل متتالية لتنفيذها:

المرحلة الأولى: الصد عن سبيل الله من خلال الوقوف في وجه المؤمنين بشتى الطرق والوسائل التي يمتلكونها.

المرحلة الثانية: العمل على إضلال المؤمنين، لأن الضلالة أشمل وأعمق في المعنى، وأكثر تأثيراً من الصد، لأنها تحتوى على الخداع والتزييف، ويتم تنفيذها على عدة مراحل تكون في معظمها ترغيباً للمؤمنين قال تعالى: ﴿ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴾ (النمل/ من الآية ٢٤) وقال تعالى: ﴿ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ (النساء/ من الآية ٦٠).

المرحلة الثالثة: الردة، وهي الغاية والهدف المنشود لليهود من وراء خطتهم السابقة الذكر، قال تعالى: ﴿ وَدُوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً ﴾ (النساء/ من الآية ٨٩).

المسألة الرابعة: أهمية استخدام الجملة الفعلية (تبغونها):

الجملة الفعلية حالية لبيان الحالة المتجددة لليهود، والمعنى: "تطلبون لها اعوجاجاً وميلاً عن القصد والاستقامة، بإيهاكم على الناس بأنها كذلك تتقيفاً لتحريفكم وتقويماً لدعواكم"^(٥).

(١) صد: الصد: الإعراض، وصد عنه يصد، ويصد صدًا، وصدودًا: أعرض، ويقال صده عن الأمر، ويصده صدًا: منعه وصرفه عنه قال تعالى: وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ (النمل/٤٣) لسان العرب مج (٤١٥/٣).

(٢) فتح القدير مج (٤٧٣/١) مرجع سابق.

(٣) روح المعاني مج (٢/١٤١) مرجع سابق.

(٤) التفسير الكبير مج ٧-٨/ج ٢/١٥٧) مرجع سابق .

(٥) فتح القدير مج (٤٧٣/١) مرجع سابق.

المسألة الخامسة: الفرق في التعبير بين: (عَوَجًا) بكسر العين و (عَوَجًا) بالفتح (١).
 جاء السياق القرآني بكسر العين لغرض بلاغي، قال الشعراوي: لأن العوج - بفتح العين، هو للشيء الذي له قيام كالحائط أو الرمح، أما العوج - بكسر العين، فهو في المعاني والقيم (٢)، وهذا يعنى أن اليهود يريدون انحراف الإنسان فكرًا وسلوكًا، وأخلاقًا وكيانًا، أكرمه الله تبارك وتعالى، وجعله خليفته في الأرض وسيدًا لهذا الكون، بينما اليهود يريدونه عبدًا لهم ولحسداهم، ليصبح مطية لهم، لتحقيق أهدافهم التي يسعون إليها قال تعالى: ﴿ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (المائدة/ من الآية ٦٤).

المسألة السادسة: قوة التعبير في استخدام الجملة الاسمية: (وأنتم شهداء) (٣).
 من الشهود وكأنهم شاهدون على باطلهم، وأحقية الدين الإسلامي، وقال المنياوي: الشهادة كالشهود، الحضور مع المشاهدة إما بالبصر أو البصيرة (٤)، ولها عدة معاني: الحضور مع المشاهدة، قال تعالى: ﴿ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكُ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴾ (النمل/ من الآية ٤٩) ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴾ (الفرقان/ ٧٢)، لا يحضرونه بنفوسهم ولا بهمهمهم وإرادتهم (٥).

وبناء على ما سبق من التعريفات والمعاني، فإن الله أراد من قوله تعالى لليهود وأنتم شهداء، النقاط التالية:

أ- بيان أن اليهود يتعمدون صد المؤمنين عن الإسلام، وهم يعلمون ومقرون أنه الطريق الحق، ويعلمون أن جريمة الصد التي يقومون بها باطلة ويتعمدون ذلك مع سبق الإصرار والترصد.

ب- بيان إن ما لدى اليهود من علم يقيني يدل على أنهم كانوا حاضرين، مشاهدين بعيونهم على أحقية الإسلام وبطلان العوج الذي دعوا إليه، قال الزحيلي: "عالمون بأن الدين المرضي القيم، دين الإسلام كما في كتابكم" (٦)، قال الألوسي: " جملة وأنتم شهداء حال،

(١) العوج: الميل عن الاستواء في الأمور المعنوية كالدين والقول، المرجع السابق، التفسير المنير مج (٣-٤/٢٠) مرجع سابق، وانظر التفسير الكبير مج (٧-٨ ج/٢/١٥٧) مرجع سابق.
 (٢) الشعراوي مج (٣/١٦٤٧)، وانظر لسان العرب مج (٣/٣٧٤).
 (٣) والشهيد: الحاضر، والشاهد: العالم الذي يبين ما علمه، والجمع شهداء، الشهادة خبر قاطع تقول منه شهد الرجل على كذا .
 (٤) التوقيف على مهمات التعاريف (ص ٤٣٩) مرجع سابق.
 (٥) المفردات للراغب (ص ٢٦٨).
 (٦) التفسير المنير مج (٣-٤ ج/٢/٢١) مرجع سابق.

وأنتم عدول عند أهل ملتكم يتقون بأقوالكم، ويستشهدونكم في القضايا، وصفتمكم هذه تقتضى خلاف ما أنتم عليه" (١)، وأضاف أبو السعود: "والحال إنكم شهداء، تشهدون بأن سبيل الله لا يحوم حولها شائبة اعوجاج، وأن الصد عنها إضلال" (٢)، قال سيد قطب رحمه الله: "وهذا مما يجزم بأنهم كانوا على يقين من صدق ما يكذبون به، ومن صلاح ما يصدون الناس عنه، هو أمر بشع مستنكر، لا يستحق فاعله ثقة ولا صحبة، ولا يستأهل إلا الإحتقار الشديد" (٣).

المسألة السابعة: (العلاقة بين الكفر والصد، والشهادة):

قال الألوسي: "جاءت الشهادة تهديداً لهم على ما صنعوا، ولما كان الكفر والصد ظاهراً، ناسب ذكر الشهادة معه، لأنها تكون لما يظهر ويعلم، أو ما هو بمنزلته، وصددهم عن سبيل الله وما معه، لما كان بالمكر والحيلة الخفية التي تروج على الغافل، ناسب ذكر نفي الغفلة معه في هذه الآية" (٤)، لبيان أن كفرهم وصددهم إن كان خافياً عن المؤمنين لا يعلمونه، فإن الله يعلمه وسيحاسبهم عليه.

رابعاً: الفاصلة، أهميتها، جمالها.

- ١- الفاصلة: ﴿ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (آل عمران/ من الآية ٩٩).
- ٢- أهميتها: وجاءت أهمية الفاصلة في قوله تعالى: ﴿ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (عمران/ من الآية ٩٩)، تهديداً ووعيداً بعد الحديث عن جريمة الصد عن سبيل الله بطريق الخفاء، والحديث عن نوايا اليهود الخبيثة في قلوبهم، ليقول الله لهم: إذا كنتم تقومون بجرائمكم في غفلة عن المؤمنين فإن الله ليس بغافل عما تعملون.
- ٣- جمالها: ويأتي الجمال في الفاصلة من خلال النقاط التالية:
 - أ- إنها جاءت تهديداً ووعيداً، قال سيد قطب رحمه الله: "وهو تهديد رعيب، حين يحس إنسان أن الله يشهد عمله وأنه ليس بغافل عنه" (٥)، وقال أبو السعود: "اعتراض تنذلي فيه تهديد ووعيد شديد، لمن كان صدّه للمؤمنين بطريق الخفية، وختمت الآية الكريمة بما يحسم مادة حيلتهم من إحاطة علمه تعالى بأعمالهم" (٦)، قال د. وهبة الزحيلي: "غير

(١) روح المعاني مج (١/ج٢/١٥-١٦) مرجع سابق.

(٢) إرشاد العقل السليم مج (١٣٩١).

(٣) الظلال مج (١/٤٣٧).

(٤) روح المعاني مج (٢/ج٢/١٦) بتصرف دار الفكر.

(٥) الظلال مج (١/٤٣٧)، وانظر أنوار التنزيل وأسرار التأويل مج (١/١٧٢) بتصرف.

(٦) إرشاد العقل السليم مج (١/٣٩١) مرجع سابق.

غافل عن مكائدهم وسيجزئهم على سوء أعمالهم ومواقفهم المستغربة المتسمة بالتكذيب والجمود والعناد، إنه إنذار في الدنيا قبل فوات الأوان، وإعلام بالحق لئلا يضل الناس، وتحذير من الميل مع أهواء النفوس التي من أخصها الحسد والعناد والكبر، التي حملت أصحابها على الضلال بأنفسهم ومحاولة الإضلال لغيرهم^(١).

ب- وما الله بغافل:^(٢)، قال الشوكاني: والجملة حالية مؤكدة بالتوبيخ والإنكار^(٣) و مترجمة له.

خامساً: منهج القرآن في التعامل مع الجريمة:

وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: بيان عقوبة الجريمة:

قال تعالى [حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهَ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ] (البقرة/ ١٠٩) [وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ] (آل عمران/ ٩٩) [وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ] (آل عمران/ ٦٩).

يتضح للباحث علي ضوء ما تقدم من الآيات، أن الله عاقب اليهود علي جرائمهم بثلاث عقوبات جاءت علي النحو التالي:

العقوبة الأولى: كشف سرائرهم وفضحهم أمام المؤمنين.

العقوبة الثانية: التهديد والوعيد بالمصير السيئ، الذي ينتظرهم إن لم يتوبوا.

العقوبة الثالثة: إفشال كيدهم ورد ضلالهم إلى نحورهم، [وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ] (آل عمران/ ٦٩).

المسألة الثانية: كيفية التعامل مع الجريمة:

جاء التعامل مع الجرائم السابقة علي النحو التالي:

١- العمل علي فضحهم، وكشف سرائرهم، وبيان حقيقتهم حتى لا يندفع المؤمنون بهم

ويتعاملوا معهم علي حقيقتهم، حتى وإن طالبهم القرآن بالعفو عن اليهود في البداية.

٢- العمل علي تثبيطهم من خلال مفاجئتهم برد كيدهم إلى نحورهم، وذلك عندما يتبين لهم أن

كيدهم لم يؤثر في المؤمنين، بعدما مكثوا وقتاً طويلاً يكيدون ضدهم، وهذا الكيد أصابهم

بالإحباط الشديد.

(١) التفسير المنير مج (٣-٤/٢/٢٤) مرجع سابق.

(٢) انظر جمال الفاصلة (ص ١٢١) وما بعدها.

(٣) فتح القدير مج (١/٤٧٣). بتصرف.

سادساً: اللطائف البيانية:

- ١- كشف وفضح أساليب ووسائل اليهود ليحذر منها المؤمنون.
- ٢- بيان شدة قبح وظلم وكفر من كان عالماً من أهل الكتاب، خصوصاً اليهود وذلك حسداً للمؤمنين على ما آتاهم الله من فضله.
- ٣- بيان أن كيد اليهود وحسدهم يعود على أنفسهم، تحقيقاً لقوله تعالى: ﴿وَلَا يَحِقُّ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ (فاطر/ من الآية ٤٣) لأن الله تكفل بحفظ المسلمين من مكائدهم، إلا من أذى قليل، قال تعالى: ﴿لَنْ يَضُرُّوَكُمْ إِلَّا أذى﴾ (آل عمران/ من الآية ١١١)، قال سيد رحمته الله: "والمسلمون مكفيون أمر أعدائهم، ما استقاموا على إسلامهم، وما لهم عليه من سبيل والله تكفل لهم ألا يصيبهم كيد الكافرين، وألا يرتد عليهم كيدهم ما بقى المسلمون مسلمين" (١).
- ٤- وما يضلون إلا أنفسهم — قال الطبري: "إنما أهلكوا أنفسهم وأتباعهم بما حاولوا من ذلك، باستحقاقهم من الله بفعلهم ذلك، سخطه وغضبه ولعنته" (٢).

(١) الظلال مج (١/٤١٤) مرجع سابق.

(٢) جامع البيان مج (٣/٣٠٧) مرجع سابق.

المبحث الرابع جرائم اليهود في حق البشرية

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ظلم الناس باستغلالهم وأكل أموالهم.

قال تعالى: ﴿ فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ (النساء/ ١٦٠ و ١٦١)، وقال: ﴿ وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ لَوْلَا يُنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَابُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ (المائدة/ ٦٢، ٦٣).

أولاً: التفسير الإجمالي.

تأتى هذه الجريمة في سياق الحديث عن العديد من جرائم اليهود، واستمرارا بسلسلة الجرائم التي سطرها القرآن الكريم، وهى من نوع جديد، وفي جانب جديد من جوانب حياة الناس له علاقة مباشرة بلقمة عيشهم، فيستغلون حاجتهم وظروفهم، ليمتصوا دمائهم، فيقرضونهم المال إلى أجل مسمى، مقابل الزيادة على هذا الأجل، وهم يعلمون حرمة ذلك، إضافة إلى أنهم لم يتورعوا عن سلوك أي طريق مهما كان من أجل الحصول على المال، كالرشوة وشهادة الزور وغير ذلك، حتى يكونوا ملوك المال في الأرض، والغريب أن أكثر علمائهم صمتوا، ولم يتفوهوا ببنت شفة، ولم يتحركوا لإيقاف هذه الجرائم، لأنهم شركاء فيها، وسيأتي بيان ذلك، وإلا ما قيمة علمهم؟ وأين أمانة العلم التي يحملونها؟ أم إنهم كالحمار يحمل أسفارا؟! فكانت النتيجة الحتمية أن نزل بهم عقاب الله.

قال البيضاوي: "كان الربا محرما عليهم كما هو محرم علينا، وفيه دليل على دلالة النهى على التحريم وأكل أموال الناس بالباطل، كالرشوة وسائر الوجوه المحرمة"^(١)، وأضاف الطبري: "وأخذهم الربا وهو أخذهم ما أفضلوا على رؤوس أموالهم لفضل تأخير في الأجل وقد نهوا عنه، وأما قوله: وأكلهم أموال الناس بالباطل، يعنى ما كانوا يأخذونه من الرشا على الحكم، كما وصفهم القرآن به، في قوله: ﴿ وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل مج (١/ ٢٤٨) مرجع سابق.

لَيْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿ (المائدة/ ٦٢).

ثم ضرب مثلاً على أكل الحرام فقال: "ما كانوا يأخذونه من أثمان الكتب التي كانوا يكتبونها بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله، وما أشبه ذلك من المآكل الخسيسة الخبيثة^(١).

ثانياً: الإعجاز البياني:

وفيه ثماني مسائل:

المسألة الأولى: كيفية أكل المال؟:

١- وحقيقة الأمر أن المال لا يؤكل، لكن القرآن أراد بيان الصورة البشعة والجشعة لليهود، وهم يلتهمونه ويتلذذون به كما يتلذذون بالطعام، وإلا لكان يكفي قوله تعالى: ﴿ وَأَخْذَهُمُ الرَّبُّ ﴾ (النساء/ من الآية ١٦١).

٢- **أخذهم:** والمقصود به المقرضون وأصحاب الأموال التي يتعاملون فيها بالربا ولم يقل وأكلهم الربا لأن اليهود دائماً يقرضون ولا يقرضون^(٢).

٣- **أكلهم أموال الناس:** قال المال مع أنه لا يؤكل، ولكنه كان يؤخذ، إلا أنه استخدم مصطلح الأكل للدلالات التالية:

أ- لأن اليهود يتمتعون عند حصولهم على المال بأي وسيلة، كما يتمتعون بالطعام.
ب- لبيان أن اليهود لديهم الرغبة الشديدة والشراسة المفتوحة على المال، مثل شراسة الطعام، بحيث لا يشبعون من جمع المال، قال الخطيب: "إن كثيراً من هؤلاء اليهود يأتون المنكرات في غير تحرج أو تأثم، بل يفعلونها وكأنها قربات يتقربون بها إلى الله، فهم يلقون بالكلمات الكاذبة الآثمة، وكأنهم يرتلون مزمارة من مزامير داوود، وهم يعتدون على حرمة الله وكأنهم يتناولون طعاماً شهياً، على جوع وحرمان، وهم يأكلون أموال الناس بالباطل وكأنها مائدة عيسى المنزلة عليهم من السماء"^(٣).

ت- لأن المال هو الوسيلة الوحيدة في الحصول على الطعام والشراب.

ث- لبيان أن حب المال متغلغل في خلاياهم وكل مشاعرهم، كما يتغلغل الأكل في الخلايا وجميع أنحاء الجسم.

(١) جامع البيان مج (٤/٣٦٢) بتصرف .

(٢) تفسير القرآن بالقرآن مج (٢/١٠٠٥).

(٣) تفسير القرآن بالقرآن مج (٢/١١٣٠).

المسألة الثانية: العلاقة بين (أكل المال وأكل الربا).

العلاقة بينهما عموم وخصوص، فأكل أموال الناس بالباطل يشمل كل مال يتم الحصول عليه عن طريق الحرام، والربا جزء من ذلك الحرام، وإنما ذكر الربا لبيان آثاره المدمرة على المجتمع إضافة إلى عقاب الله في الدنيا والآخرة، قال عبد الكريم الخطيب^(١): "وأكل أموال الناس بالباطل هو أعم من الربا، وهو كل ما جاء من طريق غير مشروع، من السلب والسرقة والقمار والخداع والغش والرشوة ونحو ذلك"^(٢).

المسألة الثالثة: قوة التعبير في قوله: (يسارعون في الإثم)^(٣):

قال أبو زهرة: "في هذا النص توجيه النبي ﷺ إلى ما عليه كثير من اليهود، من مفاسق ومفاجر وعدوان، وقد كانت عبارات التنبيه موجهة واضحة، وموضوعها بين يرى بالعين، أو بما يشبه العين لوضوحه، فأنت ترى الكثيرين منهم يخوضون في الشر خوفاً، لا يراعون ولا يجتنبون سوءاً، بل يدمنون على كل حرب وشر، وأضاف قائلاً: فهم لا يترددون في ارتكاب الإثم والعدوان، وربما يترددون كل التردد في الخير ونفع الناس، ولكنهم مغمورون في الآثام يتنقلون فيها مسرعين من حال إلى حال شر منه، لأنه مرتعهم يرتعون فيه دائماً"^(٤)، لأنهم أشربوه في قلوبهم، فيبحثون عنه، فإذا ما وجدوه وجدوا ضالتهم ودخلوا فيه مسرعين، وبدأوا يفسدون ويسعون في الأرض فساداً، قال الخطيب: "وهذا كله يكشف عن ضمائر ميتة ومشاعر متبلدة، لا تتأثم من إثم ولا تعف عن محرم"^(٥).

المسألة الرابعة: (الفرق بين الإثم والعدوان):

- ١- الإثم: قال الجرجاني: "ما يجب التحرز منه شرعاً وطبعاً"^(٦).
- قال الميناوي: "هو اسم للأعمال المبطئة عن الثواب"^(٧).

(١) عبد الكريم الخطيب: مفكر إسلامي خريج كلية العلوم (١٩٣٧) له مؤلفات كثيرة منها التفسير القرآني للقرآن، إعجاز القرآني، الإنسان في القرآن، قضية فلسطين. عبد الكريم والثقافة الإسلامية للسيد أبو ضيف المدني - دار الفكر العربي ١٩٧٩، وانظر رسالة ماجستير تفسير سورة طه (ص ٩٤) ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م محمود عبد الكريم الحسن.

(٢) تفسير القرآن بالقرآن مج (١٠٠٥/٢).

(٣) انظر سر التعبير بحرف الظرفية (ص ١٠٩).

(٤) تفسير أبو زهرة مج (٢٢٧٠/٥) مرجع سابق.

(٥) تفسير القرآن للقرآن مج (١١٣٠/٢) مرجع سابق.

(٦) التعريفات (ص ٢٠) دار الرشاد، بدون طبعة.

(٧) التوقيف على مهمات التعاريف (ص ٣٤)، وبمثله قال أبو زهرة مج (٢٢٧١/٥).

ويرى الباحث أن الإثم أمر قلبي ليس له علاقة بالجوارح، يحول دون فعل صاحبه الطاعات، لا يستريح له القلب السليم، ويشمل كل الآثام القلبية، (عَنْ نَوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ قَالَ أَقَمْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالْمَدِينَةِ سَنَةً مَا يَمْنَعُنِي مِنَ الْهَجْرَةِ إِنَّا الْمَسْأَلَةُ كَانَ أَحَدُنَا إِذَا هَاجَرَ لَمْ يَسْأَلْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ شَيْءٍ قَالَ فَسَأَلْتُهُ عَنِ الْبِرِّ وَالْإِثْمِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي نَفْسِكَ وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ) (١)، ويخرج أحيانا من القلب إلى اللسان، قال تعالى: ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَابُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ﴾ (المائدة/ من الآية ٦٣)، قال أبو زهرة: "هو ما يبطن عن الخير، والكذب إثم لأنه يبطن عن فعل الخير، فالإثم هو ما عند اليهود من تباطى عن الخير وعصيان للأوامر التي يكون في آدائها نفع للناس" (٢) .

٢- **العدوان**(٣): قال الجرجاني رحمه الله: "العداوة هي أن يتمكن في القلب من قصد الإضرار والانتقام" (٤)، وقال الكفوي رحمه الله: "والعداوة أخص من البغضاء، لأن كل عدو مبغض، وقد يبغض من ليس بعدو" (٥)، وقال الميناوي رحمه الله: "العدوان سوء الاعتداء، في قول أو فعل أو حال" (٦).

وبناءً على ما سبق من الأقوال، يرى الباحث أن فيه معنى إيقاع الظلم على الآخرين بالاعتداء عليهم، عن قصد مسبق بنية الضرر، ويمكن تعريفه، أنه "هو الفعل الذي يقوم به صاحبه ضد الآخرين، لإيقاع الظلم عليهم عمداً، ويتجاوز بذلك حدود العلاقات بين الناس.

٣- الفرق بينهما:

أ. قال الطبري: الإثم: الكفر، والعدوان، مجاوزة الحد الذي حده الله لهم (٧).

(١) م - ك - البر والصلة والآداب - ب تفسير البر والإثم مج (٧/٨ رقم ٦٦٨١).

(٢) تفسير أبو زهرة مج (٥/٢٢٧٠) مرجع سابق.

(٣) العدو: التجاوز، ومنافات الالتئام فتارة يعتبر بالقلب فيقال له العداوة والمعاداة وتارة بالمشي، فيقال له العدو، وتارة في الإخلال بالعدالة في المعاملة، فيقال له العدوان والعدو، قال تعالى: فيسيبوا الله عدوا بغير علم، المفردات (ص ٣٢٦)، عدا فلان عدوا وعدواً، وعوداً وعداءاً: أي ظلم ظلماً جاوز فيه القدر، وعدواً في معنى أعداء، قال تعالى: وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الإنس والجن، وعاد هو فاعل من عدا، يعدوا: إذا ظلم وجار، والاعتداء والتعدي والعدوان: الظلم، وعدا عليه عدوا وعداءاً وعدواً وعدواناً وعدوى وتعدي واعتدى: ظلمه، لسان العرب مج (٤/٧١١) بتصرف.

(٤) التعريفات (ص ١٦٩) مرجع سابق، التوقيف على مهمات التعاريف (ص ٥٠٥) مرجع سابق.

(٥) الكليات (٦٤٤) مرجع سابق .

(٦) التوقيف على مهمات التعاريف (٥٠٨) مرجع سابق .

(٧) جامع البيان مج (٤/٦٣٧) مرجع سابق.

ب. واعتبر أبو زهرة أن الإثم هو فساد القلب، فقال عن اليهود: إنهم لفساد قلوبهم يأثمون ويؤذون ويحسبون أنهم يحسنون صنعا، وبيّن أن العدوان هو اعتداء بالفعل، فقال: "وأوضح اعتداءاتهم على الناس أكلهم أموال الناس بالباطل"^(١).

المسألة الخامسة: العلاقة بين الإثم والعدوان:

١. الإثم يسبق العدوان، فهو المحرك للإدارة البشرية كي يقوم صاحبها بالعدوان وظلم الآخرين.
٢. العدوان هو عبارة عن الترجمة العملية للإثم، أو هو التفسير العملي للإثم القلبي.
٣. علاقة العام مع الخاص لعظمته وبيانه، فالعدوان عام لجميع أشكال الاعتداء، والإثم جزء منه، و الإثم عام للإثم دون العدوان، قال الفخر الرازي: "لفظ الإثم يتناول جميع المعاطي والمنهجات، فلما ذكر الله تعالى بعده العدوان وأكل السحت، دل هذا على أن هذين النوعين أعظم أنواع المعصية والإثم"^(٢).

المسألة السادسة: سر تسمية المال الحرام بالسحت وعلاقته بالإثم:

- ١- السحت^(٣): وقد أطلق على أكل كل حرام، لأنه يستأصل أخذه من كل علاقة اجتماعية تربطه بالناس وينزع كل بركة من بين يديه، بسبب الربا والرشوة، وأخذ الأموال بالفسق والتزوير والنصب والاحتكار وغير ذلك^(٤)، قال البقاعي: "الحرام الذي يستأصل البركة من أصلها فيمحقها، ومنه الرشوة"^(٥).
- ٢- العلاقة بين قول الإثم وأكل السحت.
- أ- قول الإثم: سبق الحديث عنه وهو قول باللسان، قال تعالى: ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَنْبِيَاءُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ﴾ (المائدة/ من الآية ٦٣)، ويكون القول تحريضي وتشجيعي.
- ب- أكلهم السحت: هو الفعل، ويأتي بعد القول والتحريض، على الأفعال وأكل الحرام، واستجابة لقول الإثم، إذن فهو دور تنفيذي، كما أن القول تخطيطي وتحريضي، وكلا الأمرين قام به اليهود.

(١) تفسير أبو زهرة مج (٥/٢٢٧١).

(٢) التفسير الكبير مج (١١-١٢/ج٢/٣٩).

(٣) انظر معنى السحت (ص١٠٤).

(٤) تفسير أبو زهرة مج (٥/٢٢٧١) يتصرف.

(٥) نظم الدرر مج (٢/٤٩٥٩).

ت. لماذا قال السحت: ذكر لفظ السحت، لبيان أن كل ما جمعه اليهود من مال حرام بشتى الطرق مستأصل لا بركة فيه ولا خير، بل إنه يسحت رأس المال وإن كان حلال!!!
وصدق من قال: جمع الحرام على الحلال ليكثره دخل الحرام على الحلال فبعثره.

المسألة السابعة: دلالة التعبير بـ (لولا).

حرف امتناع لوجود شيء، وهي أداة للحض على الفعل في المستقبل، والتوبيخ في الماضي على عدم الفعل، وأفادت التوبيخ على تقصيرهم في الماضي وتخاذلهم عن أدائه، وإلا ما كان ذم حالهم، واستنكر أمرهم، والمعنى: هلا كان من هؤلاء الذين يتبعهم اليهود، ويستمعون إليهم، ويستجيبيون لهم، من يرشدهم إلى الحق ليتبعوه وينهاهم عن الظلم ليجتنبوه، وقد اتخذوا أولئك الأحرار والربانيين وسطاء بينهم وبين الله، ليتعرفوا حكمه عن طريقهم، ولكنهم لم يفعلوا^(١)، والمعنى لولا شراكة الربانيين والأحرار في الجريمة لقاموا بمنعهم عنها.

المسألة الثامنة: الربانيون والأحرار والفرق بينهما.

قال أبو زهرة: الربانيون: هم العلماء الذين يكون علمهم الله، ويتصلون بربهم، حتى ينسبوا إليه، وما نسبوا إليه الا لكثرة تعبدهم وتبتلهم، فهم الأكثر تعبداً من غيرهم.
الأحبار: هم الفقهاء والعلماء الذين يفسرون أحكام الكتاب، ويعرفون الناس بشئون دينهم ومنهم من يجمع بين الوصفين^(٢).

المسألة التاسعة: لماذا لم يؤد الربانيون والرهبان رسالتهم؟.

إن المنتبغ للنصوص التي تتحدث عنهم، يجد أن أكثرهم شركاء في استغلال الناس، وأكل المال الحرام بشتى الطرق بصريح القرآن، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُوهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (التوبة/ ٣٤).

من الملاحظ لجرائم الربانيين والأحبار يجد أنها أكثر إجراماً من عامة الناس، مع أنهم من المفترض أن يكونوا القدوة الحسنة لليهود، يجد أنها قد تشابهت بجرائم العامة منهم، فالكل منهم يصد عن سبيل الله ويأكل أموال الناس بالباطل والإثم، والزيادة في جرائم الربانيين والأحبار، أنهم ربانيون في الصوامع والبيع، لكنهم شياطين في التعامل مع الناس، وخصوصاً

(١) تفسير أبو زهرة مج (٥/٢٢٧٤، ٢٢٧٣) مرجع سابق بتصريف.

(٢) المرجع السابق مج (٥/٢٢٧٤، ٢٢٧٣) بتصريف.

عندما يمنحونهم صكوك الغفران مقابل المال وغيره، عن ابن عباس قال: ما في القرآن آية أشد توبيخاً من هذه الآية: [لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ]، وإنما قال ابن عباس ذلك، لأنه أنزل تارك النهي عن المنكر منزلة مرتكب المنكر في الوعيد^(١)، روى أبو داود عن جرير قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: (عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ جَرِيرٍ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ قَالَ مَا مِنْ قَوْمٍ يَعْمَلُ فِيهِمْ بِالْمَعَاصِي هُمْ أَعَزُّ وَأَكْثَرُ مِمَّنْ يَعْمَلُهُ لَمْ يُغَيِّرُوهُ إِلَّا عَمَّهُمُ اللَّهُ بِعِقَابٍ)^(٢).

المسألة العاشرة: حقيقة الجرائم التي وقعوا فيها.

لقد ارتكب اليهود جريمة كبيرة في حق الناس وحق أنفسهم، هذه الجريمة تشمل العديد من الجرائم والتي تتلخص في التالي:

- ١- أكل أموال الناس بطرق غير مشروعة في دينهم، فجريمتهم إذن هي مع سبق الإصرار والترصد.
- ٢- المسارعة في قول الإثم بين الناس، والاعتداء على حقوقهم بطرق شتى.
- ٣- تواطئ العلماء والعباد مع تلك الجرائم والمجرمين، وتضييعهم لأمانة العلم التي يحملونها، والتي فضلهم الله بها على العامة.
- ٤- قبول علمائهم الرشاوى مقابل العديد من الفتاوى، وتكديس المال الحرام.
- ٥- الصد عن سبيل الله، من خلال صد أنفسهم عن الإسلام، باتباع أهوائهم رغم قناعتهم به، وصد الآخرين.

وقال د. وهبة الزحيلي: " وأشارت الآيات إلى أن أنواع الذنوب محصورة في نوعين:

أولاً: الظلم للخلق.

ثانياً: الإعراض عن الدين الحق.

أما ظلم الخلق فالإشارة بقوله تعالى: ﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيراً ﴾ (النساء/ ١٦٠)، وأما الإعراض عن الدين الحق فالإشارة بقوله تعالى: ﴿ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ (سورة الأنفال/ من الآية ٤٧) ومظاهر الظلم كثيرة، وهي أكل الربا، وأخذ أموال الناس بالباطل، بطريق الرشوة، والاحتتيال والغش ونحوها، وسماع الكذب، وأكل السحت، وهذه الذنوب هي الموجهة لتشديد العقاب عليهم في الدنيا والآخرة^(٣).

(١) الأساس في التفسير مج (٣/ ١٤٣٦).

(٢) حم - ك أول مسند الكوفيين - ب ومن حديث جرير بن عبد الله عن النبي - (رقم ١٨٤٣٣)

(٣) التفسير المنير مج (٥ - ٦ / ٣٠، ٢٩) مرجع سابق .

المسألة الحادية عشر: مقارنة بين جرائم الربانيين والأخبار، وجرائم عامة اليهود:
 ١- جرائم العامة: قال تعالى: ﴿ فِظَلُّمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا وَأَخَذَهُمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ (النساء/ ١٦١).

٢- جرائم الربانيين والأخبار: قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَخْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَأْكُلُوا أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (التوبة/ ٣٤).

والملاحظ أن الله تحدث عن مال الأخبار والرهبان فقال: يكنزون الذهب والفضة، وهذا يبين عظم وكثرة الثروة التي ملكها هؤلاء من الحرام، مستغلين بذلك مكانتهم الدينية بمنحهم صكوك الغفران ليكنزوا الذهب والفضة، ومن أكبر الجرائم التي ارتكبتها هؤلاء الشياطين تحليل الحرام، وتحريم الحلال، وهذا يعني أنهم جعلوا من أنفسهم آلهة تشرع من دون الله، قال تعالى: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ (التوبة/ من الآية ٣١)، (عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ قَالَ أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَفِي عُنُقِي صَلِيبٌ مِنْ ذَهَبٍ فَقَالَ يَا عَدِيُّ اطْرَحْ عَنْكَ هَذَا الْوَتْنَ وَسَمِعْتُهُ يَقْرَأُ فِي سُورَةِ بَرَاءَةِ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ أَمَا إِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَعْبُدُونَهُمْ وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا أَحْلَوْا لَهُمْ شَيْئًا اسْتَحْلَوْهُ وَإِذَا حَرَّمُوا عَلَيْهِمْ شَيْئًا حَرَّمُوهُ^(١)) وقد أشار سيد قطب رحمه الله إلى هذا الدور الإجرامي للأخبار فقال: "وفي هذه الآية استطراد في بيان دور الأخبار والرهبان، الذين اتخذهم أهل الكتاب أرباباً من دون الله، فاتبعواهم فيما يشرعون لهم من المعاملات، ومن العبادات سواء، فهؤلاء الأخبار والرهبان يجعلون من أنفسهم أرباباً تتبّع وتطاع، وهم فيما يشرعون يأكلون أموال الناس بالباطل، ويصدون عن سبيل الله، وأكل أموال الناس كان يتمثل في صور شتى وما يزال، منها ما يأخذون على فتاوى تحليل الحرام، وتحريم الحلال، لصالح من يملكون المال أو السلطان"^(٢)، ويقوم اليهود باستغلال الذهب والفضة المقدّسة لديهم في الصد عن سبيل الله، يقول الأستاذ محمد خليفة التونسي: "إن الذهب والفضة يحتكره اليهود وهو أقوى الأسلحة لإثارة الرأي العام، وإفساد الشبان والقضاء على الضمائر والأديان والقوميات ونظام الأسرة، وإغراء الناس بالشهوات البهيمية الضارة، وإشاعة الرذيلة والانحلال، حتى تستنزف قوى الأمميين استنزافاً، فلا تجد مفراً من القذف بأنفسها تحت

(١) ت - ك تفسير القرآن عن رسول الله ب - ومن سورة التوبة مج (٥/ص٢٧٨ح٣٠٩٥) قَالَ أَبُو عَيْسَى هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ لَّا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ السَّلَامِ بْنِ حَرْبٍ وَغَطِيفُ بْنُ أَعْيَنَ لَيْسَ بِمَعْرُوفٍ فِي الْحَدِيثِ.
 (٢) الظلال مج (٣/١٦٤٥) مرجع سابق.

أقدام اليهود" (١).

ثالثاً: الفواصل:

الفاصلة الأولى: " ﴿ لِبئْسَ مَا كَانُوا يَعمَلُونَ ﴾ (المائدة/ من الآية ٦٢).

أ- أهمية الفاصلة الأولى: جاءت الفاصلة بعد الحديث عن العديد من جرائم اليهود المالية سابقة الذكر لبيان أن تلك الأعمال التي قاموا بها مذمومة ولا خير فيها، ولا فائدة منها، حتى وإن تكدست بسببها الأموال في أيديهم ، لأن هذا المال طرقه مذمومة محرمة شرعاً.

ب- جمالها: ويأتي الجمال في الفاصلة من خلال التعبيرات التالية:

- لبئس: اللام للقسمة، قال الطبري: أقسم لبئس العمل ما كان هؤلاء اليهود يعملون، في مسارعته في الإثم والعدوان وأكلهم السحت^(٢)، وبئس: فعل يفيد الذم، والذم للأفعال والفاعلين سواء.
- ما: اسم موصول بمعنى الذي، ويفيد شمول الأفعال دون استثناء في ذلك، لبيان أن الأفعال التي قاموا بها مذمومة كلها وسيحاسبون عليها.

٢- الفاصلة الثانية: " (لِبئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ) (المائدة/ من الآية ٦٣).

أ- أهمية الفاصلة الثانية: جاءت بعد الحديث عن العديد من جرائم الربانيين والأخبار لبيان أن هذه الجرائم مذمومة فعلها وفاعلها، ولا خير فيها وإن جمعت وكنزت الذهب والفضة لأنها محرمة شرعاً وسيحاسبون عليها، قال أبو زهرة: "ثم الله صنيعهم، وهو عملهم الشر بدقة وإحكام لا بمقتضى الغرائز الحيوانية من غير تفكير في الماضي، وما هم عليه في الحاضر، وما يكون منهم في المستقبل^(٣)، وقال عبد الكريم الخطيب: هو توبيخ لهؤلاء العلماء ووعيد لهم إذ عرفوا الحق وكتموه، ورأوا المنكر وسكتوا عنه، أو أجازوه^(٤).

(١) الخطر اليهودي بروتوكولات حكماء صهيون (ص ١٠٣)، محمد خليفة التونسي، تقديم الكتاب وترجمته للأستاذ الكبير عباس محمود العقاد دار الكتاب العربي - بيروت - ط - الرابعة - ١٤٠٠هـ - ١٩٩٨م.

(٢) جامع البيان مج (٦٣٨/٤).

(٣) تفسير أبو زهرة مج (٢٢٧٤/٥).

(٤) تفسير القرآن بالقرآن مج (١١٣١/٢).

ب - جمالها: في الفرق بين التعبيرين (يعملون - يصنعون).

* **يعملون** - قالها في حق العامة، لأن العمل يكون عادة بانبعث شهوة من طمع في مال، أو لذة جسد^(١)، وأضاف الخطيب: على حين أن هذا العمل لا يستند إلى علم، وإنما مستنده أوهام وأباطيل^(٢).

* **يصنعون** - قالها في حق الأخبار والربانيين، لأن عملهم يكون بمهارة وتدبر وتعرف للغايات والنتائج ولو كانت آثمة وإن الصنيع يكون بالعمل وغيره^(٣).

ت - الفرق بين التعبيرين:

* **والصنع أقوى من العمل**، لأن العمل إنما يسمى صناعة، إذا صار مستقرًا راسخًا متمكنًا، وأضاف الشوكاني: **الصنع هو العمل الجيد**، لا مطلق العمل لأن العمل لا يبلغ درجة الصنع حتى يتدرب فيه صاحبه^(٤)، فجعل جرم العاملين ذنبًا غير راسخ، وذنوب التاركين للنهي ذنبًا راسخًا، والأمر في الحقيقة كذلك، لأن المعصية مرض الروح وعلاجه العلم بالله وصفاته وأحكامه، فإذا حصل هذا العلم، وما زالت المعصية، كان مثل المريض الذي شرب صاحبه الدواء فما زال، وهذا يعنى أن المرض شديد وقوى، وكذلك هؤلاء العلماء من اليهود لديهم العلم ولم يمنعهم من المعاصي، هذا يدل على أن حب المال وأكل الحرام لديهم قوى شديدًا^(٥).

* **بين الصناعة والعمل عموم وخصوص** فكل صنع يسمى عملًا، وليس كل عمل يسمى صنعًا، لذلك عبر عن جرائم الأخبار والربانيين بـ **يصنعون** - لبيان إتقانهم وإحكامهم واحترافهم وتخطيطهم لها، بينما العامة من الناس عبر عن جرائمهم بـ **يعملون** - لبيان أنهم لا زالوا في بداية أعمالهم لم يحترفوا هذه الجريمة.

رابعًا: منهج القرآن في التعامل مع الجريمة.

وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: بيان عقوبة الجريمة.

قال تعالي [فَيُظْلَمُ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا] (النساء/ ١٦٠) [ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَعْثِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ] (الأنعام/ ١٤٦) [وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ

(١) تفسير أبو زهرة مج (٥/٢٢٧٥).

(٢) تفسير القرآن للقرآن مج (٢/١١٣١).

(٣) تفسير أبو زهرة مج (٥/٢٢٧٥)، وانظر تفسير القرآن للقرآن مج (٢/١١٣١).

(٤) فتح القدير مج (٢/٧٠) مرجع سابق.

(٥) التفسير الكبير مج (١١-١٢/٢٣٩-٤٠) بتصرف، مرجع سابق.

يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتِ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ [المائدة/٦٢] **يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كُنْتُمْ لَأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْتُرُونَ** [التوبة/٣٥].

ويتضح للباحث بناءً على ما سبق من النصوص القرآنية، أن الله تبارك وتعالى عاقب اليهود على جرائمهم السابقة في الدنيا والآخرة بالعقوبات التالية:

١- العقوبة في الدنيا، وجاءت على النحو التالي:

أ- تحريم بعض الطيبات عليهم، قال تعالى: ﴿ **فَبَطَلْ مِنْ الَّذِينَ هَادُوا حَرَمْنَا عَلَيْهِمْ طَيْبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدَّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا** ﴾ (النساء/ ١٦٠) وقال: ﴿ **وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوْ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ** ﴾ (الأنعام/ ١٤٦) والآية الأولى مجملة، والثانية مبينة ومفسرة، للطيبات التي حرمت عليهم، قال الطبري: فعاقبهم الله على جميع ذلك بتحريمه ما حرم عليهم من الطيبات التي كانت لهم حلالاً قبل ذلك^(١).

ب- نزع البركة من كل شيء في حياتهم، حتى من أبناءهم وأجسادهم التي أكلت السحت، بل ومن أعمارهم وكل شيء في حياتهم، قال تعالى: ﴿ **وَأَكْلِهِمُ السُّحْتِ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ** ﴾ (المائدة/ من الآية ٦٢)^(٢).

ت- التوبيخ واللوم والذم لهم، قال تعالى: ﴿ **وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتِ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ** ﴾ (المائدة/ ٦٢)، هذا للعامّة، وكذلك ذم الأحرار بقوله: **(لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ)** (المائدة/ من الآية ٦٣).

ث- التهديد بحرب الله: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ** ﴾ (البقرة/ ٢٧٨) ﴿ **فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ** ﴾ (البقرة/ ٢٧٩).

ج- فقدان الأمن بعدم الاستقرار [الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ] ﴿ (البقرة/ ٢٧٥).

(١) جامع البيان مج (٤/ ٣٦٢) مرجع سابق.

(٢) انظر معنى السحت، جامع البيان عن تأويل آي القرآن مج (٤/ ٥٨١، ٥٨٢) مرجع سابق.

٢- العقوبة في الآخرة: بالعذاب المؤلم في نار جهنم^(١)، قال تعالى: [يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كُنْتُمْ لَأَنْفُسِكُمْ فُدُّوْا مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ] (التوبة/٣٥) وفي ذلك بيان لهذا المصير المشئوم، الذي سيصير إليه هذا المال الكثير ويفعله بمن اكتنزوه، وأنهم إذا خلفوه وراءهم ولم ينفقوه في سبيل الله، فإنه يلقاهم هناك يوم القيامة، حيث لا بيع ولا شراء، ليتحول المال كئلاً من الجمر تكوى بها أجسامهم في المواضع التي تشوه معالمهم، وتزيد في آلامهم، فالجزاء من جنس العمل، لأن الله خص جباههم وجنوبهم وظهورهم للأسباب التالية:

أ- لأنهم أخذوا هذا المال ظلماً وعدواناً، ثم اكتنزوه شحاً وبخلًا، فكان جزاؤهم أن كان هو سوط العذاب الذي يعذبون به، من حيث كان يرجى أن يكون مصدر نفع لهم^(٢).

ب- جباههم، لأنها كانت متكبرة وشامخة تتعالى على الفقراء والمساكين، فأراد الله إذلالها يوم القيامة.

ت- جنوبهم، لأنهم كانوا يميلونها عن الفقراء عندما يطلبون منهم المال، ويتجهون عنهم للجهة الأخرى.

ث- ظهورهم، لأنهم كانوا يديرونها للفقراء عندما يطلبون منهم المال، فأراد الله تعذيبها جزاءً وفاقاً.

المسألة الثانية: كيفية التعامل مع الجريمة:

وبالنظر إلى هذه العقوبات يتضح للباحث أنها كانت تسير بتدرج على

النحو التالي:

أولاً: العقوبات في الدنيا.

أ- بدأت بالتوبيخ واللوم والذم، لعلهم ينتهون عنها، فربما عملوها عن جهل أو تأويل لنص.

ب- تشديد العقاب قليلاً من خلال تحريم بعض المطاعم عليهم، والتضييق على حياتهم فبدأوا يتخبطون في حياتهم كالذي يتخبطه الشيطان من المس، ثم تهديدهم بحرب من الله إن لم ينتهوا.

ت - العقوبة النهائية في الدنيا للمصريين على الجرائم، من خلال نزع البركة من كل شئ في أيديهم، حتى يصبحوا كالكلاب يلهثون من أجل الحصول على المال، فيجمعونه ولكن دون فائدة مرجوة، وقد امتلأت بطونهم بالحرام، ولكن أجسامهم منزوعة البركة، لا قيمة فيها، وكذا أولادهم وأعمارهم وكل حياتهم لأنهم يعيشون حياة الاضطراب، والقلق النفسي

(١) التفسير المنير مج (٥-٦/٣٠، ٢٩) مرجع سابق بتصرف.

(٢) جامع البيان مج (٣/٧٥٩) مرجع سابق.

خوفاً من ضياع أموالهم، خصوصاً في هذه الأيام التي دخلت فيها ما يعرف بالبورصة في حياة المرابين.

ثانياً: العقاب في الآخرة، العذاب الأليم في نار جهنم، وليس فيه تدرج، وهذا لمن مات منهم يهودياً، مصرّاً على المعصية وأكل الحرام.

خامساً: اللطائف البيانية:

- ١- حفاظ جميع، التشريعات السماوية على أموال الناس عامة من خلال عدم الاعتداء عليها بالرّبا وغير ذلك.
- ٢- بيان جرائم الربانين والأحبار من اليهود من خلال استغلال مكانتهم الدينية والاجتماعية، وفي ذلك إشارة تحذيرية لعلماء السلاطين من المسلمين، في كل زمان ومكان.
- ٣- وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقيام العلماء بدورهم التوجيهي للأمة وإلا فالعقاب في الدنيا والآخرة مصيرهم.
- ٤- بيان أن التحليل والتحريم خاص بالله وأنبيائه فقط، ومن سمح لنفسه بذلك من عالم أو مؤسسة أو دولة فقد اعتدى على حق من حقوق الله، وسوف يعرض نفسه للعقاب.
- ٥- بيان أن من سكت على الجريمة، أو خطط لها، أو شجعها فهو شريك فيها وعليه وزرها.

المطلب الثاني: الإفساد في الأرض وإيقاد الحرب.

قال تعالى: [كَلِمًا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ] (١) (المائدة/ ٦٤)، وقال سبحانه: (وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا) ﴿٢﴾ (الإسراء/ ٤).

أولاً: منهج القرآن في التعامل مع الجريمة:

وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: بيان عقوبة الجريمة.

قال تعالى [فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَهُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا] (الإسراء/ ٧) ، وقال تعالى [وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ] (البقرة/ ٢٠٥) .

(١) انظر (ص ١٥٣) وما بعدها من الرسالة.

(٢) انظر أقوال العلماء قديماً وحديثاً عن الإفسادتين (ص ٣٣٢ - ٣٤٨) .

يتضح للباحث من خلال النصوص السابقة أن الله عز وجل عاقب اليهود بعقوبتين:
العقوبة الأولى: الهلاك والدمار لكل فسادهم^(١).
العقوبة الثانية: اللوم والتوبيخ من خلال نفي محبته للفساد بقوله: [وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ]
(البقرة/٢٠٥).

المسألة الثانية: كيفية التعامل مع الجريمة:

- يتبين للباحث أن العقوبتين السابقتين لليهود كانتا على النحو التالي:
- ١- التدرج في العقوبات من خلال التركيز على الجوانب النفسية منها، في محاولة لإخضاع نفوس اليهود العنصرية، التي كانت سبباً من أسباب الجرائم التي ارتكبوها ضد المؤمنين وغيرهم، متذرعين بأنهم أبناء الله وأحباؤه، وأن كل جرائمهم التي قاموا بها ضد غيرهم هي تنفيذ لتعاليم الرب [ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ] (آل عمران/٧٥).
 - ٢- الجانب المادي من خلال تدميره تدميراً شاملاً، واستئصاله من جذوره، لأنه كان القوة التي يعتمدون عليها في تنفيذ جرائمهم وإفسادهم.

(١) انظر تفاصيل الإفساد الثانية لبني إسرائيل (ص ٣٤٠).

المبحث الخامس جرائم اليهود في حق أنفسهم

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: قتل العامة وإخراجهم من الديار:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحْرَمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفْتُونُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (البقرة/ ٨٤، ٨٥).

أولا التفسير الإجمالي:

هذا ميثاق من عدة موثيق أخذها الله على اليهود، تتلخص بنوده في ثلاثة أحكام، تحريم سفك الدم، تحريم إخراجهم لبعض من البيوت والاعتداء عليها وتخريبها وتدميرها وإحراقها، ووجوب فداء الأسرى، وافرّ اليهود على هذه البنود ووافقوا عليها، كأنهم شاهدها بعيونهم لشدة توكيدها، ووضوح أحكامها في التوراة، لكن اليهود كعادتهم، تعاملوا مع هذه البنود بمزاجية فنقضوا بندين، تظاهروا على بعضهم فسفكوا دم بعض، ودمروا بيوت بعض ونهبوها وخربوها، وزعموا أنهم أوفياء وأمناء لأوليائهم من الأوس والخزرج!!، والتزموا بفك الأسرى، فوبخهم الله تعالى وعنفهم قائلاً: كيف تؤمنون بأحكام فك الأسرى وتلتزمون بها، ولا تمتنعون عن سفك دماء بعضكم، فلم قتلتم بعضاً، وتخربون بيوتكم بأيديكم وتهجرون أهلها ما لكم كيف تحكمون؟.

قال ابن كثير: "يقول تبارك وتعالى منكرًا على اليهود الذين كانوا زمن الرسول في المدينة، وما أقدموا عليه من القتال ضد بعضهم البعض، من خلال تحالف بني النضير مع مثيله الخزرج وبني قريظة مع مثيله الأوس في الجاهلية، فكانت الحرب إذا نشبت بينهم، قاتل كل فريق مع حلفائه، فيقتل اليهودي أعداءه، وقد يقتل يهوديا من الفريق الآخر، وذلك حرام عليهم في دينهم، ويخرجون بعضهم من بيوتهم وينهبون ما فيها من الأثاث والأمتعة والأموال، ثم إذا وضعت الحرب أوزارها فكّوا الأسرى من الفريق المطلوب تنفيذًا لحكام التوراة، فقال لهم الله: ﴿أَفْتُونُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (البقرة/ ٨٥) (١).

(١) تفسير القرآن العظيم مج (١/١٢٠) مرجع سابق.

قال الطبري: " ثم أنتم يا معشر يهود بني إسرائيل، بعد إقراركم بالميثاق الذي أخذته عليكم لا تسفكون دمائكم، ولا تخرجون أنفسكم من دياركم، ثم أقررتم بعد شهادتكم علي أنفسكم ، بأن ذلك حق لي عليكم، لازم عليكم الوفاء به، تقتلون أنفسكم، وتخرجون فريقاً منكم من دياركم متعاونين عليهم في إخراجكم إياهم بالإثم والعدوان^(١)!!".

ثانياً: الإعجاز البياني.

وفيه أربع مسائل:

المسألة الأولى: قوة التعبير في قوله: (تسفكون دمائكم)^(٢).

قال الطبري: "وأما سفك الدم فإنه صبه وإراقته"^(٣)، وقال الجرجاني: "والصب كل ما نزل من علو إلى أسفل"^(٤)، والمعنى وكأنهم بقتل بعضهم، يمسك أحدهم دم أخيه بيده ويصبه على الأرض، وفي ذلك تشنيع لهم علي جرأتهم، وتبلد مشاعرهم وأحاسيسهم، والقضاء على كل الوشائج العرقية والإنسانية، وتحطيم للروابط الأخوية بينهم، لأنهم من ملّة واجدة، ودين واحد، لذلك فقتل أي منهم يعني قتل للجميع، قال البيضاوي: "وإنما جعل قتل الرجل غيره قتل نفسه لاتصاله به نسباً أو ديناً"^(٥)، والجملة الفعلية تسفكون حالية لبيان استمرار اليهود علي هذه المنهجية الدموية التي كانوا عليها ، واستمروا بعد ذلك ، فهذا التبغ ذو نواس ملك اليمن الذي تهود وأكره رعيته علي اعتناق الديانة اليهودية ، وحرق بالنار من رفض منهم^(٦).

ومن نماذج قتل العامة لدي اليهود استعدادهم لقتل أعضائهم الماسونيين، فهذا نص يقسمه من أراد الانتماء للماسونية، بعدما قبلت عضويته فيها، يقول فيه: أقسم بمهندس الكون الأعظم أنني لا أفشى أسرار الماسونية ولا علاماتها وأقوالها، ولا تعاليمها، وعاداتها، وأن أصونها مكتومة في صدري إلى الأبد، أقسم بمهندس الكون الأعظم، ألا أخون عهد الجمعية وأسرارها، لا بالإشارة ولا بالكلام ولا بالحروف، وألا اكتب شيئاً منها، ولا انشره بالطبع أو بالحفر

(١) جامع البيان مج (١/٤٤٠، ٤٤١) بتصرف.

(٢) قال الراغب: السفك في الدم صبه، قال تعالى: ويسفك الدماء، (ص ٢٣٤٠)، قال ابن منظور: والسفك الإراقة والإجراء لكل مائع، انظر لسان العرب مج (٣/١٥٩).

(٣) جامع البيان مج (١/٤٨٣) مرجع سابق.

(٤) الكليات (ص ٥٤٤) مرجع سابق.

(٥) أنوار التنزيل وأسرار التأويل مج (١/٧٣).

(٦) موقع د. صالح الرقب ، مقال بعنوان : لا يجوز إطلاق اسم إسرائيل على الكيان المصطنع فوق أرض فلسطين المسلمة .

أو بالتصوير، وأرضى إن حنثت في قسمي أن تحرق شفتاي بحديد ملتهب، وأن تقطع يداي ويحزّ عنقي، وتعلّق جثتي في محفل ماسوني ليراها طالب آخر ليتعظ بها، ثم تحرق جثتي، ويذر رمادها في الهواء لئلا يبقى أثر من جنايتي^(١).

ويقسم العضو هذا القسم وهو معصوب العينين ، فإذا انتهى من قسمه ، وأزيلت العصابة عن عينيه رأى سيوفا كثيرة مسلطة عليه من كل جانب، ورأى حبلاً يحيط بعنقه على شكل قلادة، ثم يقول له رئيس المحفل: إن هذه السيوف جاهزة للدفاع عنه عند الحاجة، وهذا الحبل على استعداد لشنق أعداء الماسونية، ولكنك إذا خنت العهد ونكثت في القسم صرعتك هذه السيوف والتف الحبل قاتلاً حول عنقك^(٢).

المسألة الثانية: دلالة التعبير في ضمير الجماعة والمخاطب: (أنفسكم، دياركم).

لقد أجرى الإمام الطبري تحقيقاً في ذلك وبعده قال: "وأولى الأقوال عندي أن يكون قوله: وأنتم تشهدون خبراً عن أسلافهم، ودخل فيه المخاطبون في المدينة الذين أدركوا الرسول لأن الله أخذ ميثاق الذين كانوا فيها، ثم أنب الذين خاطبهم بهذه الآيات على نقضهم^(٣).

يرى الباحث أن هناك عدة مسائل لا بد من التحقيق فيها:

١- أجمع المفسرون أن سفك الدماء والمظاهرة على الإخراج كانت في الجاهلية قبل الإسلام، وبعد الإسلام لم يحدث شيء من ذلك لأن الأوس والخزرج أصبحوا الأنصار بعد دخولهم الإسلام، قال تعالى: ﴿إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءَ قَالَفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ (آل عمران/ من الآية ١٠٣).

٢- إن هناك تلوين في الخطاب من ضمير المخاطب - تسفكون، تخرجون أنفسكم - إلى

ضمير الغائب - عليهم، يأتوكم، تفادوهم - فكيف الجمع بينهما؟؟

٣- ليس هناك نص في القرآن ولا السنة يبين أن هناك ميثاق أخذه الله على يهود المدينة، لأن الجرائم التي ارتكبوها كانت في الجاهلية، كما قال المفسرون.

٤- وإذا جاز للباحث موافقة الطبري في أن هناك ميثاق أخذه الله من يهود المدينة، فإنه ليس صريحاً، وإنما يمكن اعتباره ميثاقاً ضمنياً من خلال النصوص الموجودة في التوراة.

(١) اليهود في الظلام (ص ٤٦).

(٢) المرجع السابق (ص ٤٧).

(٣) التفسير الوسيط مج (٤/٢٠٨) مرجع سابق .

المسألة الثالثة: الجمع بين ضمير الغائب والمخاطب:

١- **ضمير الغائب:** يأتي الحديث عن بني إسرائيل، في سياق الإخبار عما حدث معهم في المدينة قبل بعثة الرسول ﷺ، وكيف أنهم خالفوا تعاليم التوراة فالحديث كان من باب الإخبار، ليتعظ يهود المدينة من أسلافهم، ويكفوا عن مخالفة أحكام التوراة، وأهمها إخفاء صفات الرسول ﷺ

٢- **ضمير المخاطب:** وفيه العديد من الأسرار البلاغية.

أ- قال أبو السعود: "وإنما الخطاب هنا باعتبار تنزيل ديارهم منزلة ديار المخاطبين، بناء على تنزيل منزلتهم، لتأكيد المبالغة وتشديد التشنيع"^(١)، وأنتم هؤلاء: خطاب للحاضرين فيه توبيخ شديد واستبعاد قوى لما ارتكبوه، وتذكير وتوبيخ لمن شاهد نقضه منهم وبقي صامتاً، "لأنهم عاينوا سفك دماء بعضهم بعضاً"^(٢).

ب- لأن يهود المدينة كانوا راضين عن جرائم أسلافهم، والأصل فيهم أن ينكروها لأنها تخالف نصوص التوراة.

ت- جاء ضمير المخاطب ليهود المدينة لتحذيرهم من مغبة نقض أي من المواثيق التي سيوقعونها مع رسول الله ﷺ .

ث- فيه تحذير للصحابة من صفات اليهود الغادرة الماكرة، والتي تصل إلي حد أن يقتل بعضهم بعضاً، من أجل إشعال الحروب بين الناس، فاحذروا غدرهم، واحذروا أن يوقعوا بينكم.

المسألة الرابعة: مواقف عجيبة ومريبة:

الموقف الأول: أهداف عميقة لنفوس خبيثة:

تساءل الباحث كثيراً بينه وبين نفسه ما هذا الموقف العجيب والمتناقض من اليهود في تحالفهم مع الأوس والخزرج، وهل هذا وفاء لهم، وهم الذين نقضوا العهود والمواثيق مع الله، ولماذا يقتل بعضهم بعضاً؟، وما هذه النخوة الغربية عندهم، وما هذا التناقض بين الفكر الذي يتبنونه وسلوكهم مع العرب، ألم يكونوا يتوعدونهم بقتلهم قتل عاد وارم قبل بعثة النبي ﷺ؟! أسئلة فرضت نفسها على الباحث، لكن الذي يعرف خبث اليهود ومكرهم وعنصريتهم يدرك أن هناك أهدافاً بعيدة سعى اليهود إليها من وراء ذلك، حتى لو قتل بعضهم بعضاً وتظاهروا على تدمير بيوت بعضهم وإحراقها، من هذه الأهداف.

١- **الكسب المادي:** لقد كان اليهود أصحاب صناعة، يجيدون صناعة السلاح في المدينة، ووجود الحرب يفتح لهم باباً اقتصادياً على مصراعيه، يتحكمون في الأسعار فترتفع ثمن الأسلحة، وبذلك يحققون أرباحاً طائلة.

(١) إرشاد العقل السليم مج (١/١٤٩) مرجع سابق.

(٢) البحر المحيط مج (١/٤٥٧) مرجع سابق.

٢- استغلال حاجة الآخرين، من المعروف عن اليهود أنهم مرابون، ولديهم أموالاً طائلة، والحرب تستنزف الطاقات وجميع الموارد، فيحتاج المحاربون إلى المزيد من الأموال لانشغالهم عن تجارتهم وزراعتهم، فلا يجدون أمامهم إلا اليهود ليرابوهم، وبذلك تكثر الديون عليهم وتكون فرصة اليهود التغلغل إلى مراكز القرار المصيري لدى القبائل، وبذلك يتمكنون من السيطرة على صنّاع القرار فيها، وهذا من أساليبهم في هذا الزمان، وهو جزء من خططهم، للسيطرة على العالم والتحكم فيه.

٣- السيطرة على المدينة: وذلك بعدما يتم استنزاف طاقات الأوس والخزرج المادية والبشرية، وتكون الحرب قد أنهكتهم، وخارت قوتهم، واستفحلت العداوة والبغضاء بينهما، فانقلت من جيل إلى جيل، واعتمدت كل قبيلة منهما على اليهود، عند ذلك يحكم اليهود قبضتهم على المدينة وينفذوا مخططاتهم، وتصبح المدينة في قبضتهم وهذا من أهدافهم في هذا العصر.

قال الغزالي رحمه الله: "إن اليهود شعب نشيط يبذلون جهوداً مضنية للسيطرة على زمام التوجيه المالي ولا يباليون بأساليب الختل والمكر لبلوغ أهدافهم، وقد ألفوا أنفسهم قلةً بين أصحاب البلاد وخشوا أن يفنوا إذا اشتبكوا معهم في صراع سافر فاحتالوا حتى زرعو الضغائن بين الأقرباء وما زالوا بها حتى أنتت ثمرها المر، فأخذ العرب يأكل بعضهم بعضاً في سلسلة متصلة من المعارك التي لا مبرر لها، على حين قوي اليهود وتكاثروا ونمت ثرواتهم واستحكمت حصونهم وخيف سطوتهم" (١).

الموقف الثاني: فداء الأسرى:

إن الموقف العجيب والغريب فيه أنهم كانوا قبل وأثناء المعركة، الظاهر للعرب أنهم أعداء ويتوعدون بعضهم، من خلال الحلف الذي عقدته كل قبيلة مع حليفها، ويقتل بعضهم بعضاً أثناء الحرب، فإذا ما انتهت المعركة وعاد كل منهم إلى بيته، اجتمع هؤلاء الأعداء - في الظاهر - وتشاوروا في كيفية فداء الأسرى من كلا الفريقين وجمعوا المال ليفدوهم فتحول الأعداء إلى أخلاء! هذا الموقف المتناقض منهم يحتاج إلى دراسة.

١- هم متفقون في الأقوال والأفعال، على عدم بقاء أي من أسراهم لدى العرب سواء الأوس أو الخزرج ولا يقبلون بذلك مهما كلفهم، لذلك فهم من أجل أسراهم يتحول العداوة بينهم إلى حب ونفاهم، والخصام إلى تآلف وتعاون.

(١) فقه السيرة (ص ١٥٥) محمد الغزالي - دار الكتب الحديثة - ط السابعة ١٩٧٦، خرج الأحاديث العلامة الألباني رحمه الله.

٢- يسعون لإخراج أسراهم بدفع الثمن، وهو الفداء ليعطوا الثقة لجنودهم، أنهم عندما يقعون في الأسر أثناء الحروب فإنه لن يطول بقاؤهم فيه، وهذا يجعلهم أكثر دافعية للحرب ضد عدوهم كي يستمروا في إشعال الحرب من خلال تواجدهم بين الأوس والخزرج.

ثالثا: منهج القرآن في التعامل مع الجريمة:

وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: بيان عقوبة الجريمة:

قال تعالى [ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتِوكُمْ أَسَارَى تُقَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ] (البقرة/ ٨٥).

يتبين للباحث من خلال النص السابق أن اليهود تعرضوا للعقوبات الخفيفة علي النحو التالي:

١- العتاب واللوم: [ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ] (البقرة/ ٨٥).

٢- الخزي في الدنيا: ﴿ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ] (البقرة/ ٨٥)، والخزي الذل والصغار في عاجل الدنيا قبل الآخرة (١).

٣- إنكار جرائمهم والتهديد الشديد بسوء المصير في الدنيا والآخرة: [أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ] (البقرة/ ٨٥).

المسألة الثانية: كيفية التعامل مع الجريمة:

جاء التعامل في النص القرآني مع جرائمهم علي النحو التالي:

١- فضح ممارستهم التي قاموا بها ضد بعض، لينزع ثقتهم ببعض، ويشق صفوفهم ويفتت جموعهم.

٢- تبين أن الجريمة التي قاموا بها قد يكون في حد ذاتها عقوبة لهم من خلال تسليطهم علي بعض بسبب الكثير من الجرائم التي ارتكبوها قبل ذلك، أو بسبب بعض المكاسب المادية لتجارة السلاح.

(١) جامع البيان مج (١/٤٤٥) مرجع سابق .

ثالثاً: اللطائف البيانية.

- ١- بيان جرأة اليهود علي ارتكاب الجرائم حتى وصلت إلي حد قتل بعضهم، من أجل مصالحهم.
- ٢- إن ما قام به اليهود من الالتزام بعهودهم مع الأوس والخزرج، لا يأتي في سياق الوفاء للعهود، وإنما لاستمرار إشعال الحرب بين العرب، من أجل إضعافهم وإهلاكهم، لينقض اليهود بعد ذلك على المدينة ويحكموا سيطرتهم عليها.
- ٣- بيان أن قتل النفس فيه قتل للناس جميعاً، بسبب تشجيع الغير علي القتل، أو لأن خير المقتول امتنع عن الناس لينتفعوا به، فكان ذلك كقتلهم جميعاً.
- ٤- بيان قدرة اليهود على التحايل عند تطبيق بعض الأحكام التي توافق مصالحهم وتعطيل البعض منها لمخالفتها أهوائهم.

المطلب الثاني: قتل العلماء العاملين:

قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (آل عمران/ ٢١) .

أولاً: التفسير الإجمالي.

هذه جريمة من أغرب الجرائم التي ارتكبتها اليهود، لأن العقل البشري ربما يتفهم أن يعتدي اليهود على أعدائهم، أو غيرهم من الناس، أما أن يقتلوا علماءهم الذين يدعونهم لإقامة القسط في أنفسهم وفيما بينهم، فهذا أمر مستغرب، لأنه من المفترض منهم أن يوقروهم وينزلوهم المكانة التي يستحقونها، لكن الدارس لنفسية اليهود القائمة على المزاجية والأهواء، لا يستبعد منهم ما فعلوه وصدق القائل: إذا عرف السبب زال العجب.

قال الطبري رحمه الله: "هؤلاء أهل الكتاب، كان اتباع الأنبياء ينهونهم، ويذكرونهم فيقتلونهم^(١)، وقال القرطبي: "كان ناس من بني إسرائيل، جاءهم النبيون يدعونهم إلى الله ﷻ فقتلوه، فقام أناس من بعدهم من المؤمنين فأمرهم بالإسلام فقتلوه^(٢)، قال السيوطي^(٣): كان أتباع الأنبياء ينهونهم و يذكرونهم بالله فيقتلونهم^(٤)، فهذه سمتهم في تاريخهم

(١) جامع البيان مج (٢١٦/٣) مرجع سابق.

(٢) الجامع لأحكام القرآن مج (٤١٨/٢) مرجع سابق .

(٣) هو عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد الخصري الأسيوطي الشهير (بالسيوطي) ولد في رجب ٨٤٩هـ، نشأ يتيماً وحفظ القرآن ونهل من العلم صغيراً، تبحر في التفسير والحديث والفقه واللغة والنحو وغيرهما، مؤلفاته تزيد عن ٣٠٠ مصنف، توفي في جمادي الأولى ٩١١هـ. طبقات المفسرين (ص ٣-٨) مختصراً.

(٤) الدر المنثور في التفسير بالمأثور مج (١٥/٢ج/١) مطبعة الأنوار المحمدية بدون طبعة.

يعرفون بها متى ذكرت^(١).

ثانياً: الإعجاز البياني.

وفيه أربع مسائل:

المسألة الأولى: أسرار استخدام الجمل الفعلية: (يكفرون – يقتلون):

معطوف على ما قبله من قتل النبيين، والجملة الفعلية حالية، لبيان استمرار اليهود في ارتكاب مثل هذه الجريمة ضد العلماء في كل زمان ومكان بل وفي حق كل من سعى لإقامة القسط في الأرض بين الناس، قال أبو السعود: "تكرار الفعل للإشعار بما بين القتلين من التشابه، أو باختلافهما في الوقت"^(٢)، وأضاف الكلبي: "وإنما وبخ بهذا اليهود الذين كانوا زمن النبي، لأنهم تولوا أولئك ورضوا بفعلهم"^(٣)، وأضاف ابن عطية: "إن سبب التوبيخ لأنهم كانوا حريصين على قتل محمد ﷺ"^(٤).

المسألة الثانية: منزلة العلماء بعد الأنبياء .

قال سيد طنطاوي: "وفي قرنهم بالأنبياء إثبات أن الاعتداء عليهم، قرين الاعتداء على الأنبياء، إشارة إلى بيان علو منزلتهم، وإنهم ورثتهم الذين يدعون بدعوتهم"^(٥).

وفي عصرنا هذا قام اليهود بقتل المئات من العلماء بثتى الطرق والوسائل، في فلسطين والعراق، من أبرزهم شيخ فلسطين، وشيخ الانتفاضتين، الإمام المجدد أحمد ياسين رحمه الله، رغم أنه مشلول الأطراف مقعد على كرسي، يحتاج إلى من يعينه في كل شئ يخصه في حياته، وذلك بعد فشل كل وسائل الإرهاب في حقه، من اعتقال وتعذيب وتهديد كي يتراجع عن مواقفه في الدفاع عن دينه ووطنه، وبعد أن ساوموه وأعطوه الضمانات بسلامته وسلامة قيادة الحركة، مقابل أن يوقف الشيخ الانتفاضة فرفض قائلاً: "إن قيادة حماس ليسوا أفضل من أطفال الشعب الفلسطيني"، ولما عجزوا أمام هذا التحدي، قرروا إعدامه يوم الاثنين بتاريخ ٢٣/٣/٢٠٠٤م بعد صلاة الفجر صائماً وهو خارج من المسجد، ولقد كشف تقرير أمريكي خطير أن جهاز الموساد الإسرائيلي تمكن بالاشتراك مع القوات الأمريكية في العراق، حتى تاريخ ١٣/٦/٢٠٠٥م من قتل ٣٥٠ عالماً نووياً عراقياً، وأكثر من ٢٠٠ أستاذ جامعي في المعارف العلمية المختلفة^(٦)،

(١) تفسير الظلال مج (١/٣٨١).

(٢) إرشاد العقل السليم مج (١/٣٤٢) وانظر روح المعاني مج (٢/١٠٩).

(٣) زاد المسير مج (١/٣١٢) بتصرف.

(٤) المحرر الوجيز مج (١/٤١٥) بتصرف.

(٥) التفسير الوسيط مج (٢/٨٥).

(٦) انظر ملحق رقم (٢ ص ٣٠٧) وموقع وطن على النت، وانظر جريدة الأسبوع بتاريخ ١٣/٦/٢٠٠٥م.

والأكثر من ذلك والذي يدل على شغفهم بجريمة القتل، أنهم هددوا بالقتل أحد أكبر علماء الكيمياء الإسرائيليين، وهو الدكتور إسراييل شاحاك أستاذ في الجامعة العبرية في القدس، ورئيس رابطة حقوق الإنسان والمواطن في إسرائيل وذلك بسبب كتابه الذي ألفه عن ممارسات اليهود وجرائمهم، وهو بعنوان – عنصرية إسرائيل بالوثائق والأرقام والأسرار – ترجمة عن الفرنسية خليل فريجان^(١)، حيث إنه هوجم من على منبر الكنيسة وهدد، وطورد في الشوارع والأماكن العامة، بل ولوحق حتى منزله، حتى أضحي الرجل الذي يجب قتله^(٢)، قترك فلسطين المحتلة وذهب للعيش في أمريكا، وظلت جرائم القتل هذه ضمن خطط اليهود للوصول إلى أهدافهم في جميع مراحل التاريخ، حتى في أزمى عصور المدنية التي حرمت دم الإنسان، وحمت رأيه واتجاهه، ولكن الغدر والاعتقال كانا دستور اليهود، فلم يحدوا عنه، قاموا به في روسيا ونفذوه ضد الإنجليز في فلسطين، وقاموا به في ألمانيا وأمريكا، وكان نصيب العرب منه نصيبا واسعا^(٣).

المسألة الثالثة: سر استخدام الفعل المضارع – تقتلون – مرتين.

قال الشيخ الخطيب استخدم ذلك للتشجيع علي اليهود الذين وقفوا من الدعوة الإسلامية، موقف المحاظة والعداء، كما وقف أسلافهم من قبل مع أنبياء الله فما أشبه الأبناء بالآباء، والخلف بالسلف^(٤).

المسألة الرابعة: أسلوب التهكم في قوله: (فبشرهم):

الفاء أفادت التعقيب والترتيب، والبشارة أسلوب تهكمي، قال الزحيلي: "واستعملت البشارة في الشر، للتهكم والأصل أن تكون في الخير، ويسمى هذا الأسلوب التهكمي^(٥)، " وهو غاية في التئيس من كل أمل في نفعة من خير أو عافية من هذا العذاب المطبق عليهم إذ كان ما تحمله البشري إليهم هو العذاب الأليم، فكيف بمن يساق إليهم بين يدي النذر والفواجع، ذلك شئ لا يمكن تصوره من الأهوال والشدائد التي أخفها وأهونها هو العذاب الأليم^(٦).

(١) عنصرية إسرائيل (ص ١٠) بتصرف - طلاس للدراسات والترجمة والنشر ط الأولى ١٩٨٨م.

(٢) المرجع السابق (ص ٢٣).

(٣) كتاب اليهود في الظلام (ص ٣٥)، د. أحمد شلبي أستاذ التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية كلية دار العلوم – جامعة القاهرة، الزهراء للإعلام العربي، حقوق الطبع محفوظة، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م، وانظر المزيد من أمثلة الاعتقال (ص ٣٦، ٣٧) من الكتاب.

(٤) تفسير القرآن بالقرآن مج (١/٤٢٣) بتصرف.

(٥) التفسير المنير مج (٣-١٨٣/٤) مرجع سابق.

(٦) تفسير القرآن بالقرآن مج (١/٤٢٤) ..

ثالثاً: منهج القرآن في التعامل مع الجريمة:
وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: بيان عقوبة الجريمة:

قال تعالى: وقال: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (آل عمران/٢١) وقال: [أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ
أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ] (آل عمران/٢٢).

وبناءً على ما سبق من النصوص القرآنية فإن اليهود بسبب جريمة قتل العلماء تعرضوا

إلى عقوبتين:

العقوبة الأولى: العذاب الأليم، المصحوب بالسخرية، قال تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾
(آل عمران الآية ٢١).

العقوبة الثانية: إحباط الأعمال، في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ
فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ (آل عمران/٢٢)، وذكر د. وهبة الزحيلي عقوبة ثالثة
في دوام العذاب، بقوله تعالى " وما لهم من ناصرين".

المسألة الثانية: كيفية التعامل مع الجريمة:

وعلى ضوء ما سبق من العقوبات يتضح للباحث أنها كانت تنزل متدرجة على النحو التالي:
الاستهزاء والسخرية منهم ومن أفعالهم لأنهم كانوا يظنون بقتلهم الأنبياء والعلماء سيتم القضاء
على الدين، ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (آل عمران الآية ٢١).

١- حبوط العمل في الدنيا والآخرة وهو نوع من السخرية والاستهزاء وزيادة في العذاب
النفسي ضدهم.

رابعاً: اللطائف البيانية.

١- دلت الآية على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كان واجباً في الأمم السابقة.

٢- ما قام به اليهود، دل على تكبرهم واحتقار علمائهم، فإذا كان هذا شأنهم مع علمائهم، فكيف
يكون حالهم مع غيرهم،؟؟!! وخصوصاً عملاؤهم.

٣- دلت الآية على أن القائم بالمعروف تلي منزلته في العظم منزلة الأنبياء^(١).

نتائج الفصل الثالث

١- تبين للباحث أن هناك علاقة تلازم بين صفات الكافرين من اليهود، والجرائم التي قاموا
بها، ويقومون بها، لأنها السبب وراء ذلك.

(١) البحر المحيط مج (١/٤٣٠) بتصرف.

- ٢- بيان الشخصية اليهودية العدوانية العنصرية، ليس ضد المسلمين فقط، وإنما ضد كل من هو ليس يهودي.
- ٣- تبين للباحث أنه لم يوجد مكان ولا زمان عاش فيه اليهود إلا ومارسوا الإجرام، دون وازع من دين ولا ضمير، لذا كانوا منبوذين من كل المجتمعات التي عاشوا بينها.
- ٤- كل الجرائم التي ارتكبتها اليهود كانت عن سبق إصرار، ولم يتبين للباحث في دراسته أن واحدة منها كانت عن طريق الخطأ.
- ٥- لقد شمل الإجرام اليهودي في القرآن معظم مناحي الحياة، ولا زال إجرامهم كذلك حتى عصرنا.
- ٦- لقد عاقب الله اليهود على جرائمهم العديد من العقوبات المختلفة والمتنوعة، حسب تنوع الجريمة التي وقعوا فيها.
- ٧- تبين للباحث أن هذه العقوبات كانت متدرجة ومتنوعة، باستثناء البعض منها، كالخسف والصعق مثلاً، فقد كانت دفعة واحدة.
- ٨- بعض الجرائم التي قام بها اليهود عاقبهم الله بأكثر من عقوبة، كجريمة إيذاء الأنبياء، ولعل السبب في ذلك أنها كانت مؤذية لله ورسوله ﷺ والمؤمنين.
- ٩- العقوبات التي نزلت باليهود في معظمها كانت ما بين اللوم والنعي والتوبيخ والتحقير والاستهزاء والإنكار، وذلك بهدف إصلاح نفوسهم وأحوالهم، لذلك كان باب التوبة مفتوحاً لهم.
- ١٠- إن العقوبات الشديدة والقاسية في حقهم، كاللعن والمسح إلى القردة، والصعق، وضرب الذلّة والمسكنة عليهم، ونزول الغضب الإلهي، كانت لمن استمروا في جرائمهم، ولم يرددوا عن العقوبات السابقة، فحكم الله عليهم بها، لاستحالة إصلاح نفوسهم الخبيثة.
- ١١- تبين للباحث أن العقوبات التي عاقب الله بها اليهود في مجملها، إذا قورنت بالجرائم التي قاموا بها، والضرر الذي ترتب على ذلك فإن تلك العقوبات قليلة، ولعل السبب في ذلك أن الله عاملهم برحمته وعفوه لا بعدله، أو لأنه لم يكن في زمانهم من يوحد الله غيرهم، ويريد الله ألا تخلوا الأرض ممن يوحد فيها.
- ١٢- لقد كانت آخر عقوبة نزلت ببني إسرائيل هي ضرب الذلّة والمسكنة وحلول الغضب الإلهي عليهم، وبعد ذلك قطعهم في الأرض أمماً وهم على تلك الحالة مشتتين في العالم أقلية.
- ١٣- إن وجود ما يسمى بدولة إسرائيل اليوم بقوتها المادية، لا يتنافى مع ما توصل إليه الباحث لأن هذه القوة بسبب مد حبل الناس لهم، هذا من جانب، ومن جانب آخر بسبب تقصير المسلمين وعدم القيام بواجبهم الشرعي تجاه فلسطين والمسجد الأقصى، في قطع ذلك الحبل الممدود لهم، وإعادة حياة الذلّة والمسكنة التي يجب أن تصاحب اليهود في حياتهم.

الفصل الرابع

منهج القرآن في استئصال جرائم اليهود من فلسطين

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: سنن الله في العقاب:

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: سنة التسليط.

المطلب الثاني: سنة التغيير والإستبدال.

المطلب الثالث: سنة الإهلاك.

المطلب الرابع: سنة الإستئصال والدمار.

المبحث الثاني: اليهود وفلسطين.

وفيه مطلب واحد: علاقة اليهود بفلسطين وعودتهم إليها.

وفيه فرعان:

الفرع الأول: علاقة اليهود بفلسطين.

الفرع الثاني: عودة اليهود إلى فلسطين.

المبحث الثالث: نهاية اليهود في فلسطين حقيقة قرآنية.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: بيان إفساد اليهود في سورة بني إسرائيل:

المطلب الثاني: عودة اليهود للجرائم في فلسطين.

المطلب الثالث: تطبيق سنن العقاب على اليهود.

المطلب الرابع: بيان منهج القرآن في استئصال جرائم اليهود.

الفصل الرابع

منهج القرآن في استئصال جرائم اليهود من فلسطين

جرت سنة الله، واقتضت حكمته في خلقه، أنه إذا أعطاهم نعمة من النعم لا يحرمهم منها أو يعذبهم، إلا إذا كفروا بها، أو غيروا ما بأنفسهم، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (الأنفال/ ٥٣)، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ (الرعد/ من الآية ١١)، وهذه السنن جرت قديماً على بني إسرائيل، بعدما حباهم الله تبارك وتعالى بنعم كثيرة، فليس في تاريخ البشرية في زمانهم أمة حظيت بنعم مثلهم، وليس ذلك لصلاحهم، وإنما لابتلائهم، لأنه لم يكن في ذلك الزمان من يوحد الله إلا القليل منهم، فبعد أن فضلهم الله على زمانهم، وآتاهم ما لم يؤت أحداً من العالمين، انحطوا إلى أسفل السافلين، وضربت عليهم الذلة والمسكنة وبأؤوا بغضب من الله، وقطعهم الله في الأرض أمماً، وكتب عليهم ذلك إلى يوم الدين، بإرسال عليهم من يسومهم سوء العذاب على يوم القيامة، بسبب جرائمهم، لأنهم زاغوا فأزاغ الله قلوبهم، وبدلوا نعمة الله كفروا، فأحلوا قومهم وملكهم دار البوار.

وإذا كان اليهود اليوم بعد أن قطع الله حبله عنهم، ومد لهم الناس حبلهم، فاغتصبوا أرض فلسطين وطرودوا أهلها منها، تحت ذريعة أنها أرض بلا شعب، لشعب بلا أرض، وأقاموا عليها دولتهم المسمّاة إسرائيل، فهذه الجريمة كفيفة وحدها إضافة إلى آلاف الجرائم التي ارتكبوها في فلسطين، من إهلاك للحرث والنسل والتمير، حتى وصلت إلى البهائم والطيور والحيوانات، لا بل حتى الأجنة في أرحام الأمهات، كل ذلك وغيره كفيلاً أن يكون سبباً في أن تجرى عليهم سنة الله التي جرت على أسلافهم، ويزول ملكهم كما زال سابقاً قال تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيَبُتُّوا مَا عَلَوُا تَتَّبِرَ أَعْسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُذْتُمْ عُنَدَنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾ (الإسراء/ ٨٠٧) وسواء كانت هذه الإفساد الأخيرة لهم، أو عادوا للفساد، فإن العودة لتتبير ما علوا بإذن الله تعالى قادمة، ﴿وَيَسْتَبِشُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلُّ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لِحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ (يونس/ ٥٣) ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلُّ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا﴾ (الإسراء/ من الآية ٥١).

المبحث الأول سنن الله في العقاب

وفيه المدخل وثلاث مطالب:

المدخل وفيه:

أولاً: السنة لغة:

قال ابن منظور: "وسنة الله: أحكامه وأمره ونهيه، وسنن الله سنة: أي بين طريقاً قويمًا، قال تعالى: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾ (الأحزاب/ من الآية ٣٨)، والسنة: السيرة، حسنة كانت أو قبيحة، قال تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةٌ الْأُولِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا﴾ (الكهف/ ٥٥)، وسننتها واستننتها: سرتها، وسننت لكم سنة فاتبعوها، (عَنْ الْمُنْذِرِ بْنِ جَرِيرٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي صَدْرِ النَّهَارِ قَالَ فَجَاءَهُ قَوْمٌ حُفَاةٌ عُرَاةٌ..... فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجُورِهِمْ شَيْءٌ وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ)^(١)، قال الراغب: " فالسنن جمع سنة، وسنة الوجه: طريقته، وسنة النبي ﷺ طريقته التي كان يتحرّاه، وسنة الله تعالى: قد تقال الطريقة حكمته وطريقه طاعته، نحو، ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ (الأحزاب/ ٦٢) ﴿لَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ (فاطر/ من الآية ٤٣)^(٢)، وقال ابن الكمال: السنة لغة: الطريقة، مرضية كانت أو لا^(٣).

ثانياً: السنة اصطلاحاً:

قال الميناوي: السنة بالضم، طريقة المصطفى التي كان يتحرّاه، وسنة الله طريقة حكمته وطريقة طاعته^(٤)، وقال محمد هيشور: السنن هي القوانين الإلهية الحاكمة في الواقع^(٥)،

(١) م - ك - الزكاة - ب - الحث على الصدقة ولو بشق تمر، (ج ٣ / ص ٨٦ رقم ٢٣٩٨)، لسان العرب مج (٢٢٢/٣) بتصرف.

(٢) المفردات (ص ٢٤٥) مرجع سابق.

(٣) التوقيف على مهمات التعاريف (ص ٤١٥)، مرجع سابق، وانظر التعريفات للرجباني (ص ١٢٢) مرجع سابق.

(٤) المرجع السابق (ص ٤١٥).

(٥) سلسلة الرسائل الجامعية (ص ٣٠)، المعهد العالمي للفكر الإسلامي - ط الأولى - ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م.

وعلى ضوء ما سبق يرى الباحث أن السنن: هي القوانين الثابتة التي تنظم حركة الكون، وفق الإرادة الإلهية.

ثالثا: أقسام سنن العقاب:

١- السنن العامة: وهي التي تتحدث عن قوانين الله بشكل عام، دون ذكر أحد من الناس أو أمة من الأمم، قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ ﴾ (هود/١١٧) وقال: ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاَهَا تَدْمِيرًا ﴾ (الإسراء/١٦)، وقال: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (الأنفال/٥٣).

٢- السنن الخاصة: وهي التي تتحدث عن شخص أو قوم بعينه، وتختلف العقوبة فيها حسب ارتكاب الجريمة قال تعالى: ﴿ فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِمْ مِنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ (سورة العنكبوت/٤٠)، من هذه السنن ما يخص بني إسرائيل، قال تعالى: [وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ] (الأعراف/١٦٧).

رابعا: سمات سنن العقاب:

١- ثابتة لا تتغير وإن تغير الزمان والمكان، والأقوام، قال تعالى: ﴿ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ (الأحزاب/٦٢).

٢- عادلة في حكمها، نافذة في عقوبتها، دون مجاملة لأحد، لأنها تنفذ الإرادة الإلهية، قال تعالى: ﴿ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ (البقرة/ من الآية ٥٧)، وقال سبحانه: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ ﴾ (الرعد/ من الآية ١١).

٣. تشتمل على العديد من العقوبات، قال تعالى: ﴿ فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِمْ مِنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ (العنكبوت/٤٠)، "فبحسب فساد الأمة وانحرافها، يكون الهلاك والتعذيب الذي قد يجئ صاعقة، أو غرقا، أو فيضانا، أو ريحا أو خسفا أو قططا، أو مجاعة

وارتفاعا في الأسعار، أو مرضا، أو جوعا، أو ظلما، وجورا واختلافا بين الناس، أو مسخا في الصور والأشكال كما فعل ببني إسرائيل، أو ضعفا في القلوب ووهنا في النفوس، كما هو حال الأمة الإسلامية^(١)، "عَنْ ثَوْبَانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُوْشِكُ الْأُمَّمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْآكَلَةُ إِلَى فَصْعَتِهَا فَقَالَ قَائِلٌ وَمِنْ قِلَّةِ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ قَالَ بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ وَلَكُمْ غُتَاءٌ كَغُتَاءِ السَّيْلِ وَلَيَنْزِعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمْ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ وَلَيَقْدِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْوَهْنُ قَالَ حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ^(٢)، ويأتي هذا التعدد في العقاب ليتناسب مع الجريمة التي يرتكبها المجرم وفي ذلك مطلق العدل الإلهي.

المطلب الأول: سنة التسليط:

قال تعالى: [وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لِيُبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَمُورٌ رَحِيمٌ] (الأعراف/١٦٧) [وَقَطَعْنَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَّمًا مِنْهُمْ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ] (الأعراف/١٦٨).

أولاً: التفسير الإجمالي:

هذه من السنن الخاصة ببني إسرائيل، والتي جرت وستجري على عليهم، قال د. صلاح الخالدي: "تخبرنا هاتان الآيتان عن سنة إلهية في تعذيب اليهود، وهذه السنة واقفة محققة لا محالة، ولن يفلت اليهود منها، ولن ينجيهم خبثهم ومكرهم منها، وهذه السنة مستمرة إلى يوم القيامة، وهذا يعني أنها ستحل بكيان اليهود المعاصر على أرض فلسطين^(٣)، قال الطبري: "واذكر يا محمد إذ أذن ربك وأعلم ليعتثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب، فهم في عذاب إلى يوم القيامة^(٤) قال سيد قطب رحمه الله: "فهو إذن الأبد الذي تحقق منذ صدوره، فبعث الله على اليهود في فترات من الزمان، من يسومهم سوء العذاب، طالما طغوا في الأرض وأفسدوا، جاءت الضربة ممن يسلمهم الله من عباده على هذه الفئة الباغية النكدة، الناكثة العاصية، التي لا تخرج من معصية إلبا وتقع في أخرى، ولا تثوب من انحراف حتى تجنح إلى غيره^(٥).

(١) سلسلة الرسائل الجامعية سنن القرآن في قيام الحضارات وسقوطها (ص ٢٢٧) مرجع سابق.

(٢) د - ك - الملاحم ب - في تداعي الأمم على الإسلام ج ٤/ص ١٨٤ رقم ٤٢٩٩ .

(٣) حقائق قرآنية حول القضية الفلسطينية (ص ١٣٧)، د. صلاح الخالدي، دار المستقبل.

(٤) جامع البيان مج (٦/١٠٢، ١٠٣) بتصرف، مرجع سابق .

(٥) الظلال مج (٣/١٣٨٦) مرجع سابق .

ثانيًا: الإعجاز البياني:

وفيه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: دلالة التعبير يظرف الزمان (إذ).

إذ، ظرف لما يستقبل من الزمان، تقديره واذكر يامحمد حين أعلم الله وأخبر عن سنة التسليط التي جرت على بني إسرائيل، وفي ذلك تسلية له ولأصحابه من جانب، وتهديد ووعيد لمن يعادونه من اليهود وغيرهم، قال أبو زهرة: "أذكر أيها النبي ذلك الوقت وتذكر أحداثه، واعتبر به في قومك وغيرهم، ممن عادوك وحاربوك، وتذكر تلك الأحداث التي حدثت مع بني إسرائيل، وخذ العبرة لمصير الذين يعادونك ويحرضون المشركين عليك^(١)."

المسألة الثانية: قوة التعبير في قول الله (تأذن).

قال ابن عاشور: "تأذن بزنة تفعل، الدالة على مطاوعة فعل، والمطاوعة مستعملة في معنى قوة حصول الفعل، والمعنى أعلم وأخبر ليعثن^(٢)"، بدليل التوكيد بلام القسم ونون التوكيد الثقيلة، وقال أبو زهرة: "أذنهم بقوة وشدة، فتأذن بمعنى أذن بشدة، ولشدة الإيذان والإعلام كانت متضمنة معنى القسم^(٣)"، وجاء التعبير بالفعل المضارع لاستحضار ذلك الإعلام في الأذهان، وبيان أهميته في تحديد مستقبل بني إسرائيل، واستمراره في تطبيق سنة التسليط عليهم.

المسألة الثالثة: أهمية القسم ونون التوكيد في قول الله (ليبعثن).

جاءت لام القسم ونون التوكيد تأكيدًا لتطبيق سنة التسليط على بني إسرائيل، فيكون المعنى: "واذكر حين أعلم الله مقسما أنه ليعثن على اليهود منذ أعلم، وحتى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب، وجاء فعل المضارع، يبعثن: لبيان استمرار هذه السنة، قال ابن عاشور: "إلى يوم القيامة، غاية لما في القسم من معنى الاستقبال، وهي غاية مقصود منها جعل أزمنة المستقبل كله ظرفًا للبعث، لإخراج ما بعد الغاية، وهو استعراق لأزمنة البعث، أي إن الله يسلط عليهم ذلك في خلال المستقبل كله^(٤)"، قال الشيخ عبد الكريم الخطيب: "والواو، واو القسم تأكيدًا لهذا الحكم الذي أوقعه الله عليهم، وجواب القسم، ليعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب، أي إن الله ﷻ حكم حكمًا قاطعًا، بأن يبعث عليهم من عباده، ويسلط

(١) زهرة التفاسير مج (٦/٢٩٩٣)، مج مرجع سابق .

(٢) التحرير والتنوير مج (٣/١٥٥)، مج مرجع سابق .

(٣) زهرة التفاسير مج (٦/٢٩٩٣)، مج مرجع سابق .

(٤) التحرير والتنوير مج (٣/١٥٥)، مج مرجع سابق .

عليهم من خلقه من يأخذهم بالعذاب الأليم والهوان والذلة، وذلك في أجيالهم المتعاقبة إلى يوم القيامة (١).

وأضاف الدكتور الخالدي: "والتلويح بالقسم هنا موجه بالدرجة الأولى لمسلمي هذا الزمان، الذين يعيشون فترة انتعاش مؤقتة لليهود على أرض فلسطين، وسلطان كبير مؤقت لليهود في العالم كله، فيظنون أن سنة الله في تعذيبهم، قد توقفت، ويشكون في مصداق هذه الآية، فجاءت هذه الجملة ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لِيُبَيِّنَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ﴾ فلوحت بالقسم حتى لا تتأثر قناعة المسلم الرباني المعاصر بتحقيق هذه السنة النافذة.

ويرى الباحث أن لفظ الفعل - يبعث - المؤكد بالقسم ونون التوكيد، يوحى وكأن هؤلاء المبعوثين المسلطين على اليهود كانوا في عداد الأموات، وهذا يعنى أنهم قد بعثوا بعدما ماتوا أو أوشكوا على الموت، وهذا هو حال الأمة اليوم في صراعها مع يهود، كأنهم أموات، سكنوا القبور، لا حراك لهم رغم كل ما يحدث للأمة، واليهود يصلولون ويجولون وهم يدركون هذه الحالة، التي لم يسبق أن عاشتها الأمة في صراعها مع يهود، وهذا يؤكد لنا أن البعث الرباني من جديد قادم ليتبر ما علا اليهود تنبيها بإذن الله.

المطلب الثاني: سنة التغيير الاستبدال:

قال تعالى: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (الأنفال/ ٥٣)، وقال سبحانه: ﴿ إِلَّا تَنْتَهُرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (التوبة/ ٣٩) وقال: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴾ (إبراهيم/ ٢٨)، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعْرَؤُ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (المائدة/ ٥٤).

أولاً: التفسير الإجمالي:

تبين هذه الآيات أن بداية التغيير من حال إلى حال، يأتي من داخل النفس البشرية التي تنتكر لنعم الله، أو تنمرد على أوامره، نتيجة ضعف فيها أو تكبر أو تعال، عند ذلك تجرى السنة الإلهية على هذا الفرد أو القوم، فتتحول النعمة إلى نقمة، ويحل عقاب الله وسخطه، بدل نعمته وإحسانه، وكما جرت سنته على الأحوال، فإنها تجرى على الأعيان، فيتم استبدالهم بقوم

(١) تفسير القرآن بالقرآن مج (٣/٥٠٩) مرجع سابق .

خير منهم، لأن الذين بدلوا لا يستحقون التكريم والتشريف بخلافة الأرض وعمارتهما بالخير، فيأتي الله بقوم لهم صفات^(١) يستحقون بها السيادة والريادة، قال سيد طنطاوي: "بيان لسنة من سننه في خلقه، وتعليل لتعذيب الكفار، ولسلب نعمه عنهم، وعن أشباههم من العصاة والجاحدين"^(٢)، وقال الشعراوي رحمه الله: "وطبقاً لهذا القانون الإلهي نجد أن تغير الناس من الإيمان إلى الكفر، لا بد أن يقابله تغير من نعمة الله عليهم، وإلا لأصبح منهج الله بلا قيمة"^(٣)، وأضاف سيد رحمه الله: "يقرر الله عدله في معاملة العباد فلا يسلبهم نعمة وهبهم إياها إلا بعد أن يغيروا نواياهم، ويبدلوا سلوكهم ويقلبوا أوضاعهم، ويستحقوا أن يغير الله ما بهم من النعمة التي لم يقدروها ولم يشكروها فيجعل التغير القدري في حياة الناس مبنياً على التغير الواقعي في قلوبهم ونواياهم وسلوكهم"^(٤)، ويقول الأستاذ محمد هيشور: "إن الله عز وجل لا يزيل ما بقوم من العافية والنعمة والرخاء والهناء، ويبدلها بالألام والأمراض والنوازل والفتن والأحداث، وغيرها من دروب العقاب الرباني، حتى يزيلوا هم ويغيروا فيجدون النعمة، ويعلمون الكفر والمعاصي، ويتمردون على سنن الله، ويظهرون الفحش والمنكر والفساد فتحل بهم قوارع الدهر، وينزل بساحتهم عذاب الله"^(٥).

ثانياً: الإعجاز البياني:

وفيه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: العلاقة بين فعل الشرط وجوابه وأثر حرف العطف (ف).

- ١- يرتد: فعل شرط فيه خطاب على وجه التحذير والوعيد، وفيه إعلام عن ارتداد بعض المسلمين، فهو إخبار بالغيب قبل وقوعه^(٦).
- ٢- فسوف يأتي: الفاء تعقيبية، وقعت في جواب الشرط، أفادت سرعة وحتمية التغيير والاستبدال، في أي زمان ومكان، وقعت فيه الردة، ومن أي قوم كانوا، والعلاقة بين فعل الشرط وجوابه علاقة تلازمية، إذا وقع الارتداد لزم الاستبدال.

المسألة الثانية: أهمية الإستفهام في قوله: (ألم تر).

- ٣- ألم تر: قال الشوكاني: "جاء الاستفهام للتعجب من حال الذين بدلوا نعمة الله كفرًا وعصوا ربهم"^(٧)، وأضاف الشعراوي: "كان من الواجب ألا يعصي العبد من أنعم عليه بكل النعم،

(١) انظر هذه الصفات (ص ٣٦٨) وما بعدها .

(٢) التفسير الوسيط مج (٦/١٧٠) مرجع سابق.

(٣) تفسير الشعراوي مج (٨/٤٧٥٩) مرجع سابق.

(٤) الظلال مج (٣/١٥٣٥) بتصرف، مرجع سابق.

(٥) سلسلة الرسائل العلمية (٣٠/٢٢٥) مرجع سابق.

(٦) التسهيل في علوم التنزيل مج (١/١٨٠) بتصرف.

(٧) فتح القدير مج (٣/١٣٠) بتصرف.

من بعد ما رأوا ما حل بمن قبلهم، وقد عرضه القرآن عليهم، عرض رؤية لأنه وقع فعلاً^(١)، ولقد عبر عنه بكلمة ترى لبيان صدق الوقوع، وكأنه رأى العين، تمت مشاهدته لإسماعه، قال الشعراوي: "فهذا يعني أن المخبر هو الحق، وإذا ما أخبرنا بشيء فهو أصدق من أن تراه أعيننا^(٢)."

المسألة الثالثة: كيف بدلوا نعمة الله كفراً؟

"وبدلوا من التبديل، بمعنى التغير والتحويل، والمراد به وضع الشيء في غير موضعه، ومقابلة نعم الله بالجحود وعدم الشكر^(٣)، ولبيان كيفية التغير الذي حدث فلا بد من توضيح التالي:

أ. لقد كانت قريش تعيش في حرم آمن، يجبي إليه ثمرات كل شيء، وكانت لهم رحلتان واحدة في الصيف وأخرى في الشتاء، لقد كانوا جوعاً فأطعمهم الله من جوع، وآمنهم من خوف، فلما كفروا بمحمد ﷺ، دعى الرسول عليهم قائلاً: (اللَّهُمَّ اشْدُدْ وَطَأَتَكَ عَلَى مُضَرَ وَاجْعَلْهَا عَلَيْهِمْ سِنِينَ كَسَنِي يُوسُفَ وَأَهْلَ الْمَشْرِقِ يَوْمَئِذٍ مِنْ مُضَرَ مُخَالِفُونَ لَهُ)^(٤)، فكفرهم بمحمد أحلوا قومهم دار البوار، فلكونهم كانوا السبب في التبديل، وكأنهم هم الذين بدلوها.

ب. بدلاً من أن يشكروا الله على نعمه ويؤمنوا بالرسول، بدلوا شكر نعمته كفرًا، لأنه لما وجب عليهم الشكر بسبب تلك النعمة أتوا بالكفر، فكأنهم غيروا الشكر إلى الكفر وبدلوه تبديلاً^(٥).

المطلب الثالث: سنة الإهلاك: (دمار جزئي)

قال تعالى: ﴿ كَذَابِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ ﴾ (الأنفال / ٥٤) وقال: ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَهُمْ رَسُولُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴾ (يونس / ١٣) وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴾ (الأنعام / ٦).

أولاً : التفسير الإجمالي:

تتحدث هذه الآيات في مجملها عن سنة الإهلاك التي جرت على الأمم السابقة فقلبت حالهم رأساً على عقب فأصبحت بيوتهم خاوية على عروشها، وذلك بسبب كفرهم بالله عز وجل، وفي هذه السنة تهديد لكفار قريش، الذين وقفوا موقف العداء من الرسول ودعوته، وكأنه يقول

(١) الشعراوي مج (١٢/٧٥١٨).

(٢) المرجع السابق مج (١٢/٧٥١٨).

(٣) التفسير الوسيط مج (٧/٦٧) .

(٤) خ - ك - الأذان - ب - يهوي بالأذان حين يسجد ، (ج/١ ص ٢٧٧، رقم ٧٧١) .

(٥) التفسير الكبير مج (١٩-٢٠/ج/١٢٣) بتصرف.

لهم، لقد جرت سنة الله على من هم أشد منكم قوة وبطشاً، فإذا استمر حالكم هذا على الوقوف في وجه الدعوة، والصد عن الإسلام فانظروا هلاككم، وهذا ما حدث معهم في بداية في غزوة بدر الكبرى، ونهاية بفتح مكة وتحطيم الأصنام، حيث دخل الناس جميعاً، في دين الله أفواجاً، وانتهى سلطان قريش على شبه الجزيرة إلى الأبد.

ثانياً: الإعجاز البياني:

وفيه خمس مسائل:

المسألة الأولى: أهمية الإستفهام في قوله: (ألم يروا).

١- ألم يروا: أفاد الاستفهام إنكار الحال التي كانوا عليها وتقرير الرؤيا، وفيه تهديد لكفار قريش^(١)، أن يصيبهم مثل ما أصاب من قبلهم على حال قوتهم وتمكينهم^(٢).

المسألة الثانية دلالة التعبير ب (كم).

٢- كم: أفادت التكثر^(٣)، والمعنى: ألم يعرف هؤلاء المكذبون المستهزون بمعابنة الآثار، وتواتر الأخبار، كم أمة أهلكنا من قبل خلقهم، كقوم نوح وعاد وثمود وثوم لوط^(٤)، " فهذه سنة الله ودأبه في الأمم السابقة واللاحقة، فاعتبروا بمن قص الله عليكم نبأهم^(٥).

المسألة الثالثة: أهمية القسم والتوكيد في قوله: (ولقد).

٣- ولقد أهلكنا: الواو للقسم، واللام للتوكيد، وقد توكيد ثاني، وجاء القسم والتوكيدان لأهلكنا تهديداً لكفار قريش لعلمهم يرجعون، قال الشوكاني: "والخطاب لأهل مكة على طريق الالتفات للمبالغة في الزجر، ولما ظرف لأهلكنا والمعنى: أي أهلكناهم حين فعلوا الظلم بالتكذيب والتطاول في المعاصي^(٦)، من غير تأخير لإهلاكهم، كما أخرنا إهلاككم.

المسألة الرابعة: أهمية النفي والتوكيد في قوله: (وما كانوا ليؤمنوا).

٤- وما كانوا ليؤمنوا: ما لنفي الإيمان عنهم، "واللّام لتأكيد النفي، أي وما صح لهم وما استقام أن يؤمنوا لعدم استعدادهم لذلك^(٧)، وأضاف النسفي، يعنى أن السبب في إهلاكهم تكذيبهم للرسول، وعلم الله ألا فائدة في إمهالهم بعد أن ألزموا الحجة ببعثة الرسل^(٨)، فكان الهلاك،

(١) إرشاد العقل السليم م (١٢٤/١) بتصرف.

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل مج (١/٢٦٢).

(٣) المرجع السابق مج (٢/١٢٤)، وانظر روح المعاني مج (٤/٤٩٣).

(٤) روح المعاني مج (٤/١٩٤).

(٥) تفسير الكريم الرحمن (ص٢١٣).

(٦) فتح القدير مج (٢/٥٢٠، ٥١٩)، وانظر إرشاد العقل السليم مج (٢/٤٧٤).

(٧) فتح القدير مج (٢/٥٢٠) بتصرف.

(٨) النسفي مج (١-٢/٢٠٥)، وانظر الكشاف مج (١/٢٨٨) مرجع سابق.

لأن الله قد علم منهم أنهم يصرون على كفرهم وأن الإيمان مستبعد منهم، فأهلكهم الله بسبب كفرهم^(١).

المسألة الخامسة: قوة التعبير في قول الله: (كذلك نجزي المجرمين).

٥- كذلك نجزي المجرمين: هذا تهديد آخر لكفار قريش، والمعنى سنهلككم يا قريش ونذهب ملككم مثلما أهلكنا الأمم السابقة عليكم، "فإياكم أن تسول لكم أنفسكم أن تظلوا على عداوتكم لمحمد ﷺ، لأنكم لن تنالوا منه شيئاً، وسيتم الله نوره، فلستم بدعا عن سابق الخلق"^(٢)، قال الطبري: "كم أهلكنا هذه القرون من قبلكم أيها المشركون بظلمهم أنفسهم وتكذيبهم وسلبهم وردهم نصيحتهم، كذلك افعل بكم فأهلككم كما أهلكتم، بتكذيبكم رسولكم، فظلمتم أنفسكم بشرككم بربكم، إن أنتم لم تتيبوا وتتوبوا إلى الله من شرككم"^(٣)، "وفي ذلك وعيد شديد وتهديد أكيد لأهل مكة، لاشتراكهم مع أولئك المهلكين في الظلم والتكذيب و التمادي في الغي الضلال"^(٤).

المطلب الرابع: سنة الاستئصال والدمار: (دمار كلي).

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاَهَا تَدْمِيرًا ﴾ (الإسراء/ ١٦)، وقال تعالى: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذُنُوبِهِمْ فَسَوَّاهَا ﴾ (الشمس/ ١٤)، وقال سبحانه: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ ﴾ (القمر/ ٣١).

أولاً: التفسير الإجمالي:

هذه سنة الثالثة من سنن العقوبات، يتضح أنها خاضعة لإرادة الله عز وجل، ومتعلقة بالجرائم التي يرتكبها الناس، سواء كانوا أكابر أم العامة منهم، لأنهم أمروا بطاعة الله، لكنهم لسبب أو لآخر تمرّدوا على أوامر الله، فتحققت فيهم إرادة الله فاستأصلها ودمرها، قال تعالى: ﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴾ (الأنبياء/ ١١)، قال الطبري: "أمرنا: أمر فيها بالطاعة ففسقوا فيها بمعصيتهم لله وخلافهم أمره، سلطنا أشرارها فعصوا فيها، فإذا فعلوا ذلك أهلكتهم بالعذاب"^(٥)، وقال أبو السعود: "إذا دنا وقت تعلق إرادتنا بإهلاك قرية أن نعذب أهلها، بما ذكرنا من عذاب الاستئصال الذي بينا أنه واقع بهم، أمرنا متنعميها وجباريها وملوكها، ففسقوا فيها وخرجوا عن الطاعة وتمردوا، فثبت وتحقق حلول العذاب، إثر ما ظهر

(١) الكشاف مج (٢٢٨/٢) بتصرف.

(٢) الشعراوي مج (٥٧٨٣/٩) مرجع سابق بتصرف.

(٣) جامع البيان مج (٥٣٩،٥٣٨/٦).

(٤) إرشاد العقل السليم مج (٤٧٤/٢).

(٥) المرجع السابق مج (٥١/٨) بتصرف.

منهم من الفسق والطغيان فدمرناها تدميراً" (١)، وأضاف البغوي: "خربناها وأهلكنا من فيها" (٢)، وقال محمد هيشور: "هلاك استئصال وإيادة، كما فعل بقوم نوح وعاد وثمود، وقوم شعيب وأصحاب الحجر وقوم لوط، وغيرهم كثير مما ذكر في القرآن" (٣).

ثالثاً: الإعجاز البياني:

وفيه خمس مسائل:

المسألة الأولى: معنى الإرادة في قول الله: (أردنا).

أردنا: قال الألوسي: " ليس المراد الإرادة الأزلية، وإنما إذا دنا وقت تعلق إرادتنا بإهلاكها أن نعذب أهلها، بما ذكر من عذاب مترفيها، أمرناهم بالطاعة ففسقوا فيها فتحققت فيهم إرادة الله بتدميرهم" (٤)، وأضاف الشنقيطي: " والمعنى أمرنا مترفيها بطاعة الله وتوحيده وتصديق رسله، وإتباعهم فيما جاءوا به ففسقوا أي خرجوا عن طاعة أمر ربهم، وعصوه وكذبوا رسله، فحق عليها القول، أي وجب عليها الوعيد فدمرناها تدميراً، أي أهلكناها إهلاكاً مستأصلاً" (٥)، والآيات في مواطن أخرى تؤكد مواقف هؤلاء الذين حق عليهم الدمار والاستئصال، قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّبِيٍّ إِنَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ ﴾ (الأعراف/ ٩٤)، وقال: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِنَّا قَالُمْ مَثْرُفُوها إِنَّا بِمَا أَرْسَلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴾ (سبأ/ ٣٤)، وقال: ﴿ وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ اتَّفِقُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (الأعراف/ ٢٨).

المسألة الثانية: أهمية التنكير في قول الله: (قرية).

قرية: نكرة جاءت للتحقير والتكثير، ولبيان أن سنة الله عامة وعادلة لا تحابي أحداً.

المسألة الثالثة: معنى الأمر في قول الله: (أمرنا).

أمرنا: ليس المعنى أمرناهم بالفسق، لأن الله لا يأمر بالفحشاء، وإنما في الآية تقدير، والمعنى أمرناهم بالطاعات ففعلوا الفواحش فاستحقوا العقوبة (٦)، ونظيره في القرآن كثير: قال تعالى: ﴿ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ (البقرة/ من الآية ١٨٤)، والتقدير ﴿ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ - فافطر - فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ (البقرة/ من الآية ١٨٤).

(١) إرشاد العقل السليم مج (٣/٣١٧) بتصرف.

(٢) معالم التنزيل في التفسير مج (٣/٢٨٥).

(٣) سنن القرآن في قيام الحضارات وسقوطها (٣٠/٢٧١) مرجع سابق.

(٤) روح المعاني مج (٨/٤٢، ٤٣).

(٥) أضواء البيان مج (٣/٤٤١) وانظر البحر المحيط مج (٦/١٥).

(٦) راجع تفسير القرآن العظيم مج (٣/٣٢).

المسألة الرابعة: دلالة التعبير في قوله: (مترفيها).

مترفيها: وهم المنعمون والكبراء والأمراء، والخطاب عام، لكن القرآن خصهم بالذكر مع توجه الأمر إلى الكل، لأنهم أئمة الفسق ورؤساء الضلال، وما وقع من سواهم باتباعهم، ولأن توجه الأمر إليهم أكد^(١)، ولأنهم وحدهم باستطاعتهم أن يعودوا بقومهم وقراهم إلى الحق ويكفوا عن الفساد والكفر بما لديهم من سلطان وإرادة عليهم، وقال سيد رحمه الله: " والمترفون في كل أمة هم طبقة الكبراء الناعمين الذين يجدون المال والخدم والراحة فيتعمون بالذعة والراحة والسيادة، حتى تترهل نفوسهم وتأسن، وترتع في الفسق، وتستهنر بالقيم والمقدسات، وتلغ في الأعراض والحرمات، لذلك إذا لم يجدوا من يضرب على أيديهم عاثوا في الأرض فساداً، ونشروا الفاحشة في الأمة وأشاعوها، وارخصوا القيم العليا التي لا تعيش الأمم إلاّ بها ولها"^(٢).

المسألة الخامسة: قوة التعبير في (دمرناها تدميراً، دمدم).

١- دمرناها تدميراً: قال ابن منظور: "الدمار: الاستئصال والهلاك"^(٣)، "وجاء المصدر تدميراً للمبالغة في شدة العذاب وتأكيده"^(٤)، وأضاف الشنقيطي: "أهلكناها إهلاكاً مستأصلاً"^(٥) وقال ابن حيان: "والتدمير: الإهلاك مع طمس الأثر وهدم البناء وفي ذلك تهديد ووعيد لمشركي مكة"^(٦)، وقال البقاعي: "أهلكناها إهلاكاً شديداً، بغتة غير مباليين بها، وكان أمرها على عظمتها هيناً"^(٧).

٢- دمدم: قال الراغب: "أهلكهم وأزعجهم وقيل الدمدم حكاية صوت الهرة، ومنه دمدم فلان في كلامه، ودمدمت الثوب: طليته بصبغ ما"^(٨)، والمعنى بيان تغيير حالهم وصورتهم إلى حال أخرى، بحيث تختفي معالم الحياة السابقة، كما يتغير لون الثوب إذا صبغ بلون جديد، وقال أبو حيان: "دمدم عليه القبر: أطبقه، وقال مؤرج: الدمدمة إهلاك باستئصال"^(٩) ودمدمت الشيء: ألزقته بالأرض وطحطحته^(١٠)، قال سيد رحمه الله: "والدمدمة الغضب

(١) روح المعاني مج (٨/٤٣١).

(٢) الظلال مج (٤/٢٢١٧).

(٣) لسان العرب مج (٢/١٠١١).

(٤) راجع القرطبي مج (٥/٥٧٢) بتصريف، وانظر أضواء البيان مج (٣/٤٤١).

(٥) أضواء البيان مج (٣/٤٤١) مرجع سابق.

(٦) البحر المحيط مج (٦/١٨)، وانظر روح المعاني مج (٨/٤٤).

(٧) نظم الدرر مج (٤/٣٧٠) مرجع سابق.

(٨) المفردات في غريب القرآن (ص ١٧١).

(٩) البحر المحيط مج (٨/٤٧٢).

(١٠) الصحاح في اللغة والعلوم (ص ٣٢٤) — نديم مرعشلي، وأسامة مرعشلي، تقديد العلامة الشيخ عبد الله العلايلي — دار الحضارة العربية — بيروت — ط ١٩٧٥، وطحطحته: وطحطحا: إذا بدهم، وطحطحت الشيء: كسرتة وفرقتة، المختار الصحاح (ص ٦٦٣٠).

وما يتبعه من تنكيل، واللفظ ذاته يوحى بما وراءه وصور معناه بجرسه، ويكاد يرسم مشهداً مروعاً مخيفاً وقد سوى الله أرضهم عاليها سافلها وهو المشهد الذي يرتسم بعد الدمار العنيف الشديد" (١)، ولعل آثار الزلازل والأعاصير والفيضانات التي تنقلها لنا وسائل الإعلام في العصر الحديث يقرب لنا المعنى، فما حدث في مدينة الأصنام الجزائرية، وما خلفه إعصار تسونامي وغير ذلك من الزلازل، خير دليل على ذلك فهل من مدكر؟ فاعتبروا يا أولى الألباب، ولعل قوله تعالى في حق اليهود، [وَلْيُنَبِّرُوا مَا عَلُوا تُثْبِيرًا] (الإسراء/٧) يكرر تلك المشاهد، يوم أن نرى عباد الله يتبرأوا علواً ما يسمى بدولة إسرائيل تتبيراً، وقد تحطمت قوتها المادية والعسكرية، وأصبحت هشيماً تذروه الرياح وإن غداً لناظره قريب.

(١) الظلال مج (٦/٣٩١٩).

المبحث الثاني

اليهود وفلسطين

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: علاقة اليهود بفلسطين وعودتهم إليها:

وفيه فرعان:

الفرع الأول: علاقة اليهود بفلسطين:

يحاول الباحث استعراض آيات القرآن الكريم، التي لها علاقة ببني إسرائيل، ويلاحظ أن الآيات التي تتحدث عن علاقتهم بفلسطين، محدودة ومحصورة، ولعل ذلك لبيان قصر عمرهم فيها، لأنهم كانوا ولا زالوا دخلاء عليها، خصوصاً في هذا الزمان، من ذلك قوله تعالى على لسان موسى عليه السلام لقومه ﴿ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَ نَدْخُلُهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخْفَوْنَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَنَ نَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَادْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَيَّهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ (المائدة/ ٢١ - ٢٦)، وقد رفضوا دخولها، فانقلبوا على أديبارهم خاسرين، فعاقبهم الله بالتيه فيها أربعين عاماً، وسبق الحديث عنها ^(١)، وقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ ﴾ (البقرة/ من الآية ٢٤٩)، حيث قتل داوود جالوت، وكان أول ملك لهم فيها، وقد سبق الحديث عن ذلك أيضاً ^(٢)، إلى آيات سورة الإسراء، قال تعالى: ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوقًا كَبِيرًا ﴾ ^(٣) (الإسراء/ ٤) وقوله من نفس السورة ﴿ وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴾ ^(٤) (الإسراء/ ١٠٤)، وقال تعالى: ﴿ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَخْتَصِمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكَلَّمْنَا آتِينَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ

(١) انظر (ص ٨٤) وما بعدها.

(٢) انظر (ص ٤٦) وما بعدها.

(٣) انظر رأي الباحث في الإفساد الثانية (ص ٣٤٥) وما بعدها.

(٤) انظر (ص ٣٢٨).

لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا
وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ [(الأنبياء/٧٨، ٨١).

الفرع الثاني: عودتهم إلى فلسطين بعد الشتات:

﴿ وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴾ (الإسراء/ ١٠٤).

أولاً: التفسير الإجمالي:

إن الآيات السابقة فيها إشارات وتلميحات، إلى عودة بني إسرائيل إلى أرض فلسطين، بعدما عاقبهم الله، وقطعهم وشتتهم في الأرض أمماً، قال تعالى: ﴿ وَقَطَعْنَا هُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَّاماً مِنْهُمْ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ (الأعراف/ ١٦٨) وأما عودتهم إلى فلسطين فقد قال تعالى: ﴿ وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴾ (الإسراء/ ١٠٤)، فاقتضت حكمة الله بعد ذلك أن يأتي بهم جماعات جماعات، ليتحقق فيهم وعد الآخرة.

ثانياً: أقوال المفسرين:

وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: أقوال المفسرين القدامى:

معظمهم يتحدثون عن يوم القيامة، قال الطبري " فإذا جاءت الساعة، وهي وعد الآخرة جئنا بكم لفيفا، يقول حشرناكم من قبوركم إلى موقف القيامة مختلطين، قد التف بعضكم على بعض لا تتعارفون، ولا ينحاز أحد منكم إلى قبيلته وحيه^(١)، وأضاف أبو السعود " ونميز عدائكم من أشقيائكم^(٢)، وقال الرازي: إنما يريد القيامة، جئنا بكم لفيفا من ها هنا، وها هنا، واللفيف الجمع العظيم، أخلاق شتى، من الشريف والذليل، والمطيع والعاصي، والقوى والضعيف، وكل شيء خلطته بشيء، فقد لفته^(٣).

١- قال الطبري: لفتت الجيوش: إذا ضربت بعضها ببعض، فاختلف الجميع، وكذلك كل شيء خلط بشيء فقد لف به^(٤)، وقال أبو السعود: فإذا جاء وعد الآخرة: الكرة الآخرة أو الحياة أو الساعة أو الدار الآخرة، أي يوم القيامة ولفيفاً: مختلطين إياكم وإياهم ثم نحكم بينكم ونميز سعدائكم من أشقيائكم، واللفيف الجماعات من قبائل شتى^(٥).

(١) جامع البيان مج (١٦٠/٨) مرجع سابق.

(٢) إرشاد العقل السليم مج (٣٥٦/٣).

(٣) التفسير الكبير مج (٢١-٢٢/ج ١/٦٦).

(٤) جامع البيان مج (١٦٠/٨) مرجع سابق.

(٥) إرشاد العقل السليم مج (٣٥٦٩/٣) مرجع سابق.

المسألة الثانية: أقوال المحدثين من العلماء:

ذهب المفسرون من العصر الحديث بعيدًا جدًا عن آراء المفسرين القدامى، وربطوا هذه الآية بأول السورة، وتحديدًا بالإفسادتين، الأولى والثانية، من هؤلاء الشيخ الشعراوي رحمه الله، يلخص الباحث رأيه في النقاط التالية:

أ. الأرض في هذه الآية مجردة عن الوصف، وهذا يعنى أن المقصود بها كل الأرض، لينسجم مع آيات القرآن التي حكمت عليهم بالتفرق في جميع أنحاءها، بحيث لا يكون لهم وطن يجتمعون فيه، قال تعالى: ﴿ وَقَطَعْنَا هُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَّمًا ﴾ (الأعراف/من الآية ١٦٨) وهكذا كان حالهم قبل اغتصابهم لأرض فلسطين.

ب. المراد بوعد الآخرة هو الإفساد الثاني، الذي نحن بصددده الآن، حيث سيتجمع اليهود في فلسطين، لتحقيق وعد الله فيهم، وإلا كيف سيتحقق هذا الوعد وهم متفرقون في أصقاع الأرض، لذلك فقد اجتمعوا في فلسطين، ليسهل على المسلمين القضاء عليهم^(١)، وأضاف فالحق سبحانه حين يريد أن يضربهم الضربة الإيمانية القاضية من جنود موصوفين أنهم، عبادًا لنا، يبين لنا أن هذه الكرة لا تكون وهم مفرقون مبعثرون في كل أنحاء العالم، لأننا لا نستطيع أن نحارب في العالم كله، لذلك ففكرة التجمع لهم والوطن القومي، الذي نادي بها بلفور وأيدتها الدول الكبرى المساندة لليهود، علينا أن نستفيد منها لأنها تسهل علينا حصرهم وتتبعهم، وتمكننا من القضاء عليهم نهائيًا ليتحقق فيهم وعد الله^(٢)، وأما الأستاذ سعيد حوي رحمه الله فقال: إننا نرجح أن التفسير الصحيح لقوله تعالى: وقلنا من بعده، أي من بعد موسى لبنى إسرائيل اسكنوا في الأرض، كل الأرض متفرقين، فإذا جاء وعد الآخرة جننا بكم جميعًا إلى فلسطين، وإن هذا النص يحدد أن هذه هي الإفسادة الثانية لهم والآخرة بعد تفرقهم في الأرض كلها^(٣).

أقوال الأستاذ سعيد حوي رحمه الله، وتتمثل في التالي:

١- ربط بين عودة اليهود إلى فلسطين، في قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴾ (الإسراء/ من الآية ١٠٤) وبين ما اعتبره الإفسادة الثانية في قوله: ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لَيْسُوا وَاجِبُونَ لِيَوْمِ تَحْشُرُهُمْ فِي الْأَرْضِ الْأَعْيُنُ ﴾ (الإسراء/ من الآية ٧) وأضاف قائلاً: " فهل الإفسادة الثانية هي ما نراه الآن؟ إذ لهم دولة وسلطان، وإفساد وطغيان يمكن أن نفهم هذه المسألة كذلك، إذ كان قوله تعالى: (فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ

(١) تفسير الشعراوي مج (١٤/٨٧٨٧-٨٧٨٨) بتصرف.

(٢) المرجع السابق مج (١٤/٨٣٦٨) مرجع سابق.

(٣) الأساس في التفسير مج (٦/٣٠٤٤) بتصرف.

نَفِيًّا ﴿ (الإسراء/من الآية ١٠٤) إذا كانت الآخرة هنا تفيد المرة الآخرة، وإذا كانت الأرض في الآية المراد بها عموم الأرض وليست أرض فلسطين من باب ﴿ وَقَطَعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَّمًا ﴾ (الأعراف/من الآية ١٦٨)، وعليه يكون معنى الآيتين إذا تم جمعهما، وقلنا من بعد موسى لبني إسرائيل اسكنوا الأرض كلها متفرقين، فإذا جاء وعد الإفسادة الثانية، جئنا بكم إلى أرض فلسطين وعندئذ نسلط عليكم، من سلطانهم عليكم من قبل^(١).

وعلى ضوء ما سبق من أقوال بعض العلماء المعاصرين، تبين فيما سبق أن اليهود تعرضوا للعديد من العقوبات بسبب جرائمهم التي ارتكبوها، وكان من آخرها ضرب الذلة والمسكنة، والغضب الإلهي الذي حل بهم أينما تقفوا، وأما آخرها فكان تفرقهم في الأرض أُمَّمًا، قال تعالى: ﴿ وَقَطَعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَّمًا مِنْهُمْ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ (الأعراف/١٦٨)، وبذلك تفرقوا في جميع أنحاء الأرض، فتنقطع الروابط فيما بينهم، وعاشوا أذلاء مغضوب عليهم، ليس لهم ملك ولا وطن يجمعهم، ولولا حبل الناس الذي مد إليهم من الغرب، خصوصاً بريطانيا لما عادوا إلى فلسطين، ومع ذلك عادوا وهم على تلك الحالة فما هي مقومات وجودهم في فلسطين؟.

المطلب الثاني: مقومات وجود اليهود في فلسطين.

وفيه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: القرآن الكريم: (حبل الناس الممدود لهم).

قال تعالى: ﴿ وَقَطَعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَّمًا مِنْهُمْ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الأعراف/١٦٨] [ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الدَّلَّةُ أَيْنَ مَا تُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلِ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلِ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ] (آل عمران/١١٢)، فالآيات تشير أن القرآن الكريم بين ألاً وطن لهم يستقرون فيه، لا فلسطين ولا غيرها، إنما سنة الله أن يبقوا مشتتين في العالم، وأما حبل الله المشار في الآية السابقة، فقد انقطع عنهم بسبب جرائمهم، وبقي حبل الناس الذي يمد لهم الآن، لذلك فوجودهم ضمن حبل الناس مؤقت طارئ يعتمدون عليه، وسوف يقطع عاجلاً أم آجلاً.

المسألة الثانية: الأرض والتاريخ:

ليست الأرض ملكاً لهم، وإن زعموا أنها بلا شعب، قد وهبها الرب لشعب بلا أرض، وهم بادعائهم هذا يعترفون أنهم ليسوا أصحاب الأرض، ففلسطين تاريخياً للعرب، سكنها العمالقة والجبارة الكنعانيون، قبل اليهود بألاف السنين، ووجودهم اليوم فيها بين الأمة العربية

(١) الأساس في التفسير مج (٦/٣٠٣٩، ٣٠٤٠).

والإسلامية، يشعروهم بالخوف والقلق الدائم، لأنهم محاطون بهم من كل جانب، وهذا يعني أنهم غرباء ومنبوذون.

المسألة الثالثة البعد الاجتماعي لليهود:

إن معظم اليهود الموجودين في فلسطين اليوم، ليس لهم أصل يجمعهم، ولا دين يشفع لهم، ولا نسباً ينتمون إليه، بعدما تنكروا لتعاليم التوراة وحرفوها، وإنما هم من أعراق شتى، ومن أنساب متعددة، لأن أصلهم من يهود الخزر كما سبق بيانه، لكنهم يعتمدون على تواجدهم في فلسطين على شيئين اثنين:

١- حبل الناس الذي تحدث عنه القرآن الكريم، وهو الممتد إليهم الآن، ولولاه لما بقى اليهود في أرض فلسطين لحظة واحدة.

٢- الكذب والخداع، وذلك من خلال إقناع بعضهم البعض، وإقناع العملاء من حولهم، من العرب والمسلمين بالأمور التالية:

أ. إنهم أقوى قوة في الشرق الأوسط، بدليل أنهم انتصروا على العرب في كل معاركهم.

ب. إن أمريكا والعالم الأوروبي يقف معهم، ويمدهم بكل ما يحتاجون، وعليه لا يستطيع العرب مواجهتهم.

ت. إن العرب ضعفاء مشتتون متفرقون، ودولة الإحتلال من خلال قوتها تستطيع أن تضرب من تشاء، في الزمان والمكان الذي تختار، وهذا ما حدث عندما قامت الطائرات الإسرائيلية بقصف حمامات الشط التابعة للمنظمة في تونس، والمفاعل النووي العراقي، والعديد من المناطق في سوريا، وفي عام ١٩٨٢م وصلت قواتها إلى العاصمة اللبنانية بيروت، والعرب لا يملكون إلا الشجب والاستنكار، والبعض منهم كان يكتفي بقوله إنه سيحتفظ بالرد لنفسه متى شاء على الاعتداءات الإسرائيلية!!.

وبناء على ما سبق فإن اليهود لا يملكون أي مقوم ذاتي في فلسطين، لأن وجودهم اليوم فيها طارئ وسينتهي، مهما أقنعوا العرب والمسلمين، أنهم القوة الوحيدة التي لا تقهر في المشرق العربي، وأما المسلمون فهم ضعفاء ولن يستطيعوا تحرير فلسطين.

قال الدكتور صلاح الخالدي: "إن اليهود اليوم يريدون إقناع الأمة بأن قوتهم وانتصارهم سيبقى إلى الأبد، وأن ضعف المسلمين وهزيمتهم أمام يهود ستبقى كذلك، لا يمكن

أن يتغيروا وأن كل كلام غير هذا إنما هو نوع من الخيال والضلال والأوهام والأحلام^(١)، لذلك فليس أمام العرب إلا الرضي بالواقع والتعامل معه والاعتراف باليهود والتعايش معهم باسم الواقعية وتحكيم العقل، من خلال عقد اتفاقيات تجعل هذه الدول شرطياً أميناً لحماية الحدود معهم، ومنع أي عمل جهادي ضدهم، وهذا يعتبر أيضاً من ضمن حبل الناس الممدود إليهم الآن، فمتى سيقطع هذا الحبل؟ ومن الذي سيقطعه؟.

ثالثاً: الإعجاز البياني:

وفيه ثلاثة مسائل:

المسألة الأولى: دلالة التعبير ب (اسكن)^(٢):

وعلى ضوء ما سبق من معنى السكون في اللغة، جاء التعبير القرآني دقيقاً، ليصف الحال التي كان عليها اليهود أثناء تقطيعهم أمماً، مشتتين قلقين، لأنهم استوطنوا في بقاع الأرض، فالسكون هو عدم الحركة عما من شأنه أن يتحرك^(٣)، فسكونهم كان بسبب حياة النذل والمسكنة التي ضربت عليهم، وفي ذلك انتظار لتحقيق وعد الآخرة فيهم، وأضاف الشعراوي معنى جميلاً، يبين فيه أن المقصود في الآية سكن جميع الأرض، وليس قطعة فيها فقال: " إذا قال لك واحد اسكن فلا بد أن يحدد لك مكاناً من الأرض تسكن فيه، لكنه عندما لم يحدد مكاناً معيناً، هذا يعني أن المقصود بالأرض في الآية الأرض جميعاً مشتتين متفرقين فيها، ينتظرون المجيء لفيلاً إلى فلسطين، لتتحقق فيهم الإفسادة الثانية، ومن ثم تحقيق وعدة الآخرين، فهم ينتقلون من وعد إلى وعد^(٤)."

المسألة الثانية حقيقة الأرض التي سكنوها بعد تشتتهم:

جاء التعبير القرآني لينسجم مع الآيات التي حكمت عليهم بالتفرق في جميع أنحاء الأرض، فلا يكون لهم وطن يتجمعون فيه، والواقع يؤيد هذا، حيث نراهم متفرقين في شتى البلاد^(٥)، فالأرض في الآية لا يقصد بها قطر معين، وإنما كل الأرض يعيشون فيها حتى يأتي وعد الإفسادة الآخرة التي يأتون فيها لفيلاً إلى فلسطين.

(١) الشخصية اليهودية (ص ٢٩٦) مرجع سابق.

(٢) السكون ثبوت الشيء بعد تحركه، ويستعمل في الاستيطان، يقال سكن فلان مكان كذا: أي استوطنه، واسم المكان مسكن، والجمع مساكن، قال تعالى: " لا ترى إلا مساكنهم، المفردات (ص ٢٣٦-٢٣٧).

(٣) التعريفات للجرجاني (ص ١٣٦).

(٤) الشعراوي مج (١٤/٨٧٨٨) مرجع سابق.

(٥) الشعراوي مج (١٤/٨٧٨٨).

المسألة الثالثة دلالة التعبير بقول الله (لفيفا)^(١):

وبناء على ما سبق من التعريفات: فإن معنى لفيفاً، أتينا بكم جماعات جماعات، من دون أن يكون لكم أصل، ولا عرق واحد، وهذا المعنى له العديد من الدلالات في هذا الزمان:

أ. إن اليهود قديماً كانوا أتباع إسرائيل، أما يهود اليوم فأكثرهم لا أصل له، ولا نسب يجمعهم، وإنما هم لفيف من أصول متعددة وأنساب مشتتة.

ب. إن هذا المعنى ينطبق عليهم اليوم، فها هي هجرتهم إلى فلسطين، تأتي على شكل جماعات جماعات، ليس لها أصل ولا دين واحد، ولم يسبق لهم عبر تاريخهم جاءوا إلى فلسطين بهذه الكيفية والكمية.

ت. إن هذا التعبير — لفيفا — فيه إخبار غيبي، إن جاز أن نسميه كذلك، وفيه دليل على صدق نبوة الرسول ﷺ .

ث. إن هذا الوصف لليهود لا ينطبق عليهم إلا في هذا الزمان فقط، وهذا التعبير القرآني يـصـور لنا لقطات ومشاهد حية لو كالة الهجرة اليهودية، وهي تطوف وتلف حول العالم لتعرض على اليهود العودة والقدوم إلى أرض الميعاد حسب زعمهم، فما أروع وأدق هذا اللفظ — لفيفاً — وكأنهم يلفون العرق الإنجليزي مع العرق السوداني والأثيوبي لليهود الفلاشا، مع الأعراق الأخرى ليشكلوا جماعة من الأنساب، ويخلطونهم ببعض، ليسمّوهم يهود، ويسكنونهم ما يسمى بدولة إسرائيل، وقد قدم الحاخام كلوزنر الذي كان مسئولاً عن النازحين من ديارهم، تقريراً في ٢ مايو ١٩٤٨م إلى المؤتمر اليهودي قال فيه "ينبغي إرغام الناس على الذهاب إلى فلسطين، ويستدعى تطبيق هذا البرنامج خلق أكبر قدر من المعاناة للأشخاص لينزحوا، وقد يستدعى الأمر في مرحلة تالية استدعاء الهاغاناة للتحرش باليهود"^(٢)!!، ولقد ترجم اليهود هذه العقيدة من الأقوال إلى الأفعال فبتاريخ ٢٢/١٠/١٩٤٠م منعوا السفينة اليهودية باتريا قبالة شاطئ حيفا، حيث قامت الوكالة اليهودية بنسفها بمن عليها من المهاجرين اليهود، الذين بلغ عددهم ألفاً وتسعمائة مهاجر، قتل منهم مائتان وأربعون، للحيلولة دون إعادتها من قبل السلطات البريطانية، وتوجيهها إلى جزر موريشيوسي، وزعمت الوكالة اليهودية يومها أن المهاجرين قاموا بعملية انتحار جماعية احتجاجاً على عدم السماح لهم

(١) لف لفاً وهو اللف، ولف الشيء يلف لفاً: جمعه، وجمع لفيف، مجتمع من كل مكان، واللفوف، الجماعات، وجاء القوم يلفتهم ولفيفهم: أي جماعتهم وأخلاقهم، واللفيف: القوم يجتمعون قبائل شتى ليس أصلهم واحد، لسان العرب مج (٥/٣٨١).

(٢) الصهيونية من بابل إلى بوش (ص ٣٤١).

بالدخول إلى فلسطين^(١)، حيث اعترف مونيوار دو ضابط الهاغانا بأنه قام بنفسه بتلغيم السفينة باتريا^(٢)!!، لذلك قبل وعد بلفور المشؤوم كان عدد اليهود في فلسطين لا يتجاوز المائة والخمسين يهودياً، ولقد اعترف السائح اليهودي بتاحيا، أنه زار القدس خلال القرن الثالث عشر للميلاد فلم يجد فيها سوى يهودي واحد!!، و زارها اليهودي موسى نجما جيروندى بعد سنتين، فلم يجد فيها سوى عائلتين يهوديتين، كما أن المجلس الشرعي في القدس أحصى اليهود عام ١٥٧٢م، فوجد في القدس مئة وخمسة عشر يهودياً، ولم يكن عددهم بعد ستة سنوات من هذا الإحصاء سوى مئة وخمسين يهودياً فقط عام ١٩٤٧م^(٣).

-
- (١) صامد الاقتصادي (ص ٩٥-٩٦) خليل السواحرة، السنة العشرون - العدد ١١٣ - تموز - آب - أيلول ١٩٨٨م، نقلا عن كتاب من هم الإرهابيون.
- (٢) مؤسسة الدراسات الفلسطينية (ص ١٢) بيروت ١٩٧٣م.
- (٣) انظر المفصل بتاريخ القدس لعارف المعارف (ص ٥٤٦) نقلًا عن كتاب دولة الباطل في فلسطين (ص ١٠٣) القاضي محمد سويد دار الكتاب العربي ط الثانية ١٤١٢-١٩٩٢ م .

المبحث الثالث

نهاية اليهود في فلسطين حقيقة قرآنية

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: بيان إفساد اليهود في سورة بني إسرائيل:

وفيه فرعان:

الفرع الأول: الإفساد الأولي:

قال تعالى: ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَيِّنَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴿ (الإسراء/ ٢-٧).

أولاً: التفسير الإجمالي:

أخبر الله ﷻ أنه قدر في اللوح المحفوظ، على بني إسرائيل بإفساديين عظيمتين، مع أن حياتهم مملوءة بالإفساد، فإذا حان موعد إفسادهم الأول، بعث عليهم قومًا متصفين بالقوة والشدة في الحرب، وذلك ليزيلوا إفسادهم، فكان ما قدره الله عليهم، لكنهم بعدما استقام حالهم وتابوا، أو فسد المبعوثون عليهم، وساءت أحوالهم، رد الله الكرة لبني إسرائيل عليهم، وأمددهم بالمال والبنين فأصبحوا أكثر قوة وشكيمة، فتغلبوا عليهم، وعاد لبني إسرائيل ملكهم، لكن الله حذرهم من مغبة الإفساد مرة ثانية، لأن سنة الله قضت أن المحسن يزدده الله إحسانًا، والمسيء لا يسيء إلا على نفسه، فإن لم تتعظوا يا بني إسرائيل وتشكروا، وعدتم للإفساد مرة أخرى، سلط الله عليكم من هزموهم في المرة الأولى، ليدمروكم ويهلكوكم هلاك استئصال، بحيث يظهر أثر ذلك على وجوهكم اليهود، ويحرر المسلمون المسجد الأقصى، مثلما حرروه أول مرة، وأخبر أن سنته جارية فيهم، فكلما عادوا للإفساد، أعاد الله عليهم سنته، لأنهم مغضوب عليهم وملعونون أينما تقفوا.

وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: أقوال المفسرين القدامى:

اختلف العلماء والمفسرون قديماً في طبيعة هذه الإفساده، لخص بن الجوزي البغدادي

رحمه الله في تفسيره أقوالهم على النحو التالي^(١):

أ- قال السدي عن أشياخه قتل زكريا عليه السلام، وأيده في ذلك الطبري^(٢).

ب- قال اسحق وغيره قتل شعيبا عليه السلام، وأيده البغوي في ذلك^(٣)، وهذا الرأي

أيده أبو السعود، وقال: مخالفة حكم التوراة، وحبس إرميأء حين أنذرهم

سخط الله^(٤)، وأضاف البغوي خالفوا أحكام التوراة وركبوا المحارم

وارتكبوا المعاصي^(٥).

المسألة الثانية: هوية المسلطين عليهم.

قال ابن الجوزي^(٦): اختلف العلماء في ذلك إلى خمسة أقوال، ومعظم المفسرين وافقوه

على ذلك الاختلاف:

- ١- عن ابن عباس قال: جالوت وجنوده، وبمثله قال الواحدي^(٧).
- ٢- قال سعيد ابن المسيب والبغوي وابن حيان، بختنصر وجنوده من البابليين^(٨).
- ٣- قال الحسن العمالق و كانوا كفاراً^(٩).
- ٤- سعيد بن جبير قال: "سنحاريب"^(١٠)، وأضاف البغوي عن سعيد بن جبير: "من أصل نينوى، فقتلوا كباركم، وسبوا صغاركم، وحرقوا التوراة، وخرّبوا المسجد"^(١١).

(١) زاد المسير مج (٧،٦/٥) بتصرف.

(٢) جامع البيان مج (٢١/٨).

(٣) معالم التنزيل في التفسير مج (٢٧٤/٣).

(٤) إرشاد العقل السليم مج (٣١٠/٣).

(٥) معالم التنزيل مج (٢٨٣/٣) وانظر فتح القدير مج (٢٥١/٣).

(٦) زاد المسير مج (٨/٥).

(٧) الوسيط في تفسير القرآن المجيد (٩٧/٣).

(٨) معالم التنزيل مج (٢٨١/٣).

(٩) زاد المسير مج (٨/٥) مرجع سابق.

(١٠) سنحاريب: ملك آشور (٧٠٥ - ٦٨١ ق.م، بن سرجون قضى أيام ملكه يحاول تثبيت دعائم

الإمبراطورية، استولى على صيدا وعسقلان، وهزم الجيوش المصرية (٧٠١) وإن لم يستول على أورشليم،

قاد حملات ناجحة في أملاك الإمبراطورية البابلية ودمر مدينة بابل (٦٨٩) قتل بيد أبنائه. الموسوعة

العربية الميسرة (ص ١٠٢٢) بإشراف محمد شفيق غربال، دار الشعب ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر.

(١١) أنوار التنزيل مج (٥٦٤/١) مرجع سابق.

٥- قال مجاهد: هم من قوم فارس^(١).

المسألة الثانية: أقوال المحدثين: وقد اختلفت أقوالهم على النحو التالي:

أقوال الشيخ الشعراوي:

يرى الشعراوي رحمه الله أن الإفسادة الأولى كانت على عهد الرسول ﷺ ، عندما نقضوا عهودهم معه، وحاولوا قتله، فجاس خلال ديارهم في المدينة المنورة، لبني قينقاع وبني قريظة ويهود خيبر، واستدل على رأيه هذا قائلًا:

١- معلوم أن — إذا — ظرف لما يستقبل من الزمان، فهذا دليل على أن أولى الإفسادتين لم تحدث بعد، فلا يستقيم القول بأن الفساد الأول جاء في قصة طالوت وجالوت، معترضًا بذلك على العلماء القدامى.

٢- إن المتأمل لسورة الإسراء، يجد أنها ربطت الإفسادتين بالإسلام، فيبدوا أن المراد بالمرتين أنهما في حضيض الإسلام.

٣- **بعثنا عليكم عبادا لنا** — لأن كلمة عباداً لا تطلق إلا على المؤمنين، أما جالوت الذي قتله طالوت وبختصر فهما كافرين، ورد على من زعم أن الكفار يُسمون عباداً لنا، مفرقاً بين عباداً، وعبيد، قائلًا: " كل الخلق مؤمنهم وكافرهم لهم اختيارات في أشياء، ومقهورون في أخرى، فهم جميعاً بذلك عبيد، لا يدخلون في مظلة العباد، إلا إذا تمايزوا فالذين يخرجون عن اختيارهم إلى اختيار ربهم، ويتنازلون عن اختيارهم وينفذون ما أمر الله، فهم بذلك عباد لله لأنهم سلموا جميع أمرهم لله، فليس لهم إرادة ولا اختيار أمام إرادة الله واختياره، بذلك اتضح الفرق بين المصطلحين، وعرفنا لماذا قال الله — **عبادا لنا** — !!!.

٤- **بعثنا** — والبعث يدل على الخير والرحمة، فرسول الله ﷺ لم يكن في حال اعتداء، بل في حال دفاع عن الإسلام، أمام من خانوا العهد ونقضوا الميثاق.

٥- **جاسوا** — تتبعوهم تتبعًا، بحيث لا يخفي عليهم أحد منهم، وهذا ما حدث مع يهود المدينة: بني قينقاع، وبني قريظة، وبني النضير، ويهود خيبر.

٦- **ثم** — حرف عطف يفيد الترتيب مع التراخي لأن بين الكرة الأولى التي كانت للمسلمين في عهد الرسول ﷺ وبين هذه الكرة لليهود، وقتًا طويلًا، فلم يحدث بيننا وبينهم حروب لعدة قرون، إلى أن حدث وعد بلفور الذي أعطى لهم الحق في قيام دولتهم في فلسطين وكانت كرتهم علينا ١٩٦٧^(٢).

(١) زاد المسير مج (٨/١) مرجع سابق.

(٢) انظر الشعراوي مج (٨٣٥٣/١٤، ٨٣٦١) بتصرف.

أقوال الدكتور صلاح الخالدي:

يرى أن الإفساد الأولى وقعت في بلاد الحجاز، تحديداً في المدينة المنورة، من خلال حربهم للرسول ﷺ منذ اليوم الأول لهجرته إليها، مروراً بنقضهم العهود والمواثيق، التي كانت بينه وبينهم، فبعد غزوة بدر حاصر يهود بني قينقاع، ثم أجلاهم عن المدينة، وبعد غزوة أحد حاصر يهود بني النضير، ثم أجلاهم عن المدينة، وبعد غزوة الأحزاب حاصر يهود بني قريظة، وقتل رجالهم وسبى نساءهم، وبعد صلح الحديبية، حاصر قلاع يهود في خيبر، وافتتحها وأقرهم على زراعة أرضهم ولهم النصف، ثم أجلاهم عمر ﷺ، وبعد غزوة تبوك، أخرج يهود فدك (١) وتيماء (٢) عن الحجاز إلى بلاد الشام، واعتمد الخالدي في رأيه هذا على الأدلة التالية:

١- إن أوصاف الذين أزالوا إفسادهم الأول تنطبق على الرسول وصحابته ولا تنطبق على بختنصر الوثني أو غيره.

٢- **كلمة بعثنا** - توحى بأن هؤلاء المبعوثين، إنما هم ستار لقدّر الله في تدمير اليهود، وإزالة إفسادهم، كذلك توحى برضى الله عنهم، وعن حربهم ضد يهود، واستدل على ذلك بآيات سورة الحشر.

٣- **بعثنا** - الفعل الماضي، المسند إلى الفاعل والمتصل بالضمير ورد في سياق المدح والثناء لأن المبعوثين كانوا صالحين وربانيين مع نبيهم وهذا كله لا ينطبق على المبعوثين السابقين.

٤- **عبادنا**: تشير إلى الرسول وصحابته، وأما السابقين فكانوا وثنيين أو كفرة والمرّة الأولى في التاريخ التي هزم فيها اليهود أمام المسلمين الربانيين كانت زمن الرسول ﷺ والصحابة.

٥- الفرق بين عباد، وعبيد:

يغلب على كلمة عباد، أنها تخص المؤمنين الصالحين، وكانت تطلق على الأنبياء وأتباعهم من المؤمنين، ويغلب على كلمة عبيد في القرآن، أنها تخص الكافرين، لذلك كلمة عباداً لنا أضافها إلى الله بلام الاختصاص - لنا - توحى بأن هؤلاء الذين يزيلون إفساد اليهود مؤمنون ربانيون، والضمير - لنا - يوحى بمزيد التكريم الرباني لهؤلاء المؤمنين، فهم عباد الله

(١) قرية بها نخيل وزروع، بينها وبين المدينة يومان، وحصنها يقال له الشمروخ بقرب خيبر وكان أهل فدك قد صالحوا الرسول ﷺ على النصف من ثمارها، في سنة ٦ هـ . الروض المعطار في خير الأقطار - ب - فدك، مج (٤٣٧/١) محمد بن عبد المنعم الحميري، تحقيق إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة - بيروت - ط الثانية - ١٩٨٠م.

(٢) تيماء حاضرة البادية، وهي مدينة قديمة، واسعة البقعة، كثيرة النخيل، هائلة البساتين، غزيرة الماء مع خفة عجيبة، ولهم آبار حلوة، وهي في سهولة، إلا أن أكثرها خراباً، تمورها جيدة وفي أهلها شهرة . أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم مج (٢١٥/١) بتصريف، محمد بن أحمد المقدسي، تحقيق غازي طليمات، دار النشر وزارة الثقافة والإرشاد - دمشق - ١٩٨٠م.

خالصون له، شرفهم الله بهذا التخصص، وكرمهم بهذا التجرد.

٦- جاسوا: فهي تنطبق على احتلال الصحابة لديار اليهود، وتدمير حصونهم وقلاعهم وإزالة كل مظاهر الفساد والعلو والتجبر اليهودي، في بلاد الحجاز^(١)،

رأى الشيخ عبد الكريم الخطيب:

يرى أنها حدثت بعد انقسامهم إلى مملكتين، مملكة يهودا في الجنوب، وتضم بيت المقدس، ومملكة إسرائيل في الشمال، وتضم سوريا، ثم سلط الله على المملكتين من يدمر ملكهم، فجاء الأشوريون سنة ٨٠٣ ق.م، وقضوا على مملكة إسرائيل فوق معظمهم تحت القتل ومن نجا منهم وقع في الأسر، وأصبح سلعة تباع، ولما ورث البابليون دولة الأشوريين في العراق، فعلوا في مملكة يهوذا ما فعله الأشوريون في مملكة إسرائيل، ففي عام ٥٨٦ ق.م غزا البابليون مملكة يهوذا بقيادة ملكهم بختنصر، واستولوا عليها، ودمروا المعبد، وقادوا القوم ورؤساءهم أسرى.

وأضاف قائلاً: وعلى هذا يمكن أن نقول إن الأسر البابلي هو الذي يشير إليه قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا ﴾^(٢) (الإسراء/٥)، ويرى أن رد الكرة على البابليين، ومد بني إسرائيل بالأموال والبنين كان حين نزل القوم الذين ابتلاهم الله بهم، إلى حال أشبه بتلك الحال التي كان عليها اليهود من الذل والهوان، وذلك حين أغار الفرس على البابليين، واستولوا على أوطانهم وجعلوهم غنيمة لهم، كما فعل البابليون ببني إسرائيل، وتلك الأيام ندولها بين الناس^(٣).

أقوال الأستاذ سعيد حوى:

تذكر الآيات أن الذين سلطوا على بني إسرائيل أول مرة، هم الذين يسلطون عليهم ثاني مرة، يلاحظ ذلك من عودة الضمير على المذكورين أولاً في قوله ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبَّرُوا مَا عَلَوُا تَتْبِيرًا ﴾ (الإسراء/٧)، وعلى ضوء ذلك يبدو بما لا يقبل الجدل أن الإفسادة الأولى هي التي سلط الله عليهم بختنصر، فهي الإفسادة التي رافقها بغى وطغيان وعتو، والتي يدور حولها كثير من كلام العهد القديم، وما قبل ذلك لا نعرف أنه حدث لبني إسرائيل مثل هذا الدمار، ولم يحدث أن قوماً سيطروا على المسجد الأقصى وجاسوا خلال الديار^(٤).

(١) الشخصية اليهودية (ص ٣٣٧-٣٤٠) بتصرف.

(٢) تفسير القرآن للقرآن مج (٤/٤٤٦) بتصرف.

(٣) المرجع السابق مج (٤/٤٤٧).

(٤) الأساس في التفسير مج (٦/٣٠٣٩) بتصرف.

الفرع الثاني: المعركة الفاصلة في الإفساد الثانية:

وفيه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: أقوال المفسرين القدامى:

معظم العلماء والمفسرين يرون أن الإفساد الثانية كانت بقتل يحيى عليه السلام ، قال الطبري: "لا اختلاف بين أهل العلم أنه كان قتلهم يحيى بن زكريا (١) عليه السلام .
وأضاف البغوي: "وذلك قصدهم قتل عيسى حين رفع، وقتلهم يحيى بن زكريا (٢) عليه السلام ."

المسألة الثانية: هوية المسلطين عليهم.

اختلف العلماء في ذلك إلى قولين (٣):

١. ملوك الروم فقتلوهم وسيوهم.
٢. قال مجاهد وقتادة: هو بختنصر، وكثير من الرواة يأبى هذا القول، لأنه كان بين تخريب بيت المقدس ومولد يحيى بن زكريا زمناً طويلاً، وممن أنكر هذا القول السهيلي (٤)، والثعلبي (٥) فقال: " لأن أهل السير والأخبار مجمعون على أن بختنصر إنما غزا بني إسرائيل عند قتلهم أشعيا في عهد إرمياء (٦)، قال البيضاوي: "لما سلط الله عليهم الفرس مرة أخرى فغزاهم ملك بابل من ملوك الطوائف" (٧).

المسألة الثالثة: أقوال المحدثين:

رأى الشيخ عبد الكريم الخطيب.

- ١- ولتعلن علواً كبيراً — الذي ينظر في هذه الآية، يرى أن الإفساد الذي يقع من بني إسرائيل مصاحب لصفة دالة عليه، مُرْهِصَةٌ به، وهي أن يكونوا في حال هم فيها أصحاب قوة متمكنة، وسلطان ظاهر، وعلو في الأرض، والبناء الذي أقاموا منه سلطاناً، وحصلوا منه

(١) جامع البيان مج (٨/٢٥-٢٦).

(٢) معالم التنزيل مج (٣/٢٨٣)، وانظر إرشاد العقل السليم مج (٣١٠/)، وانظر الجامع لأحكام القرآن مج (٥/٥٥٨) مرجع سابق، وانظر النكت والعيون مج (٣/٢٢٩) مرجع سابق، وانظر أنوار التنزيل للبيضاوي مج (١/٥٦٥) مرجع سابق.

(٣) زاد المسير مج (٥/٩).

(٤) المرجع السابق مج (٣/٩).

(٥) الثعلبي (ت ٤٢٧ هـ — ١٠٣٥ م) هو أبو اسحق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري كان حافظاً واعظاً مفسراً مقرئاً، له عدة مؤلفات منها الكشف والبيان عن تفسير القرآن توفي ٤٢٩ هـ ، البداية والنهاية (ج ٣٨/١٢)، وانظر الزركلي مج (١/٢٢١).

(٦) الجامع لأحكام القرآن مج (٥/٥٦٠) بتصرف، البحر المحيط مج (٦/١٠) مرجع سابق.

(٧) أنوار التنزيل وأسرار التأويل مج (١/٥٦٥) وانظر إرشاد العقل السليم مج (٣/٣١١).

على قوة، وبلغوا به ما بلغوا من علو، هو بناء فاسد يحمل في كيانه معاول
هدمه وتدميره وفنائه^(١)!!.

٢- يرى أن الكرة الثانية لم تقع بعد، ويعتبر ذلك قولاً لا حجة عليه ولا مبرر له، بدليل
استخدام الفعل الماضي في الإفساد الأولى: **جاء - بعثنا - جاسوا -** وتحدث عن الإفساد
الثانية بلفظ المستقبل **- ليسوؤوا - وليدخلوا - وليتبروا -** ذكر لفظ المسجد عند الحديث
عن الإفساد الثانية، وهو ما يعرف به بعد الإسلام فقط، وقبل ذلك كانوا يسمونه بيت
المقدس، فمصطلح المسجد لا يطلق إلا لدى المجتمع المسلم، وهذا يعني أن الذين دخلوه أول
مرة وسيدخلونه في المرة الثانية هم المسلمون وليس غيرهم.

٣- والذي ينظر إلى واقع بني إسرائيل اليوم يجد النقاط التالية:
أ. إنهم منذ عهد سليمان لم تقم لهم دولة، بعد الدولة التي خربها، بختصر، حتى قامت لهم دولة
في هذه الأيام هي المعروفة باسم إسرائيل، التي تدعمها وتساندها الدول الكافرة اليوم.
ب. إن هذه الدولة، ولدت وهي تحمل جميع أنواع الشر، والبغض والفساد والإجرام، لأنها ملكت
بكيدها الكثير من الوسائل الخبيثة، إضافة إلى أن سكانها من أعراق شتى، فالمال الذي أقيمت
به هذه الدولة هو عصارة تلك الدماء، التي امتصها اليهود من الشعوب في شتى أقطار
الأرض.

ت. إن هذه الدولة هي غاية ما يمكن أن يبلغه بنو إسرائيل من علو وفساد، وبعده الهلاك والدمار
بإذن الله.

ث. وعلى ضوء ذلك يتضح أن الإفساد الثانية لبني إسرائيل، هي ما فيه الآن من فساد في
الأرض وعلو واستكبار، فساد إلى أبعد مداه وعلوه، واستكبار إلى غاية حدودها.

٤- **وليتبروا ما علو -** وفي ذلك إشارة إلى أن المسلمين سيجيئون بقوة قاهرة، ذات بأس شديد،
وما - اسم موصول لغير العاقل، يفيد الشمول، والمعنى: يدمروا ويهلكوا بني إسرائيل، وما
معهم من معدات الحروب، وأدوات القتال التي جلبوها من كل مكان، رصدها للشر
والعدوان، لأنهم بدونها جبناء لا قيمة لهم، لذلك قال ليتبروا **- ما -** إشارة إلى تلك
الإمكانات الغير عاقلة^(٢).

أقوال الدكتور صلاح الخالدي.

يرى د. الخالدي أن الإفساد الثانية لبني إسرائيل، ما يقوم به اليهود الآن في فلسطين
وأنا نحن الذين نعيش هذا الإفساد، الذي يتمثل في كيانهم، الذي أقاموه في فلسطين فتحكمهم

(١) تفسير القرآن بالقرآن مج (٤/٤٤٥) بتصرف.

(٢) تفسير القرآن بالقرآن مج (٤/٤٥٩، ٤٥٥) بتصرف.

وسلطانهم، وتجبرهم وعلوهم من أوضح معالم هذه الإفساده، في هذه الأيام، ويستند على رأيه هذا في تحديد الإفسادة الثانية على الأدلة التالية:

١- أن الإفسادتين تتعلقان بأمة واحدة، وتمثلان بعض حلقات الصراع بين المسلمين واليهود، أما الأمم السابقة من البابليين والفرس والرومان، لم يهزموا أمامهم حتى يعيد الله لهم الكرة عليهم.

٢- ثم رددنا لكم الكرة عليهم - حرف ثم للتراخي الزمني، الذي يدل على أن وقوع الإفسادة الثانية، جاء متأخراً عن الإفسادة الأولى، بعد هذه القرون الطويلة، إلى حجج اليهود في إقامة دولتهم في فلسطين، وهاء الضمير في - عليهم - تحدد الذين وقع عليهم الإفسادة الثانية، وهم الذين قضوا على الإفسادة الأولى، ويفيد أيضاً أن اليهود سيهزمونهم عندما يرد الله الكرة عليهم، وهذا ما حدث مع أمة محمد ﷺ اليوم من خلال حروبها الحالية مع يهود.

٣- أمددناكم بأموال وبنين - وهذا من أبرز ملامح حياة اليهود اليوم، فلولا مليارات الدولارات التي تصلهم، لما استطاعوا أن يكونوا بهذه القوة، ولما استطاعوا أن يواجهوا مشاكلهم المختلفة في حياتهم، وأما بخصوص البنين، فيتحقق ذلك من خلال العمل على إقناع اليهود في العالم، والعمل على استفادتهم للعيش في فلسطين.

٤- وجعلناكم أكثر نفيراً - من خصومكم المسلمين، بعد رد الكرة لكم عليهم، فالذين يؤيدونهم وينفرون في الحروب معهم، ضد المسلمين اليوم، أكثر بكثير من الذين يؤيدون المسلمين وهذا واضح على جميع المستويات والمؤسسات العالمية، لأن اليهود وعملاءهم هم الذين يسيطرون عليها^(١).

أقوال الشعراوي رحمه الله وتتلخص في النقاط التالية:

- ١- ثم - حرف عطف يفيد الترتيب مع التراخي، وأضاف، ما بين الإفسادة الأولى والثانية لم يحدث بيننا وبين يهود حروب لعدة قرون، منذ عصر الرسول ﷺ إلى أن احتلوا فلسطين.
- ٢- أموال وبنين - لقد أمدهم الله بالمال حتى أصبحوا أصحاب رأس المال في العالم كله، وأمدهم بالبنين الذين يعلمونهم ويتقنونهم على أعلى المستويات، وفي كل الحالات.
- ٣- نفيراً - هو من يستنفره الإنسان لينصره، والمراد هنا الدول الكبرى التي ساندت اليهود وصادمت المسلمين.

(١) الشخصية اليهودية من خلال القرآن (ص ٣٤١ - ٣٤٥) بتصرف.

٤- إذا جاء وعد - هذه جملة شرطية، كل كلماتها تتحدث عن المستقبل، إذا ظرف لما يستقبل من الزمان، يؤكد هذا المعنى جاء وعد، لأن الوعد لا يتحقق إلا في المستقبل، فهو وعد آت لا شك فيه، بدليل أنه تكرر في آخر السورة، قال تعالى: ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴾ (الإسراء/١٠٤) والمتأمل في هذه الآية، يجد أن فيها بشارة بتحقيق وعد الله، ووجد أن ما يحدث الآن من تجميع لليهود في أرض فلسطين، إنما لتحقيق وعد الآخرة في الإفساد الثانية.

٥- يتبروا - يهلكوا ويدمروا، ويخربوا ما أقامه اليهود، وما بنوه وشيدوه من مظاهر الحضارة التي نشاهدها الآن.

٦- ما علوا - يدل أن ما أقاموه، وما شيدهو ليس بذاتهم، وإنما بمساعدة من وراءهم من أتباعهم، وأنصارهم فاليهود بذاتهم ضعفاء، ولا تقوم لهم قائمة إلا بمعونة غيرهم.

٧- العلاقة بين بداية السورة وآخرها في قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴾ (الإسراء/٧) وقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴾ (الإسراء/١٠٤) وربط بينها، على اعتبار أن وعد الآخرة هو الإفساد الثانية، المجيء الأول يصحبه عودة اليهود لفلسطين، والمجيء الثاني: حلول الإفساد الثانية لتحقيق وعد الله فيهم، وأضاف، سيتحقق هذا لنا، عندما ندخل معهم في معركة على أسس إسلامية وإيمانية لتعود لنا صفة العباد، ونكون أهلاً لنصرة الله تعالى.

أقوال الأستاذ سعيد حوى رحمه الله، وتتمثل في التالي:

٢- ربط بين عودة اليهود إلى فلسطين في قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴾ (الإسراء/ من الآية ١٠٤) وبين ما اعتبره الإفساد الثانية في قوله: ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴾ (الإسراء/ من الآية ٧) وأضاف قائلاً: " فهل الإفساد الثانية هي ما نراه الآن؟ إذ لهم دولة وسلطان وإفساد وطغيان يمكن أن نفهم هذه المسألة كذلك، إذ كان قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴾ (الإسراء/ من الآية ١٠٤) إذا كانت الآخرة هنا تفيد المرة الآخرة، وإذا كانت الأرض في الآية، المراد بها عموم الأرض، وليست أرض فلسطين من باب: ﴿ وَقَطَعْنَا فِي الْأَرْضِ أُمَّمًا ﴾ (الأعراف/ من الآية ١٦٨)، وعليه يكون معنى الآيتين إذا تم جمعهما، وقلنا من بعد موسى لبني إسرائيل اسكنوا الأرض كلها متفرقين، فإذا جاء وعد الإفساد الثانية، جئنا بكم إلى أرض فلسطين وعندئذ نسلط عليكم، من سلطانهم عليكم من قبل^(١).

(١) الأساس في التفسير مج (٦/٣٠٣٩، ٣٠٤٠).

٣- وأمددناكم بأموال وبنين - كما هم الآن فهم الأغنى ويتحكمون في المال والاقتصاد من خلال البنوك العالمية ويستطيعون استنفار العالم ضدنا إضافة إلى القوة المادية والإعلامية التي يمتلكونها، وهي القوة المصحوبة بالعلو والإفساد لأول مرة في تاريخ اليهود، فهما هم لهم دولة وسلطان، وهيمنة عالمية، وهم يستعملون ذلك في إفساد كل شئ^(١)، وأن المرشحين للتسليط عليهم هم العراقيون المسلمون سواء اعتبرنا بختنصر موحداً أو لا، أو المسلمون عامة، إذا كان بختنصر موحداً^(٢).

المطلب الثاني: عودة اليهود للجرائم في فلسطين:

قال تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمُ وَإِنْ عُذْتُمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا

﴿ (الإسراء/ ٨) .

أولاً: التفسير الإجمالي:

جاءت هذه الآية بعد الحديث عن مفسدتين كبيرتين لليهود، وإن كانت حياتهم كلها فساداً، هاتان المفسدتان خصهما القرآن الكريم بالحديث لأهميتهما، ولكونهما جاءتا بعد بعثة الرسول، وفي ذلك تنبيه للصحابة والمسلمين ليحذروا فساد يهود، وليبين ما سبق التأكيد عليه من أن اليهود هم أصل الفساد والإجرام في الأرض، لأن ذلك أصل في حياتهم، وليس أمراً ثانوياً أو اضطرارياً، وبما أن الله علمه منهم، جاء التهديد لهم بقوله، وإن عدتم للفساد والإجرام عدنا للنتيبر والدمار والهلاك في الدنيا، وأما في الآخرة، فحسبهم جهنم وبئس المهاد.

ثانياً : أقوال المفسرين:

وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: المفسرون القدامى:

أجمع المفسرون القدامى أن العودة قد حدثت زمن النبي صلى الله عليه وسلم عندما كذبوا الرسول وعادوه وحاولوا قتله، ونقضوا عهودهم معه، فسلطه الله عليهم، فقتل بني قريظة، وأجلى بني النضير، ودمر حصونهم في خيبر وأجرى عليهم القتل والسبي والإجلاء إضافة إلى ضرب الجزية على من بقى منهم^(٣)، وأضاف أبو السعود "ولقد عادوا، فأعاد الله سبحانه عليهم

(١) المرجع السابق مج (٦/٣٠٣٩، ٣٠٤٠).

(٢) المرجع السابق مج (٦/٣٠٤٤).

(٣) انظر معالم التنزيل في التفسير مج (٣/٢٨٣) وانظر أنوار التنزيل وأسرار التأويل مج (١/٥٦٥) بتصرف وانظر فتح القدير مج (٣/٣٧١) بتصرف.

النعمة بأن سلط عليهم الأكَاسرة، ففعلوا بهم ما فعلوا من ضرب الأكَاسرة^(١)، واستدل الشنقيطي بآيات سورة الحشر والأحزاب عندما تحدث عن عودة الرسول عليهم، وذلك عندما أجلاهم عن المدينة، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ ﴿ (الحشر/ ٢٠)﴾، وقال: ﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿ (الأحزاب/ ٢٦) .

المسألة الثانية: أقوال المحدثين:

١. قال سيد قطب رحمه: "الله فأما إذا عاد بنو إسرائيل إلى الإفساد في الأرض فالجزاء حاضر والسنة ماضية وان عدتم عدنا، ولقد عادوا اليوم إلى الإفساد في صورة إسرائيل التي أذاقت العرب أصحاب الأرض الويلات، وليسطن الله عليهم من يسومهم سوء العذاب، تصديقاً لوعده القاطع، وفاقاً لسنته التي لا تتخلف، وإن غدا لناظره قريب" ^(٣).

٢. سعيد حوى رحمه الله: "إن عدتم إلى العلو والإفساد عدنا إلى التسليط فهي بشارة للمسلمين، فهذا وعيد من الله له انه سيسلط عليهم في كل مرة يفسدون في الأرض وتكون لهم الغلبة على المسلمين في المسجد الأقصى، لذلك ينبغي على المسلمين أن يدركوا أن هذه الغلبة لليهود عليهم في هذا الزمان ليست دائمة حتى قيام الساعة" ^(٤).

ثالثاً: رأي الباحث:

وفيه خمس مسائل:

المسألة الأولى: التأصيل للإفسادتين:

بعد أن استعرض الباحث أقوال العلماء والمفسرين، قديماً وحديثاً، في الإفسادتين الخاصتين ببني إسرائيل في سورة الإسراء، فإنه يقدم رأيه المتواضع، مع قناعته أن ما سيقدمه لا يساوي إلبا القليل أمام العلماء، لذا فقد لاحظ الباحث أن من أراد الحديث عنهما من منظور قرآني، لا بد أن يراعي الأسس التالية:

(١) إرشاد العقل السليم مج (٣/٣١١).

(٢) أضواء البيان مج (٣/٣٧٩).

(٣) الظلال مج (٤/٢٢٤) بتصرف.

(٤) الأساس في التفسير مج (٦/٣٣٠٤١، ٣٠٤٠) بتصرف.

الأساس الأول: العلاقة الوطيدة والمهمة بين الإسراء والمعراج، وبين الإفسادتين، وتتضح هذه العلاقة للباحث من خلال النقاط التالية:

- ١- إن الإسراء والمعراج أرضه المسجد الأقصى في فلسطين، وكذلك إفسادتي بني إسرائيل لقوله تعالى: ﴿ **وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ** ﴾ (الإسراء/ من الآية ٧).
- ٢- إن الإسراء والمعراج كان فتحًا عقائديًا، وبداية لنهاية الرسالات السابقة، وإزالة الإفسادتين يمثل فتحًا عسكريًا، لفلسطين والمسجد الأقصى، وإزالة إفساد بني إسرائيل.
- ٣- إن الإسراء والمعراج نهاية ميراث النبوة من بني إسرائيل وأنبيائهم، من خلال إمامة النبي بالأنبياء في الأقصى، وهذا يعنى بداية هيمنة دين جديد هو الإسلام وأتباعه، ونهاية فساد بني إسرائيل، هو نهاية لهم في فلسطين والمسجد الأقصى، إلى الأبد، بدليل قوله: ﴿ **وَلِيُتَبَّرُوا مَا عَلَوْا تَثْبِيرًا** ﴾ (الإسراء/ من الآية ٧).

الأساس الثاني: إن ميدان الإفساد لبني إسرائيل، والمعارك ستكون فلسطين والمسجد الأقصى الذي باركنا حوله، وأي أرض غير ذلك تحدث فيها معارك بين بني إسرائيل وغيرهم، لا علاقة لها بالإفسادتين ولا العودة إن وجدت.

الأساس الثالث: الفريقان المتصارعان، محددان طيلة المعارك التي حدثت أو ستحدث، فالفريق الأول هم بنو إسرائيل، والفريق الثاني هم المسلطون عليهم، ويحاول الباحث التوصل إلى عقيدتهم وهويتهم، والقرآن ذكر بعض صفاتهم، قال تعالى: ﴿ **عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ** ﴾ (الإسراء/ من الآية ٥).

الأساس الرابع: هناك ثلاثة معارك ستحدث بين الفريقين، المعركة الأولى لإزالة الإفسادة الأولى، وفيها ينتصر عباد الله ذو البأس الشديد على بني إسرائيل، والمعركة الثانية يهزمون عندما ترد الكرة لليهود عليهم لسبب أو لآخر، والمعركة الثالثة، إزالة الإفسادة الثانية والأخرة لتدمير ما علا اليهود تدميرًا، لينتهي إفسادهم إلى الأبد بإذن الله تعالى.

المسألة الثانية: مناقشة الإفسادة الأولى:

بناءً على ما سبق من الأسس التي توصل إليها الباحث فإن الإفسادة الأولى كانت قبل الإسلام، وذلك للأسباب التالية:

١. لأن القرآن الكريم عندما تحدث عن الإفسادتين فرّق بينهما في استخدام الأفعال، فعبر عن حدوث الإفسادة الأولى بالأفعال الماضية - **جاء، بعثنا، جاسوا** - إضافة إلى أنه قال: وكان وعدًا مفعولًا، أي انتهى قبل أن ينزل القرآن الكريم ليتحدث عن الإفسادتين.

٢. لأن القرآن عندما تحدث عن الإفسادة الثانية، استخدم الأفعال المضارعة – ليسوؤوا، وليدخلوا، وليتبروا – ولو كان زمن حدوث الإفسادتين واحدًا، ما فرق في استخدام الأفعال.

٣. لأن القرآن عندما تحدث عن الإفسادة الأولى، لم يذكر اسم المسجد الأقصى، لأن هذا المصطلح لم يعرف إلا في ظل الإسلام، وقبله كان يسمّى بيت المقدس.

المسألة الثالثة: هوية المسلمين عليهم:

١. بعد الإطلاع على آراء العلماء ودراستها يرى الباحث أن المعنى الأقرب للصواب والذي يتناسب مع معنى – عباد – المضافة إلى الضمير، والسياق القرآني لها، أن يكون اللفظ عام، يشمل المؤمن والكافر، لأن الذين خصصوها بالمؤمنين، وذكروا أن الإفسادة الأولى زمن الرسول ﷺ قد جانبوا الصواب^(١)، وفيما يلي جدول توضيحي للمصطلح – عباد – .

المسألة الرابعة: دراسة المصطلح – عباد – المضاف إليه (الضمير)

المعنى	أولًا: عبادًا لي:
السياق يتحدث عن لفظ عام والأقرب الكافر	﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ [آل عمران/٧٩].
المعنى	ثانيًا: عبادًا لنا:
اللفظ عام، لأنه لا يوجد في التاريخ مؤمنين أزلوا إفساد بني إسرائيل أيام علوهم إلا نبوخذ نصر البابلي	﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا ﴾ [الإسراء/٥]
المعنى	ثالثًا: عبادي:
السياق يتحدث عن المؤمنين	﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة/١٨٦].
السياق يتحدث عن المؤمنين	﴿ قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعُ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ ﴾ [إبراهيم/٣١].

(١) انظر الرد عليهم ومناقشتهم (ص ٣٥٣) وما بعدها.

السياق يتحدث عن المؤمنين	﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾ (الحجر/٤٢)
المعنى عام والحديث قبله عن الكافرين، وبعده عن المؤمنين	﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾ (الإسراء/٥٣).
السياق يتحدث عن المؤمنين.	﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴾ (الإسراء/٥٦)
لفظ عام يشمل الكافر والمؤمن	﴿ أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا ﴾ (الكهف/١٠٢).
لفظ خاص ويقصد به بنو إسرائيل على ما كانوا عليه من الفسق والإجرام.	﴿ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرَبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَحْشَى ﴾ (طه/٧٧).
السياق يتحدث عن المؤمنين	﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾ (الأنبياء/١٠٥).
السياق يتحدث عن المؤمنين	﴿ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴾ (المؤمنون/١٠٩).
السياق يتحدث عن المؤمنين	﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ﴾ (الفرقان/١٧).
خاص ببني إسرائيل.	﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُمْ مُتَّبِعُونَ ﴾ (الشعراء/٥٢).
السياق يتحدث عن المؤمنين	﴿ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ ﴾ (العنكبوت/٥٦).
اللفظ عام.	﴿ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبٍ وَمَتَائِيلٍ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾ (سبأ/١٣).
اللفظ عام وهم العصاة الذين أسرفوا على أنفسهم.	﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (الزمر/٥٣).

خاص ببني إسرائيل	﴿ فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُتَّبِعُونَ ﴾ (الدخان/٢٣).
السياق يتحدث عن المؤمنين	﴿ فَأَدْخِلْنِي فِي عِبَادِي ﴾ (الفجر/٢٩).
المعنى	رابعاً: عباد — تلفظ بالكسر.
السياق يتحدث عن المؤمنين	﴿ يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴾ (الزخرف/٦٨).
السياق يتحدث عن المؤمنين	[قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ] (الزمر/١٠)
الكافرون.	﴿ لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونَ ﴾ (الزمر/١٦).
السياق يتحدث عن المؤمنين	﴿ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴾ (الزمر/١٧).
المعنى	خامساً: عبادنا
السياق يتحدث عن المؤمنين	﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴾ (يوسف/٢٤).
السياق يتحدث عن المؤمنين	[فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا] (الكهف/٦٥).
السياق يتحدث عن المؤمنين	﴿ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا ﴾ (مريم/٦٣).
مؤمن	﴿ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الصافات/١١١).
لفظ، عام يشمل الظالم لنفسه، والمقتصد	﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذِنَ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ] (فاطر/٣٢).
لفظ خاص يقصد به أنبياء	﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴾ (الصافات/١٧١).
لفظ خاص يقصد به أنبياء	﴿ وَادْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ ﴾ (ص/٤٥).
لفظ عام	﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (الشورى/٥٢).
عبدین: لفظ خاص ويقصد به نوح ولوط عليه السلام.	[ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةٌ نُوحٍ وَامْرَأَةٌ لُوطٍ كَاتَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا

عبادنا: لفظ عام.	وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾ (التحریم/١٠).
لفظ عام يشمل كل معبود من دون الله	[[إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَلُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٩٤﴾ (الأعراف/١٩٤).

الملاحظات على الجدول:

من خلال دراسة المصطلح - عباد - تبين للباحث أن له خمس معاني، جاءت على النحو التالي:

- ١- لفظ عام يشمل المؤمن والكافر.
- ٢- لفظ خاص بالمؤمنين.
- ٣- لفظ خاص بالكافرين.
- ٤- لفظ خاص بقوم، هم بنو إسرائيل.
- ٥- لفظ خاص بالأنبياء.

أما بخصوص المصطلح - عباداً لنا - فقد جاء بلفظ عام، لأن الباحث بقي أياماً متواصلًا مع العديد من المتخصصين في التاريخ اليهودي، يبحث عن قوم مسلمين أزالوا الإفساد الأولى لليهود، وقد استعان بكل من الدكتورين المتخصصين في التاريخ، فضيلة الدكتور خالد الخالدي، وفضيلة الدكتور زكريا السنوار، إضافة إلي فضيلة الدكتور صالح الرقب، المتخصص في العقيدة، والفكر اليهودي فلم يجد، ولكن تبين له بما لا يدع مجالاً للشك، أن الوقائع التاريخية أثبتت أن الوحيد في التاريخ هو نبوخذ نصر البابلي الذي سلطه الله ﷻ على اليهود، فأزال دولتهم ودمر كيانهن، وخرّب بيت المقدس، وسباهم إلى بابل في العراق، بسبب كفرهم، وقتلهم الأنبياء والصالحين والعلماء بغير حق.

٢. أما الإفساد الثانية والتي نحن بصدها الآن فإن الذي يجعلنا نقول إن المسطين علي اليهود فيها هم مؤمنون، وجود القرينة في الأحاديث الشريفة، التي تذكر صراحة لفظ - المسلمون - يا مسلم - عن أبي هريرة ؓ أن رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ فَيَقْتُلُهُمُ الْمُسْلِمُونَ حَتَّى يَخْتَبِئَ الْيَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَوْ الشَّجَرُ يَا مُسْلِمُ يَا عَبْدَ اللَّهِ هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ إِلَّا الْغُرَقْدَ فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ (١).

(١) م - ك - الفتن وأشرط الساعة - ب - لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى (ج/٨/ص ١٨٨، رقم ٧٥٢٣)، والغرقد نوع من شجر الشوك معروف ببلاد بيت المقدس، وإذا عظمت العوسجة صارت غرقدة. صحيح مسلم على شرح النووي (ج/٤٥/١٨) دار إحياء التراث العربي - بيروت - ١٣٩٢ ط الثانية.

وكذلك حديث الرسول الذي يؤكد هوية المسلطين عليهم، (عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: تَقَاتِلُونَ الْيَهُودَ حَتَّى يَخْتَبِئَ أَحَدُهُمْ وَرَاءَ الْحَجَرِ فَيَقُولُ يَا عَبْدَ اللَّهِ هَذَا يَهُودِيٌّ وَرَأَيْتَ فَاقْتُلْهُ)^(١)، و الملاحظ في قول الرسول: يا عبد الله نداء على صفة معينة محددة، هي الأخرى تؤكد على ما ذهب إليه الباحث بأن القرينة في بيان هوية المسلطين على اليهود في الإفساد الثانية، لفظ خاص وليس عام.

الخلاصة: في قول الله - عباداً لنا -.

أن وجود القرينة في الإفساد الأولى، وهي عدم وجود قوة مسلمة في التاريخ أزلت إفساد بني إسرائيل، جعلت الباحث يميل إلى أن نبوخذ نصر هو الذي أزال إفسادهم الأول.

أما إفساد اليهود الثاني والحالي، فالقرينة في أحاديث رسول الله ﷺ جعلت الباحث يرجح أن المؤمنين اليوم، هم الذين سيزيلون إفسادهم في فلسطين.

المسألة الخامسة: هوية بختنصر البابلي.

اسمه: بختنصر^(٢)، وهو الاسم العربي للملك نبوخذ نصر الثاني^(٣)، لأن الأول كان ينتمي إلى السلالة البابلية الرابعة، والذي استعاد استقلال بابل أيام حكم الأشوريين لها في القرن الثاني عشر ق.م، ودام حكمه ثلاثة وأربعين عاماً، وهو أشهر ملوك الدولة الكلدانية، وكلمة نبوخذ نصر أصلها آشوري مكونة من ثلاثة مقاطع، معناها الإله نبوه يحرس الحدود^(٤).

والده: قال محمد فريد وجدي، "هو ابن الملك: نابو بونصر ملك بابل، تولى الملك بعد أبيه ٦٠٧ ق.م^(٥)، وأضاف ابن الأثير^(٦): إنه بابلي الأصل كان صعلوكاً مريضاً وهو صغير، أرسله ملك الفرس ليطلع على أحوال الشام، كونه كان عاملاً عنده للخدمة، فعاد إليه بالأخبار عنها، وقرر الملك أن يبعث عسكرياً عليها، فاختره قائداً على الجيش ولما وصل إليها صالح ملكها، فعاد عنهم وأخذ رهائنهم، فقام بنو إسرائيل وقتلوا ملكهم وقالوا: "داهنت أهل بابل وخذلتنا، فلما

(١) خ - ك - الجهاد والسير - ب - قتل اليهود - (ج ٣/ ص ١٧٠، رقم ٢٧٦٧).

(٢) كلمة بابلية معناها ليحمي بنو التاج أو دموع القضاء، المفصل في تاريخ القدس (ص ٢٧) عارف العارف مكتبة الأندلس الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.

(٣) معجم الحضارات السامية ٢١٧ جوب يرمس، هنري س عبودي، ط الثانية ٤١١ هـ - ١٩٩١ م.

(٤) اليهود في العهد القديم (ص ١٦٤) بتصرف، مرجع سابق.

(٥) دائرة معارف القرون العشرين م/٣-٥١ بتصرف دار الفكر بيروت - بدون طبعة.

(٦) ابن الأثير: ٥٥٥هـ - ٣٦٠هـ، ١١٦٠ - ١٢٣٣م، علي بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الخزرجي أبو الحسن عز الدين بن الأثير، المؤرخ الإمام من العلماء بالنسب والأدب، ولد ونشأ في جزيرة ابن عمر وسكن الموصل وتجول في البلدان وعاد إلى الموصل، فكان منزله مجمع الفضلاء والأدباء. توفي بها من تصانيفه الكامل اثنا عشر مجلد مرتب على السنين، الزركلي مج (٤/٣٣١).

علم باختصر بذلك، قتل الرهائن الذين معه، وعاد للقدس فخر به، وقيل إن سبب تخريب بيت المقدس، كثر فيهم الفساد والمعاصي، فسلط الله عليهم باختصر^(١)، قال محمد فريد: "هاجم الإسرائيليين مرتين سنة ٦٠٧ ق.م، مرة بدون قتال، ودفعوا له الجزية التي كانوا يدفعونها لملك مصر، والمرة الثانية، قاتلهم وقتلهم ودمرهم ونهب وسلب ملكهم سنة ٥٨٨ ق.م، وبعدها تشتت اليهود^(٢)، قال عارف العارف: "زحف نبوخذ نصر إلى أور سالم (٥٩٠ ق.م) وكانت يومئذ محصنة تحصيناً منيعاً فحاصرها وبني الأبراج حولها، ودام حصارها سنتين، ذاقوا خلالها الجوع والمرض إلى أن اختار اليهود الهرب مع ملكهم - صدقيا - فأدركهم الكلدانيون في البرية وألقوا القبض على الملك وبنيه، وأتوا به إلى نبوخذ نصر مصفدين بالأغلال، فقتل بنيه على عينه، وفقاً بصر الملك صدقيا، وأرسله إلى بابل، ونهب القدس وأحرق المعبد ودك أسوارها، وأجلى شعبها إلى بابل، فقتل البعض منهم واستعبد البعض^(٣) .

قال ابن عطية الأندلسي: "بختصر كان جندياً لدى الفرس، في مطبخ الملك، فلما كان بعد ذلك وضعه رئيساً لجيشه، وبعثه فخر بيت المقدس، وقتلهم وأجلاهم، وبعد عودته وجد الملك قد مات، فأصبح ملكاً عليهم^(٤) .

قال البغوي: عن ابن اسحق إنه بابلي، وقال الطبري: عن مجاهد أنه فارسي ففي قوله تعالى: ﴿ فَجَاسُوا خِلالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا ﴾ (الإسراء/ من الآية ٥)، قال: جاءوهم من فارس يتجسسون أخبارهم، ويسمعون حديثهم، معهم بختصر، فوعى أحاديثهم من بين أصحابه، ثم رجعت فارس، ولم يكن قتال^(٥) .

عقيدته: لا توجد نصوص واضحة تبين عقيدة الرجل إلا أقوالاً لبعض التابعين وبعض المحدثين:

روى الطبري عن قتادة قال: "بعث الله عليهم في الإفساد الآخرة، بختصر المجوسي البابلي، أبغض خلق الله إليه"^(٦)، وعن مجاهد: "بعث الله ملك فارس ببابل ومعه جيش، وأمر عليهم بختصر"^(٧)، ويرى الشعراوي: " أنه كان كافرًا"^(٨) .

(١) الكامل في التاريخ ابن الأثير (١٤٨، ١٤٧) بتصرف، عنى بمراجعة أصوله والتعليق عليه نخبة من العلماء.

(٢) دائرة معارف القرن العشرين مج (٣/٥٠-٥١) بتصرف، مرجع سابق.

(٣) المفصل في تاريخ القدس (ص ١٧، ١٨) مرجع سابق.

(٤) المحرر الوجيز مج (٣/٤٣٨) بتصرف.

(٥) جامع البيان مج (٨/٢٨) مرجع سابق.

(٦) جامع البيان مج (٨/٣٤).

(٧) المرجع السابق مج (٨/٣٣).

(٨) انظر الشعراوي مج (٨/٨٣٥٣) بتصرف.

وعلى ضوء ما سبق يرى الباحث:

١- أنه لا يوجد دليل واضح على بيان عقيدته، إلا أن يختصر أقل ما يمكن القول فيه أنه كان مجرمًا دمويًا، لا يحترم المقدسات، ولا يعظم شعائر الله، لأنه حرق بيت المقدس، موطن الأنبياء آنذاك، وعات فيه فسادًا.

٣. تبين أنه بابلي الأصل وليس فارسي، وأما خروجه مع الفرس، فبيدوا أنهم كانوا يسيطرون على بابل، وكان وهو صغير يعمل في مطبخ الملك عاملاً كما سبق، والذين قالوا إن الفرس هم الذين سلطوا على بني إسرائيل، كونهم كانوا يحكمون بابل، والذين قالوا إنهم البابليون، لكون يختصر بعد ذلك أصبح ملكاً وحكم بابل، والراجح أنه بابلي الأصل.

المسألة السادسة: مناقشة القائلين إن الإفسادة الأولى زمن الرسول:

من خلال استعراض أقوال العلماء الذين يرون أن الرسول وأصحابه هم الذين أزالوا إفسادهم في المدينة، فإن للباحث عليه الملاحظات التالية:

١- بالعودة إلى الأسس التي وضعها الباحث سابقاً، فإن ميدان المعارك التي حدثت بين الرسول واليهود لم تكن في أرض المسجد الأقصى وما حوله، وإنما كانت في المدينة وما حولها، فكيف يمكن اعتبار ما قام به الرسول هو الإفسادة الأولى؟.

٢- إن دخول عمر بن الخطاب بيت المقدس، وتسلمه مفاتيح بيت المقدس من البطريارك النصراني صفرنيوس، ليس له علاقة باليهود، ولا بإفسادهم، بل على العكس تماماً، كان اليهود في فلسطين قلة مضطهدين، من قبل الرومان، ولم يحدث بينهم وبين المسلمين معارك فيها، لأنها كانت تحت حكم الرومان.

٣- تبين للباحث فيما سبق أن الإفسادة الأولى كانت قبل الإسلام، لأن الله عبر عنها بالأفعال الماضية، فكيف يمكن القول أن الرسول هو الذي أزال إفسادهم الأول والله يقول: ﴿وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا﴾ (الإسراء/ من الآية ٥).

جدول مقارنة بين الإفسادتين

الإفسادة الأولى	الإفسادة الثانية
الإفسادة الأولى كانت قبل الإسلام لأن القرآن بعد نزوله استخدم الأفعال الماضية جاء، بعثنا، جاسوا، وأكد ذلك بقوله " وكان وعدًا مفعولاً	الإفسادة الثانية ستكون بإذن الله في حضان الإسلام لأن القرآن بعد نزوله استخدم الأفعال المضارعة ليسوؤوا، وليدخلوا، وليتبروا.
عند إزالة الإفسادة الأولى لم يذكر اسم المسجد	عند إزالة الإفسادة الثانية، ذكر اسم المسجد الأقصى،

الأقصى، لأن اسمه آنذاك كان بيت المقدس.	لأنه سمي بذلك بعد معجزة الإسراء والمعراج، ولا يذكر مصطلح المسجد إلا في المجتمع المسلم.
عند الحديث عن نتيجتها قال فجاسوا خلال الديار دون ذكر نتيجة العلو الموجود، وهذا يعني أن إفسادهم لم يستأصل من جذوره، ليكون مرشحاً للنمو من جديد مرة أخرى!!	عند الحديث عن نتيجتها ذكر العلو وما حل به قال: وليتبروا ما علوا تتبيرا، وهذا يعني استئصال الفساد من جذوره وتدمير كل خلاياه بالضربة القاضية لبني إسرائيل، أما الحديث عن عودتهم للإفساد جاء من باب التهديد والوعيد والتأكيد على سنن العقاب.
المسلطون عليهم لإزالة إفسادهم البابليون زمن بختنصر - عباداً لنا - لأن اللفظ عام.	المرشحون الذين سيعودون مرة أخرى لتتبير ما علا اليهود تتبيراً هم مسلموا اليوم في العالم - عباداً لنا.

المطلب الثالث: تطبيق سنن العقاب على اليهود.

تبين فيما سبق أن الله سننا، لا تتغير ولا تتبدل، ولا تحابي أحداً إضافة أن هناك سنن خاصة باليهود تسرى عليهم بسبب جرائمهم، وأهمها سنة التسليط، قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لِيُبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (الأعراف/١٦٧)، وقوله تعالى: ﴿وَقَطَعْنَا لَهُمُ فِي الْأَرْضِ أُمَّمًا﴾ (الأعراف/١٦٨)، وقوله تعالى: عَدِمَ [وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا] (الإسراء/٨).

أولاً: التفسير الإجمالي:

قال د. صلاح الخالدي " تخبرنا هذه الآيات عن سنن إلهية في تعذيب اليهود، وهذه السنن واقعة ومحقة لا محالة، ولن يفلت اليهود منها، ولن ينجيهم خبثهم ومكرهم كذلك، وهذه السنن مستمرة إلى يوم القيامة، وهذا يعني أنها ستحل بكيان اليهود المعاصر على أرض فلسطين^(١)، والآية فيها معنى القسم، فيكون المعنى: "وانكر حين أعلم الله مقسماً أنه ليبعثن على اليهود، وحتى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب، وجاء فعل المضارع - يبعثن - لبيان استمرار هذه السنة.

وأضاف الدكتور الخالدي: " والتلويح بالقسم هنا موجه بالدرجة الأولى لمسلمي هذا الزمان، الذين يعيش فيه اليهود فترة انتعاش مؤقتة على أرض فلسطين، وسلطان كبير مؤقت لهم في العالم كله، فيظنون أن سنة الله في تعذيبهم، قد توقفت، ويشكون في مصداق هذه الآية،

(١) حقائق قرآنية حول القضية الفلسطينية (ص١٣٧)، د. صلاح الخالدي، دار المستقبل.

فجاءت هذه الآية ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ﴾ ،
فلوحت بالقسم، حتى لا تتأثر فناعة المسلم الرباني المعاصر بتحقيق هذه السنة النافذة.

ويرى الباحث أن لفظ الفعل - يبعث - يوحى وكأن هؤلاء المبعوثين المسطين على اليهود، كانوا في عداد الأموات، وهذا يعنى أنهم قد بعثوا بعدما ماتوا أو أوشكوا على الموت، وهذا هو حال الأمة اليوم في صراعها مع يهود، كأنهم أموات، سكنوا القبور، لا حراك لهم رغم كل ما يحدث للأمة، واليهود يصلون ويجولون، وهم يدركون هذه الحالة، التي لم يسبق أن عاشتها الأمة في صراعها مع يهود، وهذا يؤكد لنا أن البعث الرباني من جديد قادم ليتبر ما علا اليهود تنبيرا بإذن الله.

قال سيد قطب رحمه الله: "وبمناسبة المسجد الأقصى يذكر كتاب موسى، وما قضى فيه لبني إسرائيل، من نكبة وهلاك وتشريد مرتين، بسبب طغيانهم وإفسادهم مع إنذارهم بثالثة ورابعة - وإن عدتم عدنا - (١)، وأضاف قائلاً: "ولقد عادوا اليوم إلى الإفساد في صورة إسرائيل التي أذاقت العرب أصحاب الأرض الويلات، وليسلطن الله عليهم من يسومهم سوء العذاب تصديقاً لوعده الله القاطع، وفاقاً لسنته التي لا تتخلف . . وإن غداً لناظره قريب!" (٢) .

ثانياً: أمثلة من تطبيق سنن العقاب على اليهود:

إن المنتبغ لأحداث التاريخ البشري وعلاقته مع يهود، يصل إلى تلك الحقيقة القرآنية التي مفادها أن اليهود كلما أفسدوا سلط الله عليهم من يسومهم سوء العذاب، منذ نبوخذ نصر حتى يومنا هذا، تحقيقاً لقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (الأعراف/١٦٧)، من هؤلاء:

١- القائد الإسكندر المقدوني (٢٣٤، ٢٠٢ ق.م) (٣)، حيث استطاع القضاء على الدولة الفارسية التي وفرت الأمن والأمان رغم قوتها، وسعة المساحة التي كانت تسيطر عليها، وأنها وجودها في فلسطين، وبالتالي استطاع بعد ثلاث سنوات القضاء على وحدة اليهود (٣٣ ق.م)

(١) الظلال مج (٢٢١٣/٤) مرجع سابق .

(٢) المرجع السابق مج (٢٢١٤ /٤) .

(٣) هو الإسكندر الثالث بن فيليب الثاني ملك مقدونيا وأولمبيا، ولد (٣٥٦ ق.م) وتعلم على يد الفيلسوف اليوناني المشهور أرسطو طاليس، وكلمة اسكندر أصلها يوناني ومعناها المعين والمدافع، المفصل في تاريخ القدس (ص ٣٣) مرجع سابق.

لأنهم كانوا يستمدون وحدتهم من الإمبراطورية الفارسية^(١)، ويختلف عارف العارف مع المسيري في رأيه حول معاملة الإسكندر المقدوني لليهود، فيرى أنه عاملهم معاملة حسنة، لأنه عندما غزى الشام وفلسطين خرجوا لاستقباله، وقبل أن يحارب الفرس اجتمع مع رئيس الكهنة وسأله قائلاً: "إنني ذاهب لمحاربة دارا - ملك الفرس - وقومه فهل ذلك بإرادة الله؟ أم لا فأرجع، فقال له: اذهب أيها الملك فإن الله معك^(٢) وهذا يعني أن اليهود كعادتهم انقلبوا على رب نعمتهم الذي خلصهم من الأسر البابلي، وسمح لهم بالعودة إلى القدس، وبناء بيت المقدس، لكن عارف العارف يرى أن خليفة الإسكندر المقدوني الملك بطليموس، هو الذي حكم اليهود رغم أنوفهم، بعد أن حاصر القدس ودك قسمًا من حصونها، وعاملهم معاملة قاسية فأخذ منهم أكثر من مائة ألف أسير إلى مصر، وأثقل عليهم في فرض الضرائب، ثم تراجع عن ذلك، وألان المعاملة معهم لكنه استخدم فريقًا منهم في أعمال الحراسة^(٣).

٢- زمن الرومان، حيث قام تيتوس أحد أباطرة الرومان، الذي قاد القوات الرومانية في مقاطعة يهودا الرومانية عام ٧٠م، فاستولى على القدس بعد حصار دام خمسة أشهر، اشتركت معه قوات يهودية بقيادة أجريبيا الثاني، وبعد استيلائه عليها هدم المعبد^(٤)، "وأثناء الحصار عندما أدرك اليهود أن الرومان سيدخلون المدينة، قاموا بذبح أطفالهم ونسائهم خوفًا من أن يساموا سوء العذاب بأيديهم"^(٥) وكانت نتيجة قمع تيتوس الثورة اليهودية، أنه قام بهدم أورشليم وأحرق معبدها، وبعد ذلك هدمه تمامًا وأزيلت آثاره، وقدّر عدد قتلى اليهود في هذه الحرب بحوالي مليون، - قتل هذا عدد مبالغ فيه - قتل عدد منهم وهم أسرى، من خلال إجبارهم على التقاتل في الملاعب الرومانية، وعلى مقاتلة الوحوش الضارية في المدرجات، وهذا القمع أزال اليهودية كدولة سياسية من الوجود، فأصبح اليهود مشتتين منذ ذلك الحين شعبًا بدون وطن، وبعد ستين سنة قامت ثورة يهودية أخرى ضد الرومان استمرت ثلاث سنوات من (١٣٢-١٣٥م) على شكل حرب عصابات في المواقع الجبلية، فقام الرومان بسحقها فاجتاحوا مواقعهم وأزوا قلاعهم وتم حرق ما يقرب من ألف قرية، وبلغ عدد القتلى فيها ما يقرب من ستمائة ألف قتيل، وبعدها تحولت أورشليم إلى مستعمرة رومانية^(٦)، ومنذ ذلك الحين ارتبط اسم تيتوس دائمًا بهدم الهيكل المزعوم، ويعتبره اليهود مسئولًا عن شتاتهم،

(١) الموسوعة اليهودية مج (٤/١٩٥) مرجع سابق.

(٢) المفصل (٣٦،٣٥).

(٣) المرجع السابق (٣٦،٣٥).

(٤) الموسوعة اليهودية مج (٤/٢١٧) بتصرف، مرجع سابق.

(٥) موسوعة عالم الأديان مج (٧/١٥٩) بتصرف، مجموعة من كبار الباحثين بإشراف ط.ب.مفرّج.

(٦) موسوعة عالم الأديان مج (٧/١٦٠،١٦١) بتصرف.

رغم أن عدد اليهود الموجودين آنذاك خارج فلسطين كان يبلغ ثلاثة أضعاف الموجودين فيها، وفي زمن الرومان تمرد اليهود أكثر من مرة لسبب أو لآخر، وفي كل مرة كان الرومان يقومون بالقضاء على هذه التمردات وتعتبر هذه الفترة في حياة اليهود مرحلة الشتات التي مروا فيها^(١)، قال تعالى: ﴿ وَقَطَعْنَاَهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَّمًا مِّنْهُمْ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ (الأعراف: ١٦٨).

٣- وفي سنة ٧٠ م ومع استمرار إهانات اليهود لروما عاد الإمبراطور تيتوس إلى جيروسالم مصمما على معاقبة اليهود، فهاجم المدينة، ودمر معبد اليهود تدميراً كاملاً، حتى إنه لم يبق حجر على حجر من المعبد قائماً، ثم عاد إلى روما آخذاً معه آلاف السجناء وبعدها أمر الملك بعدم عودة اليهود إلى مدينة جيروسالم ثانية، وفي سنة ١٣٥ م عادت مجموعات من اليهود إلى المدينة، وبدأت بإعادة بناء الهيكل المزعوم، ولما علم إمبراطور الرومان هادريانوس زحف بجيشه إلى المدينة ودمره حجراً حجراً مرة ثانية، وبهذا يكون المعبد قد هدم زمن الرومان وحدهم ثلاث مرات.

لقد ذكر الأستاذ سيد رحمه الله العديد من الأمثلة على تطبيق سنن العقاب منها: أن الله سلط عليهم المسلمون في الجزيرة العربية فأخرجوهم منها، وذكر منها في العصر الحديث تسليط الله لهتلر عليهم^(٢)، وستبقى هذه السنة مسلطة عليهم بقدر من الله، وتحقيق لوعده حتى استتصالحهم من فلسطين.

ثانياً: جرائم اليهود في فلسطين:

المسألة الأولى: عقيدة الإجرام الصهيوني في فلسطين:

إن الناظر إلى الجرائم الصهيونية وبشاعتها، وشموليتها ضد أبناء الشعب الفلسطيني يقف متسائلاً، ما هو الدافع القوي الذي يجعل اليهود يرتكبون مثل هذه الجرائم البشعة، التي طالت الطفل والشيخ، مروراً بالمرأة العجوز، وصولاً إلى الشجر والحجر، وكل حياة الفلسطينيين دون رحمة أو شفقة أو نزعة من إنسانية، ولكن إذا عرف السبب بطل العجب، وفيما يلي يحاول الباحث الإجابة على التساؤل.

١- إن اليهود يعتبرون الجرائم التي يرتكبونها طاعة للرب، وذلك من خلال النصوص المحرفة الموجودة في التوراة، والتي تسمح لهم بقتل غيرهم وتعتبر ذلك تقريباً للرب وطاعة له، ومن هذه النصوص:

(١) انظر الموسوعة اليهودية مج (٤/٢٢٢) انظر التمردات اليهودية فيها.

(٢) الظلال مج (٤/٢٢١٤) مرجع سابق .

أ- ما ورد في سفر يشوع في الإصحاح الثامن، " وضربوهم حتى لم يبق منهم شاردًا ولا منفلتًا، وأما ملك عاي فأمسكوه حيًا وتقدموا به إلى يشوع، وكان لما انتهى إسرائيل من قتل جميع سكان عاي في الحقل والبرية حيث لحقوهم، وسقطوا جميعًا بحد السيف، حتى فنوا أن جميع إسرائيل، رجع إلى عاي وضربوها بحد السيف، فكان جميع الذين سقطوا في ذلك اليوم من رجال ونساء اثني عشر ألفًا، جميع أهل عاي لكن البهائم وغنيمتُ تلك المدينة نهبا إسرائيل لأنفسهم، حسب قول الرب الذي أمر به يشوع، وأحرق يشوع عاي، وجعلها تلة أبدية خرابًا إلى هذا اليوم^(١)، هذا نص واضح تفوح منه رائحة الإجرام الدموي دون رحمة أو شفقة من خلال قتل جميع سكان مدينة عاي سواء كانوا في أعمالهم في الحقول والمزارع، أو في الصحراء، عندما لحقوهم وقتلهم جميعًا، لكن الغريب في هذا النص زعمهم أنهم فعلوا ذلك حسب قول الرب الذي أمر به يشوع كما يدعون، ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةٌ تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنَّ يَقُولُونَ إِنَّا كَذِبًا ﴾ (الكهف/ من الآية ٥).

ب- وفي سفر التثنية نص يقول: وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إلهك نصيبًا فلا تستبِق منها نسمة ما، بل تحرمها تحريمًا الحثيين والأموريين والكنعانيين والفرزيين واليبوسيين، كما أمرك الرب الهك لكي لا تعلموكم أن تعملوا حسب جميع أرجاسكم التي عملوا لآلهتهم فتخطئوا إلى الرب إلهكم^(٢).

ت- وفي سفر أرميا نص دموي يقول: كلمة الرب التي صارت إلى أرميا النبي عن الفلسطينيين، قبل ضرب فرعون غزة هكذا قال الرب ها مياه تصعد من الشمال وتكون سيلًا جارفًا فتغشي الأرض، وملاها المدينة والساكين فيها فيصرخ الناس ويولول كل سكان الأرض، من صوت قرع حوافر أقويائه من صرير مركباته وصرير بكراته لا تلتفت الأباء إلى البنين بسبب ارتخاء الأيدي، بسبب اليوم الآتي لهلاك كل الفلسطينيين لينقرض من صور وصيدون كل بقية تعين، لأن الرب يهلك الفلسطينيين بقية جزيرة كفتور، أتى الصلح على غزة، أهلكت أشقلون مع بقية وطائهم، حتى متى تخمشين نفسك، آه ياسيف الرب حتى متى لا تستريح، انضم إلى غمدك اهدأ واسكن، كيف يستريح والرب وقد أوصاه، على أشقلون وعلى ساحل البحر هناك واعدته^(٣).

ث- وهذا نص توراتي يوجب على اليهود قتل الأطفال الرضع والحيوانات يقول: لأنه هكذا قال السيد الرب كم بالحري إن أرسلت أحكامي الرديئة على أورشليم سيفًا وجوعًا ووحشًا رديئًا

(١) الإصحاح الثامن: سفر يشوع: ٢٤-٢٩.

(٢) سفر التثنية الإصحاح العشرين: الفقرة ١٥ - ١٨.

(٣) سفر أرميا الإصحاح السابع والأربعون: الفقرة ١-٧.

ووباً لأقطع منها الإنسان والحيوان^(١)، إضافة إلى العديد من النصوص التي تدعو للقضاء على الفلسطينيين واستئصالهم من بلادهم.

٢. فلسطين لهم وحدهم، والفلسطينيون إلى الموت حسب زعمهم، ويعتمدون على ذلك من خلال نصوص التوراة التي تقول: "فأتوا إلى أرض كنعان واجتاز أبرام في الأرض إلى مكان شكيم إلى بلوطة مروة وكان الكنعانيون حينئذ في الأرض وظهر الرب لأبرام وقال لنسلك أعطى هذه الأرض"^(٢)، ويقصدون بذلك فلسطين لذلك سمّوها أرض الميعاد التي وعد الرب إبراهيم حسب زعمهم أن يهبها له ولنسله من بعده، وهذا ما عبر عنه الصهيوني يوسف واتيز في يومياته قائلا: "لا يوجد مكان لشعبين في هذا البلد، ولا سبيل إلى ذلك إلا بنقل العرب من هنا إلى البلدان المجاورة، ويقول جابوتتسكى: "الثقافة ليست أن تتعلم كيف تقرأ ولكنها أن تتعلم كيف تطلق الرصاص، وهذه هي الأهداف التي سأظل أزرعها في نفوس الشبيبة حتى نهاية حياتي"^(٣)، ولقد عملت الصهيونية جهدها من أجل تكريس هذا المبدأ حتى يظل شعب الله المختار وحده يعيش في فلسطين وهذا ما عمل عليه كل قيادة دولتهم، منهم مناحيم بيجين وروفائيل إيتان: "إنهم يعتبرون أن العرب مجرد صراصير يجب سحقهم، وهو ما يفسر أقوال بن غوريون عن التفوق الأخلاقي لليهود حيث يقول: "إنني مؤمن بتفوقنا الأخلاقي والذهني، وفي قدرتنا على أن نكون نموذجا لانبعاث العنصر البشري، أما رئيسة الوزراء غولدا مائير فقالت: "لا شئ هناك اسمه الفلسطينيون، لا وجود لهؤلاء، وهو ما دفعها إلى القول إن كل طفل عربي يولد في فلسطين يملؤها بالكآبة ويعكر عليها مزاجها"^(٤)، وهذا موشيه مناحيم يعبر عن عنصرية حاقدة فيقول: "إن أرض إسرائيل يجب أن تصبح لنا مطهرة من الأجانب، نظيفة من الغرباء العرب الفلسطينيين" وأما العنصري والمجرم مائير كاهانا فقال: "لا يظهر المسيح إلا إذا تم قتل العرب"^(٥).

وهذه بعض النصوص التي يعتمد عليها اليهود في ارتكاب جرائمهم وتهويد ما تبقى من فلسطين ليحققوا وعد الله لهم: ليستعبد لك شعوب، وتسجد لك قبائل، كن سيّداً لإخوتك وليسجد لك بنو أمك، ليكن لاعنوك ملعونين، ومباركوك مباركين.^(٦) ويذكر سفر التكوين في الإصحاح

(١) سفر حزقيال الإصحاح الرابع عشر: الفقرة ٢٢ .

(٢) سفر التكوين الإصحاح الثاني عشر: الفقرة من ٥ - ٦ .

(٣) صامد الاقتصادي (٩٣) خليل السواحري ، السنة العشرون - العدد ١٣ - تموز - آب - أيلول ١٩٨٨م
نقلا عن كتاب من هم الإرهابيون .

(٤) المرجع السابق (ص ٩٥).

(٥) المرجع السابق (ص ٩٩).

(٦) سفر التكوين: الإصحاح السابع والعشرون: ٢٩ (ص ٣٠).

الثامن والعشرين أن يعقوب بعدما خرج من بئر السبع وذهب إلى حاران وبات فيها ناداه ربه قائلاً : أنا الرب إله أبليك إبراهيم وإله إسحق، الأرض التي أنت مضطجع عليها، أعطاه لك ولنسلك، ويكون نسلك كتراب الأرض وتمتد غرباً وشرقاً وشمالاً وجنوباً، ويتبارك فيك وفي نسلك، جميع قبائل الأرض، وها أنا معك وأحفظك حيثما تذهب، وأردك إلى هذه الأرض^(١).

المسألة الثانية: الرد على مزاعمهم:

هناك العديد من النصوص القرآنية التي تدحض إفتراءاتهم وادعاءاتهم، بل وتدينهم وتثبت أن الله عندما وعدهم بدخول الأرض المقدسة رفضوا دخولها، بسبب جنهم، قال تعالى: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَ نَدْخُلُهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾ (المائدة/٢٢)، وموسى ﷺ قال لهم إن الأرض للمتقين وليست للمجرمين القتلة والمفسدين ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (الأعراف/١٢٨)، وهم ليسوا كذلك، والزيور الذي أنزل على داود ﷺ يدحض ادعاءاتهم وافتراءاتهم، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ (الأنبياء/١٠٥).

المسألة الثالثة: نماذج من جرائم اليهود في فلسطين:

مخطئ من يظن أن جرائم اليهود في فلسطين بدأت بعد قيام دولتهم المزعومة فيها، وإنما بدأت يوم أن بدأ اليهود يراودون السلطان عبد الحميد رحمه الله أكثر من مرة، إما مباشرة من خلال زعيمهم الهالك هرتزل، أو من خلال الوسطاء، وذلك ليبيعهم جزءاً من أرض فلسطين مقابل أن يقوموا بتسديد الديون التي تراكمت على الدولة العثمانية، ومنحه الهبات المالية، لكن السلطان رحمه الله قال قولته المشهورة: "لا أقدر أن أبيع ولو قدماً واحداً من البلاد، لأنها ليست لي، بل لأمتي، لقد حصلت أمتي على هذه الإمبراطورية بإراقة دماؤها، وسوف تحميها بدمائها، قبل أن تسمح لأحد باغتصابها منا، ليحتفظ اليهود بملايينهم، فإذا قسمت الإمبراطورية، فقد يحصل اليهود على فلسطين دون مقابل، إنما لن تقسم إلّا على جثثنا"^(٢)، "فكانت نتيجة ذلك أن أصبح السلطان عبد الحميد هدفاً للمؤامرات الاستعمارية والصهيونية بسبب موقفه هذا"^(٣)، لذلك فإن من أكبر الجرائم التي ارتكبتها اليهود، فضلاً عن سكوت العالم العربي والإسلامي، قبل الغربي عليها، جريمة اغتصابهم لأرض فلسطين، لأنهم

(١) سفر التكوين: الإصحاح الثامن والعشرون: ١٣-١٥.

(٢) السلطان عبد الحميد الثاني وفلسطين، (ص ١٠) رفيق شاكر الننتشة، ط الثالثة ١٤٠٦-١٩٨٥ م.

(٣) المرجع السابق (ص ١٢).

يعلمون جيداً، أن لها أهلاً سكنوها قبل آلاف السنين، وقبل ميلاد موسى ﷺ، وحتى بريطانيا التي منحتم إياها، بمقتضى وعد بلفور، لا تملك ذلك، لأن فلسطين ليست ملكاً لها، وهل يعقل أن من لا يملك شيئاً يمنحه لغيره !!؟، لذلك فإن القرار باطل شرعاً وعقلاً وقانوناً وتاريخاً، بكل المقاييس والقوانين والشرائع، لذا فلا يجوز الاعتراف به وبتبعاته، ومع ذلك فالسكوت، لا بل التآمر على تضييع هذا الحق لا زال قائماً من العالمين العربي والإسلامي، والأدهى من ذلك والأمر أن ينضم إليهم بعض الفلسطينيين، من خلال ما يسمى باتفاقيات السلام الموقعة بينهم وبين ما يسمى دولة إسرائيل.

إن الحرب الممنهجة التي قادها اليهود من أجل العمل على تهجير الشعب الفلسطيني، من أرضه بشتى الوسائل، تارة بالترغيب وأخرى بالترهيب، وكان الهدف الإستراتيجي الذي يسعى إليه اليهود من طرد الفلسطينيين، هو أن تبقى الأرض لهم وحدهم، لا يشاركهم فيها أحد، وهذا ما أكده مدير الصندوق القومي اليهودي يوسف فيتر عام ١٩٤٠م قائلاً: "ينبغي أن يكون واضحاً لنا، أنه لا مكان في هذا البلد - فلسطين - لشعبين، فإن غادره العرب فسيكون كافياً لنا، وليست هناك وسيلة أخرى غير ترحيلهم جميعاً، فلا يبقى لهم أية أثر في أي قرية^(١)، وبذلك بدأت سلسلة جرائم اليهود من خلال التنظيمات السرية المسماة الأرغون والهاغاناة، وإتسل وغيرها، يقول غازي السعدي: "ويمكن اعتبار العام ١٩٣٦م نقطة تحول هامة في تاريخ عمليات الإرهاب الصهيونية، فقد شهد العالم إدخال الإرهابيين اليهود صنوفاً جديدة من الإرهاب في فلسطين، راح ضحيتها السكان العرب الأمنون في مدنهم وقراهم، ففي الفترة ما بين ١٩٣٦م-١٩٣٩م ألقى الإرهابيون الصهاينة عشرات القنابل على المقاهي والأسواق والمحلات العربية في يافا وحيفا، وتل أبيب والقدس، أسفرت عن مقتل أكثر من مائة وخمسة وعشرين عربياً، وإصابة المئات بجروح"^(٢)، وبعد ذلك استمرت جرائم اليهود في فلسطين متواصلة، إلى يومنا هذا، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

١- مجزرة دير ياسين بتاريخ ٩/٤/١٩٤٨م فجرًا، حيث نفذت عصابات الاتسل وليحي، وباطلاع وموافقة قائد عصابة الهاجاناه في مدينة القدس، المدعو دافيد شاليتيل، مذبحه رهبية في بلدة دير ياسين، فقتلت مائتين وأربعة وخمسين فلسطينياً معظمهم من النساء والأطفال والشيوخ، وكان الهدف من المذبحة إلقاء الرعب في قلوب العرب وإرهابهم، لحملهم على

(١) الصهيونية من بابل إلى يوش (ص٣٣٩)، إبراهيم الحارثي - دار البشير للثقافة والعلوم ط - الأولى

١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م .

(٢) من ملفات الإرهاب الصهيوني في فلسطين (ص١٨) دار الجليل للنشر - عمان - ط الأولى ١٩٨٥م، وللمزيد من معرفة الجرائم انظر (ص٤٣ - ٤٥) نفس المصدر السابق.

ترك قراهم وديارهم^(١).

٢- إحراق المسجد الأقصى بتاريخ ٢١/٨/١٩٦٩م، بعدما قامت السلطات الإسرائيلية بقطع المياه عن منطقة الحرم فور ظهور الحريق وحاولت منع المواطنين العرب من الاقتراب، وادعت أن الذي قام بعملية الحرق شاب معتوه، ومختل عقليا^(٢)!!.

٣- مذبحه الأقصى حدثت في الثامن من أكتوبر ١٩٩٠م، يوم الاثنين قبل صلاة الظهر، عندما حاول متطرفون يهود وضع حجر الأساس للهيكل الثالث المزعوم، تلاها بعض الاشتباكات بين المصلين العزل، وبين ما يسمى بحرس الحدود الذين أطلقوا النار بكثافة على المصلين مما أدى إلى استشهاد أكثر من ٢١ شهيد وجرح أكثر من مائة وخمسين منهم^(٣).

٤- ومن أبشع الجرائم التي ارتكبتها الصهاينة، مجزرة الحرم الإبراهيمي في الخليل بتاريخ ٢٥ فبراير ١٩٩٤م على يد المجرم باروخ غولد شتاين وكان ذلك في صلاة الفجر، وقبل أن يكملوا صلاتهم دوت أصوات انفجارات القنابل اليدوية وزخات الرصاص، واخترقت شطايا القنابل والرصاص رؤوس المصلين ورقابهم وظهورهم التي ركعت لله لتصيب أكثر من ثلاثمائة وخمسين، بين شهيد وجريح في أقل من عشر دقائق، هذا وقد شارك الجيش نفسه في تلك المجزرة فكان يطلق النار على من يقوم بإسعاف أو نقل المصابين والجرحى^(٤).

٥- إضافة إلى المحارق التي تجري بين الحين والآخر من مجازر في قطاع غزة، منها المحرقة في شماله، التي أتت على معظم مقدرات السكان المدنيين الفلسطينيين، من تجريف للأراضي، وهدم للبيوت على رؤوس ساكنيها، واتلاف لمزروعاتهم ومواشيهم، التي يعتاشون منها، مروراً باقتلاع الأشجار التي وصل عمر البعض منها إلى مئات السنين، والحصار المفروض الآن على مليون ونصف المليون من الرجال والشيوخ والنساء والأطفال الرضع المحرومين الدواء وحتى حليب الرضع!!.

٦- ومن أبشع الجرائم في هذا العصر الحرب الأخيرة على قطاع غزة — حرب الفرقان — والتي جاءت بعد حصار استمر ثلاث سنوات متتالية، قضى على معظم مقدرات الشعب

(١) مع الإشارة إلى أن عدد سكانها كان ١٨٠٠ نسمة ومساحتها ١٨٠٠ دونم، انظر (ص٥٨،٥٩)

وانظر تفاصيل المجزرة المروعة، المجازر الصهيونية ضد الشعب الفلسطيني، مرجع سابق.

(٢) المرجع السابق (ص٥٣) بتصريف، جواد الحمد، مركز دراسات الشرق الأوسط — الثانية — عمان — ٢٠٠٠م.

(٣) المرجع السابق (ص٥٥،٥٤) بتصريف، وانظر الاعتداءات الصهيونية على المسجد الأقصى (ص٥٨-٥٩)

(٤) المجازر الصهيونية ضد الشعب الفلسطيني (ص٦٤-٦٦) بتصريف، جواد الحمد، وانظر الاعتداءات الإرهابية على الحرم الإبراهيمي (٧٦،٧٧).

الفلسطيني، حيث استخدم اليهود ثلث سلاح الجو عندهم، ونفذوا أكثر من ألفي غارة جوية، ألقوا خلالها آلاف الأطنان من القنابل المتنوعة، وأهمها القنابل الفوسفورية المحرمة دولياً، على رؤوس المدنيين العزل من كل شيء، إلا تقتهم بالله، ثم بعدالة قضيتهم وثبات حقهم، فأصابت الأطفال، وأحرقت المواطنين والنساء، وأتلفت معظم مزرعاتهم ومواشيهم، ولوثت حتي مياه الشرب عندهم، إضافة إلى تدمير كل المؤسسات الحكومية والمدنية، ودور العبادة من المساجد (١)، وهدم البعض منها على رؤوس المصلين، وقتلت عائلات كاملة بعد هدم بيوتها على رؤوسها، وتم بتر أعضاء عدد كبير من المواطنين، وعدد آخر أصيب بإعاقات دائمة متفاوتة، بين الإعاقة الكلية والجزئية، ولا زالت هذه الحرب مستمرة على سكان قطاع غزة حتى كتابة هذه السطور والكلمات، ولا ندري لها نهاية، حتى يقضي الله أمر كان مفعولاً.

المطلب الرابع: خطوات المنهج القرآن في استئصال جرائم اليهود من فلسطين:

قال تعالى: ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴾ (الإسراء/ ٢-٧).

أولاً: التفسير الإجمالي:

إن هذه الآيات من سورة بني إسرائيل (٢)، تتحدث عن إفسادتين متميزتين كبيرتين في تاريخ بني إسرائيل، وصفهما القرآن الكريم بالعلو الكبير، مع أنه تحدث قبل ذلك عن الكثير من إفساد بني إسرائيل، إلا أنه لم يصف شيئاً منه بهذا الوصف، رغم تاريخهم الحافل بالإفساد في الأرض، وكذلك ذكرت أوصاف من يسلطهم الله عليهم تحقيقاً لسنة في العقاب عليهم، فإذا جاء موعد الإفسادة الأولى، أرسل الله عليهم عبداً له يتصفون بالشدة والقوة ليزيلوا إفسادهم دون رحمة أو شفقة، فدخلوا عليهم قراهم وطافوا بين منازلهم وهم منتصرون، وهذا يعني بقاء بني إسرائيل حيناً من الدهر، ثم بعد أن تخلى عباد الله عن منهجهم، وأعاد الله لبني إسرائيل الكرة عليهم ليفسدوا الإفسادة الثانية التي نعيشها ونحياها، وأصبحوا أكثر قدرة وقوة وغلبة من عباد الله، الذين تجردوا من هذه الصفة، فدخلوا معاركهم مع بني إسرائيل دون دين وعقيدة، ففقدوا مقومات الانتصار، وانتصر بنو إسرائيل عليهم، وخلال تلك الفترة علا اليهود في الأرض وأفسدوا فيها، ونحن الآن

(١) انظر ملحق (رقم ٤ ص ٣٩٥).

(٢) أسباب النزول للواحدي (ص ١٦٠) مرجع سابق.

بانتظار عودة المسلمين، عندما يعودون لدينهم ليدمروا علوهم، ويدخلوا المسجد الأقصى كما دخلوه أول مرة.

ثانياً: منهج الإعداد للمعركة الفاصلة:

وفيه ثماني مسائل:

المسألة الأولى: إسلامية المعركة:

قال تعالى [وَلْيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ] (الإسراء/٧) ، وتتضح هذه المعالم للباحث من خلال الترابط بين الحديث في بداية السورة عن المسجد الأقصى، وما يمثله من مكانة دينية وتاريخية للمسلمين، ومعجزة الإسراء والمعراج، وما يمثله هي الأخرى من أهمية، وبين الحديث عن إفسادتي بني إسرائيل، لأن من بعض أهداف المعارك القادمة من ستكون له السيادة على الأرض المباركة، لذلك من أجل هذا لا بد من العمل على جميع الأصعدة حتى تكون المعركة الفاصلة إسلامية المنهج، وتحشد لها كل الطاقات في العالم، لأن اليهود كما سبق ينطلقون في حربهم ضد المسلمين في فلسطين من منطلق عقائدي، على اعتبار أن الله منحهم الأرض المقدسة، ولا تواجه هذه العقيدة المشوهة، إلا بعقيدة التوحيد ذات المحجة البيضاء.

المسألة الثانية: التخطيط والإعداد:

قال تعالى: [وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ] (الأنفال/٦٠) وقال: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (التوبة/٤١).

يأمر الله ﷻ المؤمنين بالإعداد، وبذل أوسع الجهود والطاقات، من جميع ما لديهم من إمكانيات مادية وروحية، بأحدث ما توصل إليه العقل البشري، وذلك من أجل أن يلقوا الرعب في قلوب أعدائهم، ومن ضمن الإعداد البشري إعلان النفير العام، إذا تطلب الأمر ذلك، شيوخاً وشباباً وشيباً ونساءً، حتى يرهبون عدو الله وعدوهم، والآخرين الذين يمكن أن يتعرضوا للمؤمنين، سواء أثناء انشغالهم مع عدوهم، أو من حيث المبدأ، المهم العمل على كل ما من شأنه أن يبقي المجتمع المسلم قوياً ضد أعدائه.

قال صاحب المنار: "والإعداد هو تهيئته الشيء للمستقبل" (١)، قال الطبري: "ما أطقتم أن تعدوه لهم من الآلات التي تكون قوة لكم عليهم من السلاح والخيال" (٢).

وعلى ضوء ما سبق فالإعداد يشمل كل ما من شأنه أن يحقق أهداف المسلمين، من خطط وبرامج عسكرية، والأخذ بجميع الأسباب التي تؤدي إلى تحقيق قوله تعالى: [ثُرْهُبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَمَّا تَعْلَمُونَهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ] (الأنفال/٦٠)، قال سيد قطب: "الاستعداد بما في الطوق فريضة تصاحب فريضة الجهاد، والنص يأمر بإعداد القوة، على اختلاف صنوفها وألوانها وأسبابها، فهي حدود الطاقة إلى أقصاها بحيث لا تقعد العصبة المسلمة عن سبب من أسباب القوة يدخل في طاقتها" (٣).

المسألة الثالثة: أنواع الإعداد:

١- إعداد القيادة الربانية: وهي التي تستطيع أن تقود الأمة بحكمة وشجاعة، مستعينة بالله، مستنيرة بمنهجه، لأن القائد بمثابة الرأس للجسد، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسد فإن ذلك مدعاة للفساد، ولعل في قول الله في بداية سورة الإسراء - بعده - إشارة إلى ربانية القيادة التي تحقق معنى العبودية الحقيقية، فتكون صلاتها ونسكها ومحياها ومماتها لله، وتقاتل لتكون كلمة الله هي العليا.

٢- إعداد الجند الربانيين: (عبادا لنا): وهم أتباع القيادة السابقة التي وصفها الله - بعده - قال تعالى [وَكَايِّنَ مِنْ نَبِيِّ قَاتِلٍ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ] (آل عمران/١٤٦)، هذه الآيات وغيرها في القرآن الكريم تشير إلى ضرورة ربانية الجيش، الذي يقاتل تحت إمرة القيادة الربانية، ضمن منهج قرآني فريد يقاتل ليكون الدين لله، لا يريد علواً في الأرض ولا فساداً، ويحقق وصية الرسول للقيادة والجند وهو يودعهم أثناء المعارك قائلاً: (انطلقوا باسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله لا تقتلوا شيخاً فانياً ولا طفلاً ولا صغيراً ولا امرأة ولا تغلوا وضموا غنائمكم وأصلحوا وأحسنوا ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٤) (البقرة/١٩٥).

(١) تفسير المنار مج (٦١/١٠) مرجع سابق.

(٢) جامع البيان مج (٢٧٤/٦) مرجع سابق.

(٣) تفسير الظلال مج (١٥٤٣/٣) بتصرف، مرجع سابق .

(٤) د - عن أنس (٣٧/٣ رقم ٢٦١٤) والبيهقي (٩٠/٩ رقم ١٧٩٣٢). انظر جامع الحديث ب - تابع الهمزة مع النون مج (٨٧/٧)، وعند مسلم، ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدًا. الجمع على الصحيحين مج (٢٢٨/١) مرجع سابق.

المسألة الرابعة : سر التنكير في لفظ (قوة).

جاء التعبير بصيغة النكرة للتكثير والتهويل، وفتح المجال أمام المسلمين دون حدود من أجل الحصول على كل أنواع القوة التي من خلالها يرهبون أعداءهم ويحققون أهدافهم، وأهم أنواع القوة قوة العقيدة والإيمان، وقوة الصف والساعد والسلاح، قال الشوكاني: "القوة كل من يتقوى به على حرب الأعداء وآلة الجهاد، ومن ذلك السلاح والقسى"^(١).

قال سيد قطب: "إنه لا بد للإسلام من قوة ينطلق بها لتحرير الأرض والإنسان وأول ذلك توفير الحماية للمؤمنين على عقيدتهم وحريرتهم فلا يفتنوا عنها وثانيها أن ترهب هذه القوة أعداء المسلمين الذين يقفون في وجد المد الإسلامي وهو ينطلق لتحرير الإنسان"^(٢).

المسألة الخامسة: قوة التعبير في قول النبي:(القوة الرمي).

ومن أهم القوة التي يجب على المسلمين إعدادها لإرهاب عدوهم، قوة الرمي.
عَنْ أَبِي عَلِيٍّ ثَمَامَةَ بْنِ شَفِيٍّ أَنَّهُ سَمِعَ عُقْبَةَ بْنَ عَامِرٍ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ عَلَى الْمُنْبَرِ يَقُولُ: (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمِيَّ أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمِيَّ) ^(٣)، ولماذا القوة في الرمي؟.

لأن الرمي يمكنك من عدوك عن بعد دون أن يتمكن هو منك، فإذا كان المسلمون رماة وتفوقوا في هذا الفن كانوا هم المنتصرون على العدو، ودمروا معنوياتهم، والواقع خير دليل على ذلك لأن معظم حروب اليوم تحسم من خلال الرمي، قال الشعراوي رحمه الله: "لقد صارت المدفعية لفترة من الزمن هي السلاح لأنها المحقق للنصر لبعدها وبعدها جاءت الطائرات هي السلاح الأقوى لأنها ترم بقنابلها عن بعد، والآن تطورت قوة الرمي إلى الصاروخ الذي يعبر القارات وبضرب عن بعد فيدمر أهدافه"^(٤).

المسألة السادسة: دلالة التعبير في قول الله (رباط الخيل).

في هذا التعبير إشارة واضحة إلى دور الخيل في المعارك قديماً، حيث كانت تستخدم في الكر والإغارة وتنفيذ المهام ثم تفر مسرعة، قال تعالى [وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا] (العاديات/ ١-٥)، قال أبو زهرة: "وذكر لفظ الخيل في الآية لها دلالات عديدة منها:

(١) فتح القدير مج (٣٨٩/٢) بتصرف مرجع سابق.

(٢) الظلال مج (١٥٤٣/٣) مرجع سابق.

(٣) م — ك الإمارة — ب فضل الرمي والحث عليه وذم من علمه ثم نسيه (ج ٦/ ص ٥٢ رقم (٥٠٥٥)، دار الجيل بيروت — دار الأفاق الجديدة — بيروت.

(٤) تفسير الشعراوي مج (٨/ ٤٧٧٧) مرجع سابق.

١- أنها سبب لحلول الخير في المسلمين، (عَنْ نَافِعٍ عَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (الْخَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ) (١).

٢- لأنها رمز القوة والعزة للمسلمين، وسميت بهذا الاسم لأن الراكب يختال عليها، ويفخر في الميدان ويتحدى صناديد الفرسان، وهذا ما حدث مع أبي دجانة سماك بن خرشة في غزوة أحد، عن عبد الله بن خالد بن سماك بن خرشة عن أبيه عن جده (أن أبا دجانة يوم أحد أعلم بعصابة حمراء، فنظر إليه رسول الله ﷺ وهو مختال في مشيته بين الصفيين فقال إنها مشية يبغضها الله إلا في هذا الموضع) (٢)، "لأن الخيل كانت في ذلك الوقت أقوى مظهر من مظاهر القوة والفروسية فحيث كانت الخيل كانت القوة والمنفعة" (٣).

المسألة السابعة: سلاح التوكل على الله:

١- المعنى العام للتوكل: يقول ابن القيم: "هو القيام بالأسباب دون الاطمئنان إليها، فلا يرجوها ولا يخافها أن يركن إليها، بل قائماً بها، ناظراً إلى مسببها ومجريها سبحانه فلا يصح التوكل شرعاً وعقلاً إلا عليه تعالى، لأنه وحده مسبب الأسباب (٤)، ويرى الباحث أن التوكل هو الاعتماد المطلق على الله وحده، في جلب كل المنافع ودفع المضار، أو هو الثقة بما في أيدي الله، واليأس مما في أيدي الناس، ويكون التوكل في جميع الأحوال ويأتي بعد الإعداد والأخذ بجميع الأسباب سابقة الذكر، ولسان حال المؤمنين يردد [وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آدَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ] (إبراهيم/ ١٢).

٢- أهمية التوكل في المعركة الفاصلة: تأتي أهمية التوكل في المعركة القادمة، لأن نفيير اليهود اليوم ووقوف كل دول الكفر والشرك وأهل النفاق معهم يترتب على المؤمنين الأخذ بهذا السلاح لأهميته في الصراع الدائر، قال تعالى: [الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ] (آل عمران/ ١٧٣)، وقال تعالى [فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ] (٥) (البقرة/ ٢٥١).

(١) م - ب - الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة (ج/٦/٣١ رقم ٤٩٥٣) مرجع سابق.

(٢) الطبراني في معجمه الكبير (ج/٧/ص ١٠٥ ح ٦٥٠٨).

(٣) تفسير القرآن للقران مج (٦٤٨/٣) مرجع سابق.

(٤) مدارج السالكين ، ج ٣/٥٢٢ باختصار وتصرف ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، بدون طبعة.

(٥) انظر أهمية سلاح التوكل (ص ٥٢، ٥٦) .

المسألة الثامنة: صفات الطائفة المنصورة:

اشتملت الآيات السابقة على العديد من هذه الصفات:

١- صفة الربانية، قال تعالى: **عِبَادًا لَنَا** - حيث أضافهم الله إلى ضمير العظمة - **نا** - إضافة تكريم وتشريف، لأنهم حققوا معنى العبودية التابعة لقوله تعالى: ﴿ **سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ** ﴾ ، فهم أتباع الرسول وعلى سنته يسرون، وقال تعالى وهو يبين أهمية وأثر هذه الصفة في المعارك: ﴿ **وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيِّ قَاتَلَ مَعَهُ رِثْيُونٌ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ** ﴾ (آل عمران/ ١٤٦)، فهؤلاء الربانيون هم المؤهلون لإزالة الفساد من الأرض.

٢- ملامح الربانية في القرآن: قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ** ﴾ (المائدة/ ٥٤)، اشتملت هذه الآية على العديد من ملامح الربانية وهي على النحو التالي :

أ- **محبة الله ﷻ** : قال تعالى: **يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ** - والمحبة لها عدة معاني عديدة يمكن حصرها في معنى واحد هو إيثار وتقديم كل ما يريده المحبوب، على ما يريده ويحبه المحبوب، على ما يريده ويحبه المحب، وترجمة ذلك تتضح في حديث رسول الله: **عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ)**^(١)، قال الزمخشري: محبة العباد لربهم، طاعته وابتغاء مرضاته، وألا يفعلوا ما يوجب سخطه، وعقابه^(٢).

ب- **الذلة على المؤمنين**: قال تعالى: ﴿ **أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ (المائدة/٥٤)، وقال سبحانه وهو يبين معنى هذه الذلة: ﴿ **رُحَمَاءَ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكْعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا** ﴾ (الفتح/من الآية ٢٩)، وقال لحبيبه محمد ﷺ [**وَإِخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**] (الشعراء/٢١٥).

ت- **العزة على الكافرين**: قال تعالى: **(أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ)**.

ولقد فسر القرآن الكريم هذه العزة في العديد من آياته: قال تعالى: ﴿ **بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ**] (الإسراء/٥)، وهم الذين أعدوا قوة الإيمان واليقين بالله، قبل قوة الساعد والسلاح، وقال تعالى وهو يبين أثر هذه القوة في الميدان: ﴿ **أَعِزَّةٍ عَلَى**

(١) خ - ك الإيمان - ب حب الرسول من الإيمان (ج ١/ ص ١٤ رقم ١٤).

(٢) الكشاف مج (١/٦٢١).

الكَافِرِينَ] (المائدة/٥٤)، وقال: ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ - ﴿ الفتح/٢٩)، ﴿ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ]، وأما بأسهم في الميدان فقوتهم تنتضح في قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثَخنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا[(محمد/٤)، وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلظَةً وَعَلِّمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿ (التوبة/١٢٣).

ث- **الجهاد دون خوف من لوم أحد**، قال تعالى: ﴿ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ] (المائدة/٥٤)، لأن الجهاد مفروض لمحاربة الكافرين، لتكون كلمة الله هي العليا، وتكون كلمة الذين كفروا السفلى، فلما أن يسلموا، أو يبقوا على ملتهم ويعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون، وإلّا فالسيف، لذلك لا يراعى لأحد لوم، لأنه قد يكون من مظاهر الحرب الإثخان في الأعداء، وكثرة القتل فيهم، وتدمير بيوتهم وممتلكاتهم، فترتفع أصوات اللائمين دعاة حقوق الإنسان زورا وبهتانا، أو المنافقون والعملاء ليسموا هذا الجهاد إرهابا وعنفا، أما عندما يقتل المسلمون في فلسطين وغيرها في بلاد المسلمين، لا نسمع تلك الأصوات إلّا على استحياء، ولا أحد يتحرك، لذلك فإنه أمام لوم اللائمين من القريب والبعيد، وربما من داخل البيت والوطن، ترتفع أصوات اللائمين للتشكيك والتثبيط، فإنه لا يثبت على طريق الجهاد إلا الذي تحرر من لومهم، وجاهد في ذات الله، ومن أجل الله، لحتمل الضغوطات كلها، ضغط المجتمع الذي يستخف بالجهاد، " وربما لا يقبل بذلك أحد، وضغوطات المنهزمين والجنباء الذين يعتبرون أن الجهاد لم يعد يجدي نفعا في زمن العولمة، وضغط الضمير العالمي الكاذب"^(١).

٣- **الثقة بنصر الله** [إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذَلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ] (المائدة/١٦٠) وقال تعالى [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَسْطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيهِمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ] (المائدة/١١)، وقوله تعالى ﴿ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ] (التوبة/٥١)، عن ثوبان قال: قال رسول الله: (لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين، لا يضرهم من يخذلهم حتى يأتي أمر الله)^(٢)، وفي رواية جابر بن عبد الله (لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة)^(٣) وفي رواية عمران بن حصين (ظاهرين على من

(١) جند الله ثقافة وأخلاقا (ص٣٥٨، ٣٥٧).

(٢) ت - ك الفتن عن رسول الله - ب ما جاء في الأئمة المضلين (رقم ٢١٥٥).

(٣) حم - ك باقي مسند المكثرين - ب مسند جابر بن عبد الله (رقم ١٤١٩٣).

ناوأهم^(١)، ومن حديث أبي أمامه: (لعدوهم قاهرين لا يضرهم من خالفهم إلا ما أصابهم من لأواء حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك، قالوا يا رسول الله وأين هم؟ قال بيت المقدس وأكناف بيت المقدس)^(٢).

* ملامح الثقة بنصر الله: قوله ﷺ: (على الحق ظاهرين) أي أنهم متمكنون من الطريق الذي يسبرون فيه، لأنهم على الحق، رغم كل العقبات التي تعترضهم من حولهم، فذكرت الروايات أحوال المثبتين والمخذلين والمخالفين، الذين يحاولون ثنى هؤلاء عن طريقهم، بكل الوسائل التي يمتلكونها، إلا أنهم لا يزالون بنهجهم مستمسكين، وينصر الله القادم واثقين.

٤- فلسطين موطنهم: ويتضح ذلك من سؤال أبي أمامه والصحابة، عندما سألوا الرسول قائلين: وأين هم يا رسول؟، الله قال: بيت المقدس وأكناف بيت المقدس.

هذه أبرز صفات الطائفة المنصورة التي تعيش في أرض فلسطين، إنها ثابتة على دينها تعض عليه رغم كل ما أصابها ويصيبها، من بلاء وجراح وحصار، وإتلاف للأراضي والمزروعات، من القريب والبعيد، من المخالفين والمخذلين، الأعداء وكل الأعداء رموهم عن قوس واحدة، كل له دوره المرسوم له من قبل قوى الكفر الصليبي والصهيوني، ومع ذلك فالمسيرة ماضية، والقافلة تسير وأوشكت على الوصول إلى بر الأمان، ووعد الله قادم .. قادم .. وإن غدا لناظره قريب.

(١) د - ك الجهاد - ب في دوام الجهاد (رقم ٢١٢٥).

(٢) حم - ك باقي مسند الأنصار - ب حديث أبي أسامة الباهلي الصدي بن عجلان بن عمرو (رقم ٢١٢٨٦).

نتائج الفصل الرابع

- ١- إن الله سنناً تسمى سنن العقاب يجريها تبارك وتعالى على المجرمين فيعاقبهم كل بحسب جريمته.
- ٢- إن اليهود لهم سنن بصفة خاصة أجراها الله عليهم، فعاقبهم بها، وسوف تجري عليهم في فلسطين بإذن الله، بسبب جرائمهم فيها، وإن غداً لناظره قريب.
- ٣- إن عودة اليهود إلى فلسطين نبوءة قرآنية، ووجود دولتهم فيها، إنما هو ابتلاء للمؤمنين، والواجب الشرعي يوجب عليهم العمل على إزالة هذا الإفساد اليهودي، لأن اليهود ليس لديهم مقومات تؤهلهم للمكوث في فلسطين.
- ٤- تبين للباحث أن نبوخذ نصر هو الذي أزال الإفسادة الأولى لبني إسرائيل.
- ٥- يرجح الباحث أن الإفسادة الثانية لبني إسرائيل هي التي نعيشها في هذا الزمان، لأنها تتناسب مع حالة العلو والفساد التي يعيشونها اليوم.
- ٦- إن المرشحين لإزالة إفسادهم الثاني اليوم، هم المجاهدون في فلسطين بصفة خاصة، ومعهم كل المسلمين في العالمين العربي والإسلامي.
- ٧- إن الحديث عن إفسادتي بني إسرائيل في سورة الإسراء شغل الكثير من الكتاب والباحثين قديماً وحديثاً، ولقد استطاع الباحث بفضل الله أن يؤصل للحديث عنهما من خلال دراسته.

بيان المنهج القرآني في استئصال جرائم اليهود

- ١- إسلامية المعركة منهجاً وقيادةً وجنداً وخططاً، وضرورة الإعداد والأخذ بالأسباب العلمية والتقنية الحديثة.
- ٢- الإيمان الجازم أن الله تعالى سنناً تسمى سنن العقاب، سوف تجري على جميع خلقه الذين بدلوا نعمة الله كفراً فكانت النتيجة، أن أحل قومهم دار البوار، وسوف تجري على اليهود في فلسطين بسبب فسادهم وإفسادهم.
- ٣- بيان حتمية الانتصار على اليهود في المعركة القادمة التي ستقع حتماً، بسبب حالة العلو والإفساد التي تحدث عنها القرآن الكريم في قوله [وَلْتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا] (الإسراء/٤).
- ٤- الإيمان الجازم بأن علاقة اليهود بفلسطين طارئة ومؤقتة، ولن يطول بقاؤهم فيها، وليس لهم أحقية في ذرة تراب منها، لا من الناحية العقائدية أو التاريخية أو العرقية أو الاجتماعية.

- ٥- بيان حقيقة ضعف اليهود، وجبنهم عن القتال، لأنهم أحرص الناس على حياة، لذا فهم ليسوا أهل قتال ونزال، وإذا دخلوا المعارك الحقيقية مقابل جند العقيدة والإيمان لن يثبتوا فيها، وإن غداً لناظره قريب.
- ٦- ضرورة قيام المسلمين على مصالحهم وثورهم ومقدراتهم وحقوقهم، إذا أرادوا العودة لمجدهم الضائع.
- ٧- وجود النبوءات القرآنية التي تتضح معالمها في قوله تعالى: "إِلَيْسُوا عُوا وَجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبَّرُوا مَا عَلُوا تُثْبِيرًا" [الإسراء/٧]. على النحو التالي:
- أ- إساءة وجوه اليهود: وهي عبارة عن حالة الذلة والمسكنة التي ستظهر على وجوه اليهود بعد نهاية المعركة القادمة، وإن غداً لناظره قريب.
- ب- دخول المؤمنين للمسجد الأقصى، سيكون من أهم معالم المعركة القادمة، وبدخوله تكون نهاية أحلامهم بخصوص إعادة بناء هيكلهم المزعوم.
- ت- نهاية المعركة: حيث سيتم استئصال فسادهم وعلوهم من جذوره، حتى لا تقوم لهم قائمة ويعيشون أقليات إن بقي منهم أحد.

الخاتمة

في نهاية الدراسة التي قمت بها لموضوع منهج القرآن الكريم في التعامل مع جرائم اليهود، فإنني أسأل الله وحده أن أكون قد وفقت لتحقيق الهدف الذي من أجله كان هذا البحث، فإن أصبت فمن الله وحده، وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان، وحسبي أنني بشر يخطئ ويصيب وأقدم النتائج التي توصلت إليها، والتوصيات التي أوصي بها:

أولاً النتائج:

- ١- إن الجرائم تنتشر وتكثر في المجتمعات الكافرة، بسبب غياب الوازع الديني، والرقابة الإلهية فيها، وتقل في المجتمعات الإسلامية، بسبب تحصنها وتمسكها بالدين الذي يمثل سور أمن وأمان لها، ويحصن الفرد والأسرة والمجتمع ضد الجريمة.
- ٢- لقد فرق القرآن قديماً بين بني إسرائيل واليهود، فأثنى على المؤمنين منهم، وذمَّ البعض الآخر، أما في زماننا فلم يعودوا يمتوا بأي صلة إليهم، من الناحية العرقية، وإنما هم من أعراق وأنساب شتى، التقوا على هدف واحد اغتصاب فلسطين، وطرد أهلها منها.
- ٣- قسم القرآن الكريم اليهود إلى فرقتين مؤمني أهل الكتاب، ذكر صفاتهم وأثنى عليهم وهم قلة، والثانية هي الفرقة الكافرين وهم الأغلبية منهم.
- ٤- إن استخدام اليهود اليوم لمصطلحات ذات مدلول ديني وعقائدي هدفهم الخداع والتضليل، وإيهام العالم أنهم لازالوا على ديانة موسى عليه السلام، إضافة إلى تبرير جرائمهم التي ارتكبوها ويرتكبونها في العالم ضد البشرية.
- ٥- إن استهداف فرعون لذكور بني إسرائيل، إنما أراد به القضاء على النسل البشري وهذا يشكل حقداً في قلوب اليهود، وانتقاماً من الشعب المصري في العصر الحديث، كما ينتقمون الآن من الشعب العراقي، بسبب ما حل بهم زمن البابليين على يد نبوخذ نصر.
- ٦- ضرورة انتقاء المجاهدين الأتقياء، من بين المسلمين ليخوضوا معارك التحرير ضد عددهم، كي يعيدوا حقوق المسلمين.
- ٧- إن أفضلية بني إسرائيل التي فضلوا بها على العالمين، كانت في زمن معين ولم تدم عليهم، وبعدها لعنوا وحل عليهم انتقام الله وغضبه.
- ٨- بيان عنصرية اليهود وعدم تورعهم في ارتكاب أي نوع من الآثام والكبائر، واستخدام كل الوسائل لتحقيق مصالحهم.

- ٩- بيان شدة غدر اليهود وخيانتهم، لأي عهد أو ميثاق أبرموه مع غيرهم، لذلك لم يُوفوا بأي منها أبدًا.
- ١٠- لقد استخدم القرآن أسلوب التدرج مع يهود المدينة وهو يذكرهم بأخلاق أسلافهم وصفاتهم، كي يتعظوا ولا يتمثلوا بهم، لكنهم لم يراعوا وأصروا واستكبروا استكبارًا.
- ١١- تبين للباحث أن يهود المدينة، ساروا على نهج الكافرين من سلفهم في معظم جرائمهم، ويهود اليوم لا زالوا على ذلك.
- ١٢- لا يوجد مكان ولا زمان حل فيه اليهود إلا مارسوا الإجرام، دون وازع من دين أو ضمير، ويختلفون المبررات لذلك.
- ١٣- كل الجرائم التي قام اليهود بها كانت عن علم بحكمها الشرعي، وضررها البشري والاجتماعي، ولم يتبين للباحث أن جريمة واحدة ارتكبوها متأولين لنص، أو نتيجة سهو، أو من غير قصد.
- ١٤- لقد شمل الإجرام اليهود في القرآن جميع مناحي الحياة، ولم يترك جانبًا منها إلا وفيه أثر من إجرامهم.
- ١٥- تبين للباحث أن الجرائم التي ارتكبوها اليهود، عاقبهم الله على كل واحدة منها بعقوبة أو أكثر.
- ١٦- كل العقوبات التي نزلت بهم كانت متدرجة، ضمن منهج تربوي لإصلاح نفوسهم.
- ١٧- تنوعت العقوبات بتنوع الجريمة، ما بين التوبيخ واللوم والإنكار والاستهزاء والندم إضافة إلى الخسف والمسح واللعن والصعق، وغيرها.
- ١٨- إن آخر عقوبة نزلت باليهود، ضرب الذلة والمسكنة عليهم، وبعدها تفرقوا في الأرض مشتتين وهم على تلك الحالة عاشوا أقلية، حتى عودتهم إلى فلسطين.
- ١٩- تبين للباحث أن العقوبات التي نزلت في مجملها، إذا قورنت بالجرائم التي ارتكبوها، والضرر الذي ترتب عليها، تكون قليلة، ولعل السبب في ذلك أن الله عاملهم برحمته وعفوه لا بعدله، أو لأنه لم يكن في زمانهم من يوحد الله غيرهم.
- ٢٠- إن وجود ما يسمى بدولة إسرائيل اليوم، رغم قوتها المادية والمعنوية، لا يتنافى مع عقاب الله لهم بالعيش أذلاء مشتتين، لأن ما يعيشونه بسبب حبل الناس الممدود لهم، لذلك وجب على المسلمين قطع هذا الحبل وإلّا فهم آثمون.
- ٢١- إن سنن الله في العقاب والانتقام، سوف تجرى على اليهود في هذا الزمان، لتزيل إفسادهم من فلسطين وغيرها.

٢٢- إن عودة اليهود إلى فلسطين وقيام كيان لهم إنما هو ابتلاء للمسلمين، بسبب بعدهم عن دينهم، إضافة لكونه نبوءة قرآنية، ليسهل على المؤمنين القضاء عليهم وينهى إفسادهم وعلوهم إلى الأبد.

٢٣- ليس لدى اليهود في فلسطين أي مقوم، ديني ولا تاريخي، ولا اجتماعي، ولا حضاري وإنما هم مغتصبون، مجرمون وقتلة، وكل الاتفاقيات التي وقعت أو ستوقع لا تعطيهما أدنى حق في فلسطين.

٢٤- إن الأقرب للمعنى، في قول الله - عباداً لنا - أن اللفظ عام، لأنه لم يثبت للباحث في أحداث التاريخ أن هناك مؤمنين سلطهم الله على بني إسرائيل وأزالوا إفسادهم.

٢٥- يرجح الباحث أن الإفساد الثانية لبنى إسرائيل هي ما يعيشونه اليهود في هذا الزمان.

٢٦- إن المرشحين لإزالة إفسادهم هم المجاهدون في فلسطين، وما حولها بصفة خاصة ومعهم المسلمون في العالمين العربي والإسلامي عامة.

٢٧- توصل الباحث إلى تأصيل قرآني لكل من أراد الحديث عن إفسادتي بني إسرائيل يرجو من الله أن يكون قد فق في ذلك.

٢٨- توصل الباحث إلى بيان المنهج القرآني في استئصال جرائم اليهود من العالم عامة ومن فلسطين خاصة.

٢٩- تبين للباحث أن هناك نبوءات قرآنية ستحدث أثناء المعركة الفاصلة بيننا وبين اليهود ستكون على النحو التالي:

- إساءة الوجه: وهي عبارة عن حالة الذلة والمسكنة التي سيعيشها اليهود بعد ذلك.
- حتمية دخول المسجد الأقصى لأنه بؤرة الصراع بيننا وبين اليهود
- نهاية المعركة: حيث سيتم استئصال فسادهم وعلوهم من جذوره، حتى لا تقوم لهم قائمة ويعيشون أقليات إن بقي منهم أحد.

ثانياً: التوصيات:

١- أوصي المسلمين حكماً وشعوباً، ومؤسسات ومتقنين، بضرورة العمل جميعاً على نشر الفضيلة وتعاليم الدين في مجتمعاتهم، ليحفظوها من انتشار الجرائم وخطر المجرمين.

٢- يوصي الباحث العلماء العاملين في حقل الدعوة في العالمين العربي والإسلامي، بإعادة توعية الأمة، بمفهوم حقيقة عقيدة الولاء والبراء، عند المسلمين، وبيان أثرها وأهميتها في صياغة مستقبلهم، وبيان الواجب المترتب عليهم تجاه إخوانهم في فلسطين.

- ٣- أوصى الأمة الإسلامية حكماً وشعوباً ومفكرين، بإعادة النظر في تحديد موقفهم من اليهود، وإعادة تقييم علاقاتهم السابقة مع عدو لا يرقب في مؤمن إلا ولا ذمة.
- ٤- أوصى المسلمين بعدم الانخداع بشعارات السلام المزعوم التي يطلقها اليهود، من حبهم للسلام والعيش في أمن وأمان مع جيرانهم العرب والمسلمين، وعدم الثقة باليهود وعهودهم، لأنهم نقضوها مع الله، فمن باب أولى ينقضونها مع المسلمين، لأن توراتهم تحرم عليهم العهود مع الأمميين.
- ٥- أوصى المسلمين بالحدز الشديد من وسائل اليهود المتعددة لغزو بلادهم والتي تتطور يوماً بعد يوم، لنشر الرذيلة والفساد.
- ٦- أوصى المسلمين بإعادة الثقة بدينهم ومقدراتهم الكثيرة، حتى تعود تثقتهم بأنفسهم.
- ٧- أوصى المسلمين بعدم الانخداع بما يسمى قوة إسرائيل التي لا تقهر، لأنهم جنباء عند النزال، يخافون الموت ويحرصون على الحياة، فأين قوتهم إذن؟
- ٨- أوصى المجاهدين في فلسطين، الاستعانة بالله والتوكل عليه، والاستمرار في جهادهم ورباطهم على الثغور، وعدم المبالاة بمن خافهم، أو خذلهم أو تأمر عليهم وحاصرهم.
- ٩- أوصى المسلمين بالعمل الجاد والاستعداد الكامل للمعركة القادمة والفاصلة مع اليهود، في أرض فلسطين، حتى ينالوا شرف وأجر الرباط والجهاد، والعمل على إسلامية المعركة القادمة، حتى يتحقق النصر بإذن الله.
- ١٠- أوصى المسلمين بتقديم كل أنواع الدعم المادي والمعنوي لقضية فلسطين والقدس والمسجد الأقصى، حتى يستمروا في رباطهم وثباتهم، ويقفوا سداً منيعاً من وصول اليهود عمق العواصم الإسلامية.
- ١١- أوصى منظمة التحرير الفلسطينية، بإعادة تقييم مناهجها ونهجها، وتجربتها في العمل السياسي بصدق وأمانة، والعمل على أسلمة كل مؤسساتها، لتتنسج مع دين الشعب وتاريخه وحضارته.
- ١٢- أوصى المسلمين حكماً ومحكومين، بالعمل الجاد والحقيقي على التخلص من الهيمنة الأمريكية الصهيونية، والثقة بدينها وكتاب ربها، وتاريخها ومقدراتها.

١٣- يوصي الباحث بالعمل الجاد على إطلاق قناة فضائية عالمية هدفها كشف حقيقة اليهود، وبيان خطرهم على البشرية كلها، قديماً وحديثاً، للرد على افتراءاتهم وكل مزاعمهم، حتى يتعرف العالم و الأجيال المضللة على حقيقتهم.

١٤- أوصي المسلمين وكل من يكره الفساد والمفسدين في العالم، بتشكيل قوة تسمى جيش الدفع ضد الجريمة، يشارك فيه كل من يحب أن تعيش البشرية في أمن وأمان.

أولاً : فهرس الآيات

رقم الصفحة	الآية ورقمها
	سورة البقرة
٩٧	وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ (٨)
٩٧	يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (٩)
١٢٥	الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ (٢٧)
١٢٤-٨١	يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي فَأَرْهَبُوكُمُ (٤٠)
-٤٣-٤٢-٣٩	وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ (٤٩)
٨١-٤٥-٤٤	
٨٠	وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (٥٠)
٧٨-٧٥	وَإِذْ وَاوَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ (٥١)
٧٨-٧٥-٧٤	ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٥٢)
-٣٤-٢٥	وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ (٥٤)
٢١٩-٢١٧	
-٧٣-٧٢-٢٥	وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ (٥٥)
٢٤٥-٢٤٣	
٧٢	ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٥٦)
-٦٨-٦٧-٦٦	وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ (٥٧)
٣١٣-٦٩	
١٠٤-٢٦	وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَاَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا (٥٨)
١٠٤-٢٦	فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا (٥٩)
١٥٣	وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ (٦٠)
-٢٦١-٢١٨	ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا
-٢٦٧-٢٥٤	
٢٦٨	
-٢٥-٢٢-٢١	إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ (٦٢)
٢٦	
١٢٥	وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ (٦٣)

٧٨-٧٥	ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٦٤)
٢٥٠-٢٧-٣٣	وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ (٦٥)
٢٥٠-٢٤٧	فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ (٦٦)
١٤٤	وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوعًا (٦٧)
١٤٤	قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بُكْرٌ (٦٨)
١٤٤	قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْثُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ صَفْرَاءُ (٦٩)
١٤٤	قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقْرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا (٧٠)
١٤٤	قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلِّمَةٌ لَّا شِيئَةَ (٧١)
١٤٤	وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (٧٢)
١٤٤	فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٧٣)
-١١٥-١١	ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ (٧٤)
٢٩٩-١١٨	
-٧٧-٣٥	أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يَحْرَفُونَهُ (٧٥)
٢٣٠-٢٢١	
-١٣٤	فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ (٧٩)
-٢٢٢٠٢٢٩	
٢٣٠	
١٠٧	وَقَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارَ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ اتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلَفَ (٨٠)
١٢٣-١٠٧	بَلَىٰ مِنْ كَسْبِ سَيِّئَةٍ وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا (٨١)
-١٢٣-٣٣	وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا (٨٣)
١٢٨	
١٢٨	وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تَخْرُجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ (٨٤)
٣٠٤-١٢٨	ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتَخْرُجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ (٨٥)
١٠١	أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يَخَفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ (٨٦)
٢٦٢-٢٦١	وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ (٨٧)
١١٤	وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ (٨٨)
٢٤١-١٨١	وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ (٨٩)
١٨٢	بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يَنْزِلَ اللَّهُ (٩٠)
٣٤	وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ (٩٢)

٢١٨ -٢١٣٢١٥٥ -٣٣	وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا (٩٣)
٩٨	قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا (٩٤)
٩٨	وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (٩٥)
٨٤-٩٨	وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاتِهِ وَمَنْ الَّذِينَ أُشْرِكُوا يَوْمَ أَحَدُهُمْ لَوْ يَعْمُرُ (٩٦)
	وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ (٩٩)
٢٢٣-١٣٣ -١٢٤-١٢٢	أَوْكَلِمًا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (١٠٠)
١٣٠-١٢٢	وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ (١٠١)
١٠١	وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ (١٠٢)
٢٥٨-٢٢٦	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ (١٠٤)
٢٦٩	مَا يَوْمَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَنَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ (١٠٥)
-١٨٢-١٥٣ -٢٦٩-١٨٨ -٢٨٨-٢٧٤	وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ (١٠٩)
٢٨٣	
١٨٧	وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا (١١١)
١٦٥	وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا (١١٢)
٦٦	وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ (١٢٦)
١٨٥-٢٢	وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ (١١٣)
١٨٦-١٨٠	وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنْ هَدَى اللَّهُ (١٢٠)
٧٢	يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى (١٢٢)
٦٦	رَبِّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ (١٢٩)
٦٦	وَمَنْ يَرْغُبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا (١٣٠)
١٨	وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ قُلَّا (١٣٢)
١٩-١٨	أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي (١٣٣)
٢٢	وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ (١٣٥)
٢٧٧-٢٧٥	سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبَلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ (١٤٢)

٢٧٧	وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ (١٤٣)
٢٧٥	قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ (١٤٤).
١٢٤	وَالْمُؤْفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ (١٧٧)
٢٣٧	فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٨١)
١٣١-٨٧	وَالْمُؤْفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ (١٨٣)
٣٢١	أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ (١٨٤)
٧	وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (١٩٠)
٢٤٣	الشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتِ قِصَاصٌ فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ (١٩٤)
٢٩٧	وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا (٢٠٥)
٣٢	سَلَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ (٢١١)
٥٢	أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ (٢٤٣)
٢٣٢	مَنْ ذَا الَّذِي يُفْرِضُ اللَّهُ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ (٢٤٥)
٥٢	أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لَنَبِيِّ لَهُمْ ابْعَثْ (٢٤٦)
٥١-٤٦-٢٨	فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ (٢٤٩)
٥٥-٥٢	
٥٤-٤٦-٤٨	وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبَّتْ أقدامًا (٢٥٠)
٥٨-٥٧-٤٦	فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ (٢٥١)
٣٦٤-٨٥	
٧٣	أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي (٢٥٩)
٧٢	لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ (٢٧٣)
٢٩٥-٢٣٢	الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ (٢٧٥)
٢٩٥	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٢٧٨)
٩٥	فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ (٢٧٩)
١٠	أَمِنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ (٢٨٥)
	سورة آل عمران
١٢٤	شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ (١٨)
٣٠٨-٣٠٥-٢٦١	إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ (٢١)

٣٠٨-٢٦١	أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتِ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (٢٢)
١٠٧	ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارَ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ (٢٤)
٨٣	قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ (٢٦)
٢٠	فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ (٥٢)
١٤٣-٣١-٢٢	مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ (٦٧)
١٤٣	إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ (٦٨)
-٢٧٨-١٤٣ ٢٨٣	وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ (٦٩)
٢٧٥-١٨٢	وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَيَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَجَهَ (٧٢)
٢٣٠	وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلِ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا (٧٣)
-١٥٥-١٢٤ -١٨٩-١٨٧ ١٩٣-١٩٢	وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدُّهُ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِدِينَارٍ (٧٥)
١٩٣-١٩٢	بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ (٧٦)
١٢٤	إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي (٧٧)
٢٢١	وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُودُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنْ (٧٨)
١٢٧-١٢٦	وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ (٨١)
١٨٦	وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٨٥)
١٧	كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ (٩٣)
-٢٨٢-٢٧٨ ٢٨٣	قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبِعُونَهَا عَوَجًا وَأَنْتُمْ (٩٩)
١٩٥-٦٤	كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ (١١٠)
٢٨٤	لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُؤَلُّوكُمْ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ (١١١)
-٢٦٧-٢٦٦ ٣٢٧	ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ أَيْنَ مَا ثَقَفُوا إِلَّا بِحَبْلِ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ (١١٢)
١٩٤	لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ (١١٣)
١٩٤	يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ (١١٤)
١٩٤	وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ (١١٥)
٢٧٠	وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ (١١٨)

٢٧٢-٢٤١	وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُوا عَلَيْكُمُ الْإِيمَانَ مِنَ الْغَيْظِ (١١٩)
-٢٢٩-١٨٢ ٢٧٣	إِنْ تَمَسَّكُمُ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِيبْكُمُ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا (١٢٠)
٣٦٥-٣٦٢	وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيِّ قَاتَلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ (١٤٦)
٥٠	إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُحْرَاكُمْ فَأَتَابَكُمُ غَمًّا (١٥٣)
٥١	وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ (١٥٤)
٣١٤	وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا (١٦٧)
٣١٤	الَّذِينَ قَالُوا لِيَاخَوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنِّي أَنفُسِكُمْ (١٦٨)
١٤٤	فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ (١٧٠)
١٤٤	يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ (١٧١)
١٤٤	الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا (١٧٢)
٣٦٤-١٤٤	الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا (١٧٣)
٢٣١-١٧٠	لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ (١٨١)
٢٣٦	ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ (١٨٢)
-٢٢٨-٢٢١ ٢٣٠	الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ (١٨٣)
١٢٨	وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ (١٨٧)
٥٥	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٢٠٠)
	سورة النساء
١٦٧	وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا (٢٧)
-٢٢٥-٢٢١ ٢٢٧	مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ (٤٦)
٢٤١	أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا (٥٣)
٢٨٠	أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا نُزِّلَ مِنْ قَبْلِكَ (٦٠)
٩	أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا (٧٧)
٢٨٠	وَدُّوا لَوْ تُكْفِرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ (٨٩)
١٢٦	إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ (٩٠)
٢٤٣	يَسْأَلُكَ أَهْلَ الْكِتَابِ أَنْ تَنْزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ (١٥٣)
١٢٨	وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمْ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ (١٥٤)

١٢٨-١٢٥	١١٤-١٢٢	فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بَغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ (١٥٥)
٢٩٥-٢٩٤	٢٨٦-٢٩١	فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ (١٦٠)
٢٩٢	١٧٠-٢٨٥	وَأَخَذَهُمُ الرَّبُّ وَقَدْ نَهَوْا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ (١٦١)
١٧٨	٢٦٢-٣٠٣	وَرَسُولًا قَدْ قَصَصْنَا هُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرَسُولًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ (١٦٤)
		يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ (١٧١)
		سورة المائدة
١٠-٩-٤		وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا (٢)
١٢٦		وَأذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاتَّقُوا (٧)
٣٦٦-١٣٧		يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ (١١)
٣٣		وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا (١٢)
١٣٤-١٢٨	١١٧-٢٢	فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ (١٣)
١٨٧	٣٥-١٠٩	وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ (١٨)
٩٠-٦١		وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ (٢٠)
٣٢٤	٨٤-٨٨-٩٠	يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ (٢١)
٣٥٧	٨٤-٩٠-٩٣	قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا (٢٢)
٣٢٤-٣٩	٢٨-٨٤-٩٠	قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا (٢٣)
٣٢١-٩٩-٩٤	٨٤-٨٩-٩٠	قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا (٢٤)
٨٤		قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ (٢٥)
٨٤		قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى (٢٦)

٣٢١	لئن بسطت إلي يديك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأفتلك إني أخاف الله (٢٨)
٨٠	والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله (٣٨)
-١٠٩-١٠٧ -٢٢٢-١٩٦ ٢٢٧	يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا (٤١)
١٠٧	سماعون للكذب أكالون للسحت فإن جاءوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم (٤٢)
٥٠-٢	لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجمعكم أمة واحدة (٤٨)
٣٥	يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء (٥١)
-٣٦٥-٣١٦ ٣٦٦	يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم (٥٤)
١٨٢-١٧٢	قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله وما أنزل إلينا (٥٩)
٢٩٥-٣٢	قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه (٦٠)
١٨٢-١٧٢	وإذا جاءكم قالوا آمنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به والله أعلم (٦١)
-١٧٢-١٠٧ -٢٨٦-٢٨٥ ٢٨٥-٢٩٣	وترى كثيرا منهم يسارعون في الإثم والعدوان وأكلهم السحت لبئس (٦٢)
-١٧٢-١٣١ -٢٨٨-٢٨٥ ٣٩٣-٢٨٩	لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت لبئس (٦٣)
-١٠٧-١٥٣ -٢٣٨-١٧٢ -٢٨١-٢٤٢ ٢٩٧	وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه (٦٤)
١٧٦-٢٩	قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل (٦٨)
١٧٨	قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد (٧٧)
١٧٨-٦٤-٣٤	لئن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داوود وعيسى ابن مريم (٧٨)
-١٨٣-٦٤ ١٧٨	كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون (٧٩)
١٨٠-٣٥	لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن (٨٢)

١٧٣	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْرَمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ (٨٧)
١٧٣	وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ (٨٨)
١٥٢	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنَ أَشْيَاءَ إِن تَبَدَّلَ لَكُمْ تَسْوُكُمْ وَإِن تَسْأَلُوا (١٠١)
سورة الأنعام	
٣١٨	أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّانُهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ (٦)
١٣-١٢	وَكَذَلِكَ نَفُصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٥٥)
١٣	وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَارًا مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا (١٢٣)
٨	وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ (١٢٤)
٣٥٧	وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْبَرْتُمْ مِنَ الْإِنسِ وَقَالَ (١٢٨)
-٢٩٤-٢٤ ٢٩٥	وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ (١٤٦)
سورة الأعراف	
١٣	وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ (٨٤)
٣٢١	وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ (٩٤)
١٢٥	وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ (١٠٢)
٢٠٤	وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصِ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (١٣٠)
٢٠٤	فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ (١٣٣)
١٠٤	فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَىٰ أَجَلٍ هُمْ بِالْعُودِ إِذَا هُمْ يَنْكُتُونَ (١٣٥)
١٠٤	فَاتَّقَمْنَا مِنْهُمُ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ (١٣٦)
٢٠٥-٨٤-٧٨	وَأُورِثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي (١٣٧)
٢١٣-٨٣	وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَهُمْ (١٣٨)
٧٨-٤٢	وَإِذْ أَنْجَبْنَاكُم مِّن آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُم سُوءَ الْعَذَابِ يَقْتُلُونَ أَبْنَاءَكُمْ (١٤١)
٢١٦-٢١٣	وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِن بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ (١٤٨)
-٢١٩-٢١٧ ٢٢٠	إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيِّئًا لَهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَدَلِيلَةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا (١٥٢)
٢٢١	وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِهَا وَأَمَّنُوا بِرَبِّكَ مِن بَعْدِهَا (١٥٣)
٧٣	وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ (١٥٥)
٢٥-٢٢-٢١	إِنَّا هَدَيْنَا إِلَيْكَ قَالِ عَذَابِي أَصِيبُ بِهِ مَن أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ (١٥٦)
٢٠٥-١٩٤	وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ (١٥٩)

٣٦٦	وَقَطَعْنَا لَهُمْ آتَنِي عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ (١٦٠)
-٤٠-٣٣ ٢٤٧-١٠٤	وَأَسْأَلُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ (١٦٣)
٢٠٥	وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا (١٦٤)
٢١٨	فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ (١٦٥)
٣٥٢-٣٥١	وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لِيُبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْبَيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ (١٦٧)
-٣٣-٢٨-٢٧ -٣٤٠-٣٢٧ ٣٥٤-٣٥١	وَقَطَعْنَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِنْهُمْ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ (١٦٨)
٣٣	وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ (١٧٠)
١٢٧-١٢٥	وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ (١٧٢)
سورة الأنفال	
١٢	لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ (٨)
٥٥	وَمَنْ يُؤَلِّمْهُم يَوْمَئِذٍ دُبْرَهُ إِنَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّرًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ (١٦)
٥٩	فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ (١٧)
١٨٨	إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ (١٩)
٥٠	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا (٢٤)
١٢١-٩٧	وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ (٣٠)
٥٤	وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ (٤١)
٥٥	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبِتُوا وَادْكُرُوا لِلَّهِ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٤٥)
٢٩١	وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (٤٧)
-٣١٣-٣١١ ٣١٦	ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ (٥٣)
٣١٨	كَذَّابٍ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ (٥٤)
٣٦٢-٣٦١	وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ (٦٠)
سورة التوبة	
٥٧	قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ (١٤)
٢٧٦	وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ (٣٠)
٢٩٢	اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَيْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ (٣١)

٢٩٢	يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَآكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ (٣٤)	١٠٧-٢٩٠
٢٩٦-٢٩٥	يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا (٣٥)	
٣٢٦	إِلَّا تَتَفَرَّوْا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلَ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّهُ شَيْئًا وَاللَّهُ (٣٩)	
٣٦١	انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ (٤١)	
١٥٢	وَلَكِن سَأَلْتَهُمْ لِيَقُولْنَ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ (٦٥)	
١٥٢	لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنَّ نَعْفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبُ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ (٦٦)	
سورة يونس		
٣١٨	وَلَقَدْ أَهَلَكْنَا الْقُرُونََ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا (١٣)	
٥١	وَمَا يَتَّبِعْ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ (٣٦)	
٣١١	وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لِحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ (٥٣)	
٢٠٥	وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا (٨٨)	
٨٠	وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا (٩٠)	
٨٠	آلَانَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (٩١)	
٦٦	وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مَبُورًا صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا (٩٣)	
سورة هود		
٢٣	الر كِتَابٌ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ (١)	
٨	لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْآخَسِرُونَ (٢٢)	
١٦-٩	وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ (٨٩)	
٣١٣	وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ (١١٧)	
سورة يوسف		
١٨	إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ (٤)	
١١	وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ (٢٠)	
٢٦	اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ (٩)	
٢٠	فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ أَوَى إِلَيْهِ أَبُوْيِهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ (٩٩)	
٢٠	وَرَفَعَ أَبُويِهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ (١٠٠)	
سورة الرعد		
٢٢	وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ (٧)	

٣١١-٣١٣	إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا (١١)
	سورة إبراهيم
٤٥-٤٢	وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ (٦)
٦٩	وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ (٧)
٣٦٤	وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آدَيْتُمُونَا (١٢)
٣١٦	أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبُورِ (٢٨)
	سورة النحل
١٧٩	لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ (٢٥)
٨	وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكُذْبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ لَا جرمَ (٦٢)
٧٠	وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ (١١٢)
	سورة الإسراء
٣٦٥	سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى (١)
٣٣٢-٣٦٠	وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكَيْلًا (٢)
٣٣٢	ذُرِّيَّةً مِنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا (٣)
٣٢-٢٩٧	وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ (٤)
٣٢٤-٣٣٢	
٣٦٠-٣٦٨	
٣٤-٣٣١	فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ (٥)
٣٣٢-٣٤٣	
٣٦٠-٣٦٥	
٣٤-٣٣٢	ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا (٦)
٣٦٠	
٣٤-٢٩٧	إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ (٧)
٣١١-٣٤٣	
٣٢٣-٣٢٦	
٣٣٢-٣٣٦	
٣٤٠	
٣٤-٣١١	عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُمْ عُدتُمْ عَلَيْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا (٨)
٣٤١-٣٥١	

٢٣٤	أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا (١٤)
٣٢٠-٣١٣	وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ (١٦)
١٢٦٣٤٠	وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا (٣٤)
٣١١	وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا (٥١)
٦٧	وَنُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ (٨٢)
١٥٠	وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا (٨٥)
-٣٢٥-٣٢٤ -٣٢٦	وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا (١٠٤)
	سورة الكهف
٣٥٥-٦٤	كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا (٥)
٢١٢	هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا (٤٤)
١٣	وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا (٥٣)
٣١٢	وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ (٥٥)
	سورة مريم
١٧	أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ (٥٨)
١٢٦	أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا (٧٨)
	سورة طه
٢٠٣	وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي (٤١)
٢٠٣	لِنُرِيكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى (٢٣)
٣٣	فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ (٤٧)
٦٧-٦٦	يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ (٨٠)
٦٩-٦٦	كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحِلِّ (٨١)
٧٦	وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى (٨٢)
١٢٤	قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدَا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ (٨٦)
	سورة الأنبياء
٣٢٠	وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ (١١)
١٥١	وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ (٣٠)
٣٩	كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالنُّفُوسِ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ (٣٥)
٣٢٥	وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفِثَتْ فِيهِِ غَمَمَ الْقَوْمِ وَكُنَّا (٧٨)

٣٢٥	وَلِسْلِيمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا (٨١)
٣٥٧	وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ (١٠٥)
	سورة النور
١٠٢	يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٤)
٢٦٣	وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بَقِيَعَةٍ يَحْسِبُهُ الظَّمَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ (٣٩)
	سورة الفرقان
٢٨١	وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا (٧٢)
	سورة الشعراء
٥٤	فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانَ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ (٦١)
٧٩	قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ (٦٢)
١٥٠	فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ (٦٣)
٦٨	نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣)
٣٢	أَوْلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ (١٩٧)
٣٦٥	وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢١٥)
	سورة النمل
٢٠٣	إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ (٢٣)
٢٨٠	وَرَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانَ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ (٢٤)
٦٩	وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ (٤٠)
٢٠٣	وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسِبُهَا جَمَادَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ (٨٨)
	سورة القصص
١٠٢	وَتُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعَفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أُمَّةً وَنَجْعَلَهُمْ (٥)
٧٨	وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا (٦)
	سورة العنكبوت
٤١	أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (٢)
٤١	وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ (٣)
٣١٤-١٧٩	وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَنْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيَسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا (١٣)
٣١٣	فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ (٤٠)
	سورة الروم
٥٥	فِي بَضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلِ وَمِنْ بَعْدِ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (٤)

٢١٢	ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّؤَىٰ أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا (١٠)
٤٥	وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ (٢١)
١٦٧	ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي (٤١)
	سورة السجدة
٦١	فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مِمَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٧)
	سورة الأحزاب
١٢٧	وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ (٧)
١٥٦	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ (٩)
١٢٧	إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ (١٠)
١٥٦	هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زَلْزَالًا شَدِيدًا (١١)
٣٤٢	وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمْ (٢٦)
٣١٢	مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا (٣٨)
٢٥٤	إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ (٥٧)
-٣١٢-٥٢ ٣١٣	سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا (٦٢)
٢٥٩-٢٥٦	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا (٦٩)
٧٧	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠)
٧٧	يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ (٧١)
	سورة سبأ
٣٢١	وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ (٣٤)
	سورة ص
٢١٢	إِنْ كُلُّ لُغَةٍ كَذَبَ الرَّسُلَ فحَقَّ عِقَابُ (١٤)
	سورة فاطر
٣١٢-٢٨٤	فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّةَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ (٤٣)
	سورة غافر
٢٠٤	وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانَ ابْنِ لِي صِرْحًا لَعَلِّي أُبْلِغُ الْأَسْبَابَ (٣٦)
٢٠٤	أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَاطَّلَعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا وَكَذَلِكَ زَيْنَ (٣٧)
٢٤٣-٢٣٩	إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ (٧١)

	سورة فصلت
١٢٠	وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْتَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ (٣٩)
	سورة الشورى
٢	اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ (١٧)
	سورة الزخرف
١٨١	وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ (٣١)
٢٥٨	وَقَالُوا يَا أَيُّهَ السَّاحِرِ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّا لَمُهْتَدُونَ (٤٩)
٢٠٣	فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَاطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (٥٤)
	سورة الجاثية
٦٢-٦١	وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ (١٦)
	سورة محمد
٣٦٦-٤٠	وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي (٤)
٦٨	وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ (٢٠)
٤١-٤٠	وَلِيَبْلُوَكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَتَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ (٣١)
	سورة الفتح
٥١	الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ (٦)
٣٦٦-٣٦٥	مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا (٢٩)
	سورة ق
٢٣٣	وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ (١٦)
	سورة القمر
٣٢٠	إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ (٣١)
	سورة الواقعة
١٦٤	أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ (٧١)
١٦٤	أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ (٧٢)
١٦٤	نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكَرَةً وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ (٧٣)
	سورة المجادلة
-٢٥٣-٢٥١ ٢٥٥	أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَجَّوْنَ (٨)

	سورة الحشر
٣٤٢-٥١	هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ (٢)
١٠٣-١٠٢-٩	لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ (١٤)
٢١٢	فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ (١٧)
١١٩	لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ (٢١)
	سورة الصف
٥٠	إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُمْ بَنِيَانٌ مَرصُوصٌ (٤)
-٢٥٩-٢٥٦ ٢٦٠	وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تَوَدُّونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ (٥)
٣٤-٣٢	وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا (٦)
	سورة الجمعة
١٠٢-٩٨	قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا (٦)
١٠٢	وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (٧)
	سورة المنافقون
٢٢٥	وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ (٥)
	سورة التحريم
٧٦	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ (٨)
	سورة الحاقة
٥١	إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَّةٍ (٢٠)
	سورة القيامة
٥١	وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ (٢٨)
	سورة النازعات
٨٠	فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى (٢٤)
	سورة الإنسان
٤٠	إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا (٢)
	سورة المطففين
٨	إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ (٢٩)
	سورة الشمس
٣٢٠	فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا (١٤)

	سورة القدر
٦٧	إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (١)
	سورة العاديات
٣٦٣	وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا (١) فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا (٢)
٣٦٣	فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا (٣) فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا (٤) فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا (٥)
	سورة العصر
٩٣	وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢)
	سورة قريش
٧١	فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ (٣) الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ (٤)
	سورة المسد
٢٤٠	تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (١)

ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

رقم الصفحة	الحديث
١٠٨	آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ وَإِذَا أَوْثَمَنَ خَانَ
٥	أَتَدْرُونَ مَنْ الْمُفْلِسُ؟ قَالُوا الْمُفْلِسُ فِينَا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا
٢٧٧	أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِي عُنُقِي صَلِيبٌ مِنْ ذَهَبٍ فَقَالَ يَا عَدِيُّ
٤٦	إِذَا بُويعَ لِخَلِيفَتَيْنِ فَأَقْتُلُوا الْآخَرَ مِنْهُمَا
٢٤٣	إِذَا كَانُوا ثَلَاثَةً فَلَا يَتَنَاجَى اثْنَانِ دُونَ الثَّلَاثِ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَإِنْ ذَلِكَ يَحْزَنُهُ.
١٩١	إِذَا وَدَّعَ رَجُلًا أَخَذَ بِيَدِهِ فَلَا يَدَعُهَا حَتَّى يَكُونَ الرَّجُلُ هُوَ يَدْعُ يَدَ النَّبِيِّ ﷺ
١٨٨	أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ فَأَكْثَرُوا فِيهِ الدُّعَاءَ
٢٧٧	أَقَمْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْمَدِينَةِ سَنَةً مَا يَمْنَعُنِي مِنْ
١١٠	أَلَمْ تَرَوْا إِلَى مَا أَصَابَكُمْ وَلَوْ كُنْتُمْ عَلَى الْحَقِّ مَا هَزَمْتُمْ فَارْجِعُوا إِلَى دِينِنَا
١٩٠	الْإِمَامُ ضَامِنٌ وَالْمُؤَدَّنُ مُؤْتَمَنٌ اللَّهُمَّ ارْشُدْ الْأُمَّةَ وَاعْفِرْ لِلْمُؤَدَّنِينَ
٣٦٢	لَا تَقْتُلُوا شَيْخًا فَاتِيًا وَلَا طِفْلًا وَلَا صَغِيرًا وَلَا امْرَأَةً وَلَا تَغْلُوا وَضُمُوا غَنَائِمَكُمْ
٥٩	إِنْ أَوَّلَ مَا دَخَلَ النَّقْصَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَ الرَّجُلُ يَلْقَى الرَّجُلَ فَيَقُولُ
٢٥٦	أَنْ كَعَبَ بِنَ الْأَشْرَفِ الْيَهُودِيِّ كَانَ شَاعِرًا وَكَانَ يَهْجُو النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ
٥	إِنَّ أَعْظَمَ الْمُسْلِمِينَ فِي الْمُسْلِمِينَ جُرْمًا مَنْ سَأَلَ عَنْ شَيْءٍ لَمْ يُحَرِّمْ عَلَى
٦	إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ وَالنَّسْيَانَ وَمَا اسْتَكْرَهُوا عَلَيْهِ
٢٣٧	إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَجْعَلْ لِمَسْخِ نَسْنَا وَلَا عَقْبًا وَقَدْ كَانَتْ الْفَرْدَةُ وَالْخَنَازِيرُ قَبْلَ ذَلِكَ
٣٦٤	أَنْ أَبَا دَجَانَةَ يَوْمَ أَحَدٍ أَعْلَمَ بِعَصَابَةِ حَمْرَاءَ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ مُخْتَالٌ فِي
١٠٧	مَشِيئَتِهِ بَيْنَ الصَّفِينِ فَقَالَ إِنَّهَا مَشِيئةٌ يَبْغُضُهَا اللَّهُ إِلَّا فِي هَذَا الْمَوْضِعِ
٦٤	أَنَّ الْيَهُودَ جَاءُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَذَكَرُوا لَهُ أَنَّ رَجُلًا مِنْهُمْ وَامْرَأَةً زَنِيًا، فَقَالَ لَهُمْ
٦٤	إِنَّا نَسْمَعُ أَحَادِيثَ مِنَ الْيَهُودِ تُعْجِبُنَا أَفْتَرَى أَنْ نَكْتَبَ بَعْضَهَا؟ فَقَالَ: أُمَّتَهُوْكَونَ؟
٦٠	أَنَّ عُمَرَ أَتَاهُ فَقَالَ: إِنَّا نَسْمَعُ أَحَادِيثَ مِنَ الْيَهُودِ تُعْجِبُنَا أَفْتَرَى أَنْ نَكْتَبَ
٥٢	أَنَّهَا هَزَمَتْ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ
١١٧	أَلَا وَإِنْ فِي الْجَسَدِ مَضْغَةٌ إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ
١٦٧	إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ فَإِنَّمَا هَلِكُ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِالْغُلُوِّ فِي الدِّينِ
٢٦٢	بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشَّرْكِ أَوْ الْكُفْرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ
٣٤٨	تَقَاتَلُونَ الْيَهُودَ حَتَّى يَخْتَبِئَ أَحَدُهُمْ وَرَاءَ الْحَجَرِ فَيَقُولُ يَا عَبْدَ اللَّهِ هَذَا يَهُودِيٌّ وَرَأَيْتِي
٥٠	الْجَمَاعَةُ رَحْمَةٌ وَالْفِرْقَةُ عَذَابٌ

٣٦٤	الْخَيْلُ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ
٢١٥	دَخَلَ رَهْطٌ مِنَ الْيَهُودِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا السَّامُ عَلَيْكَ
١٦	سَرَقَتْ امْرَأَةٌ مِنْ قُرَيْشٍ مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ فَأَتَى بِهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
٣٦٥	فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأُؤْمِنُ أَحَدَكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ
٢٣٧	قَالَ وَذَكَرَتْ عِنْدَهُ الْقِرْدَةُ قَالَ مَسَعَرٌ وَأَرَاهُ قَالَ وَالْخَنَازِيرُ مِنْ مَسْخٍ فَقَالَ
٢٠٤	قَدِمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ فَرَأَى الْيَهُودَ تَصُومُ يَوْمَ عَاشُورَاءَ
٧٨	قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ إِنْ عَلِمْتُ أَيَّ لَيْلَةٍ؟ لَيْلَةُ الْقَدْرِ مَا أَقُولُ فِيهَا قَالَ
٢٦١	كَانَ رِجَالٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ قَدِ مَاتُوا عَلَى الْقِبْلَةِ الْأُولَى، جَاءَتْ
١٩٠	كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا وَدَّعَ رَجُلًا أَخَذَ بِيَدِهِ فَلَمَّا يَدَعُهَا
٤١	كَانَ عَذَابًا يَبْعَثُهُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ فَجَعَلَهُ اللَّهُ رَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ مَا مِنْ عَبْدٍ يَكُونُ
٢٤٤	كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ يَغْتَسِلُونَ عُرَاةً يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ
٤٨	كُنَّا نَتَحَدَّثُ أَنَّ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ الَّذِينَ كَانُوا يَوْمَ بَدْرٍ ثَلَاثَ مِائَةٍ وَبِضْعَةَ عَشَرَ عَلَى عِدَّةٍ
٣٦٦	لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ يَخْذِلُهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ
٣٦٦	لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يَقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ
١٦٧	لَا تَطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُ اللَّهِ
٣٤٧	لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ فَيَقْتُلُهُمُ الْمُسْلِمُونَ حَتَّى يَخْتَبِئَ الْيَهُودِيُّ
٣٤٣	لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ).
٥٩	لِتَأْمُرَنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِتَأْخُذَنَّ عَلَى يَدِي الظَّالِمِ وَلِتَأْطِرْنَهُ عَلَى الْحَقِّ
٣٦٧	لِعُدُوهِمْ قَاهِرِينَ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ إِلَّا مَا أَصَابَهُمْ مِنْ لُثْوَاءٍ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ
١٨٢	لَكِنَّ الْكِبِيرَ مِنْ بَطَرِ الْحَقِّ وَغَمَصِ النَّاسِ.
٣٠٢	اللَّهُمَّ اشْدُدْ وَطَأَتَكَ عَلَى مُضَرَ وَاجْعَلْهَا عَلَيْهِمْ سِنِينَ كَسَنِي يُوسُفَ وَأَهْلَهُ
٢٦١	لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ الْمَدِينَةَ فَصَلَّى نَحْوَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا أَوْ سَبْعَةَ عَشَرَ
٢٤٣	لَمَّا كَانَ يَوْمَ حُنَيْنٍ آثَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَسًا فِي الْقِسْمَةِ
٥٢	مَا حَبَسَتْ الشَّمْسُ عَلَى بَشَرٍ قَطُّ إِلَّا عَلَى يَوْشَعَ بْنِ نُونٍ لِيَالِي سَارٍ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ
٢٧٦	مَا مِنْ رَجُلٍ يَكُونُ فِي قَوْمٍ يَعْمَلُ فِيهِمْ بِالْمَعَاصِي، يَقْدِرُونَ أَنْ يَغْيِرُوا عَلَيْهِ
٣٧	مَا يَزَالُ الْبَلَاءُ بِالْمُؤْمِنِ وَالْمُؤْمِنَةِ فِي نَفْسِهِ وَوَلَدِهِ وَمَالِهِ حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ
٤١	مَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ مِنْ وَصَبٍ وَلَا نَصَبٍ وَلَا سَقَمٍ وَلَا حَزَنٍ حَتَّى أَلْهَمَ يَهْمَهُ
٦٦	مَنْ أَصْبَحَ آمِنًا فِي سَرِيهِ، مَعَافَى فِي بَدَنِهِ عِنْدَهُ قُوَّةٌ يَوْمَهُ فَكَأَنَّمَا حَيَّرَتْ
٣١٢	مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سَنَةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ
٤٥	مَنْ لَمْ يَشْكُرْ الْقَلِيلَ لَمْ يَشْكُرْ الْكَثِيرَ وَمَنْ لَمْ يَشْكُرْ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرْ اللَّهَ
١٦٧	هَلِكِ الْمَتَنَطْعُونَ قَالَهَا ثَلَاثًا

٣٦٣	وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمِيَّ أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ
٢٣٩	وذلك أن العرب كانوا يتكلمون بها، فلما سمعتهم اليهود يقولونها للنبي
٢٥٦	ويحرض عليه كفار قريش في شعره وكان المشاركون واليهود في
٢٢١	ويحك يا فنحاص اتق الله وأسلم، فوالله إنك لتعلم أن محمد رسول الله قد
١٢	يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا.
٢٤٠	يَا وَابِصَةً اسْتَفْتِ قَلْبِكَ وَاسْتَفْتِ نَفْسَكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ الْبِرُّ مَا اطْمَأَنَّتَ إِلَيْهِ
٢٢٦	يَدُ اللَّهِ مَلَأَى لَأَ يَغِيضُهَا نَفَقَةً سَحَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَقَالَ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مِنْذُ
٣٧	يَكُونُ فِيهِ وَيَمَكُثُ فِيهِ لَأَ يَخْرُجُ مِنَ الْبَلَدِ صَابِرًا مُحْتَسِبًا يَعْلَمُ أَنَّهُ لَأَ يُصِيبُهُ
٣١٤	يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكْلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا فَقَالَ قَائِلٌ وَمِنْ

ثالثاً : فهرس الأعلام

رقم الصفحة	جدول الأعلام
١٨	ابن عاشور : محمد الطاهر بن عاشور
١٣	ابن عجيبة أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري
٤٠	أبو هلال العسكري: الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران
٣	احمد بن فارس بن زكريا بن محمد القزويني
٣٣٧	احمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري
٥٨	الأستاذ سعيد حوى
٣٥٢	الإسكندر المقدوني
٢٥٧	الأقرع بن حابس
١٥٧	أيوب بن موسى الحسيني القريني الكفوي
١٥٤	البقاعي برهان الدين إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر
١٣٨	حيي بن أخطب النضري
٢١٦	السامري
١٣٨	سلام بن أبي الحقيق
٢٧٣	السمرقندي أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي
٣٣٣	سنحاريب بن سرجون
١٥٦	شاس بن قيس
٦٣	الشنقيطي: الإمام محمد الأمين الشنقيطي الجكني
٦١	الشيخ مصطفى الحصن المنصوري
١٣٧	العامريان الذان قتلتهما عمرو بن أمية الضمري
٣٠٥	عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد الخضري الأسيوطي الشهير (بالسيوطي)
٢٨٧	عبد الكريم الخطيب
٢٨	عبد الله بن سلام
٣٢٨	علي بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الخزرجي ابن الأثير
١٣٧	عمرو بن أمية الضمري
٦٢	الفتوّجي: محمد صديق حسن خان الفتوّجي
٢٨	كعب الأحبار، كعب بن مانع بن ذي هجن الحميري، أبو اسحق
٦	الماوردي علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري

١٧٤	النسفي محمد بن محمد بن محمد أبو الفضل برهان الدين النسفي
٢٨	وهب بن منبه أبو عبد الله

رابعاً : فهرس المصادر والمراجع

- ١- إرشاد العقل السليم لأبي السعود - دار الفكر - بيروت - حقوق الطبع محفوظة - بدون طبعة.
- ٢- الأساس في التفسير، لسعيد حوى - دار السلام للطباعة والنشر - ط - الثالثة - ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.
- ٣- أضواء البيان، للشنقيطي مكتبة ابن تيمية - القاهرة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م حقوق الطبع محفوظة.
- التحدي الصهيوني للدعوة الإسلامية في العصر الحديث - ط الأولى.
- ٤- أنوار التنزيل وأسرار التأويل - دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط الأولى ٢٠٠٣ م / ١٤٢٤ هـ.
- ٥- أيسر التفاسير أبو بكر الجزائري-مكتبة العلوم والحكم - ط - الخامسة ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- ٦- بحر العلوم للسمرقندي - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
- ٧- البحر المديد لابن عجيبة مكتبة الشاملة.
- ٨- التحرير والتنوير لابن عاشور دار سحنون للنشر والتوزيع - تونس - جميع الحقوق محفوظة، لا يوجد طبعة.
- التحدي الصهيوني للدعوة الإسلامية في العصر الحديث أ. يحيى الدجني الطبعة الأولى.
- ٩- التسهيل لعلوم التنزيل، محمد بن الجزري الكلبي ٧٤١هـ، ضبطه وصححه محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان ط الأولى - ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
- ١٠- تفسير السّدي دراسة وتحقيق، رسالة دكتوراه غير منشورة، د. زكريا الزميلي إشراف أ.د. الحبر يوسف نور الدايم - جامعة الخرطوم، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
- ١١- تفسير الشعراوي ، أخبار اليوم قطاع الثقافة - بدون طبعة.
- ١٢- تفسير القرآن العظيم لابن كثير دار المعرفة - بيروت - لبنان - ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠ بدون طبعة.
- ١٣- تفسير القرآن العظيم مسنداً عن رسول الله والصحابة والتابعين عبد الرحمن بن محمد الرازي ابن أبي حاتم، تحقيق أسعد محمد الطيب، دار الفكر-لطباعة والنشر ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣م - بدون طبعة جميع الحقوق محفوظة.

- ١٤- تفسير القرآن الكبير د. محمد شحاتة، ط الثانية دار الكتب العلمية - طهران - حقوق الطبع محفوظة - ٢٠٠م
- ١٥- التفسير القرآني للقرآن الشيخ عبد الكريم الخطيب - دار الفكر العربي - مطبعة السنة المحمدية بدون طبعة.
- ١٦- التفسير الكبير، للإمام الفخر الرازي - دار الكتب العلمية - طهران - ط الثانية.
- ١٧- تفسير المنار محمد رشيد رضا - دار المعرفة - بيروت لبنان - ط - الثانية.
- ١٨- التفسير المنير د. وهبي الزحيلي دار الفكر المعاصر - بيروت - لبنان ط الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
- ١٩- تفسير النسفي دار إحياء الكتب العربية، بدون طبعة.
- ٢٠- التفسير الوسيط د. سيد طنطاوي مطبعة السعادة حقوق الطبع محفوظة للمؤلف.
- ٢١- تيسير الكريم الرحمن للسعدي، مؤسسة الرسالة ط الأولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
- ٢٢- جامع البيان في تأويل آي القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط الثالثة ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- ٢٣- الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي - دار الكتاب العربي ط الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
- ٢٤- روح البيان في تفسير القرآن للشيخ إسماعيل البروسي، ضبطه وصححه وخرج آياته عبد اللطيف عبد الرحمن - دار الكتب العلمية - بيروت - ط الأولى ٢٠٠٣م - ١٤٢٤هـ.
- ٢٥- الظلال سيد قطب - دار الشروق - ط - الشرعية - الثالثة والثلاثون ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
- ٢٦- غرائب القرآن وورائب الفرقان على مصحف التهجد الإمام نظام الدين الحسن بن محمد القمي النيسابوري ط- الأولى - ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.
- ٢٧- فتح البيان في مقاصد القرآن لأبي الطيب صدّيق القنّوجي - ١٢٤٨هـ - ١٣٠٧م دار إحياء التراث الإسلامي ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م، جميع الحقوق محفوظة .
- ٢٨- فتح القدير للعلامة محمد بن علي الشوكاني - دار الحديث - القاهرة ط الثالثة ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
- ٢٩- الكشاف دار المعرفة بيروت - لبنان - بدون طبعة.
- ٣٠- الكشاف لأبي القاسم جار الله الزمخشري الخوارزمي - دار المعرفة - بيروت - لبنان - بدون طبعة.
- ٣١- المحرر الوجيز في تيسير الكتاب العزيز لأبي محمد عبد الحق القاضي الملقب بابن

- عطية الأندلسي - تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط الأولى.
- ٣٢- مدارك التنزيل وحقائق التأويل القاهرة - المطبعة الأميرية ١٩٣٦م.
- ٣٣- معالم التنزيل والتفسير والتأويل للإمام أبي محمد الحسين البغوي دار الكتب العلمية ط الأولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
- ٣٤- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط الأولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٥.
- ٣٥- النكت والعيون لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري راجعه وعلق عليه السيد عبد المقصود
- ٣٦- النهر المارد، لأبي حيان - تقديم وضبط بدران الضناوي، وهديان الضناوي دار الجنان، مؤسسة الكتب الثقافية - ط الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- ٣٧- الوسيط في تفسير القرآن المجيد لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري ت ٤٦٨هـ ، تحقيق وتعليق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض وآخرون - قدم له وقرظه الدكتور عبد الحي الفرماوي - دار الكتب اعلمية - بيروت لبنان - ط - الأولى ١٤١٥هـ ١٩٩٤م.
- مراجع الحديث
- ١- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان علاء الدين بن بلبان الفارسي ٧٣٩هـ، تحقيق شعيب بن أرناؤوط، رقم كتبه وأبوابه محمد نزار نميم، وهيثم تميم - مؤسسة الرسالة - ط - الأولى - ١٤١٢هـ ١٩٩١م.
- ٢- البخاري ت ٢٥٦هـ اعتنى به أبو صهيب الكرمي بيت الأفكار الدولية للنشر - حقوق الطبع والنشر محفوظة، ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.
- ٣- الجامع المسند الصحيح رقم كتبه وأبوابه محمد نزار نميم، هيثم تميم، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت - لبنان - بدون طبعة.
- ٤- الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم، تأليف محمد بن الفتوح الحميدي، دار النشر - دار بن حزم - لبنان - بيروت - ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م - ط الثانية - تحقيق د.علي حسين البواب.
- ٥- سنن أبي داود سليمان السجستاني (٢٠٢هـ - ٢٧٥هـ) حكم على أحاديثه وآثاره وعلق عليه العلامة المحدث محمد نصر الدين الألباني، اعتنى به أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، مكتبة المعارف للنشر الرياض - ط الأولى .

- ٦- سنن الترمذي حكم على أحاديثه وآثاره، وعلق عليه العلامة المحدث نصر الدين الألباني، اعتنى به أبو عبيدة مشهور ابن حسن آل سليمان - مكتبة المهارف - للنشر - ط الأولى.
- ٧- شعب الإيمان أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي - حققه وراجع نصوصه وخرّج أحاديثه د. عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه مختار أحمد الندوي، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع ط - الأولى - ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
- ٨- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي - دار الفكر - بيروت ١٤١٢هـ.
- ٩- مسند الإمام أحمد بن حنبل مؤسسة قرطبة- القاهرة.

السيرة النبوية

- ١- الرحيق المختوم المباركفوري مكتبة الصفا والمورد الشرعية ١٤٢٢هـ.
- ٢- الرسول واليهود وجهاً لوجه د. سعد المرصيفي - مؤسسة الريان - مكتبة بن كثير الكويت - ط الثانية ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
- ٣- سيرة ابن هشام ، تحقيق وتخريج وفهرسة جمال ثابت، محمد محمود سيد إبراهيم، دار الحديث- القاهرة - حقوق الطبع محفوظة.
- ٤- فقه السيرة محمد الغزالي - دار الكتب الحديثة - ط السابعة ١٩٧٦ - خرج الأحاديث العلامة الألباني رحمه الله.

كتب المعاجم

- ١- تاج العروس محمد مرتضى الزبيدي دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط. الأولى ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م
- ٢- التعريفات الجرجاني السيد الشريف أبو الحسن علي ابن محمد ابن الحسن الجرجاني، دار الراشد بدون طبعة.
- ٣- تهذيب اللغة لأبي منصور الأزهري، تحقيق الأستاذ محمد علي النجار - مطابع سجل العرب - الديار المصرية للتأليف - بدون طبعة.
- ٤- التوقيف على مهمات التعاريف الميناوي ٩٥٢-١٠٣١هـ (ص ١٦٣) - تحقيق د - محمد رضوان الداية - ط الأولى - ١٩٩٠م.

- ٥- الرائد، جبران مسعود ط الثانية ١٩٧٨ بيروت - لبنان.
- ٦- الصحاح في اللغة والعلوم إعداد وتصنيف نديم مرعشلي، وأسامة مرعشلي، تقديد العلامة الشيخ عبد الله العلايلي - دار الحضارة العربية - بيروت - ط الأولى - ١٩٧٥م.
- ٧- العين لأبي عبد الرحمن الخليل الفراهيدي - تحقيق الدكتور مهدي المخزومي ، الدكتور إبراهيم السامرائي - مؤسسة الأعلى - بيروت ت ط ت الأولى ١٤٠٨هـ حقوق الطبع محفوظة.
- ٨- الفروق في اللغة، لأبي هلال العسكري، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، مكتبة لبنان- بيروت، ط الرابعة ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
- ٩- القاموس المحيط الفيروزي آباد المتوفي ٨١٧ ضبط وتوثيق يوسف الشيخ محمد البقاعي إشراف مكتبة البحوث والدراسات - دار الفكر للطباعة والنشر - بيروت لبنان، حقوق الطبع محفوظة ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
- ١٠- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، ط الأولى ١٠٩٤هـ - ٦٨٣م، ط الثانية، ١٤٠٣هـ - ١٩٩٣م، مؤسسة الرسالة بيروت.
- ١٠- لسان العرب: لابن منظور دار الجبل - بيروت أعاد بناءه على الحرف الأول من الكلمة يوسف خياط، قدم له العلامة الشيخ عبد الله العلايلي - حقوق الطبع محفوظة ١٤٠٨هـ - ١٩٩٨م.
- ١١- مجمل اللغة لابن فارس، ت ٣٩٥، دراسة وتحقيق زهير عبد المحسن سلطان - مؤسسة الرسالة ط الثانية ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م،
- ١٢- مجمل اللغة لأبي الحسين الرازي المتوفى ٣٩٥ هـ، حققه الشيخ شهاب الدين أبو عمرو، دار الفكر للطباعة والنشر ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
- ١٣- المحيط في اللغة كاف الكفاة صاحب إسماعيل ابن عباد عالم الكتب ط ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤م.
- ١٤- المختار الصحاح الرازي، عنى بترتيبه محمود خاطر راجعه وحقته لجنة من العلماء - دار الفكر بيروت، بدون طبعة.
- ١٥- مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي - دار الحديث القاهرة - ط الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م - حقوق الطبع محفوظة.
- ١٦- المرام في المعاني والكلام د. مؤنس رشاد الدين، دار الراتب الجامعية - ط الأولى - بيروت ٢٠٠٠م - ١٤٢٠هـ
- ١٧- معجم الحضارات السامية جوب يرمس، هنري س عبودي، ط الثانية ٤١١ هـ - ١٩٩١ م.
- ١٨- المعجم العربي الأساسي - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - جماعة من كبار اللغويين العرب، توزيع لاروس - جميع حقوق التأليف والنشر محفوظة للمنظمة.
- ١٩- معجم ألفاظ القرآن الكريم مرجع سابق، بدون طبعة.

- ٢٠- معجم اللغة مؤسسة الرسالة-ط الثانية - ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م - ط الأولى ١٩٩٣- لبنان
- ٢١- المعجم المفصل في تفسير غريب القرآن الكريم إعداد د. محمد التويجي - دار الكتب - بيروت - لبنان - ط - الأولى - ٢٠٠٣م - ١٤٢٤هـ .
- ٢٢- معجم المقاييس في اللغة لابن فارس زكريا ٣٩٥م حققه شهاب الدين أبو عمرو - دار الفكر للطباعة والنشر - ط الثانية ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، حقوق الطبع محفوظة.
- ٢٣- معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم للعلامة الأصفهاني - تحقيق نديم مرعشلي - دار الفكر - حقوق الطبع محفوظة .
- ٢٤- المفردات .
- ٢٥- مفردات ألفاظ القرآن الراغب الأصفهاني. تحقيق صفوان عدنان داوودي - دار القلم دمشق - ط الثالثة ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
- ٢٦- المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ٥٠٢ تحقيق وضبط محمد سيد كيلاني، دار المعرفة- لبنان - بيروت - بدون طبعة.
- ٢٧- الوافي معجم وسيط للغة العربية: الشيخ عبد الله البستاني مكتبة لبنان.

الرسائل الجامعية

- ١- بنو إسرائيل في القرآن والسنة، د. سيد محمد طنطاوي، ط الثانية ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، دار الشرق ١٩٩٧.
- ٢- تفسير سورة طه ص ١١٦ رسالة ماجستير محمود عبد الكريم احمد الحسن.
- ٣- قيم اليهود في القصص القرآني ودورها في توجيه فكرهم التربوي المعاصر رسالة ماجستير-طلال خلف، ١٤٢هـ - ١٩٩٩م.
- ٤- مرويّات السدي دراسة وتحقيق، د. زكريّا الزميلي رسالة دكتوراه إشراف الأستاذ الدكتور الحبر يوسف نور الدين جامعة الخرطوم - كلية الآداب - قسم الدراسات الإسلامية ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

الكتب الأخرى

- ١- الابتلاءات أساليب الكفرة في محاربة الدعوة : حمود بن عبد الله المطر تقديم الشيخ عبد الله الجبرين طويق للنشر ط الأولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م
- ٢- الأحكام السلطانية (ص ٢٣٩) للماوردي تحقيق سمير مصطفى رباب - المكتبة العصرية - صيدا - بيروت ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

- ٣- الأدوات النحوية في كتب التفسير، د. محمود أحمد الصغير - دار الفكر - دمشق - سوريا - ط الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- ٤- الأديان في مقارنة الأديان أسعد السحمراني - دار النفائس - ط الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- ٥- أسباب النزول لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري ٤٦٨هـ - ص ١٦٣ دار الفكر للطباعة والنشر الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
- ٦- إسرائيل وغزو العراق لواء أركان حرب حسام سويلم،
- ٧- إعراب القرآن وبيانه أ. محي الدين الدرويش - دار الإرشاد للشئون الجامعية ط الرابعة، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.
- ٨- الأعلام للزركلي دار العلم للملايين - بيروت - لبنان - ط الثامنة ١٩٨٩.
- ٩- الأفعى اليهودية في معاقل الإسلام عبد الله التل المكتب الإسلامي بيروت ط. الثانية بتصرف.
- ١٠- أوهام اليهود في الوطن الموعود، هشام محمد أبو حاكمة، دار الإسراء - عمان - الأردن - ٢٠٠٢م بدون طبعة.
- ١١- البداية والنهاية لابن كثير المكتبة العصرية - صيدا - بيروت جميع الحقوق محفوظة.
- ١٢- بروتوكولات حكماء صهيون وتعاليم التلمود منشورات دار الفنون بيروت لبنان - شوقي عبد الناصر ط. الأولى ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م بيروت.
- ١٣- بروتوكولات حكماء صهيون، محمد خليفة التونسي، دار الكتاب - بيروت - لبنان - ط الرابعة ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
- ١٤- بلاغة الكلمة في التعبير القرآني دار عمان - عمان الأردن.
- ١٥- بلاغة الكلمة والجملة والجمل، د. منير سلطان أستاذ النقد والبلاغة، منشأه الناشر المعارف بالإسكندرية - ط الثالثة ١٩٩٦.
- ١٦- التشريع الجنائي عبد القادر عودة، دار الكتاب العربي - بيروت - ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، جميع الحقوق محفوظة.
- ١٧- التصوف بين الإفراط د. عمر عبد الله كامل - دار ابن حزم ط الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- ١٨- التفسير والمفسرون للذهبي ط الثالثة ١٣٩٦ - ١٩٧٦هـ.
- ١٩- التلمود وأثره في تدمير البشرية و الحضارة الإنسانية - دار الورق للنشر والتوزيع - ط الأولى ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

- ٢٠- التلمود وأثره في تدمير البشرية والحضارة الإنسانية محمد محمود سدر- دار الوراق للنشر والتوزيع - ط - الأولى ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
- ٢١- الجدار اليهودية في الضفة الغربية، د. صالح الرقب محاضر بالجامعة الإسلامية- كلية أصول الدين- قسم العقيدة- ط الأولى ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٢م.
- ٢٢- جذور الفكر اليهودي، داوود عبد العفو سنقرط - ط الثانية ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م - دار الفرقان للنشر والتوزيع - عمان - الأردن .
- ٢٣- الجريمة حقيقتها - أسسها، الأستاذ الدكتور حسن علي الشاذلي أستاذ الفقه بجامعة الأزهر، وجامعة الكويت، وعضو هيئة الإفتاء، والموسوعة الفقهية بوزارة الأوقاف بالكويت حالياً، دار الكتاب الجامعي بدون طبعة.
- ٢٤- الجريمة والعقوبة في الفقه الإسلامي، لأبي زهرة، دار الفكر، دار النهضة العربية ٢٠٠٦- ٢٠٠٧م.
- ٢٥- جند الله ثقافة وأخلاقاً سعيد حوى .
- ٢٦- الحرب على العراق دوافعها وأهدافها د. صالح الرقب ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- ٢٧- حقيقة اليهود تأليف نخبة من مشاهير العالم - دار النفائس للطباعة و النشر ط الأولى ١٤٢٥م - ٢٠٠٤هـ.
- ٢٨- حقيقة اليهود محمد نمر الخطيب منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت - لبنان بدون طبعة.
- ٢٩- خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية رسالة دكتورة، د. عبد العظيم إبراهيم المطغي - مكتبة وهبة - ط الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
- ٣٠- الخطر اليهودي بروتوكولات حكماء صهيون، محمد خليفة التونسي، تقديم الكتاب وترجمته للأستاذ الكبير عباس محمود العقاد دار الكتاب العربي - بيروت - ط الرابعة - ١٤٠٠هـ - ١٩٩٨م.
- ٣١- دائرة معارف القرون العشرين دار الفكر بيروت - بدون طبعة.
- ٣٢- سلسلة الرسائل الجامعية سنن القرآن في قيام الحضارات وسقوطها ط الأولى - ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
- ٣٣- السلطان عبد الحميد الثاني وفلسطين، رفيق شاعر الانتشة، ط الثالثة ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م.
- ٣٤- سير أعلام النبلاء للإمام شمس الدين الذهبي ٧٤٨هـ - ١٣٧٤م مؤسسة الرسالة ط السابعة ١٤١٠هـ - ١٩٩٩م.

- ٣٥- الشخصية اليهودية من خلال القرآن د. صلاح الخالدي - دار اقليم - دمشق - ط - الأولى - ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- ٣٦- شرح العقيدة الطحوية للإمام القاضي علي بن علي دمشقي - حقه وعلق عليه وخرج أحاديثه وقدم له الدكتور عبد الله التركي، شعيب الأرنؤوط - مؤسسة الرسالة - ط التاسعة ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
- ٣٧- الصهيونية من بابل إلى يوش ، إبراهيم الحارثي - دار البشير للثقافة والعلوم ط الأولى ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
- ٣٨- طبقات المفسرين للحافظ شمس الدين محمد بن علي الداوودي ت ٩٤٥ هـ - مكتبة وهبة ط الثانية ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.
- ٣٩- العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية د. سعد الدين صالح مكتبة الصحابة الإمارات- الشارقة ط الثالثة ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
- ٤٠- عنصرية إسرائيل - طلاس للدراسات والترجمة والنشر ط الأولى ١٩٨٨م.
- ٤١- الفساد والمفسدون في الأرض، أ. نشوة العلواني - دار البشائر الإسلامية - ط الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
- ٤٢- الفقه الإسلامي وأدلته الزحيلي - دار الفكر - دمشق - سوريا ط الرابعة معدلة ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
- ٤٣- الفقه الإسلامي وأدلته، دار الفكر - دمشق - سوريا - ط الرابعة - ١٤١١هـ - ١٩٩٧م.
- ٤٤- الكامل في التاريخ ابن الأثير عنى بمراجعة أصوله والتعليق عليه نخبة من العلماء.
- ٤٥- الكتاب المقدس .
- ٤٦- كتاب الملل والنحل للشهرستاني، دار الفكر للطباعة .
- ٤٧- كتاب اليهود في الظلام، د. أحمد شلبي أستاذ التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية - كلية دار العلوم - جامعة القاهرة ، الزهراء للإعلام العربي ، حقوق الطبع محفوظة ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
- ٤٨- كل شئ عن اليهود بتصريف محمد سعيد مرسي ط. ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣ حقوق الطبع محفوظة للمؤلف.
- ٤٩- المجازر الصهيونية ضد الشعب الفلسطيني جواد الحمد، مركز دراسات الشرق الأوسط تأسس ١٩٩١م - ط - الثالثة عمان ٢٠٠٠م حقوق الطبع محفوظة.
- ٥٠- المخبرات والعالم، سعيد الجزائري، منشورات مكتبة النووي - شارع سعد الله الجابري - حقوق الطبع محفوظة.

- ٥١- مخاطر الوجود اليهودي على الأمة الإسلامية، دار النفائس ط - الأولى
١٤١٢هـ - ١٩٨٩م.
- ٥٢- المخطط السري للسيطرة على العالم صالح السليمانى - الشركة الوطنية
الموحدة للتوزيع - ط الأولى صفر ١٤٠٧هـ
- ٥٣- معالم التنزيل في التفسير والتأويل، دار الفكر - ط - الأولى ١٤٢٢ - ٢٠٠٢م.
- ٥٤- معالم قرآنية في الصراع مع اليهود د. مصطفى مسلم - دار القلم - دمشق
ط - الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- ٥٥- معجم المؤلفين محمد رضا كحالة - مكتبة المثى بيروت - بدون طبعة.
- ٥٦- المفصل في تاريخ القدس - عارف العارف مكتبة الأندلس الطبعة الثانية
١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.
- ٥٧- المقتطف من عيون التفاسير دار السلام للطباعة والنشر ط الأولى ١٤١٧هـ -
١٩٩٦م.
- ٥٨- مكابد يهودية، عبد الرحمن بن حنكة الميداني دار القلم دمشق - بيروت ط. الثانية
١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.
- ٥٩- ملامح الشخصية اليهودية وطباعتها، سناء عبد اللطيف صبري - دار القلم - دمشق
ط الأولى ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- ٦٠- من ملفات الإرهاب الصهيوني في فلسطين دار الجليل للنشر عمان ط الأولى ١٩٨٥م.
- ٦١- الموائيق والعهود في ممارسات اليهود أ. جبر الهلول - المؤسسة الجامعية للدراسات
والنشر والتوزيع - بيروت الحمراء - ط الأولى ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م
- ٦٢- الموسوعة العربية العالمية مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع ط الثانية
١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
- ٦٣- الموسوعة العربية الميسرة بإشراف محمد شفيق غربال - دار الشعب ومؤسسة
فرانكلين للطباعة والنشر، حقوق الطبع محفوظة
- ٦٤- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة دار الندوة العالمية
للطباعة والنشر ط. الرابعة،
- ٦٥- الموسوعة اليهودية والصهيونية دار الشروق - ط الأولى ١٩٩٩م
- ٦٦- موسوعة تاريخ اليهود بتصريف، محمود شاكور - دار أسامة للنشر والتوزيع - دار
الأردن - عمان - ط - الأولى ٢٠٠٣م.
- ٦٧- موسوعة عالم الأديان، مجموعة من كبار الباحثين بإشراف ط.ب.مفرج - مكتبة النشر
بيروت.

- ٦٨- موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي د. رفيق العجم - مكتبة لبنان - ناشرون - دار النشر - NOBILS - ط - الأولى ١٩٩٩م جميع الحقوق محفوظة للناشر ٢٠٠٤م.
- ٦٩- اليهود تاريخ إفساد وانحلال ودمار د. توفيق الواعي - دار ابن حزم - بدون طبعة.
- ٧٠- اليهود في الظلام د. أحمد شلبي، أستاذ التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية - كلية إدارة العلوم - جامعة القاهرة - الزهراء للإعلام العربي - حقوق الطبع محفوظة ١٤١٢هـ - ١٩٩٢.
- ٧١- اليهود في العهد القديم .
- ٧٢- اليهودية الماسونية للشيخ العلامة عبد الرحمن الدوسري، قدم له الشيخ مصطفى العدوي، ورياض بن عبد الرحمن الحقييل - دار السنة للنشر والتوزيع - الأولى - ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م

الدوريات

- ١- صامد الاقتصادي خليل السواحرة، السنة العشرون - العدد ١١٣ - تموز - آب - أيلول ١٩٨٨م.
- ٢- مجلة الدراسات الفلسطينية العدد ١٣ - ١٩٩٣م.

مواقع النت

- ١- موقع الدكتور صالح الرقب .
- ٢- موقع دنيا الوطن الالكتروني .

الملاحق

ملحق رقم (١)

فتاوى يهودية تبيح للجيش الإسرائيلي قتل النساء والأطفال بغزة

تاريخ النشر : ٢٠٠٩-٠١-١٧

القراءة : ٧٤٢



Reset A- A+

غزة-دنيا الوطن

صدرت عدة فتاوى من مرجعيات دينية يهودية تبارك ما يقوم به الجيش الإسرائيلي من أعمال قتل في غزة، وتبيح وتبرر له قتل النساء والأطفال كـ"عقاب جماعي للأعداء"، ورأى أحد الحاخامات أنه لا مشكلة في القضاء على الفلسطينيين في القطاع حتى لو قتل منهم مليون أو أكثر، وذلك وفقا لما ذكره تقرير إخباري نُشر في ١٧-١-٢٠٠٩.

وبعث الحاخام "مردخاي إياهو" -الذي يعتبر المرجعية الدينية الأولى للتيار الديني القومي في إسرائيل- برسالة إلى رئيس الوزراء إيهود أولمرت وكل قادة إسرائيل ضمن نشرة "عالم صغير"، وهي عبارة عن كتيب أسبوعي يتم توزيعه في المعابد اليهودية كل يوم جمعة، ذكر فيها قصة المجزرة التي تعرض لها شكيم ابن حمور والتي وردت في سفر التكوين كدليل على النصوص التوراتية التي تبيح لليهود فكرة العقاب الجماعي لأعدائهم وفقا لأخلاقيات الحرب.

وبحسب صحيفة "الوطن" السعودية، قال إياهو الذي شغل في الماضي منصب الحاخام الشرقي الأكبر لإسرائيل "إن هذا المعيار نفسه يمكن تطبيقه على ما حدث في غزة؛ حيث يتحمل جميع سكانها المسؤولية لأنهم لم يفعلوا شيئا من شأنه وقف إطلاق صواريخ القسام"، ودعا مردخاي رئيس الوزراء الإسرائيلي إلى مواصلة شن الحملة العسكرية على غزة، معتبرا أن "المس بالمواطنين الفلسطينيين الأبرياء أم شرس وعري".

وقال إياهو إنه في الوقت الذي يمكن فيه إلحاق العقاب الجماعي بسكان غزة عقابا على أخطاء الأفراد فإنه محرم تعريض حياة اليهود في سديروت أو حياة جنود الجيش الإسرائيلي للخطر، خوفا من إصابة أو قتل غير المقاتلين الفلسطينيين الذين يعيشون في غزة".

ونشرت صحيفة "هآرتس" فتوى لعدد من حاخامات اليهود في إسرائيل أفتوا فيها بأنه "يتوجب على

اليهود تطبيق حكم التوراة الذي نزل في قوم عملاق على الفلسطينيين"، ونقلت الصحيفة عن الحاخام "يسرائيل روزين" -رئيس معهد تسوميت وأحد أهم مرجعيات الإفتاء اليهود- فتواه التي سبق أن أصدرها في السادس والعشرين من مارس/آذار من العام الماضي بأنه "يتوجب تطبيق حكم عملاق على كل من يحمّل كراهية إسرائيلية في نفسه".

وأضاف روزين بأن "حكم التوراة ينص على قتل الرجال والأطفال وحتى الرضع والنساء والعجائز، وحتى سحق البهائم"، مشيراً إلى أن "قوم عملاق كانوا يعيشون في أرض فلسطين وكانت تحركاتهم تصل حتى حدود مصر الشمالية، لكن العماليق شنوا هجمات على مؤخرة قوافل بني إسرائيل بقيادة النبي موسى عليه السلام عندما خرجوا من مصر واتجهوا نحو فلسطين".

"لا مانع من قتل مليون مليون" أما الحاخام الأكبر لمدينة صفد شلوموا إلباهو فقال "إذا قتلنا ١٠٠ دون أن يتوقفوا عن ذلك فلا بد أن نقتل منهم ألفاً، وإذا قتلنا منهم ١٠٠٠ دون أن يتوقفوا فنقتل منهم ١٠ آلاف، وعلينا أن نستمر في قتلهم حتى لو بلغ عدد قتلاهم مليون قتيل، وأن نستمر في القتل مهما استغرق ذلك من وقت"، وأضاف إلباهو قائلاً "المزمير تقول: سوف أوصل مطاردة أعدائي والقبض عليهم ولن أتوقف حتى القضاء بهم".

من جهته يؤيد رئيس مجلس حاخامات المستوطنات في الضفة الغربية الحاخام دوف لينور فتاوى قتل المدنيين الفلسطينيين، وشاركه في ذلك رئيس المجلس البلدي اليهودي في القدس المحتلة. كما صادق عدة حاخامات على فتوى تسمح للجيش الإسرائيلي بقصف مناطق سكنية في قطاع غزة، مشيرين أن على الجيش قصف المناطق التي تطلق منها الصواريخ في غزة، ولكن بعد أن يمهل الجيش سكانها وقتاً للإخلاء"، ومن بين الحاخامات الذين صادقوا على الفتوى الحاخام الأكبر لحزب شاس الديني المتشدد عوفاديا يوسف، فيما أفتى الحاخام "أفي رونسكي" بأن أحكام التوراة تبيح قصف البيوت الفلسطينية من الجو على من فيها، ولا يجب الاكتفاء بقصف مناطق إطلاق الصواريخ، فالواقع يلزم بضبط الناشطين وهم في فراشهم وفي بيوتهم".

من جانب آخر، أشارت دراسة صادرة عن قسم العلوم الاجتماعية بجامعة بار إيلون الإسرائيلية إلى أن "أكثر من ٩٠% ممن يصفون أنفسهم بأنهم متدينون يرون أنه لو تعارضت الخطوات التي تتخذها الحكومة الإسرائيلية مع رأي الحاخامات فإن الأولى تطبيق رأي الحاخامات".

كما ذكرت الدراسة أن "أكثر من ٩٥% من الجنود المتدينين أكدوا أنهم لا يمكنهم الانصياع لأوامر عسكرية تصدر لهم دون أن تكون متسقة مع الفتاوى الدينية التي يصدرها الحاخامات والسلطات الدينية".

ملحق رقم (٢)

موقع وطن على النت

بغداد - وكالات: كشف تقرير أميركي، أن جهاز «الموساد» الإسرائيلي، تمكن بالاشتراك مع القوات الأميركية في العراق، حتى الآن من قتل ٣٥٠ عالما نوويا عراقيا، وأكثر من ٢٠٠ أستاذ جامعي في المعارف العلمية المختلفة.

ونقلت «شبكة أخبار العراق» عن صحيفة عراقية، أمس، أن التقرير الذي أعدته الخارجية الأميركية، وتم رفعه الى الرئيس جورج بوش أكد أن وحدات «الموساد» و«الكوماندوز» الإسرائيلية تعمل في الأراضي العراقية منذ أكثر من عام، وأن هذه الوحدات تعمل خصيصا لقتل العلماء النوويين العراقيين وتصفيتهم، بعد أن فشلت الجهود الأميركية منذ بداية الغزو في استمالة عدد منهم للتعاون والعمل في الأراضي الأميركية.

وأضافت ان التقرير أكد أنه رغم أن البعض منهم أجبر على العمل في مراكز أبحاث حكومية أميركية، إلا أن الغالبية الكبرى من هؤلاء العلماء رفضوا التعاون مع العلماء الأميركيين في بعض التجارب، وأن جزءا كبيرا منهم هرب من الأراضي الأميركية إلى بلدان أخرى.

وأشار إلى أن العلماء العراقيين الذين قرروا التمسك بالبقاء في الأراضي العراقية خضعوا لمرحل طويلة من الاستجواب والتحقيقات الأميركية والتي ترتب عليها إخضاعهم للتعذيب، إلا أن إسرائيل كانت ترى أن بقاء هؤلاء العلماء أحياء يمثل خطرا على الأمن الإسرائيلي في المستقبل. وأكد أن إسرائيل رأت أن الخيار الأمثل للتعامل مع هؤلاء العلماء هو تصفيتهم جسديا، وأن أفضل الخيارات المطروحة لتصفيتهم هو في ظل انتشار أعمال العنف الراهنة في العراق.

وأضاف التقرير الأميركي أن البنّتاغون كان أبدى اقتناعه منذ أكثر من ٧ أشهر بوجهة نظر تقرير الاستخبارات الإسرائيلية، وأنه لهذا الغرض تقرر قيام وحدات من «الكوماندوز» الإسرائيلية بهذه المهمة، وأن هناك فريقا أمنيا أميركيا خاصا يساند القوات الإسرائيلية في أداء هذه المهمة. وأكد كذلك، أن الفريق الأمني الأميركي يختص بتقديم السيرة الذاتية الكاملة وطرق الوصول إلى هؤلاء العلماء العراقيين وأن هذه العملية مستمرة منذ أكثر من ٧ أشهر، وأنه ترتب على ذلك قتل ٣٥٠ عالما نوويا و٢٠٠ أستاذ جامعي حتى الآن، خصوصا في الشوارع العراقية بعيدا عن منازلهم.

وأشار التقرير إلى أن أسر هؤلاء العلماء تعتقد أنهم قتلوا أو ماتوا في عمليات إرهابية، وأن المسلسل مازال يتواصل حتى الآن.

وتستهدف هذه العمليات وفقا للتقرير الأميركي أكثر من ١٠٠٠ عالم عراقي، وأن أحد أسباب انتشار الانفجارات في بعض شوارع المدن العراقية يكون المستهدف منه قتل العلماء.

الموساد الإسرائيلي يقتل ٣٥٠ عالما نوويا ، و ٢٠٠ أستاذ جامعي في العراق!!

نقلا عن جريدة الأسبوع ١٣-٦-٢٠٠٥

جريمة كبري تجري وراء الستار في العراق، حيث أشارت المعلومات إلي أن الموساد الإسرائيلي بالاشتراك مع القوات الأمريكية في العراق قد تمكنت حتي الآن من قتل ٣٥٠ عالما نوويا عراقيا وأكثر من ٢٠٠ أستاذ جامعي في المعارف العلمية المختلفة.

وكان تقرير أعدته الخارجية الأمريكية ورفعته الرئيس بوش قد أكد أن وحدات الموساد والكوماندوز الإسرائيلية تعمل في الأراضي العراقية منذ أكثر من عام وأن هذه الوحدات تعمل خصيصا لقتل العلماء النوويين العراقيين وتصفيتهم بعد أن فشلت الجهود الأمريكية منذ بداية الغزو في استمالة عدد منهم للتعاون والعمل بالأراضي الأمريكية.

وأكد التقرير أنه علي الرغم من أن البعض منهم أجبر علي العمل في مراكز أبحاث حكومية أمريكية إلا أن الغالبية الكبري من هؤلاء العلماء رفضوا التعاون مع العلماء الأمريكيين في بعض التجارب وأن جزءا كبيرا منهم هرب من الأراضي الأمريكية إلي بلدان أخرى.

وأشار التقرير إلي أن العلماء العراقيين الذين قرروا التمسك بالبقاء في الأراضي العراقية خضعوا لمراحل طويلة من الاستجواب والتحقيقات الأمريكية والتي ترتب عليها اخضاعهم للتعذيب، إلا أن إسرائيل كانت تري أن بقاء هؤلاء العلماء أحياء يمثل خطرا علي الأمن الإسرائيلي في المستقبل.

وأكد التقرير أن إسرائيل رأت أن الخيار الأمثل للتعامل مع هؤلاء العلماء هو تصفيتهم جسديا وأن أفضل الخيارات المطروحة لتصفيتهم هو في ظل انتشار أعمال العنف الراهنة في العراق. وأشار التقرير الأمريكي إلي أن البننتاجون كان قد أبادي اقتناعه منذ أكثر من ٧ أشهر بوجهة نظر تقرير المخابرات الإسرائيلية وأنه لهذا الغرض تقرر قيام وحدات من الكوماندوز الإسرائيلية بهذه المهمة وأن هناك فريقا أمنيا أمريكيا خاصا يساند القوات الإسرائيلية في أداء هذه المهمة.

وأكد التقرير أن الفريق الأمني الأمريكي يختص بتقديم السيرة الذاتية الكاملة وطرق الوصول إلي هؤلاء العلماء العراقيين وأن هذه العملية مستمرة منذ أكثر من ٧ أشهر وأنه ترتب علي ذلك قتل ٣٥٠ عالما نوويا و ٢٠٠ أستاذ جامعي حتي الآن خاصة في الشوارع العراقية بعيدا عن منازلهم.

وأشار التقرير إلي أن أسر هؤلاء العلماء تعتقد أنهم قتلوا أو ماتوا في عمليات إرهابية، وأن المسلسل مازال يتواصل حتي الآن، وأن هذه العمليات التي تقوم بها وحدات الكوماندوز الإسرائيلية تتواصل بشكل منتظم وبدعم وتأييد من البننتاجون.

وتستهدف هذه العمليات وفقا للتقرير الأمريكي أكثر من ١٠٠٠ عالم عراقي وأن أحد أسباب انتشار الانفجارات في بعض شوارع المدن العراقية يكون المستهدف منه قتل العلماء.

نقلا عن جريدة الأسبوع ١٣-٦-٢٠٠٥

ملحق رقم (٣)

نصوص مقتبسة من الترجمة الحرفية للتقرير الذي نشرته المجلة الأمريكية
VANITY FAIR

كتب ديفيد روز - نيسان / أبريل ٢٠٠٨

بعد أن فشل في توقع انتصار حماس على حركة فتح في الانتخابات الفلسطينية لعام ٢٠٠٦ يحاول البيت الأبيض طبخ هزيمة وكارثة فضائحية وسرية أخرى ليهزم بها نفسه من جديد في الشرق الأوسط: فضيحة مشابهة لفضيحة إيران " كونيثرا " وفضيحة خليج الخنازير مزوداً بالوثائق السرية التي وصلت إليه من المسنولين الأمريكيين السابقين والحاليين الساخطين يكشف " ديفيد روز " كيف أن الرئيس بوش و كونداليزا رايس ونائب مستشار الأمن القومي إليوت أبرهامز دعموا وجود قوة مسلحة تحت إشراف محمد دحلان أحد قيادي فتح الأقوياء للتسبب بقيام حرب أهلية داعية في غزة مما جعل حركة حماس أقوى من أي وقت مضى.

وقد حصلت " فاني تي فير " على وثائق سرية تؤكدتها وتعززها مصادر في الولايات المتحدة وفلسطين تكشف مبادرة سرية وافق عليها بوش وتم تنفيذها بواسطة وزيرة الخارجية كونداليزا رايس ونائب مستشار الأمن القومي إليوت أبرهامز وهي الحض على قيام حرب أهلية فلسطينية، كانت الخطة تقضي بأن تقوم القوات التي يقودها دحلان والمزودة بأسلحة جديدة تم توريدها بأمر أمريكي لتعطي فتح القوة التي تحتاجها للإطاحة بحكومة حماس المنتخبة ديمقراطياً من السلطة. (رفضت وزارة الخارجية الأميركية التعليق)

ولكن الخطة السرية أدت إلى نتائج عكسية مما أدى إلى نكسه أخرى للسياسة الخارجية الأميركية تحت قيادة بوش، وبدلاً من الإطاحة بأعدائها خارج السلطة استفز مقاتلو فتح المدعومة من الولايات المتحدة حماس للاستيلاء بالكامل على غزة على غفلة منهم.

تتفجر السياسة الفلسطينية داخل إدارة بوش مناقشات غاضبة جداً. وأحد من منتقدي هذه السياسة هو ديفيد فورمسر المجاهر بانتمائه للمحافظين الجدد والذي استقال من منصبه في فريق عمل نائب الرئيس ديك تشيني كمستشار مختص في شؤون الشرق الأوسط في تموز/يوليو ٢٠٠٧ بعد شهر من الانقلاب في غزة.

ويتهم فورمسر إدارة بوش في الدخول بحرب قذرة في محاولة لقيادة دكتاتورية فاسدة يقودها عباس إلى النصر، فهو يعتقد أن حماس لم تكن لديها نية للسيطرة على غزة إلى أن اجبرتها فتح على ذلك، يبدو لي أن ما حدث لم يكن انقلاباً قامت به حماس ولكن محاولة إنقلاب من جانب حركة فتح والتي أجهض قبل أن يحدث كما يشرح فورمسر.

وقد عمل دحلان بشكل وثيق مع مكتب التحقيق الفدرالي ووكالة المخابرات المركزية بحث طور علاقة حميمة مع مدير وكالة المخابرات المركزية جورج تينت، وهو واحد من الذي عينهم كلينتون وبقوا خلال عهد بوش حتى تموز/ يوليو ٢٠٠٤ إنه مجرد رجل عظيم معاند، يقول دحلان ما زلت على اتصال معه من حين لآخر.

CREATIVITY
For Research and Strategic Studies
للأبحاث و الدراسات الإستراتيجية

ملحق رقم (٤)

المساجد التي دمرها الاحتلال في العدوان على غزة

:: تقم

وزارة الأوقاف والشؤون الدينية - فلسطين

١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.



هاتف: ٠٠٩٧٠٨٢٨٠٧٤١٣

فاكس: ٠٠٩٧٠٨٢٨٠٧٤١٤

البريد الإلكتروني: info@palwakf.ps

المساجد المدمرة تدميراً كلياً وعددها [٤٥] مسجداً

م.ر	اسم المسجد	العنوان	المساحة	عدد الطوابق	مساحة الطوابق	التكلفة التقديرية (\$)
٠١	مسجد الفارق	البريج	٢م ٦٠٠	طابق ارضي+دور اول	٢م١٠٠٠	٤٠٠ ألف دولار
٠٢	مسجد بلال بن رباح	المغرافة	٢م ٢٠٠	طابق ارضي	٢م٢٠٠	٨٠ ألف دولار
٠٣	مسجد الحكمة	المغرافة	٢م٣٠٠	طابق ارضي	٢م٣٠٠	١٢٠ ألف دولار
٠٤	مسجد عمر بن عبد العزيز	بيت حانون الشوارع العام	٢م ١٤٠٠	بدروم+طابق ارضي+طابق أول+سدة	٢م٤٥٠٠	١,٨ مليون دولار
٠٥	مسجد النعيم	بيت حانون المنطقة الحدودية	٢م ٢٥٠	طابق ارضي	٢م٢٥٠	١٠٠ ألف دولار
٠٦	مسجد النصر	بيت حانون داخل المقبرة	٢م ٤٠٠	طابق ارضي	٢م٤٠٠	١٦٠ ألف دولار
٠٧	مسجد الإيمان	بيت لاهيا السلاطين	٢م ٢٥٠	طابق ارضي+دور أول	٢م٤٢٥	١٧٠ ألف دولار
٠٨	مسجد تميم الداري	بيت لاهيا منطقة السيفا	٢م ١٥٠	طابق ارضي	٢م١٥٠	٦٠ ألف دولار
٠٩	مسجد العمرة	بيت لاهيا منطقة السيفا	٢م ٢٠٠	طابق ارضي	٢م٢٠٠	٨٠ ألف دولار
٠١٠	مسجد التوحيد السيفا	بيت لاهيا منطقة السيفا	٢م ٥٠٠	بدروم+طابق ارضي+طابق اول	٢م١٣٠٠	٥٤٠ ألف دولار
٠١١	مسجد الإمام مسلم	جباليا أرض الزين	٢م ٦٠٠	طابق ارضي+بدروم	٢م١٢٠٠	٥١٠ ألف دولار

٢٠٠ ألف دولار	٢م٥٠٠	طابق ارضي	٢م٥٠٠	جباليا البلد أرض الزين	مسجد زاوية الزين	.١٢
١٠٠ ألف دولار	٢م٢٥٠	طابق ارضي	٢م٢٥٠	جباليا البلد القرم	مسجد شهداء آل دردونة	.١٣
٢٨٠ ألف دولار	٢م٨٠٠	طابق+سدة	٢م٥٠٠	جباليا البلد القرم	مسجد السلام	.١٤
٩٠ ألف دولار	٢م٤٦٠	طابق ارضي (تدمير جزئ كبير)	٢م٤٦٠	خانيونس الفخاري	مسجد معاذ بن جبل	.١٥
١٢٠ ألف دولار	٢م٣٠٠	طابق ارضي	٢م٣٠٠	خانيونس القرارة	مسجد الزهير	.١٦
١٩٠ ألف دولار	٢م٤٨٠	طابق ارضي+دور أول	٢م٢٨٠	خانيونس/ عبسان الصغيرة	مسجد القسام	.١٧
٧٠ ألف دولار	٢م١٧٠	طابق ارضي	٢م١٧٠	رفح- الشوكة	مسجد عمر بن الخطاب	.١٨
٢٠٠ ألف دولار	٢م٥٧٠	دور ارضي+سدة	٢م٣٥٠	شارع البحر/غزة	مسجد طه	.١٩
٢٠٠ ألف دولار	٢م٥٠٠	طابق ارضي	٢م٥٠٠	عزبة عبد ربه	مسجد صلاح الدين زمو	.٢٠
٤٢٠ ألف دولار	٢م١٠٦٠	بدروم+طابق ارضي+سدة	٢م٤٠٠	محافظة الشمال البحر أرض عان	مسجد حسن البننا	.٢١
١٢٠ ألف دولار	٢م٢٥٠	طابق ارضي+معروش	٢م٢٥٠	محافظة الشمال التوام - البحر	الشهيد خالد جمعة	.٢٢
١,٩ مليون دولار	٢م٤٧٥٠	طابق ارض+بدروم+طابقين	٢م١٤٠٠	معسكر جباليا	مسجد الخلفاء الراشدين	.٢٣
١,٢٥ مليون دولار	٢م١٨٠٠	طابق ارض+بدروم+طابقين	٢م٥٠٠	معسكر جباليا	مسجد الشهيد عماد عقل	.٢٤

٢٥.	مسجد البخاري	معسكر جباليا السكة	٢م ٤٠٠	طابق ارضي	٢م ٤٠٠	١٦٠ ألف دولار
٢٦.	مسجد الرحمن	منطقة التفاح والشعف	٢م ٤٨٠	طابق ارضي	٢م ٤٨٠	١٩٢ ألف دولار
٢٧.	مسجد أسماء بنت أبي بكر	منطقة التفاح والشعف	٢م ٤٠٠	طابق رضي	٢م ٤٠٠	١٦٠ ألف دولار
٢٨.	مسجد الحسين بن علي	منطقة التفاح والشعف	٢م ٣٥٠	طابق ارضي+أول+سدة	٢م ٨٠٠	٣٢٠ ألف دولار
٢٩.	مسجد القعقاع بن عمرو	منطقة التفاح والشعف	٢م ٦٥٠	طابق ارضي+دور أول	٢م ١١٠٠	٤٤٠ ألف دولار
٣٠.	مسجد الشيخ عجلين	منطقة الرمال الجنوبي	٢م ١٠٠٠	طابق ارضي+دور أول	٢م ١٧٠٠	٦٨٠ ألف دولار
٣١.	مسجد البورنو	منطقة الرمال الجنوبي	٢م ٤٠٠	طابق ارضي	٢م ٤٠٠	١٦٠ ألف دولار
٣٢.	مسجد شهداء السرايا	منطقة الرمال الجنوبي	٢م ٥٠٥	طابق ارضي+دور أول	٢م ٨٦٠	٣٤٥ ألف دولار
٣٣.	مسجد أبو حنيفة النعمان	منطقة الرمال الجنوبي	٢م ٤٨٠	طابق ارضي+بدروم	٢م ٩٦٠	٣٩٠ ألف دولار
٣٤.	مسجد عليين	منطقة الزيتون	٢م ٣٠٠	طابق ارضي	٢م ٣٠٠	١٢٠ ألف دولار
٣٥.	مسجد الرباط	منطقة الزيتون	٢م ٥٠٠	بدروم+دور ارضي+سدة	١٣٠٠	٥٢٠ ألف دولار
٣٦.	مسجد التوحيد	منطقة الزيتون	٢م ٥١٣	طابق ارضي+دور اول	٨٥٠	٣٤٠ ألف دولار

٢٩٠ ألف دولار	٨٢٥	طابق أرضي+سدة	٢م ٥٠٠	منطقة الزيتون	مسجد سعد بن أبي وقاص	.٣٧
١٦٠ ألف دولار	٢م٤٠٠	طابق ارضي	٢م ٤٠٠	منطقة الشجاعية	مسجد الصديقة	.٣٨
٢٠٠ ألف دولار	٢م٥٠٠	طابق ارضي	٢م ٥٠٠	منطقة الشجاعية	مسجد خديجة بنت خويلد	.٣٩
١,٦ مليون دولار	٢م٤٠٠٠	طابق أرضي+بدروم+سدة+طابقين	٢م١٠٠٠	منطقة الشيخ رضوان	مسجد التقوى	.٤٠
٦٨٠ ألف دولار	٢م١٧٠٠	طابق أرضي+دور أول	٢م١٠٠٠	منطقة الشيخ رضوان	مسجد النور المحمدي	.٤١
٣٨٠ ألف دولار	٢م١٠٧٠	طابق أرضي+سدة	٢م ٦٥٠	منطقة بيت لاهايا البحر النورس	مسجد عمر بن عبد العزیز	.٤٢
٤٤٠ ألف دولار	٢م١١٠٠	طابق ارضي	٢م ١١٠٠	منطقة رفح	مسجد بدر	.٤٣
٢,٢ مليون دولار	٢م٥٥٠٠	طابق ارضي+٣طوبق	٢م ١٥٠٠	منطقة رفح	مسجد الأبرار	.٤٤
١٧٠ ألف دولار	٢م٤٢٠	طابق ارضي+دور اول	٢م ٢٥٠	منطقة رفح	مسجد دار الفضيلة	.٤٥
١٩,١٠٧ مليون دولار	الإجمالي					

خامساً : فهرس الموضوعات

رقم الصفحة	الموضوع
١	الفصل التمهيدي: مصطلحات أساسية
١	أولاً: المنهج.
٢	المسألة الأولى: المنهج لغةً.
٣	المسألة الثانية: المنهج اصطلاحاً.
٢	ثانياً: أهمية المنهج القرآني في حياة المسلمين.
٤	ثالثاً: سمات المنهج القرآني.
٤	رابعاً: الجريمة واشتقاقها في القرآن الكريم.
٤	المسألة الأولى: الجريمة لغةً.
٤	المسألة الثانية: العلاقة بين الجريمة ومعانيها.
٦	المسألة الثالثة: الجريمة اصطلاحاً.
٧	المسألة الرابعة: اشتقاق الجريمة في القرآن الكريم.
١٧	خامساً: بنو إسرائيل في القرآن الكريم.
١٧	المسألة الأولى: إسرائيل في القرآن الكريم.
١٨	المسألة الثانية: من هم بنو إسرائيل؟.
٢١	سادساً: اليهود واشتقاقهم في القرآن الكريم.
٢١	المسألة الأولى: اليهود لغةً:
٢٢	المسألة الثانية: اشتقاق اليهود في القرآن الكريم.
٢٥	المسألة الثالثة: توبة اليهود قديماً وحديثاً؟
٢٦	المسألة الرابعة: المعنى اللغوي وتطابقه على اليهود قديماً وحديثاً.
٢٩	سابعاً: الفرق بين بني إسرائيل واليهود في القرآن الكريم.
٣٦	نتائج الفصل التمهيدي.
٣٩	الفصل الأول: بنو إسرائيل بين الابتلاء والنعم
٣٩	المبحث الأول: موقف بني إسرائيل من الابتلاء.
٣٩	المدخل إلى المبحث.

٣٩	المسألة الأولى: الابتلاء لغةً.
٤٠	المسألة الثانية: الابتلاء اصطلاحاً.
٤٠	المسألة الثالثة: الحكمة من الابتلاء.
٤٢	المطلب الأول: الابتلاء بظلم آل فرعون.
٤٢	أولاً: التفسير الإجمالي.
٤٢	ثانياً: الإعجاز البياني.
٤٢	المسألة الأولى: الفرق في التعبير بين (نجيناكم وأنجاكم).
٤٣	المسألة الثانية: دلالة التعبير بقول الله (يسومونكم).
٤٥	المسألة الثالثة: الفرق في التعبير بين (يذبحون، ويذبحون).
٤٦	المطلب الثاني: ابتلاء قدرتهم على الصبر والتحمل.
٤٦	أولاً: التفسير الإجمالي.
٤٨	ثانياً: الإعجاز البياني.
٤٨	المسألة الأولى: دلالة التعبير ب (فصل).
٤٨	المسألة الثانية: دلالة التعبير ب (الجنود).
٤٩	المسألة الثالثة: دلالة التعبير ب (مبتليكم).
٤٩	المسألة الرابعة: أهمية التدريب قبل المعارك.
٤٩	المسألة الخامسة: لا مكان للمتمردين بين المجاهدين (فليس مني).
٥٠	المسألة السادسة: قليل نافع خير من كثير مضر (غرفة بيده).
٥١	المسألة السابعة: معنى الظن في القرآن الكريم.
٥١	المسألة الثامنة: قلة تنتصر وكثرة تهزم (فئة قليلة غلبت فئة كثيرة).
٥٢	المسألة التاسعة: أهمية سلاح التوكل في الميدان.
٥٣	المسألة العاشرة: دلالة التعبير ب (برزوا).
٥٤	المسألة الحادية عشر: دعاء المؤمنين في الحرب.
٥٦	المسألة الثانية عشر: دلالة التعبير ب (فهزموهم).
٥٧	ثالثاً: الفاصلة (أهميتها - جمالها).
٦١	المبحث الثاني: مواقف بني إسرائيل من نعم الله عليهم.
٦١	المطلب الأول: تفضيلهم على العالمين بالنبوة والملك والإمامة.

٦١	المسألة الأولى: نعم الله على بني إسرائيل.
٦٢	المسألة الثانية: التفضيل على العالمين.
٦٣	المسألة الثالثة: المقارنة بين أفضلية بني إسرائيل وخيرية أمة محمد.
٦٥	ثانياً: الإعجاز البياني:
٦٦	المطلب الثاني: الأمن النفسي والغذائي.
٦٦	أولاً: التفسير الإجمالي.
٦٧	ثانياً: الإعجاز البياني.
٦٧	المسألة الأولى: الفرق في التعبير بين (أنزلنا ونزلنا).
٦٨	المسألة الثانية: الجمع بين الفعلين: (ظلمونا – يظلمون).
٦٨	المسألة الثالثة: موقفهم من النعمة.
٦٨	ثالثاً: الفواصل (أهميتها – جمالها).
٧٠	رابعاً: العلاقة بين الفاصلتين.
٧٠	خامساً: العلاقة بين الأمن النفسي والأمن الغذائي.
٧١	سادساً: الإعجاز البياني.
٧١	المسألة الأولى: قوة التعبير في (أذاقها).
٧١	المسألة الثانية: قوة التعبير في (لباسها).
٧٢	المسألة: علاقة التذوق باللباس
٧٢	المطلب الثالث: بعثهم بعد الصعق في الدنيا.
٧٢	أولاً: التفسير الإجمالي:
٧٣	ثانياً: الإعجاز البياني:
٧٣	المسألة الأولى: دلالة التعبير ب (أخذ).
٧٣	المسألة الثانية: دلالة التعبير بالجملة الفعلية (تنظرون).
٧٤	المسألة الثالثة: دلالة التعبير بحرف العطف (ثم).
٧٤	ثالثاً: الفاصلة (أهميتها – جمالها).
٧٥	المطلب الرابع: رحمة الله وعفوه.
٧٥	أولاً: التفسير الإجمالي.
٧٦	ثانياً: الإعجاز البياني.

٧٦	المسألة الأولى: بين الغفران والعفو.
٧٧	المسألة الثانية: الحكمة من العفو عن بني إسرائيل.
٧٧	المسألة الثالثة: فضل الله ورحمته.
٧٨	المطلب الخامس: هلاك فرعون ونجاة بني إسرائيل.
٧٩	أولاً: التفسير الإجمالي.
٨٠	ثانياً: الإعجاز البياني.
٨٠	المسألة الأولى: دلالة التعبير بالجملة الفعلية (تنظرون).
٨١	المسألة الثانية: دلالة التعبير ب (دمرنا).
٨١	المسألة الثالثة: دلالة التعبير ب (آل فرعون).
٨١	المسألة الرابعة: العلاقة بين آيتين.
٨٤	المطلب السادس: وعد الله بدخول الأرض المقدسة.
٨٤	أولاً: التفسير الإجمالي.
٨٤	المسألة الأولى: الأرض المقدسة.
٨٥	المسألة الثانية: معنى كتب الله لكم.
٨٥	المسألة الثالثة: التحقيق في الكتابة.
٨٨	المسألة الرابعة: الجمع بين الكتابة الكونية والشرعية.
٨٨	المسألة الخامسة: موقف بني إسرائيل من هذه النعمة.
٨٨	ثانياً: الإعجاز البياني.
٨٨	المسألة الأولى: الغرض من تكرار النداء مرتين في الآية.
٨٩	المسألة الثانية: تल्प وأدب وإشفاق في قوله تعالى (ياقوم).
٨٩	المسألة الثالثة: إشفاق يقابله غلظة، ووقاحة وقلة أدب.
٩٠	المسألة الرابعة: العلاقة بين الآيتين.
٩٠	المسألة الخامسة: العلاقة بين بداية الآية ونهايتها.
٩٠	المسألة السادسة: آيتان متشابهتان والفرق بينهما.
٩٢	ثالثاً: الفاصلة أهميتها وجمالها.
٩٥	نتائج الفصل الأول

٩٧	الفصل الثاني: صفات اليهود في القرآن
٩٨	المبحث الأول: صفات الكافرين من اليهود.
٩٨	المطلب الأول: حب الدنيا وكراهية الموت.
٩٨	أولاً: التفسير الإجمالي.
٩٨	وفيه مسألة واحدة: حب الدنيا وملاحح الخوف لدى اليهود.
١٠٠	ثانياً: الإعجاز البياني.
١٠٠	المسألة الأولى: دلالة التعبير في قول الله (حياة)
١٠٠	المسألة الثانية: الفرق في اللغة بين: (لن يتمنوه وبين لا يتمنونه).
١٠١	المسألة الثالثة: تجارة اليهود خاسرة.
١٠٤	المطلب الثاني: الخداع والتحايل.
١٠٤	أولاً: التفسير الإجمالي.
١٠٥	ثانياً: الإعجاز البياني.
١٠٥	المسألة الأولى: الهدف البلاغي من سؤال القرية.
١٠٦	المسألة الثانية: دلالة التعبير بالجملة الفعلية (يعدون).
١٠٧	المطلب الثالث: الكذب وأكل الحرام.
١٠٧	أولاً: أسباب النزول.
١٠٧	ثانياً: التفسير الإجمالي.
١٠٩	ثالثاً: الإعجاز البياني.
١٠٩	المسألة الأولى: سر التعبير بحرف الظرفية (في).
١١٠	المسألة الثانية: السر البياني لصيغة المبالغة (سماعون – أكالون).
١١١	المسألة الثالثة: سر تسمية المال الحرام (سحتاً).
١١١	المسألة الرابعة: دلالة التعبير في قولهم (لن تمسنا).
١١٢	المسألة الخامسة: جمال المقابلة في الآيات.
١١٤	المطلب الرابع: قسوة القلب.
١١٤	أولاً: علاقة الآيات بما قبلها.
١١٤	ثانياً: التفسير الإجمالي.
١١٥	ثالثاً: الإعجاز البياني.

١١٥	المسألة الأولى: دلالة التعبير بـ (ثم).
١١٥	المسألة الثانية: معنى القسوة ودلالة التعبير بها:
١١٦	المسألة الثالثة: دلالة التعبير بقست وليس صلبت والفرق بينهما.
١١٦	المسألة الرابعة: أسباب قسوة قلوب بني إسرائيل.
١١٧	المسألة الخامسة: لماذا القلب دون غيره من أعضاء الجسم؟.
١١٧	المسألة السادسة: أثر قسوة القلوب على سلوك بني إسرائيل.
١١٧	المسألة السابعة: جمال المعنى في اسم الإشارة (ذلك).
١١٨	المسألة الثامنة: تشبيه القلب بالحجر دون غيره، وبيان الغرض البلاغي.
١١٩	المسألة التاسعة: بيان خيرية الحجر وأفضليته على بني إسرائيل.
١١٩	المسألة العاشرة: معانقة بين رحمة القلب ورحمة الحجر.
١٢٠	المسألة الحادية عشر: قسوة تفجر الخير وقسوة هي الشر بعينه.
١٢٠	المسألة الثانية عشر: البيان والجمال في انتقاء المصطلحات (يتفجر - تشقق).
١٢١	رابعاً: الفاصلة: (أهميتها-جمالها).
١٢٢	المطلب الخامس: الخيانة والغدر ونقض العهد.
١٢٣	أولاً: التفسير الإجمالي.
١٢٣	المسألة الأولى: العهد ومعانيه.
١٢٥	المسألة الثانية: الميثاق ومعانيه.
١٢٦	المسألة الثالثة: الفرق بين العهد والميثاق.
١٢٧	المسألة الرابعة: مراحل الموائيق والعهود في تاريخ اليهود.
١٢٩	ثانياً: الإعجاز البياني.
١٢٩	المسألة الأولى: أهمية الإستفهام في السياق القرآني.
١٢٩	المسألة الثانية: دلالة التعبير في الفعل (نبذه).
١٣٠	المسألة الثالثة: من ينبذ العهود؟ ولماذا لم يعترض الفريق المعاهد.
١٣١	الفاصلة(هدفها -جمالها).
١٣٣	ثالثاً: تاريخ اليهود في نقض العهود.
١٣٣	المسألة الأولى: الغدر ونقض العهد زمن أنبيائهم.

١٣٤	المسألة الثانية: الغدر ونقض العهد زمن الرسول.
١٣٥	وثيقة المواعدة وبنودها.
١٣٥	نتائج بنود الوثيقة.
١٣٦	غدر بني قينقاع.
١٣٦	غدر بني النضير.
١٣٧	غدر بني قريظة.
١٣٩	المسألة الثالثة: الغدر ونقض العهد في العصر الحالي.
١٣٩	نقض الهدنة بعد النكبة.
١٣٩	نقض اتفاقيات كامب ديفيد.
١٤٢	نقض اتفاقية أوسلو.
١٤٣	المطلب السادس: الجدل والكفر والتمرد على أوامر الله.
١٤٤	أولاً: علاقة الآيات بما قبلها.
١٤٤	ثانياً: التفسير الإجمالي.
١٤٤	ثالثاً: الإعجاز البياني.
١٤٤	المسألة الأولى: التنكير في لفظ (بقرة).
١٤٥	المسألة الثانية: سر استخدام فعل الأمر (ادع).
١٤٥	المسألة الثالثة: لماذا ذبح البقرة دون غيرها؟.
١٤٥	المسألة الرابعة: قلة أدبهم في جوابهم على أمر الذبح.
١٤٦	المسألة الخامسة: لماذا لم ينفذوا الأمر الإلهي؟.
١٤٦	المسألة السادسة: فصاحة موسى وبلاغته وفطنته.
١٤٦	المسألة السابعة: لماذا استعاذ موسى بالله أن يكون من الجاهلين؟.
١٤٧	المسألة الثامنة: الغرض من السؤال عن ماهية البقرة أكثر من مرة.
١٤٧	المسألة التاسعة: دلالة التعبير في قول الله: (فافعلوا ما تؤمرون).
١٤٧	المسألة العاشرة: هل كانوا صادقين في قولهم (الآن جئت بالحق).
١٤٨	المسألة الحادية عشر: هل كانوا صادقين في قولهم: (وإنّا إن شاء الله لمهتدون)؟.
١٤٨	المسألة الثانية عشر: دلالة التعبير في قوله: (وما كادوا يفعلون).

١٤٩	المسألة الثالثة عشر: دلالة استخدام ضمير المخاطب والجمع في قول الله (ما كنتم تكتمون).
١٥٠	المسألة الرابعة عشر: ماذا كتم اليهود في قول الله: (ما كنتم تكتمون).
١٥٠	المسألة الخامسة عشر: بين الأمر وعلته، لماذا قدم الذبح على سببه؟.
١٥٠	المسألة السادسة عشر: لماذا الضرب ببعضها؟.
١٥١	المسألة السابعة عشر: لماذا يعلق إحياء الميت بذبح البقرة؟.
١٥٢	المسألة الثامنة عشر: الحكمة من تقديم الجدل على جريمة القتل.
١٥٣	المطلب السابع: إشعال الحروب والإفساد في الأرض.
١٥٣	أولاً: التفسير الإجمالي.
١٥٣	المسألة الأولى: أقوال العلماء في إيقاد الحروب.
١٥٥	المسألة الثانية: أسباب إشعال الحرب والإفساد في الأرض.
١٥٥	المسألة الثالثة: صور من إشعال الحروب.
١٥٦	إشعال الحرب زمن الرسول.
١٥٦	إشعال الحرب بعد وفاة الرسول.
١٥٧	إشعال الحروب في غير المسلمين.
١٥٨	دورهم في الثورة الفرنسية.
١٥٨	دورهم في الحربين العالمية الأولى والثانية.
١٥٩	تحريض الشريف حسين ضد الخلافة العثمانية.
١٥٩	دور اليهود في حرب الخليج.
١٦١	إشعال الحرب بين أبناء الشعب الفلسطيني.
١٦٢	المسألة الرابعة: أقوال تبين خطر اليهود على العالم.
١٦٣	ثانياً: الإعجاز البياني:
١٦٣	المسألة الأولى: أداة تفيد التكرار (كلما).
١٦٣	المسألة الثانية: دلالة التعبير في قول الله (أوقدوا).
١٦٤	المسألة الثالثة: حقيقة النار في قول الله (ناراً).
١٦٤	المسألة الرابعة: دلالة التعبير في قول الله: (الحرب).
١٦٥	المسألة الخامسة: دلالة التعبير في قول الله (أطفأها الله).

١٦٥	المسألة السادسة: قوة التعبير في قول الله: (ويسعون في الأرض فسادًا).
١٦٩	المسألة السابعة: العلاقة بين إيقاد الحرب والإفساد في الأرض.
١٦٩	المسألة الثامنة: بعض أنواع فساد اليهود.
١٦٩	الفساد العقائدي.
١٧٠	الفساد الاقتصادي.
١٧٠	الفساد الأخلاقي.
١٧١	الفساد السياسي.
١٧٢	ثالثًا: الفاصلة (أهميتها – جمالها).
١٧٣	المطلب الثامن: الغلو في الدين وعداوة المؤمنين.
١٧٣	الفرع الأول: الغلو في الدين.
١٧٣	أولاً: التفسير الإجمالي.
١٧٤	المسألة الأولى: غلو اليهود والنصارى في عيسى.
١٧٥	المسألة الثانية: أنواع الغلو.
١٧٥	المسألة الثالثة: أسباب الغلو.
١٧٦	المسألة الرابعة تحذير الرسول من خطر الغلو.
١٧٧	ثانيًا: الإعجاز البياني.
١٧٧	المسألة الأولى: دلالة التعبير ب (الهُوى).
١٧٧	المسألة الثانية: الفرق في التعبير: بين (ضلّوا وأضلّوا).
١٨٠	المسألة الثالثة: العلاقات بين الآيات.
١٨٠	ثالثًا: الفاصلة (أهميتها – جمالها).
١٨٠	الفرع الثاني: عداوة المؤمنين.
١٨٠	أولاً: علاقة الآيات بما قبلها.
١٨٠	ثانيًا: التفسير الإجمالي.
١٨٠	المسألة الأولى: أسباب عداوة اليهود للمؤمنين.
١٨٠	المسألة الثانية: أسباب عداوة المشركين للمؤمنين.
١٨١	المسألة الثالثة: بداية عداوة اليهود للمؤمنين.
١٨١	المسألة الرابعة: مواقف من عداوة اليهود للمؤمنين.

١٨٣	ثالثاً: الإعجاز البياني.
١٨٣	المسألة الأولى: قوة التعبير في قول الله: (لتجدن).
١٨٣	المسألة الثانية: دلالة التعبير في قول الله: (عداوة).
١٨٤	المسألة الثالثة: دلالة تقديم اليهود على المشركين في العداوة.
١٨٤	المسألة الرابعة: اللام في الاسم الموصول – للذين – بماذا تعلقتم؟
١٨٤	المسألة الخامسة: تقديم عداوة اليهود على النصارى.
١٨٥	المسألة السادسة: سر أفراد الهدى وجمع الهوى.
١٨٥	المسألة السابعة: أدوات النفي (لن – لا) والفرق بينهما.
١٨٧	المطلب التاسع حب الذات وتبرير الجرائم.
١٨٧	الفرع الأول: حب الذات.
١٨٧	أولاً: التفسير الإجمالي.
١٨٨	ثانياً: الإعجاز البياني.
١٨٨	وفيه مسألة واحدة: استخدام حرفي العطف والنفي واسم الإشارة.
١٨٩	الفرع الثاني: تبرير الجرائم.
١٨٩	أولاً: التفسير الإجمالي.
١٩٠	ثانياً: الإعجاز البياني.
١٩٠	المسألة الأولى: قوة التعبير في قول الله: (قائماً).
١٩٠	المسألة الثانية: لماذا عبر عن الحجة بقوله: (سبيل).
١٩١	المسألة الثالثة: أهمية التعبير بالجملة الفعلية (يقولون).
١٩١	المسألة الرابعة: أهمية التعبير بالجملة الاسمية (وهم يعلمون).
١٩٢	المسألة الخامسة: قوة الترابط وجمال التعاقب في آيتين.
١٩٢	ثالثاً: الفاصلة (أهميتها – جمالها).
١٩٤	المبحث الثاني: صفات لمؤمني اليهود قبل بعثة الرسول.
١٩٤	المطلب الأول: عبادة الله.
١٩٤	أولاً: علاقة الآيات بما قبلها.
١٩٤	ثانياً: أسباب النزول.
١٩٤	ثالثاً: التفسير الإجمالي.

١٩٥	رابعاً: الإعجاز البياني.
١٩٥	المسألة الأولى: العدل الإلهي مع اليهود.
١٩٦	المسألة الثانية: دلالة استخدام الجملة الإسلامية (وهم يسجدون).
١٩٦	المسألة الثالثة: دلالة استخدام الجملة الفعلية: (ويسارعون في الخيرات).
١٩٧	المسألة الرابعة: حكم الله بصلاح هذه الطائفة: (وأولئك من الصالحين).
١٩٧	المطلب الثاني: الأمانة في المعاملة.
١٩٧	أولاً: علاقة الآيات بما قبلها.
١٩٨	ثانياً: التفسير الإجمالي.
١٩٨	وفيه مسألة واحدة: مقارنة بين الأمانة والوديعه.
١٩٩	ثالثاً: الإعجاز البياني.
١٩٩	المسألة الأولى: قوة التعبير في قول الله (تأمنه).
١٩٩	المسألة الثانية: علاقة القنطار بالأمانة.
٢٠٠	المسألة الثالثة: علاقة الأداء بالأمانة.
٢٠٠	المطلب الثالث: الصبر والعدل.
٢٠٠	الفرع الأول: الصبر.
٢٠١	أولاً: التفسير الإجمالي.
٢٠١	ثانياً: الإعجاز البياني.
٢٠١	المسألة الأولى: سر استخدام حرف العطف (الواو).
٢٠١	المسألة الثانية: دلالة التعبير ب (تمت).
٢٠٢	المسألة الثالثة: سر استخدام حرف الملاصقة بـ مع (الصبر).
٢٠٢	المسألة الرابعة: قوة التعبير في قوله (دمرنا).
٢٠٢	المسألة الخامسة: الفرق في التعبير بين (ما كان – وما كانوا).
٢٠٣	المسألة السادسة: الفرق في التعبير بين (يصنعون – يعرشون).
٢٠٤	المسألة السابعة: الأسباب التي أدت إلى دمار ملك فرعون.
٢٠٥	الفرع الثاني: العدل.
٢٠٥	أولاً: التفسير الإجمالي.
٢٠٦	ثانياً: الإعجاز البياني.

٢٠٦	المسألة الأولى: أهمية استخدام الجمل الفعلية (يهدون – يعدلون).
٢٠٦	المسألة الثانية: جدول يطابق بين صفات مؤمني اليهود والصحابية.
٢٠٨	نتائج الفصل الثاني
٢١٠	الفصل الثالث: جرائم اليهود كما يصورها القرآن الكريم.
٢١٢	المبحث الأول: جرائم اليهود في حق الله وكتابه.
٢١٢	المدخل.
٢١٢	أولاً: العقوبة لغةً.
٢١٢	ثانياً: العقاب اصطلاحاً.
٢١٣	المطلب الأول: عبادة العجل من دون الله.
٢١٣	أولاً: التفسير الإجمالي.
٢١٣	ثانياً: الإعجاز البياني.
٢١٤	المسألة الأولى: قوة التعبير في قول الله (أشربوا).
٢١٥	المسألة الثانية: أهمية استخدام الجملة الفعلية (يعكفون).
٢١٦	المسألة الثالثة: علاقة قوم موسى بصناعة العجل.
٢١٦	المسألة الرابعة: الإستفهام ودلالة نفي صفتي الهداية والكلام عن العجل.
٢١٧	ثالثاً: منهج القرآن في التعامل مع الجريمة:
٢١٧	المسألة الأولى: بيان عقوبة الجريمة.
٢١٨	المسألة الثانية: جريمة يقابلها ثلاث عقوبات.
٢١٩	المسألة الثالثة: الجمع بين توبة الله وغضبه.
٢١٩	المسألة الرابعة: الجمع بين الفاصلتين في العقوبة للموضوع الواحد.
٢٢٠	المسألة الخامسة: كيفية التعامل مع الجريمة.
٢٢١	المطلب الثاني: الكذب على الله وتحريف كتابه:
٢٢٢	أولاً: أسباب النزول.
٢٢٢	ثانياً: التفسير الإجمالي.
٢٢٣	ثالثاً: الإعجاز البياني.
٢٢٣	المسألة الأولى: دلالة التعبير بـ (عهد).
٢٢٣	المسألة الثانية: توجيه رباني.

٢٢٣	المسألة الثالثة: أهمية الإستفهام في قول الله (أفطمعون).
٢٢٤	المسألة الرابعة: العلاقة بين السماع والتحريف.
٢٢٥	المسألة الخامسة: ثلاثة حرام بثلاثة حلال.
٢٢٥	المسألة السادسة: أهمية استخدام الجمل الفعلية (يقولون – يلوون).
٢٢٦	المسألة السابعة: أنواع التحريف واللي.
٢٢٧	المسألة الثامنة: الفرق في التعبير بين آيتين.
٢٢٧	رابعاً: الفواصل (أهميتها – جمالها).
٢٣٠	خامساً: منهج القرآن في التعامل مع الجريمة.
٢٣٠	المسألة الأولى: بيان عقوبة الجريمة.
٢٣١	المسألة الثانية: كيفية التعامل مع الجريمة.
٢٣١	المطلب الثالث: جرأة اليهود على الله.
٢٣١	الفرع الأول: اتهام الله بالفقر.
٢٣٢	أولاً: أسباب النزول
٢٣٢	ثانياً: التفسير الإجمالي.
٢٣٣	ثالثاً: الإعجاز البياني.
٢٣٣	المسألة الأولى: أهمية القسم قول الله (لقد سمع) .
٢٣٣	المسألة الثانية: دلالة التعبير قول الله (سنكتب ما قالوا).
٢٣٤	المسألة الثالثة: سر استخدام المصدر في قول الله (وقتلهم الأنبياء).
٢٣٤	المسألة الرابعة: دلالة التعبير في قول الله (بغير حق).
٢٣٥	المسألة الخامسة: قوة التعبير في قول الله (ذوقوا).
٢٣٥	المسألة السادسة: قوة التعبير في قول الله (ذلك بما قدمت أيديكم).
٢٣٦	المسألة السابعة: شبهة والرد عليها.
٢٣٧	المسألة الثامنة: العلاقة بين (ذوقوا عذاب الحريق- بما قدمت أيديكم).
٢٣٧	رابعاً: منهج القرآن في التعامل مع الجريمة.
٢٣٧	المسألة الأولى: بيان عقوبة الجريمة.
٢٣٧	المسألة الثانية: كيفية التعامل مع الجريمة.
٢٣٨	الفرع الثاني: اتهام الله بالبخل.

٢٣٨	أولاً: التفسير الإجمالي.
٢٣٩	ثانياً: الإعجاز البياني.
٢٣٩	المسألة الأولى: سر التعبير بالجمع - اليهود - مع أن القاتل مفرد.
٢٣٩	المسألة الثانية: التحقيق في قوله (غلت أيديكم).
٢٤١	المسألة الثالثة: دلالة التعبير بـ (لغوا).
٢٤٢	المسألة الرابعة: العلاقة بين قوله (يد الله مغلولة - بل يدها مبسوطتان).
٢٤٢	ثالثاً: منهج القرآن في التعامل مع الجريمة.
٢٤٢	المسألة الأولى: بيان عقوبة الجريمة.
٢٤٣	المسألة الثانية: كيفية التعامل مع الجريمة.
٢٤٣	الفرع الثالث: طلبهم رؤية الله كشرط للإيمان.
٢٤٤	أولاً: التفسير الإجمالي.
٢٤٤	ثانياً: الإعجاز البياني.
٢٤٤	المسألة الأولى: قولهم (لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً).
٢٤٥	المسألة الثانية: هل كانوا صادقين في طلب الرؤيا.
٢٤٥	ثالثاً: منهج القرآن في التعامل مع الجريمة.
٢٤٥	المسألة الأولى: بيان عقوبة الجريمة.
٢٤٧	المسألة الثانية: كيفية التعامل مع الجريمة.
٢٤٧	الفرع الرابع: التحايل على استحلال المحرمات.
٢٤٧	أولاً: التفسير الإجمالي.
٢٤٧	ثانياً: الإعجاز البياني.
٢٤٧	المسألة الأولى: دلالة التعبير في قوله (ولقد علمتم).
٢٤٨	المسألة الثانية: التحقيق في فعل الكينونة الأمر (كونوا).
٢٤٩	المسألة الثالثة: حقيقة المسخ إلى القردة.
٢٥٠	ثالثاً: منهج القرآن في التعامل مع الجريمة:
٢٥٠	المسألة الأولى: بيان عقوبة الجريمة.
٢٥٠	المسألة الثانية: كيفية التعامل مع الجريمة.
٢٥١	المبحث الثاني: جرائم اليهود في حق الأنبياء

٢٥١	المطلب الأول: إيداء الأنبياء.
٢٥١	الفرع الأول: إيداء الرسول محمد.
٢٥١	أولاً: أسباب النزول.
٢٥١	ثانياً: التفسير الإجمالي.
٢٥٢	ثالثاً: الإعجاز البياني.
٢٥٢	المسألة الأولى: آية جمعت سبع أساليب بيانية.
٢٥٢	المسألة الثانية: دلالة التعبير في قول الله (راعنا).
٢٥٣	المسألة الثالثة: أهمية التعبير بـ (انظرنا).
٢٥٣	المسألة الرابعة: أهمية الإستفهام ومعنى النجوى وعودتهم إليها.
٢٥٤	رابعاً: منهج القرآن في التعامل مع الجريمة:
٢٥٤	المسألة الأولى: بيان عقوبة الجريمة.
٢٥٤	المسألة الثانية: العلاقة بين العقوبات.
٢٥٥	المسألة الثالثة: كيفية التعامل مع الجريمة.
٢٥٦	الفرع الثاني: إيداء موسى.
٢٥٧	أولاً: التفسير الإجمالي.
٢٥٧	ثانياً: الإعجاز البياني.
٢٥٧	المسألة الأولى: حقيقة الأذى الذي وقعوا فيه.
٢٥٨	المسألة الثانية: براءة موسى من الأذى.
٢٥٩	المسألة الثالثة: إصرارهم على الأذى رغم علمهم نبوة موسى.
٢٥٩	المسألة الرابعة: حقيقة زوغان القلب.
٢٥٩	المسألة الخامسة: العلاقة بين الآيتين.
٢٦٠	ثالثاً: منهج القرآن في التعامل مع الجريمة.
٢٦٠	المسألة الأولى: بيان عقوبة الجريمة.
٢٦٠	المسألة الثانية: كيفية التعامل مع الجريمة.
٢٦١	المطلب الثاني: تكذيب الأنبياء وقتلهم:
٢٦١	أولاً: التفسير الإجمالي.
٢٦١	ثانياً: الإعجاز البياني.

٢٦١	المسألة الأولى: أهمية القسم في قول الله (ولقد).
٢٦١	المسألة الثانية: دلالة التعبير بـ (وقفينا).
٢٦٢	المسألة الثالثة: دلالة التعبير بالاستفهام وأداة التكرار (أفكلما).
٢٦٢	المسألة الرابعة: أهمية استخدام الجملة الفعلية (تقتلون).
٢٦٣	المسألة الخامسة: استهزاء بالمجرمين (فبشرهم).
٢٦٣	المسألة السادسة: قوة التعبير في قول الله (حبطت).
٢٦٣	المسألة السابعة: دلالة التعبير في قول الله (بغير حق).
٢٦٤	المسألة الثامنة: قوة التعبير في قول الله (ضربت).
٢٦٥	المسألة التاسعة: دلالة التعبير في قول الله (حبل الناس).
٢٦٥	المسألة العاشرة: الفرق في التعبير بين آيتين متشابهتين.
٢٦٧	ثالثاً: منهج القرآن في التعامل مع الجريمة.
٢٦٧	المسألة الأولى: بيان عقوبة الجريمة.
٢٦٨	المسألة الثانية: كيفية التعامل مع الجريمة.
٢٦٩	المبحث الثالث: جرائم اليهود في حق المؤمنين.
٢٦٩	المطلب الأول: حسد المؤمنين وكرهية الخير لهم.
٢٦٩	أولاً: أسباب النزول.
٢٦٩	ثانياً: التفسير الإجمالي.
٢٧٠	ثالثاً: الإعجاز البياني.
٢٧٠	المسألة الأولى: دلالة التعبير في قول الله (ودّ).
٢٧٠	المسألة الثانية: الدقة في استخدام المصطلحات بين (تمسكم – تصبكم).
٢٧٢	رابعاً: الفاصلة (أهميتها – جمالها).
٢٧٣	خامساً: منهج القرآن في التعامل مع الجريمة.
٢٧٣	المسألة الأولى: بيان عقوبة الجريمة.
٢٧٤	المسألة الثانية: كيفية التعامل مع الجريمة.
٢٧٥	المطلب الثاني: تشكيك المؤمنين في دينهم.
٢٧٥	أولاً: أسباب النزول.
٢٧٥	ثانياً: التفسير الإجمالي.

٢٧٦	ثانياً: الإعجاز البياني.
٢٧٦	المسألة الأولى: دلالة التعبير في حرف السين في قوله (سيقول السفهاء).
٢٧٦	المسألة الثانية: تشبيه بليغ في قوله (ينقلب على عقبيه).
٢٧٧	المسألة الثالثة: سر تسمية الصلاة بالإيمان.
٢٧٧	رابعاً: منهج القرآن في التعامل مع الجريمة.
٢٧٧	المسألة الأولى: بيان عقوبة الجريمة.
٢٧٧	المسألة الثانية: كيفية التعامل مع الجريمة.
٢٧٨	المطلب الثالث: العمل على ردة المؤمنين وإخراجهم من الدين.
٢٧٨	أولاً: أسباب النزول.
٢٧٨	ثانياً: التفسير الإجمالي.
٢٧٩	ثالثاً: الإعجاز البياني.
٢٧٩	المسألة الأولى: دلالة التعبير في قول الله (وَدَّ).
٢٧٩	المسألة الثانية: أهمية استخدام الجمل الفعلية (يضلونكم – يردونكم).
٢٨٠	المسألة الثالثة: الفرق في التعبير بين (رد – صد – ضل).
٢٨٠	المسألة الرابعة: أهمية استخدام الجملة الفعلية (تبغونها).
٢٨١	المسألة الخامسة: الفرق بين (عوجا بكسر العين، وعوجا بالفتح).
٢٨١	المسألة السادسة: قوة التعبير في استخدام الجملة الاسمية.
٢٨٢	المسألة السابعة: العلاقة بين الكفر والصد والشهادة.
٢٨٢	رابعاً: الفاصلة (أهميتها – جمالها):
٢٨٣	خامساً: منهج القرآن في التعامل مع الجريمة.
٢٨٣	المسألة الأولى: بيان عقوبة الجريمة.
٢٨٣	المسألة الثانية: كيفية التعامل مع الجريمة.
٢٨٥	المبحث الرابع: جرائم اليهود في حق البشرية.
٢٨٥	المطلب الأول: ظلم الناس باستغلالهم وأكل أموالهم.
٢٨٥	أولاً: التفسير الإجمالي.
٢٨٦	ثانياً: الإعجاز البياني.
٢٨٦	المسألة الأولى: كيفية أكل المال.

٢٨٧	المسألة الثانية: العلاقة بين أكل المال، و أكل الربا.
٢٨٧	المسألة الثالثة: قوة التعبير في قوله (يسارعون في الإثم).
٢٨٧	المسألة الرابعة: الفرق بين الإثم والعدوان.
٢٨٩	المسألة الخامسة: العلاقة بين الإثم والعدوان.
٢٨٩	المسألة السادسة: سر تسمية المال الحرام بالسحت وعلاقته بالإثم.
٢٩٠	المسألة السابعة: دلالة التعبير بأداة (لولا).
٢٩٠	المسألة الثامنة: الربانيون والأخبار والفرق بينهما.
٢٩٠	المسألة التاسعة: لماذا لم يؤد الربانيون والأخبار رسالتهم.
٢٩١	المسألة العاشرة: حقيقة الجرائم التي وقعوا فيها.
٢٩٢	المسألة الحادية عشر: مقارنة بين جرائم الربانيين والأخبار وجرائم عامة اليهود.
٢٩٣	ثالثاً: الفواصل (أهميتها – جمالها).
٢٩٤	رابعاً: منهج القرآن في التعامل مع الجريمة.
٢٩٤	المسألة الأولى: بيان عقوبة الجريمة.
٢٩٦	المسألة الثانية: كيفية التعامل مع الجريمة.
٢٩٧	المطلب الثاني: الإفساد في الأرض وإيقاد الحرب.
٢٩٧	أولاً: منهج القرآن في التعامل مع الجريمة.
٢٩٧	المسألة الأولى: بيان عقوبة الجريمة.
٢٩٨	المسألة الثانية: كيفية التعامل مع الجريمة.
٢٩٩	المبحث الخامس: جرائم اليهود في حق أنفسهم:
٢٩٩	المطلب الأول: قتل العامة وإخراجهم من الديار
٢٩٩	أولاً: التفسير الإجمالي.
٣٠٠	ثانياً: الإعجاز البياني.
٣٠٠	المسألة الأولى: قوة التعبير في قول الله (تسفكون دماءكم).
٣٠١	المسألة الثانية: دلالة التعبير في ضمير الجماعة والمخاطب (أنفسكم – دياركم).
٣٠٢	المسألة الثالثة: الجمع بين ضمير الغائب والمخاطب.

٣٠٢	المسألة الرابعة: مواقف عجيبة ومريبة.
٣٠٤	ثالثاً: منهج القرآن في التعامل مع الجريمة.
٣٠٤	المسألة الأولى: بيان عقوبة الجريمة.
٣٠٤	المسألة الثانية: كيفية التعامل مع الجريمة.
٣٠٥	المطلب الثاني: قتل العلماء العاملين.
٣٠٥	أولاً: التفسير الإجمالي.
٣٠٦	ثانياً: الإعجاز البياني.
٣٠٦	المسألة الأولى: أسرار استخدام الجمل الفعلية (يكفرون – يقتلون).
٣٠٦	المسألة الثانية: منزلة العلماء بعد الأنبياء.
٣٠٧	المسألة الثالثة: سر استخدام الفعل المضارع – تقتلون – مرتين.
٣٠٧	المسألة الرابعة: أسلوب التهكم في قوله (فيشرهم).
٣٠٨	ثالثاً: منهج القرآن في التعامل مع الجريمة.
٣٠٨	المسألة الأولى: بيان عقوبة الجريمة.
٣٠٨	المسألة الثانية: كيفية التعامل مع الجريمة.
٣٠٨	نتائج الفصل الثالث.
٣١١	الفصل الرابع: منهج القرآن في استئصال جرائم اليهود من فلسطين
٣١٢	المبحث الأول: سنن الله في العقاب.
٣١٢	مدخل المبحث
٣١٢	أولاً: السنة لغة.
٣١٢	ثانياً: السنة اصطلاحاً.
٣١٣	ثالثاً: أقسام سنن العقاب.
٣١٣	رابعاً: سمات سنن العقاب.
٣١٤	المطلب الأول: سنة التسليط .
٣١٤	أولاً: التفسير الإجمالي.
٣١٥	ثانياً: الإعجاز البياني.
٣١٥	المسألة الأولى: قوة التعبير في ظرف الزمان (وإذ).
٣١٥	المسألة الثانية: قوة التعبير في قول الله (تأذن).
٣١٥	المسألة الثالثة: أهمية القسم ونون التوكيد في قول الله (لبيعثن).

٣١٦	المطلب الثاني: سنة التغير والاستبدال.
٣١٦	أولاً: التفسير الإجمالي:
٣١٧	ثانياً: الإعجاز البياني:
٣١٧	المسألة الأولى: العلاقة بين فعل الشرط وجوابه وأثر حرف العطف.
٣١٧	المسألة الثانية: أهمية الاستفهام في قوله: (ألم تر).
٣١٨	المسألة الثالثة: كيف بدلوا نعمة الله كفراً؟.
٣١٨	المطلب الثالث: سنة الإهلاك (دمار جزئي) .
٣١٨	أولاً: التفسير الإجمالي:
٣١٩	ثانياً: الإعجاز البياني:
٣١٩	المسألة الأولى: أهمية الاستفهام في قوله: (ألم يروا).
٣١٩	المسألة الثانية: دلالة التعبير ب (كم).
٣١٩	المسألة الثالثة: أهمية القسم والتوكيد في قوله: (ولقد).
٣١٩	المسألة الرابعة: أهمية النفي والتوكيد في قوله: (وما كانوا ليؤمنوا).
٣٢٠	المسألة الخامسة: قوة التعبير في قوله: (كذلك نجزي المجرمين).
٣٢٠	المطلب الرابع: سنة الاستئصال والدمار (دمار كلي).
٣٢٠	أولاً: التفسير الإجمالي:
٣٢٠	ثانياً: الإعجاز البياني:
٣٢١	المسألة الأولى: معنى الإرادة في قول الله: (أردنا).
٣٢١	المسألة الثانية: أهمية التنكير في قول الله: (قرية).
٣٢١	المسألة الثالثة: معنى الأمر في قول الله: (أمرنا).
٣٢٢	المسألة الرابعة: دلالة التعبير في قول الله: (مترفيها).
٣٢٢	المسألة الخامسة: قوة التعبير في قول الله (دمرناها تدميرًا، دمدم).
٣٢٤	المبحث الثاني: اليهود وفلسطين.
٣٢٤	المطلب الأول: علاقة اليهود بفلسطين وعودتهم إليها.
٣٢٤	الفرع الأول: علاقة اليهود بفلسطين.
٣٢٥	الفرع الثاني: عودتهم إلى فلسطين بعد الشتات.
٣٢٥	أولاً: التفسير الإجمالي.
٣٢٥	ثانياً: أقوال المفسرين.
٣٢٥	المسألة الأولى: أقوال المفسرين القدامى.

٣٢٦	المسألة الثانية: أقوال المحدثين من العلماء.
٣٢٧	المطلب الثاني: مقومات وجود اليهود في فلسطين.
٣٢٧	المسألة الأولى: القرآن الكريم (حبل الناس الممدود)
٣٢٧	المسألة الثانية: الأرض والتاريخ.
٣٢٨	المسألة الثالثة: البعد الاجتماعي.
٣٢٩	ثالثاً: الإعجاز البياني.
٣٢٩	المسألة الأولى: دلالة التعبير بقول الله (اسكن).
٣٢٩	المسألة الثانية: حقيقة الأرض التي سكنوها.
٣٣٠	المسألة الثالثة: دلالة التعبير بقول الله (لفيقاً).
٣٣٢	المبحث الثالث: نهاية اليهود في فلسطين حقيقة قرآنية.
٣٣٢	المطلب الأول: بيان إفساد اليهود في سورة بني إسرائيل.
٣٣٢	الفرع الأول: الإفساد الأولي.
٣٣٢	أولاً: التفسير الإجمالي.
٣٣٣	المسألة الأولى: أقوال المفسرين القدامى.
٣٣٣	المسألة الثانية: هوية المسلمين عليهم.
٣٣٤	المسألة الثالثة: أقوال المحدثين.
٣٣٧	الفرع الثاني: المعركة الفاصلة في الإفساد الثانية.
٣٣٧	المسألة الأولى: أقوال المفسرين القدامى.
٣٣٧	المسألة الثانية: هوية المسلمين عليهم.
٣٣٧	المسألة الثالثة: أقوال المحدثين.
٣٤١	المطلب الثاني: عودة اليهود للجرائم في فلسطين.
٣٤١	أولاً: التفسير الإجمالي.
٣٤١	ثانياً: أقوال المفسرين.
٣٤١	المسألة الأولى: أقوال المفسرين القدامى.
٣٤٢	المسألة الثانية: أقوال المحدثين.
٣٤٢	ثالثاً: رأي الباحث.
٣٤٢	المسألة الأولى: التأصيل للإفسادتين.
٣٤٣	المسألة الثانية: مناقشة الإفساد الأولى.
٣٤٤	المسألة الثالثة: هوية المسلمين عليهم.

٣٤٤	المسألة الرابعة: دراسة المصطلح عباد المضاف إليه الضمير.
٣٤٨	المسألة الخامسة: هوية باختصر البابلي.
٣٥٠	المسألة السادسة: مناقشة القائلين إن الإفساد الأولي زمن الرسول ﷺ .
٣٥١	المطلب الثالث: تطبيق سنن العقاب على اليهود.
٣٥١	أولاً: التفسير الإجمالي.
٣٥٢	ثانياً: أمثلة من تطبيق سنن العقاب على اليهود.
٣٥٤	ثالثاً: جرائم اليهود في فلسطين.
٣٥٤	المسألة الأولى: عقيدة الإجماع الصهيوني في فلسطين.
٣٥٧	المسألة الثانية: الرد على مزاعمهم.
٣٥٧	المسألة الثالثة: نماذج من جرائم اليهود في فلسطين.
٣٦٠	المطلب الرابع: خطوات المنهج القرآني في استئصال جرائم اليهود من فلسطين.
٣٦٠	أولاً: التفسير الإجمالي.
٣٦١	ثانياً: منهج الإعداد للمعركة الفاصلة.
٣٦١	المسألة الأولى: اسلامية المعركة.
٣٦١	المسألة الثانية: التخطيط والإعداد.
٣٦٢	المسألة الثالثة: أنواع الإعداد.
٣٦٣	المسألة الرابعة: سر التنكير في لفظ (قوة).
٣٦٣	المسألة الخامسة: دلالة التعبير في قول النبي (القوة الرمي).
٣٦٣	المسألة السادسة: دلالة التعبير في قول الله (رباط الخيل).
٣٦٤	المسألة السابعة: سلاح التوكل على الله.
٣٦٥	المسألة الثامنة: صفات الطائفة المنصورة.
٣٦٨	نتائج الفصل الرابع.
٣٦٨	بيان المنهج القرآني في استئصال جرائم اليهود.
٣٧٠	الخاتمة
٣٧٠	النتائج
٣٧٢	التوصيات
٤٠٩	الملاحق
٤٤٢	ملخص البحث

ملخص البحث

يتناول البحث الحديث عن اليهود والابتلاءات التي تعرضوا عليها، مبيناً فشلهم فيها، والحديث عن النعم الكثيرة التي أنعم الله بها عليهم، وأهمها إتيانهم النبوة والملك والتفضيل على عالم زمانهم، مبيناً فشل اليهود في شكر الله على تلك النعم الوفيرة، مع مقارنة بين هذا التفضيل وخبريه أمة محمد ﷺ .

كما تناول البحث الحديث عن صفاتهم مبيناً أهمها وأخطرها على المسلمين والبشرية عامة وأنها ملازمة لهم، لا تنفصل عنهم، ورثها من جاء بعدهم عقيدة وسلوكاً حتى انتقلت إلى يومنا هذا.

ومع ذلك نكر البحث صفات المؤمنين الصالحين منهم زمن موسى، وهذا يدل على عظمة القرآن وعدل المنهج الإلهي في تعامله مع اليهود وصفاتهم وجرائمهم.

ثم تناول البحث الحديث عن جرائمهم في حق الله وكتابه وأنبيائه والمؤمنين والبشرية جميعاً، بل وحتى في حق أنفسهم، مبيناً العقوبات التي نزلت بهم في كل جريمة، ومبيناً منهج القرآن الكريم في استئصال جرائم اليهود في فلسطين، معتمد بذلك على سنن الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً، لأن هذه السنن ستجرى عليهم في الأرض المباركة، إضافة إلى بيان ضرورة إسلامية المعركة القادمة، منهجاً وقيادة وجنداً، ووجوب الاستعانة بالله والأخذ بجميع الأسباب المادية والتقنية.

ABSTRACT

This study deals with Jews and the distresses they faced, showing their failure to pass these distresses. In addition, the study shows how the Jews were unthankful to the plenty of blessings God granted them such as prophethood, power, and preference over their contemporaries. Then, the study compares between this preference to Jews and Khayreia (being the best) of Moslems. Furthermore, the study tackles the qualities inherent in Jews, highlighting the most dangerous ones to Moslems and all humanities which the Jews transmitted to their descendents until our present day. On the other hand, the study focuses on the qualities of the true believers among Jews, and this shows the greatness of Qur'aan and the Heavenly justice in dealing with Jews and their crimes.

The study, then, focuses on the Jews' crimes against God's laws, His book, prophets, Moslems, humanity and even against themselves, pointing out every kind of punishment for each crime. The study also highlights the Qur'aanic approach in uprooting the Jews' crimes in Palestine, referring to God's unchanging approaches applied to previous generations. Finally, the study shows the importance of "Islamizing" the coming war, including the Islamization of the approach, leadership, and warriors; and seeking God's aid along with the technical and materialistic preparations.